

الفتح المبين

في سيرة السادة البوسعيديين

١١٩٨-١٢٩١ هـ ١٧٨٣-١٨٧٤م

تأليف

حميد بن رزيق بن بخيت النخلي العماني

تحقيق

أ.د محمد حبيب صالح   د. محمود بن مبارك السليمي

الجزء الثاني

الطبعة السادسة

١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م





في سيرة السادة البوسعيديين

١١٩٨-١٢٩١هـ ١٧٨٣-١٨٧٤م

تأليف
حميد بن رزيق بن بخيت النخلي العماني

تحقيق
أ.د محمد حبيب صالح   د. محمود بن مبارك السليمي

الجزء الثاني

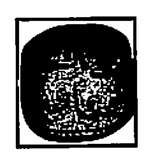
الطبعة السادسة
١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

ISBN 978-99969-0-740-1
9 789996 907401

الفتح المبين

في سيرة السادة البوسعيديين

١١٩٨-١٢٩١ هـ ١٧٨٣-١٨٧٤م



سلطنة عُمان
وزارة التراث والثقافة

حقوق الطبع محفوظة لوزارة التراث والثقافة سلطنة عُمان

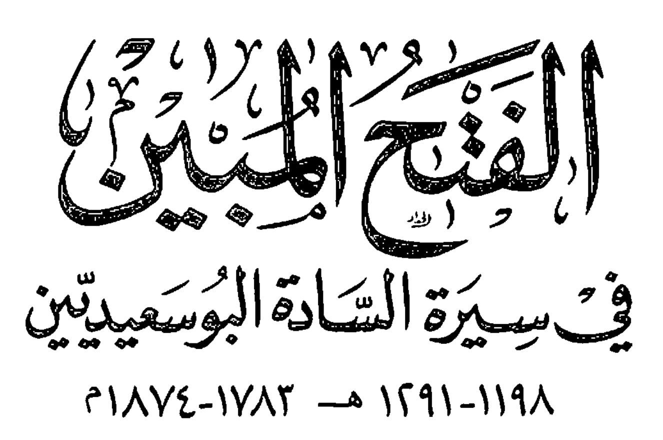
رقم الإيداع المحلي: 103/ 2016

رقم الإيداع الدولي (ISBN): 1-740-0-99969-978

سلطنة عُمان - ص.ب.: ٦٦٨ مسقط، الرمز البريدي: ١٠٠
هاتف: ٢٤٦٤١٣٠٠/ ٢٤٦٤١٣٢٥، فاكس: ٢٤٦٤١٣٣١
البريد الإلكتروني: info@mhc.gov.com
موقع الوزارة على الإنترنت: www.mhc.gov.om

«إن الآراء والمعلومات الواردة في هذا الكتاب هي على مسؤولية المؤلف ولا تعبر بحال من الأحوال عن آراء حكومة سلطنة عُمان».

◄ لا يجوز نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب في أي شكل من الأشكال أو بأية وسيلة من الوسائل، سواء التصويرية أو الإلكترونية، بما في ذلك النسخ الفوتوغرافي أو سواء وحفظ المعلومات واسترجاعها. إلّا بإذن خطي من الناشر



تأليف

حميد بن محمد بن رزيق بن بخيت النخلي العُماني

تحقيق وتقديم

أ.د محمد حبيب صالح

د. محمود بن مبارك السليمي

أستاذ التاريخ في جامعة ن زوى

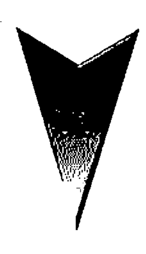
الجزء الثاني

الطبعة السادسة

١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

الباب الثاني

في ذكر أئمَّة عُمان



ذكر أئمّة عُمان وما لهم من الشّأن والتفضيل على التّفصيل من الجلندي بن مسعود، (رحمه الله)، إلى الإمام الحميد البوسعيدي الأزدي، أحمد بن سعيد ونسله السّادة الصناديد.

قال المصنف السائل عنه وعن المسلمين دفع كل ضير وضيق، سليل ابن رزيق:

فليعلم الواقف على هذا الكتاب، فإننا وإن كان غرضنا في هذا الكتاب سيرة الإمام الحميد أحمد بن سعيد ونسله، خاصّة، فالأليق أن نذكر أئمّة عُمان عموماً، ليزداد الفهم تفهيماً، ويعلم من لا يعلم بعد تعليمنا إليه، أن للأزد اليمنيِّن والعُمانيِّن شأناً عظمياً.

عُمان في العصر الأموي

(٤١-١٣٢هـ/٦٦٢-٧٥٠م)

[١٨٥-أ] أقول وبالله التوفيق، وبه يصاب التحقيق: اتفق أهل العلم بالسّير، الطَّالب الشَّهم منه تصديق الخبر، أنه بعدما وقعت الفتنة، وافترقت الأمّة، وصار الملك والسُّلطان إلى معاوية بن أبي سفيان بن حرب[١]، لم يكن لمعاوية في عُمان شيء من الشَّان، حتَّى صار

(١) معاوية بن أبي سفيان: معاوية بن أبي سفيان، (صخر) بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي، مؤسس الدولة الأموية في الشام، وأحد دهاة العرب المميزين الكبار، ولد في مكة، وأسلم يوم فتحها (٨هـ). ولما ولي أبو بكر الصديق ولّاه قيادة جيش تحت إمرة أخيه يزيد بن أبي سفيان، فكان على مقدمته في فتح صيدا، وعرقة، وجبيل، وبيروت. ولما ولي عمر بن الخطاب جعله والياً على الأدرن، ثم ولاه دمشق بعد موت أميرها يزيد بن أبي سفيان، وجاء عثمان بن عفان، فجمع له الديار الشامية كلها. ولما ولي الإمام علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه عزل معاوية، فنادى بثأر عثمان، واتهم علياً بدمه. ونشبت الحروب بينه وبين علي، وانتهى الأمر بسيطرته على الشام. وبعد مقتل الإمام علي سلّم ابنه الحسن الخلافة لمعاوية سنة ٤١هـ، وبقي معاوية في الخلافة حتى وفاته في دمشق سنة ٦٠هـ انظر: الزركلي: خير الدين: الأعلام، ج٧، ص٢٦١-٢٦٢. وانظر: بن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٥، ص٢٠١-٢٠٣.

الملك إلى عبد الملك بن مروان[١]، فاستعمل عبد الملك الحجّاج بن يوسف الثّقفي[٢] على أهل العراق، وكان في ذلك الزمن على الاتِّفاق في عُمان من أساطين سلاطينها سليمان[٣] وسعيد[٤] ابنا عباد بن عبد بن

(١) عبد الملك بن مروان (٢٦-٨٦هـ/٦٤٦-٧٠٥م): عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، أبو الوليد، من كبار ملوك بني أمية ودهاتهم، نشأ بالمدينة، وشهد يوم الدار مع أبيه، واستعمله معاوية على المدينة وهو ابن ست عشرة سنة، انتقل إليه الحكم بعد مقتل أبيه سنة ٦٥هـ، فكان جباراً على معانديه، قتل مصعب بن الزبير وأخيه عبدالله. كان أبيض اللون طويلاً، أعين، رقيق الوجه، أفوه مفتوح الفم، مشبك الأسنان بالذهب، مقرون الحاجبين، مشرق الأنف، ليس بالنحيل ولا بالبدين، أبيض الرأس واللحية، توفي في دمشق. انظر: الزركلي: خير الدين: الأعلام، ج٤، ص١٦٥. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج٤، ص٢٤٦.

(٢) الحجاج بن يوسف الثقفي: الحجاج بن يوسف الثقفي بن الحكم الثقفي، أبو محمد، قائد أموي، داهية، سفّاك، خطيب، ولد ونشأ في الطائف، وانتقل إلى الشام، فلحق بروح بن زنباغ نائب عبد الملك بن مروان، فكان في عديد شرطته، ثم قلّده عبد الملك أمر عسكره، وأمره بقتال عبدالله بن الزبير، فزحف على الحجاز بجيش كبير، وقتل عبد الملك، وفرّق جموعه، فولاه عبد الملك مكة والمدينة والطائف، ثم أضاف إليها العراق والثورة قائمة فيه، فقمعها، وثبتت له الإمارة عشرين سنة، وبنى واسط (بين الكوفة والبصرة) وكان سفّاحاً، باتفاق معظم المؤرخين، أخباره كثيرة. مات بواسط، وأجري على قبره الماء واندرس. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ص١٦٨. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج٤، ص٣٤٣.

(٣) سليمان بن عباد بن الجلندى: ملك، عاش في القرن الأول الهجري، تولى حكم عُمان مع أخيه سعيد خلفاً لعباد بن عبد. وفي عهد عبد الملك بن مروان طمع الحجاج ابن يوسف الثقفي والي العراق بالإستيلاء على عُمان وإلحاقها بولايته، فأرسل إليهم القاسم بن شعوة المزني ومعه جيش عظيم على سفن كثيرة، فأرسى سفنه على قرية حطاط، فسار إليه سليمان بن عباد مع مقاتلي الأزد، وهُزم القاسم وقُتل فأرسل =

الجلندى[١] وهما القيِّمان بعُمان، وكان الحجّاج يبعث غزاته إليهما، وينتخب عليهما أميراً بعد أمير، وهما يفضَّان جموعه، ويبيدان عساكره في مواطن كثيرة، وكلما أخرج عليهما جيشاً هزماه، واستوليا على سواده، فأشار عليه بعض خاصّيته أن يخرج عليهم القاسم بن شعوة المزني[٢] في جمع [١٣٠-ب] كثير، فأخرجه عليهم ومعه جيش عظيم على سفن كثيرة.

= الحجاج مجاعة بن شعوة فقاتله في البلقعين وقرب مسقط وهزمه، ثم لقيه في بلدة سمائل وانهزم مجاعة وعاد إلى جلفار. فأرسل الحجاج عن طريق البر عبد الرحمن بن سليمان في أربعين ألف فارس، فلم يستطع سليمان الصمود ولحق وأخوه سعيد بشرق افريقيا. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٢١٥.

(٤) سعيد بن عباد بن عبد الجلندى، ملك عُماني، عاش في القرن الأول الهجري، تولى حكم عُمان مع أخيه بعد وفاة أبيهما الملك عباد بن عبد الجلندى، وحربهما مع الجيش الأموي الذي أرسله الحجاج بن يوسف الثقفي مشهورة معروفة ثم هاجر إلى شرق إفريقيا، وبهذا يكونان أول من يقيم من الإباضية في شرق إفريقيا. انظر: دليل أعلام عُمان، ص٨٣. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص١٩٢.

(١) عباد بن عبد الملك بن الجلندى: ملك عُماني، ولي على عُمان من قبل الخليفة عثمان بن عفان، وظل والياً على البلاد حتى انتقلت شؤون الحكم في الدولة الإسلامية إلى معاوية بن أبي سفيان. انظر: دليل أعلام عُمان، ص١١٢.

(٢) القاسم بن شعوة المزني: قائد أموي، كلّفه الحجاج بن يوسف الثقفي بقيادة حملة عسكرية من أجل إخضاع عُمان للسيطرة الأموية، لكن حملته فشلت في إخضاع عُمان، بسبب المقاومة الضارية التي أبداها العُمانيون تحت قيادة الملكين سليمان وسعيد ابنا عباد بن عبد الجلندى، وقتل في إحدى المعارك مع كثير من قواده وأصحابه، واستولى على سوادهم. انظر: السالمي، نور الدين عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان، ج١، ص٧١.

فلمّا انتهى القاسم بن شعوة المذكور إلى ساحل عُمان، أرسى سفنه في قرية حطاط[١]. فسار إليه سليمان بن عبَّاد بالأزد، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فكانت الدَّائرة والهزيمة على أصحاب الحجّاج، فقتل القاسم بن شعوة، وقتل من أصحابه خلق كثير، واستولى سليمان على سوادهم، وأصحُّ الخبر أنه لم يسلم أحد منهم، والله أعلم.

فلمّا بلغ ذلك الحجّاج، هاله الأمر، فاستدعى المجاعة بن شعوة[٢] أخا القاسم، وأمره أن يندب النَّاس، ويستصرخهم، وينادي في قبائل نزار وحلفائهم وشيعتهم، ويستنصرهم على خراب عُمان، وأظهر الحجّاج فرط الغضب والحمية والأنفة.

وكتب بذلك إلى عبد الملك بن مروان، وأنفذ وجوه الأزد الَّذين هم بالبصرة[٣] إلى قتال سليمان بن عبَّاد وجنده، فكان عدد العساكر التي

---

(١) قرية حطاط: قرية عُمانية، تقع على شاطئ خليج عُمان، وهي التي تسمى يتى، وقيل: هي التي تسمى القرم، وقعت فيها معركة كبيرة بين قوات سليمان بن عباد عبد الأزدي وحملة القاسم بن شعوة المزني، قتل فيها القاسم بن شعوة، وعدد كبير من قواده وجنوده. انظر: السالمي، نور الدين عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان، ج١، ص٧٣.

(٢) مجاعة بن شعوة: مجاعة بن شعوة المزني، قائد أموي، كلّفه الحجاج بن يوسف الثقفي بقيادة جيش أموي لإخضاع عُمان، بعد فشل الحملة الأولى التي قادها أخوه القاسم بن شعوة، وفشلت حملته في البداية، لكنه تمكّن من السيطرة على عُمان، بعدما وصلته قوات داعمة من الشام. انظر: السالمي، نور الدين عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان، ج١، ص٧١.

(٣) البصرة: مدينة في العراق، والبصرة في كلام العرب: الأرض الغليظة، وقيل: سميت البصرة لأن فيها حجارة صلبة، وهي البصرة، بنيت في عهد عمر بن الخطاب وبأمر منه، وبنى المسلمون في البصرة سبع دساكر: اثنتان بالخريبة، واثنتان بالزابوقة، وثلاث في موضع داس الأزد، ومنذ ذلك الحين أصبحت إلى =

جمعها الحجّاج وأخرجها مع المجاعة بن شعوة لحرب عُمان [١٨٦-أ] على أصح القول أربعين ألفاً، أخرج من جانب البحر عشرين ألفاً[١]، ومثلهم عدداً من جانب البرّ، فانتهى القوم السالكوا طريق البرّ، وهم كما ذكرنا عشرون ألفاً[٢]، أكثرهم أهل خيل، وركاب سباق، فالتقوا هم وسليمان بن عبَّاد، ومن معه من الأزد وغيرهم حول الماء الَّذي دون البلقعة[٣] بخمس مراحل، وقيل: بثلاث مراحل، وهو الماء الَّذي يقال له اليوم: البلقعين، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم أصحاب الحجّاج، فأمعن في طلبهم سليمان بن عباد، وهو لا يعلم بشيء من عساكر البحر.

فلمّا انتهى عساكر البحر بالبوتاية[٤] من جلفار[٥]، لقيهم رجل

= جانب الكوفة من أهم حواضر العراق، وقد تولاها زياد بن أبيه في عهد معاوية بن أبي سفيان، وابنه عبيدالله بن زياد في عهد معاوية وابنه يزيد. وغدت مركز إشعاع حضاري وعلمي منذ قيامها وحتى نهاية العصر العباسي. انظر: الحموي، ياقوت بن عبدالله: معجم البلدان، ج١، ص٤٣٠-٤٣٥.

(١) وردت في النسختين (أ) و(ب): (عشرة آلاف) والصحيح ما أثبتناه في النص نقلاً عن: بن رزيق، حميد بن محمد: الصحيفة القحطانية، ج٥، ص٧٤. وانظر أيضاً: السالمي، نور الدين عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان، ج١، ص٧١.

(٢) وردت في النسختين (أ) و(ب): (عشرة آلاف) والصحيح ما أثبتناه في النص نقلاً عن: بن رزيق، حميد بن محمد: الصحيفة القحطانية، ج٥، ص٧٤. وانظر أيضاً: السالمي، نور الدين عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان، ج١، ص٧١.

(٣) انظر: السالمي، نور الدين عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان، ج١، ص٧٢.

(٤) وردت في النسختين (أ) و(ب): (باليونانية) والصحيح ما أثبتناه في النص نقلاً عن: السالمي، نور الدين عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان، ج١، ص٧٢.

(٥) جلفار: مدينة مخصبة بناحية عُمان، وأكثر ما سمعت يسمونها جلفار باللام. انظر: الحموي، ياقوت بن عبدالله: معجم البلدان، ج٢، ١٢٨.

منأهل توام[١]، فأخبرهم بخروج سليمان وجنوده، وما كان من خبر أصحابهم الَّذين مضوا على طريق البرّ، وأن سليمان بعد ما وقع بهم، وصنع فيهم ما صنع، تشتَّت آراء أصحابه، وانفضّ أكثرهم عنه، وما بقي معه من الجنود، إلّا بعض الرجال.

فلمّا وصل مجاعة إلى بركة[٢]، مضي إليه سعيد بن عبَّاد شقيق سليمان بن عبَّاد، فقاتلهم قتالاً شديداً، حتَّى حجز بينهم الليل.

ولمَّا تأمّل سعيد قومه، وجدهم مع عساكر المجاعة بن شعوة كالشَّعرة البيضاء في الثَّور الأسود، وقد قتل من قومه من قتل، وكثرت الجرحى من قومه، فرجع من ليلته، وعمد إلى ذراريه وذراري أخيه سليمان، فاعتزل بهم في الجبل الأكبر؛ وهو جبل بني ريام، الَّذي يقال له: الجبل الأخضر، ويقال له أيضاً: رُضوى[٣]، بضم الراء، ولحقه القوم، فحصروه، ولم يقدروا أن يصعدوا الجبل، فأقاموا بوادي المستلّ[٤].

وكان مجاعة قد أرسى سفنه دون مسقط، وكان عدد سفنه ثلاثُمَّائة سفينة، فمضى إليها سليمان، فأحرق منها نيِّفاً وخمسين سفينة، وانهزم

---

(١) توام: تُؤام، ثم فتح الهمزة، اسم قصبة في عُمان مما يلي الساحل، وبها قرى كثيرة، وقال نصر: تُؤام قرية بعُمان، بها منبر بني سامة بن لؤي بن غالب. انظر: الحموي، ياقوت بن عبدالله: معجم البلدان، ج٢، ص٥٤.

(٢) بركة: بركة ثغر وادي المعاول ونخل، إلى الساحل. وبركة من مهام البلاد العُمانية، وكانت سوق عُمان أيام اضطراب عُمان بجنود فترس في مسقط. وكان لبركة شان لا ينكر، وزعلة. انظر: السيابي، سالم بن حمود بن شامس: العنوان عن تاريخ عُمان، ص١٣٢.

(٣) قيل: (سمي جبل رُضوى نسبة إلى نبي دُفن فيه). انظر السالمي، نور الدين عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان، ج١، ص٧٢.

(٤) وادي المستل: اسم أحد الأودية في منطقة الجبل الأخضر في سلطنة عُمان.

الباقون بالسفائن التي لم [يحرقوها][١]، ومكثوا فيها بالبحر. وتصوّر لمجاعة أنه لا طاقة له بسليمان وجنوده [١٨٧-أ]، فمضى يريد البحر، فالتقى هو وسليمان في بلدة سمايل، فوقعت بينهم ملحمة عظيمة.

فانهزم مجاعة، ولحق بسفنه، فركبها، ومضى إلى جلفار، وكتب إلى الحجّاج عمّا جرى عليه من سليمان وسعيد ابني عبَّاد، وأنَّه قد اجتمع معهما أزد عُمان وحلفاؤهم قاطبة.

فأخرج إليه الحجّاج على طريق البرّ عبد الرَّحمن بن سليمان[٢] في خمسة آلاف عنان[٣] من بادية الشَّام، وعبد الرَّحمن المذكور هو مضريُّ النَّسب، وكان في قومه رجل من أزد البصرة، لا يعلم به عبد الرَّحمن ولا عساكره، أنه أزدي النَّسب، فسرى ليلاً من العسكر إلى سليمان وسعيد.

فلمّا وصلهما، أخبرهما الخبر على التفصيل، فاستشعرا من العجز، فحملا ذراريهما وسوادهما، وخرج معهما [١٣١-ب] جملة من أتباعهما وقومهما، فلحقا بأرض الزّنج[٤] حتَّى ماتا هناك.

ودخل مجاعة وعبد الرَّحمن بالعسكر عُمان، ففعلا فيها غير الجميل، ونهباها، وسنّا فيها الجور والبغي، فلمّا ذلَّلا أهلها، وكتبا إلى الحجّاج عمّا صنعاه بعُمان سرّه ذلك سروراً عظيماً.

---

(١) ورد في الأصل لم يرقوها، والصحيحما أثبتناه في النص لمناسبة ذلك مع الخبر.

(٢) عبد الرحمن بن سليمان: قائد أموي، ترأس الحملة التي أرسلها الحجاج بن يوسف الثقفي من بادية الشام لتقديم الدعم والمساندة لحملة مجاعة بن شعوة المزني، وقد ساهم من إخضاع عُمان للسيطرة الأموية سنة ٨٧هـ. انظر: السالمي، نور الدين عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان، ج١، ص٧٢.

(٣) خمسة آلاف عنان: أي خمسة آلاف فارس.

(٤) أرض الزنج: هي أرض شرف إفريقيا.

ثُمَّ إنَّ الحجّاج استعمل على أهل عُمان الخيَّار بن سبرة المجاشعي[١].

فلمّا [مات عبد الملك، وملك من بعده ابنه الوليد، ومات الحجاج، استعمل الوليد على العراق يزيد بن أبي أبي مسلم[٢]، فبعث يزيد سيفاً بن الهاني الهمداني[٣] عاملاً على عُمان][٤].

ولمَّا مات الوليد بن عبد الملك، وولي من بعده الأمر أخوه سليمان ابن عبد الملك، عزل العمال [الَّذين كانوا على غير عُمان، فاستعمل عليها][٥]، صالح بن عبد الرَّحمن بن قيس الليثي[٦] مكانه.

---

(١) الخيار بن سبرة المجاشعي: قائد أموي استخدمه الحجاج بن يوسف الثقفي عاملاً له على عُمان بعد إخضاعها للسيطرة الأموية عام ٨٧هـ، وبقي يحكمها حتى سنة ٩٥هـ. انظر: السالمي، نور الدين عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان، ج١، ص٧٤.

(٢) يزيد بن أبي مسلم: قائد أموي، عينه الوليد بن عبد الملك والياً على العراق، بعد وفاة الحجاج بن يوسف الثقفي سنة ٩٥هـ. انظر: السالمي، نور الدين عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان، ج١، ص٧٤.

(٣) سيف بن الهاني الهمداني: قائد أموي، استخدمه يزيد بن أبي مسلم والي الأمويين على العراق سنة ٩٥هـ والياً على عُمان. انظر: السالمي، نور الدين عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان، ج١، ص٧٤.

(٤) الفقرة مضطربة في النسختين (أ) و(ب) وفيها تكرار، ضبطت من: السالمي، نور الدين عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان، ج١، ص٧٤.

(٥) في الفقرة نقص واضطراب، ضبطت من: السالمي، نور الدين: تحفة الأعيان، ج١، ص٧٤.

(٦) صالح بن عبد الرحمن: صالح بن عبد الرحمن الليثي، قائد أموي، عينه يزيد بن أبي مسلم والي الأمويين على العراق والياً على عُمان بعدما عزل سيف بن الهنائي الهمداني عنها. انظر: السالمي، نور الدين عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان، ج١، ص٧٤.

ثُمَّ إنه رأى أن يكون عمَّال عُمان على ما كانوا عليه، وجعل صالح بن عبد الرَّحمن مشرفاً عليهم، وولي يزيد بن المهلَّب الأزدي العراق وخراسان[١].

فاستعمل يزيد أخاه زياداً على عُمان، فلم يزل عاملاً عليها، محسناً إلى أهلها، حتَّى مات سليمان بن عبد الملك، وولي الأمر من بعده عمر بن عبد العزيز، فأظهر عمر بن عبد العزيز العدل [١٨٨-أ] والإنصاف في رعيَّته.

استخلف يوم الجمعة لعشر بقين من صفر سنة تسع وتسعين، وهو اليوم الَّذي مات فيه سليمان بن عبد الملك، وتوفي بدير سمعان من أعمال حمص[٢] مما يلي بلاد قنسرين يوم الجمعة لخمس بقين من رجب سنة إحدى ومائة، وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وخمسة أيام، وهو ابن تسع وثلاثين سنة، وقبره مشهور بدير سمعان، يغشاه خلق كثير من النَّاس،

---

(١) خراسان: بلاد واسعة، أول حدودها مما يلي العراق، وآخر حدودها مما يلي الهند طخارستان وغزنة، وسجستان وكرمان، وليس ذلك منها، وإنما أطراف حدودها، وتشمل على أمهات من البلاد منها: نيسابور، وهراة، ومرو، وبلخ، وطالقان، ونسا، وأبيرود، وسرخس، وما يتخلل ذلك من المدن التي دون نهر جيحون، ومن الناس من يدخل أعمال خوارزم فيها، ويعدُّ ما رواء النهر منها، وليس الأمر كذلك، وقد فتحت أكثر هذه البلاد عنوةً وصلحاً، وذلك سنة ٣١هـ في أيام عثمان بن عفان. انظر: الحموي، ياقوت بن عبدالله، معجم البلدان، ج٢، ص٣٥٠.

(٢) حمص: مدينة بين دمشق وحلب، في منتصف الطريق، ويقال: بدأت بحصن يقال له حمص بن المهر بن جان بن مكنف، وقيل: حمص بن مكنف العمليقي. وقال أهل السير: حمص بناها اليونانيون. فُتحت من قبل أبي عبيدة عامر بن الجراح، وفيها دار خالد بن الوليد وقبره، وقبر عيّاض بن غنيم فاتح بلاد الجزيرة، وقبور أولاد جعفر الطيار، ومقام كعب الأحبار. انظر: الحموي، ياقوت بن عبدالله: معجم البلدان، ج٣، ص٣٠٢-٣٠٣.

من الحاضرة والبادية، لم يعرض لنبشه فيمن سلف من الزمان كما عرض لقبور غيره من بني أمية[١]، وأمّه أمُّ عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطّاب[٢]، كما ذكر المسعودي[٣] في كتاب «مروج الذهب».

---

(١) بعد انتصار الثورة العباسية على الأمويين، والقضاء على الحكم الأموي، جمع القائد العباسي عبدالله بن علي بن عبدالله بن عباس الهاشمي أعيان بني أمية في الرملة من أرض فلسطين، بعد أن تظاهر بالعفو عنهم، وقتل منهم ثمانين رجلاً بالسيوف والعمد على نهر أبي فطرس، ونبش قبور ملوك بني أمية وأحرقها انتقاماً لقتل الإمام الحسين بن علي عليه السلام في كربلاء سنة ٦١هـ، إلّا أنه لم يتعرض لقبر الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز، لأنه منع شتم الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وولديه على رؤوس المنابر.

(٢) عاصم بن عمر بن الخطاب (٦-٧٠هـ/ ٦٢٧-٦٩٠م): عاصم بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي، شاعر، كان من أحسن الناس خلقاً، وكان طويلاً جسيماً، وهو جدّ عمر بن عبد العزيز لأمه، مات بالربذة. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص٢٤٨. وانظر: بن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣، ص١١١-١١٢.

(٣) المسعودي: علي بن الحسين بن علي، أبو الحسن المسعودي، من ذرية عبدالله بن مسعود مؤرخ، رحّالة، بحّاثة، من أهل بغداد، أقام في مصر، وتوفي فيها سنة (٣٤٦هـ/ ٩٥٧م). قال الذهبي: عداده من أهل بغداد، نزل مصر مدّة، وكان معتزلياً، من تصانيفه (مروج الذهب) و(أخبار الزمان ومن أباده الحدثان) تاريخ في نحو ثلاثين مجلداً، بقي منه الجزء الأول مخطوطاً، و(التنبيه والإشراف) و(أخبار الخوارج) و(ذخائر العلوم وما كان من سالف الدهور) و(الرسائل) و(الاستذكار بما مرّ في سالف الأعصار) و(أخبار الأمم من العرب والعجم) و(خزائن الملوك وسرّ العالمين) و(المقالات في أصول الديانات) و(البيان) في أسماء الأئمة، و(المسائل العلل في المذاهب والحلل) و(الإبانة عن أصول الديانة) و(سرّ الحياة) و(الاستبصار) في الإمامة، و(السياسة المدنية) في السياسة والاجتماع. وهو غير المسعودي الفقيه الشافعي، وغير شارح المقامات الحريرية. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٤، ص٢٧٧. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج١٥، ص٥٦٩.

قال، وقيل: إنه قبض وهو ابن أربعين سنة، وقيل: ابن إحدى وأربعين سنة.

قال: وتنوزع أيضاً في مقدار مدته من الخلافة، وكان حسن السيرة، شهيراً بالزُّهد.

وكان السبب فيها أن سليمان لما حضرته الوفاة بمرج دابق، دعا رجاء ابن حيوة[١] ومحمَّد بن شهاب الزهري[٢]، ومكحولاً[٣] وغيرهم من

---

(١) رجاء بن حيوة: رجاء بن حيوة بن جرول الكندي، أبو المقدام، شيخ أهل الشام في عصره، من الوعاظ الفصحاء العلماء. كان ملازماً لعمر بن عبد العزيز في عهدي الإمارة والخلافة، واستكتبه سليمان بن عبد الملك، وهو الذي أشار على سليمان استخلاف عمر بن عبد العزيز، وله معه أخبار. توفي رجاء بن حيوة سنة (١١٢هـ/ ٧٣٠م). انظر: الزركلي خير الدين: الأعلام، ج٣، ص١٧. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج٤، ص٥٥٧.

(٢) محمد بن شهاب الزهري (٥٨-١٢٤هـ/ ٦٧٨-٧٤٢م): محمد بن مسلم بن عبدالله بن شهاب الزهري، من بني زهرة بن كلاب، من قريش، أبو بكر، أول من دوّن الحديث، وأحد كبار الحفاظ والفقهاء، تابعي، من أهل الميدنة، كان يحفظ ألفين ومئتي حديث، نصفها مسند. وعن أبي الزناد: كنّا نطوف مع الزهري ومعه الألواح والصحف، ويكتب كل ما يسمع. نزل الشام، واستقرَّ بها. وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عمّاله: عليكم بابن شهاب، فإنكم لا تجدون أحداً أعلم منه بالسنّة الماضية منه. قال بن الجزري: مات بشَغْب، آخر حدّ الحجاز، وأول حدّ فلسطين. انظر: الزركلي خير الدين: الأعلام، ج٧، ص٩٧. وانظر: ابن خلكان، أحمد بن محمد: وفيات الأعيان، ج٤، ص١٧٧-١٧٩.

(٣) مكحول: مكحول بن أبي مسلم بن شهراب بن شاذل، أبو عبدالله، الهذلي بالولاء، فقيه الشام في عصره، من حفّاظ الحديث، أصله من فارس، ومولده بكابل، ترعرع بها سُبي، وصار مولى لامرأة بمصر من هذيل، فنُسب إليها، واعتنق، وتفقه، ورحل في طلب الحديث إلى العراق، فالمدينة، وطاف كثيراً من البلدان، واستقر في دمشق، وتوفي بها سنة (١١٢هـ/ ٧٣٠م). قال الزهري: لم يكن في زمنه أبصر منه =

العلماء، ممن كان في عسكره غازياً ونافراً، فكتب وصيته، وأشهدهم عليها، وقال: إذا أنا متّ، فأذنوا، الصَّلاة جامعة. فاجتمع النَّاس، وحضر بنو أمية، فاشرأبّوا للخلافة، وتشوَّقوا نحوها.

فقام الزهري، فقال:

أيها النَّاس، أرضيتم من سمّاه أمير المؤمنين سليمان في وصيته؟

قالوا: نعم.

فقرأ الكتاب على النَّاس، فإذا فيه اسم عمر بن عبد العزيز، ومن بعده يزيد بن عبد الملك.

فقام مكحول، فقال: أين عمر بن عبد العزيز؟ وكان عمر في آخر النَّاس، فاسترجع[1] حين دعي باسمه مرتين أو ثلاثاً.

وأتاه قوم، فأخذوا بيديه وعضديه، فأقاموه، وذهبوا به إلى المنبر، فصعد على المرقاة الثَّالثة، وللمنبر خمس مراق.

فكان أول من بايعه من النَّاس يزيد بن عبد الملك، وقام سعيد[2] وهشام[3] فانصرفا، ولم يبايعا، وبايع النَّاس جميعاً.

= بالفتيا. وكان في لسانه عجمة: يجعل القاف كافاً، والحاء هاءً، ومن أخباره: قال بن جابر: أقبل يزيد بن عبد الملك إلى مكحول، في أصحابه، فهممنا بالتوسعة له، فقال مكحول: مكانكم، دعوه يجلس حيث أدرك. انظر: الزركلي خير الدين: الأعلام، ج٧، ص٢٨٤. وانظر: بن خلكان، أحمد بن محمد: وفيات الأعيان، ج٥، ص٢٨٠-٢٨٣.

(١) فاسترجع: أي قال: (إنا إلى الله وإنا إليه راجعون).

(٢) سعيد: سعيد بن عبد الملك بن مروان، أمير من بني مروان، من أهل دمشق. ولي الغزو في خلافة أخيه هشام، وولي فلسطين للوليد، وكان عاملاً على الموصل، (وإليه تنسب سوق سعيد فيها) قتل يوم نهر أبي فطرس (قرب الرملة بفلسطين) =

ثُمَّ بايعه سعيد وهشام بعد ذلك بيومين. وكان عمر في نهاية النّسك والتواضع.

وصرف عمَّال من [١٨٩-أ] كان قبله من بني أمية، واستعمل أصلح من قدر عليه، فسلك عمَّاله طريقته، وترك لعن علي بن أبي طالب على المنابر، وجعل مكانه: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾[١]. الآية. وقيل: بل جعل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾[٢] الآية. وقيل: بل جعلهما جميعاً، فاستعمل النَّاس ذلك في الخطبة إلى هذه الغاية.

هكذا حكى المسعودي في «مروج الذهب» [١٣٢-ب] وغيره.

قال: ولمَّا استخلف عمر، دخل عليه سالم السَّدي، وكان من خاصّته، فقال له عمر:

- أسرّك ما ولّيت، أم ساءك؟
- فقال: سرّني للنَّاس، وساءني لك.
- قال: إنّي أخاف أن أكون قد أوبقت نفسي.
- قال: ما أحسن ذلك إن كنت تخاف، إنَّما عليك أن لا تخاف.
- قال: عظني.
- قال: أبونا آدم، (عليه السلام)، أخرج من الجنَّة بخطيئة واحدة.

= سنة (١٣٢هـ/ ٧٥٠م)، وهو الذي حفر (نهر سعيد) بقرب الرقة، وأقام العمران فيما حوله. انظر: الزركلي خير الدين: الأعلام، ج٣، ص٩٨.

(٣) هشام: يقصد بذلك هشام بن عبد الملك، وقد وردت ترجمته سابقاً.

(١) سورة الحشر، الآية: ١٠.

(٢) سورة الحشر، الآية: ٩٠.

وكتب طاوس[١] إلى عمر بن عبد العزيز: إن أردت أن يكون عملك خيراً كلّه، فاستعمل أهل الخير.

فقال عمر: كفى بها موعظة.

ولمَّا أفضى الأمر إليه كان أول خطبة خطب النَّاس بها أن قال:

يا أيُّها النَّاس، إنَّما نحن من أصول قد مضت، وبقيت فروعها، فما بقاء فرع بعد أصله، وإنَّما النَّاس في هذه الدّنيا أغراض تتنصَّل فيها المنايا، وهم فيها نهب المصائب، مع كل جرعة شرق غصص، لا ينالون نعمة إلَّا بفراق أخرى، وما يعمَّر معمِّرٌ منكم يوماً من عمره، إلَّا يهدم أخرى من أجله.

قلت: وما أليق قوله، إنَّما نحن أصولُ قد مضت، وبقيت فروعها، فما بقاء فرع بعد أصله.

يقول الشَّيخ أحمد بن النظر الأزدي السمايلي شعراً:

أبوكَ الأصلُ، وابنكَ وهو فرعٌ وقد هشمتْ عظامهما القبورُ[٢]

---

(١) طاووس بن كيسان (٣٣-١٠٦هـ/ ٦٥٣-٧٢٤م): طاووس بن كيسان الخولاني الهمذاني، بالولاء، أبو عبد الرحمن، من أكابر التابعين، تفقهاً في الدين، ورواية للحديث، وتقشفاً في العيش، وجرأة في وعظ الخلفاء والملوك. أصله من فارس، ومولده ومنشأه في اليمن. توفي حاجاً بالمزدلفة أو بمنى، وكان هشام بن عبد الملك حاجاً تلك السنة، فصلى عليه، وكان يأبى القرب من الملوك والأمراء، وقال ابن عيينة: متجنبو السلطان ثلاثة: أبو ذر، وطاووس، والثوري. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص٢٢٤. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج٥، ص٣٨.

(٢) أبوكَ الأصلُ وابنكَ وهو فرعٌ وقد هشمتْ عظامهما القبورُ
أتحسبُ أنّ حيًّا يا عزيزُ يدومُ له من الدنيا سرورُ
أخا الخمسينِ هلْ لكَ من رجاءٍ فإنكَ بالبكاءِ لها جديرُ =

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله، بالمدينة أن اقتسم في ولد علي بن أبي طالب عشرة آلاف دينار، فكتب إليه: إن علياً قد ولد له في عدة قبائل من قريش، ففي أي ولده؟

فكتب إليه: لو كتبت إليك في شاة تذبحها لكتبت إليَّ سوداء أم بيضاء، إذا أتاك كتابي هذا [١٩٠-أ] فاقسم في ولد عليّ من فاطمة، رحمة الله عليها، عشرة آلاف دينار، فطالما تخطَّتهم حقوقهم، والسَّلام.

وخطب ذات يوم في بعض مقاماته، فقال، بعد حمد الله والثَّناء عليه: أيُّها النَّاس، إنه لا كتاب بعد القرآن، ولا نبيَّ بعد محمَّد (صلَّى الله عليه وسلَّم)، إلَّا وإنّي لست بقاضٍ، ولكنّي منفذ، إلَّا وإنّي لست بمبتدع، ولكن متّبع، إن الرَّجل الهارب من الأيَّام لظالم، هو العاصي، ألا لا طاعة لمخلوق في معصية الله.

وبعث عمر وفداً إلى قيصر الروم في أمر من مصالح المسلمين، وحق يدعوه إليه، فلمّا دخلوا، إذا ترجمان، من يفسِّرُ له، وهو جالس على سرير مملكته، والتَّاج على رأسه، والبطارقة عن يمينه وشماله، والنَّاس على مراتبهم بين يديه، فبرأوا إليه ما قصدوا له، فتلقّاهم بجميل، وأجابهم بأحسن جواب، وانصرفوا عنه في ذلك اليوم.

فلمّا كان في غداة غدٍ، أتاهم رسوله، فدخلوا عليه، فإذا هو قد نزل عن سريره ووضع التَّاج عن رأسه، وقد تغيرت صفاته التي شاهدوه عليها، وكأنَّه في مصيبة، فقال:

= ألَمْ تعلَمْ بأنَّ الدَّهرَ غولَ   خئونٌ لا تقاومهُ الصخورُ
تضعضعُ عن حوادثِهِ الرواسي   وتخضعُ عن مهابتِهِ القصورُ

انظر القصيدة كاملة في: الخصيبي، محمد بن راشد بن عزيز: شقائق النعمان على سموط الجمان، ج٢، ص٣٢٨-٣٢٩.

- هو تدرون لِمَ دعوتكم؟
- قالوا: لا..
- قال: إن صاحب مسلحتي[(١)] التي تلي العرب جاءني كتابه في هذا الوقت، أن ملك العرب، الرَّجل الصّالح قد مات.
- فما ملكوا أنفسهم أن بكوا.
- فقال: إنكم تبكون لدينكم أم له؟
- قالوا: نبكي أنفسنا، ولديننا، وله.

فقال: لا تبكوا له، وابكوا لأنفسكم ما بدا لكم، فإنَّه خرج إلى خير مما خلف، قد كان يخاف أن يدعو طاعة الله، فلم يكن الله ليجمع إليه مخافة الدّنيا والآخرة، لقد بلغني أن برّه وفضله وصدقه ما لو كان أحد بعد عيسى يحيي [الموتى][(٢)]، ولقد كانت تأتيني أخباره ظاهراً وباطناً، فلا أجد أمره مع ربّه إلَّا واحداً، باطنه أشدُّ حين خلوته بطاعة مولاه، ولم أعجب لهذا الرَّاهب الَّذي ترك الدّنيا، وعبد ربه على رأس صومعته، ولكني من هذا الَّذي صارت الدّنيا تحت قدمه، فزهدها، حتَّى صار مثل الراهب، إنَّ أهل الخير لا يبقون مع أهل الشرّ إلَّا قليلاً.

وكتب عمر بن عبد العزيز [١٣٢-ب] إلى أبي حازم الأعرج[(٣)]: أن عظني وأوجز.

---

(١) المسلحة: هي الثغر الذي يعسكر فيه المسلحون لحماية تخوم الدولة.

(٢) سقطت من النسخة (ب).

(٣) أبو حازم الأعرج: سلمة بن دينار المخزومي، أبو حازم، ويقال له الأعرج، عالم المدينة وقاضيها وشيخها. فارسي الأصل. كان زاهداً عابداً، بعث إليه سليمان بن عبد الملك ليأتيه، فقال: إن كانت له حاجة فليأتِ، وأما أنا فما لي إليه حاجة. قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: (ما رأيت أحداً الحكمة أقرب إلي فيه من أبي حازم). =

فكتب إليه: كأنّك يا أمير المؤمنين بالدّنيا، فلم تكن، وبالآخرة، فلم تزل، والسَّلام.

وأخبار عمر بن عبد العزيز في العدل كثيرة، وإنّي وإن كنت التزمت في سيرته ما لا يلزم لأجل ما قصدته في هذه السِّيرة الشَّريفة، فما خلا ما أثبته من عدله من فائدة.

ولمَّا ولِّي عمر بن عبد العزيز استعمل على عُمان عدي بن أرطأة الفزَّاري[1]، ثُمَّ عزله، فاستعمل بعده على عُمان عمر بن عبدالله الأنصاري[2]، فأحسن السِّيرة فيهم، فلم يزل والياً على عُمان، مكرّماً بين أهلها، محمود الخلال، يستوفي الصَّدقات منهم بطيبة أنفسهم حتَّى مات عمر بن عبد العزيز.

فقال عمر بن عبدالله لزياد بن المهلب: هذه البلاد بلاد قومك، فشأنك وإياهم.

وخرج عمر بن عبدالله الأنصاري من عُمان.

= أخباره كثيرة، توفي سنة (١٤٠هـ/ ٧٥٧م). انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص١١٣. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج٦، ص٩٦.

(١) عدي بن أرطأة الفزاري: قائد أموي، استخدمه عمر بن عبد العزيز والياً على العراق، بعد أن عزل يزيد بن أبي مسلم. انظر: بن رزيق، حميد بن محمد: الصحيفة القحطانية، ج٥، ص٧٦.

(٢) عمر بن عبدالله بن صبيحة الأنصاري: عالم، فقيه، عيّنه الخليفة عمر بن عبد العزيز حاكماً على عُمان بدلاً من عدي بن أرطأة الفزاري، وقد أيدّه العُمانيون لعدله ونزاهته في الحكم. انظر: دليل أعلام عُمان، ص١٢٠. =

عُمان في العصر العبّاسي

(١٣٢-٦٥٦هـ/٧٥٠-١٢٥٨م)

وقام زياد بن المهلب في عُمان، حتَّى ظهر أبو العباس السفاح، وصار ملك بني أمية إليهم.

فولى «أبو العباس» أبا جعفر المنصور على العراق، واستعمل على عُمان جناح بن عبادة الهنائي[(١)]، وهو صاحب المسجد المعروف بمسجد جناح[(٢)]، والعامَّة تقول: مسجد جماح غلطاً، ثُمَّ عزله، وولى بعده ولده محمَّد بن جناح، فداهن محمد جناح بن عبادة[(٣)] الإباضية، حتَّى صارت ولاية عُمان لهم.

---

(١) جناح بن عبادة الهنائي: جناح بن عبادة بن قيس الهنائي، وآلٍ، عاش في القرن الثاني الهجري، ولي على عُمان من قبل أبي جعفر المنصور، تعاطف مع العُمانيين، واعتنق المذهب الإباضي، ثم عزله، وعيّن نجله محمداً خلفاً له. انظر: دليل أعلام عُمان، ص٤٦.

(٢) مسجد جناح: وهو بصحار. انظر: السالمي، نور الدين عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان، ج١، ص٧٥.

(٣) محمد بن جناح: محمد بن جناح بن عبادة بن قيس الهنائي، وآلٍ عاش في القرن الثاني الهجري، ولي على عُمان بعد أن عزل أبو جعفر المنصور والده عن ولايتها، فداهن المسلمين (الإباضية) وصارت ولاية عُمان لهم، فعند ذلك عقدوا الإمامة =

◆ [الإمام الجلندى بن مسعود (١٣٢-١٣٤هـ/٧٥٠-٧٥٢م)]:

فعند ذلك عقدوا الإمامة للجلندى بن مسعود[١]، وهو أول أئمَّة العدل بعُمان، وكان هو السبب لقوة المذهب الإباضي، وكان فاضلاً، عادلاً، تقيًّا، متواضعاً لله، فخرج عليه شيبان[٢]، وكان قد طلبه السفاح،

= للجلندى بن مسعود، فكان سبباً لقوة الإسلام. انظر: السالمي، نور الدين عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان، ج١، ص٧٥.

(١) الجلندى بن مسعود: الجلندى بن مسعود بن جيفر بن الجلندى، وهو أحد بني الجلندى بن المستكبر بن مسعود بن الحرار بن عبد العزيز بن معولة بن شمس، ملوك عُمان بعد أولاد مالك بن فهم الأزدي، أول أئمة عُمان، كان عادلاً مرضياً، وكان ممن حضر البيعة لعبدالله بن يحيى الكندي الملقب (طالب الحق). قال أبو حسن البسياني: (وقد اجتمعوا على إمامة الجلندى وولايته والمجاهدة معه)، وكان في أيامه حاجب والربيع بن حبيب في العراق، وعبدالله بن القاسم ووهلال بن عطية، وخلف بن زياد البحراني، وشبيب بن عطية العُماني، وموسى بن أبي جابر الإزكوي، وبشير بن المنذر النزرواني، ومنير بن النيّر الجعلاني. وقال أبو محمد عبدالله بن محمد بن أبي المؤثر (رحمه الله): ولا نعلم في أئمة المسلمين بعُمان أفضل من سعيد بن عبدالله، إلّا أن يكون الجلندى بن مسعود. وقال أبو الحسن، فسار الجلندى بن مسعود (رحمه الله) في عُمان، فأظهر الحق وعمل به، وأخذ الدولة من يد أهل الجور، وبرئ من الجبابرة وأشياعهم، ودان بقتال أهل البغي، ولم يستحل مع ذلك غنيمة، ولا سبى ذرية، ولا استعراضاً بالقتل من غير دعوة، حتى استشهد (رحمه الله) سنة ١٣٤هـ انظر: السالمي، نور الدين عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان، ج١، ص٨٥-٨٦. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٨٦.

(٢) شيبان: شيبان بن عبد العزيز اليشكري الحروري، من أمراء (الحرورية) وقادتهم وشجعانهم، ولّوه إمارتهم سنة ١٢٨هـ، وأقام يقاتل مروان بن محمد في جهات كفر توثا من أعمال ماردين، ومعه أربعون ألفاً. ثم انصرف إلى الموصل، وانضم إليه أهلها، وتبعه مروان، فتراجع من الحرورية إلى البصرة بعد معارك. وبعد قيام =

فلمّا قدم على عُمان أخرج إليه [١٩٢-أ] الجلندى هلال بن عطية الخراساني[١]، ويحيى بن نجيح[٢]، وجماعة من المسلمين.

فلمّا التقوا، وصاروا صفين، قام يحيى بن نجيح، وكان يحيى فضله

= الدولة العباسية حاربه السفاح، فجاء إلى عُمان بجيش هارباً من القوات العباسية، فأخرج إليه الإمام الجلندى بن مسعود قائديه: هلال بن عطية الخراساني، ويحيى بن نجيح وجماعة من المسلمين، قاتلوه، وانتصروا عليه وقتلوه، وذلك سنة ١٣٤هـ. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص١٨٠. وانظر أيضاً: السالمي، نور الدين عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان، ج١، ص٩٢.

(١) هلال بن عطية الخراساني: هلال بن عطية الخراساني، من العلماء الأوائل لأهل الدعوة، عاصر قيام أول إمامة ظهور في عُمان، وكان قبلُ صُفريًّا، ثم رجع إلى الإباضية، أخذ هلال العلم عن عن أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي، ورفيقه الربيع بن حبيب، ومحمد بن محبوب، وغيرهم. عيّنه الإمام الجلندى بن مسعود وزيراً وقائداً لجنده، وقاتل معه جيش شيبان، فانتصروا عليه. ثم وقع القتال بين جيش عُمان، وجيش الغلامة بزعامة خازم بن خزيمة، فأُبيد كل الجيش العُماني، ولم ينجُ سوى الإمام الجلندى، وهلال بن عطية، ثم قتل هلال بعد ذلك خدعةً. انظر: بابا عمّي وآخرون: معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر، قسم المغرب الإسلامي، ج٢، ص٤٤٢. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٤٩١.

(٢) يحيى بن نجيح: يحيى بن نجيح الأزدي أحد تلاميذ أبي عبيدة، والغالب أنه نشأ في البصرة، ولعله جاء من خرسان، كان له دور كبير في جمع التبرعات بالبصرة ويوزعها على الفقراء، أحد قادة الإمام الجلندى بن مسعود والمشهورين، كلّفه الإمام الجلندى بقيادة الجيش الذي أرسله إلى جلفار لملاقاة جيش شيبان بن عبد العزيز اليشكري الخارجي الصفري، حيث تمكّن من الانتصار عليه وقتله سنة ١٣٤هـ انظر السالمي، نور الدين عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان، ج١، ص٩٢. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٥٠١.

شهيراً، فدعا بدعوة، أنصف فيها الفريقين، فقال: اللهمَّ إن كنت تعلم أننا على الدّين الَّذي ترضاه، والحقّ الَّذي تحب أن يؤتى، فاجعلني أول قتيل من أصحابي، ثُمَّ اجعل شيبان أوَّل قتيل من أصحابه، واجعل الدائرة على أصحابه، وإن كنت تعلم أن شيبان على الدّين الَّذي ترتضيه والحقّ الَّذي تحب أن يؤتى، فاجعل شيبان أول قتيل من أصحابه.

ثُمَّ زحف القوم بعضهم على بعض، فكان أول قتيل يحيى بن نجيح، وأول قتيل من قوم شيبان، شيبان.

ولمَّا قتل شيبان، وصل إلى عُمان خازم بن خزيمة[1]، وقال: إنَّا كنَّا نطلب هؤلاء القوم، يعني شيبان وأصحابه، وقد كفانا الله قتالهم وشرّهم على يديكم، ولكنّي أريد أن أخرج من عندكم إلى الخليفة وأخبره خبر، أنك له سامع مطيع.

فشاور الجلندى المسلمين في ذلك، فلم يروا له ذلك.

وقيل: سأل خازم بن خزيمة الإمام الجلندى، أن يعطيه سيف شيبان وخاتمه، فأبى الإمام الجلندى، فوقع القتال بين خازم بن خزيمة وأهل عُمان، فقتل أصحاب الجلندى، فلم يبقَ إلَّا هو، وهلال بن عطيَّة.

---

(١) خازم بن خزيمة: خازم بن خزيمة، قائد عباسي، عيّنه أبو العباس السفاح على رأس جيش أرسله لمقاتلة الخوارج الصفرية بقيادة شيبان بن عبد العزيز اليشكري في جزيرة ابن كاوان، لكن شيبان فرَّ بقواته إلى عُمان، وقُتل على يد قوات الإمام الجلندى بقيادة يحيى بن نجيح، عندها طلب خازم من الإمام الجلندى بن مسعود التبعية للدولة العباسية، لكنه رفض، وجرت معركة ضارية بين الجيشين، انتصر فيها خازم، واستشهد الإمام الجلندى سنة ١٣٤هـ، ودخل خازم عُمان، وأخضعها للدولة العباسية. انظر: السالمي، نور الدين عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان، ج١، ص٩٣-٩٤.

فقال الإمام الجلندى: احمل يا هلال، فقال هلال للجلندى: أنت إمامي، فكن أمامي، ولك على ألا أبقى بعدك.

فتقدم الجلندى، فقاتل حتَّى قتل، (رحمه الله).

ثُمَّ تقدم هلال بن عطيَّة وعليه لامة حربه، فكان أصحاب خازم يتعجبون من ثقافته، ولم يعرفوه، ثُمَّ عرفوه، وقالوا: هذا هلال بن عطيَّة، فحملوا عليه حتَّى قتلوه، رحمة الله عليه.

قلت: وكانت هذه الملحمة بينهم بجلفار، وكانت إمامة الجلندى سنتين وشهراً [١٩٣-أ]. وقيل: الَّذي تولى قتل الإمام الجلندى بن مسعود الجلنداني[١]. خازم بن خزيمة.

فلمّا حضرت خازم الوفاة، قيل له: أبشر، فقد فتح الله عُمان على يدك.

فقال: غررتمونا في الحياة، وتغزوننا في الممات، هيهات، فكيف لي بقتل الشَّيخ العُماني.

[١٣٤-ب] وبلغنا أن رجلاً من أهل عُمان خرج إلى الحجّ، وكان في صحبته رجل من أهل البصرة، لا يهدأ الليل، ولا ينام، فسأله العُماني عن حاله، وهو لا يعرف أنه من أهل عُمان، فقال: إني خرجت مع خازم بن خزيمة، فقاتلنا بها قوماً لم أرَ مثلهم قط، فأنا من ذلك اليوم على هذه الحالة، لا يأخذني النوم.

فقال الرَّجل العُماني في نفسه: إنك جدير بذلك، إن كنت ممن قاتلهم[٢].

---

(١) ورد في الأصل الجلنداني الهنائي والهنائي زائدة حذفت من النّص.

(٢) انظر تفاصيل القصة في: السالمي، نور الدين عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان، ج١، ص٩٤-٩٥.

ولمَّا قتل الجلندى وأصحابه، (رحمهم الله) وغفر لهم جميعاً، استولت الجبابرة[١] على عُمان، فأفسدوا فيها، وتفاقم جورهم وفسادهم.

فمنهم: محمَّد بن زائدة، وراشد بن شاذان بن النَّضر[٢] الجلندانيان، وفي زمانهما حدث ما حدث من غسَّان الهنائي[٣]، الَّذي هو من بني محارب[٤]، فنهب نزوى، وهزم بني نافع، وبني

(١) الجبابرة: المراد بالجبابرة أمراء الإقطاع وملوك الطوائف، وقد توالى على عُمان انقلابات من أئمة إلى ملوك، ومن ملوك إلى أئمة، ومنذ انقطاع الخلافة الإسلامية وبداية العهد الأموي توالى الأئمة على حكم عُمان على طريقة الخلفاء الراشدين، وعندما يضعف الأئمة يبرز الملوك إلى الميدان، غير أن الروح السائدة في سواد الأمة، لا سيما العلماء، كانت الإمامة في غالب الأحيان هي الغالبة المنتصرة، ومنذ عهد الإمام الجلندى بن مسعود حرص العُمانيون على أن يكون حكم عُمان بيد أهلها، ويرون الموت أهون، وأن المذّلة كفراً.

(٢) محمد بن زائدة، وراشد بن شاذان بن النضر: من الجبابرة الذين استولوا على عُمان بعد استشهاد الإمام الجلندى بن مسعود (رحمه الله). وفيهما يقول السالمي: (ذكرت السير أن الجبابرة استولت على عُمان بعد الجلندى، فأفسدوا فيها)، فمن هؤلاء الجبابرة محمد بن زائدة، وراشد بن النضر الجلندانيان، ويشتبه أن يكونا أولاد من قتلهما الإمام الجلندى لأجل البيعة التي ظهرت عليهم، فإن صح ذلك، فيكون محمد بن زائدة بن جعفر، انظر: السالمي، نور الدين عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان، ج١، ص١٠٥. وانظر تفاصيل قتل جعفر الجلنداني وابنيه النظر وزائدة في المصدر نفسه، ص٩٠.

(٣) غسان الهنائي: قائد من بني محارب، عاش في القرن الثاني الهجري، قام بنهب نزوى، وهزم بني نافع، وبني هميم، بعدما قتل خلقاً كثيراً، وذلك في شهر شعبان سنة ١٤٥هـ، وأجمع بنو الحارث رأيهم على الثأر، فقتلوه في موضع يقال له الخور. انظر: دليل أعلام عُمان، ص١٢٥.

(٤) بنو محارب: قبيلة أزدية قحطانية، يتصل نسبها إلى محارب، ثم هناءة بن مالك بن فهم، فهي قبيلة متفرعة من بني هناءة بن مالك بن فهم المعروف. والمفرد: =

هميم[١]، بعد أن قتل منهم خلقاً كثيراً، وذلك في شهر شعبان سنة مائة وخمسٍ وأربعين.

ثُمَّ إنَّ بني الحارث[٢] عصبوا لهم، وكان في بني الحارث رجل عبدي من بكر، يسمى زياد بن سعيد البكري، فاجتمع رأيهم أن يمضوا إلى العتيك ليقتلوا غسَّان الهنائي، فساروا إليه، حتَّى كمنوا بموضع، يقال له: الخور، وقد رجع غسَّان عائداً مريضاً من بني هناءة[٣] فمرّ بهم وهو لا يشعر بهم، فقتلوه، فغضب لذلك منازل ابن خنبش. وكان منزله نبا، وهو عامل لمحمَّد بن زائدة وراشد بن شاذان الجلنداني، فسار أهل إبرا[٤] على حين غفلة من أهلها، فلمّا شعروا ركضوا عليهم، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فوقعت الهزيمة على أهل إبرا، وقُتل منهم أربعون رجلاً.

= المحاربي. انظر: الخروصي، سليمان بن خلف بن محمد: ملامح من التاريخ العُماني، ص٢٤٥.

(١) بنو هميم: قبيلة عدنانية، يتصل نسبها إلى عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان. والمفرد: الهميمي: انظر: الخروصي، سليمان بن خلف بن محمد: ملامح من التاريخ العُماني، ص٢٧٨.

(٢) بنو الحارث: قبيلة أزدية قحطانية، يتصل نسبها إلى الحارث بن كعب بن اليحمد بن عبدالله بن عثمان بن نصر بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر بن الأزد. والمفرد: الحارثي. انظر: الخروصي، سليمان بن خلف بن محمد: ملامح من التاريخ العُماني، ص٢٤٤.

(٣) بنو هناءة: قبيلة أزدية قحطنية، يتصل نسبها إلى هناءة بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن عدثان بن عبدالله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر بن الأزد. المفرد: الهنائي. انظر: الخروصي، سليمان بن خلف بن محمد: ملامح من التاريخ العُماني، ص٢٤٤.

(٤) إبرا: بلدة تقع في المنطقة الشرقية من سلطنة عُمان. =

◆ [الإمام محمَّد بن أبي عفَّان (١٧٧-١٧٩هـ/٧٩٤-٧٩٦م)]:

ثُمَّ منّ الله تعالى بالرأفة بأهل الحقّ، فخرجت عصابة من المسلمين، فقاموا بحق الله، وأزالوا ملك تلك الجبابرة.

وذلك أن المشايخ العلماء [١٩٤-أ] من أهل عُمان اجتمعوا في نزوى، وكان رئيسهم وعميدهم يومئذٍ موسى بن أبي جابر الأزكاني[١]،

---

(١) موسى بن أبي جابر الإزكوي: هو الشيخ العلامة موسى بن أبي جابر الإزكوي، من بني ضبّة، وقيل: من بني سامة بن لؤي بن غالب، كان أحد العلماء الأربعة الذين حملوا العلم عن الربيع بن حبيب (رحمه الله) من البصرة إلى عُمان، ومن العلماء المشهورين في زمانه، ومرجع المسلمين في ذلك الأوان، وعلى رأسه قامت الإمامة بعد انقطاعها بقتل الإمام الجلندى بن مسعود. ونفهم من مؤلفات أصحابنا أن للشيخ موسى بن أبي جابر مؤلفات في الفقه، لكن لم تصل إلينا. وكانت وفاته سنة إحدى وثمانين ومائة هجرية. انظر: البطاشي، سيف بن حمود بن حامد: إتحاف الأعيان، ج١، ص٢٢٢-٢٢٣.

(٢) محمد بن أبي عفان: محمد بن عبدالله بن أبي عفان، عاش في القرن الثاني الهجري، عُقدت له الإمام سنة ١٧٧هـ، فلم يحسن معاملة المسلمين، فأنكروا عليه جفوته، وردّه للنصائح، ولم يرضوا بسيرته، فدبّروا له حيلة، وأخرجوه من عسكر نزوى، ثم اجتمعوا وعزلوه، واختاروا الوارث بن كعب الخروصي اليحمدي الشاري إماماً لعُمان. ولذلك زالت إمامة محمد بن عبدالله بن أبي عفان، وكانت مدتها سنتان وشهر واحد. وإلى ذلك يشير الشيخ عبدالله بن علي الخليلي في قصيدته (عُمان في سجل الدهر):

ثم سسنا أمرنا حزماً على ... طاعةِ اللهِ بقومٍ صالحينَ
حينَ قامتْ دولةُ اليحمدِ في ... دوحةِ الإيمانِ بيْنَ المؤمنينَ
بدأتْ بابنِ أبي عفانِ في ... دولةٍ قامَ بها الحقَ المبينَ
كانَ في اليحمدِ من هاماتها ... صارماً يفري رقاب المارقينَ
غير أن ما ارتضينا سيرهُ ... فأقمنا وارثاً حامي العرينَ =

فأرادوا عقد الإمامة لمحمَّد بن أبي عفَّان[١]، وقد حضر معهم رؤساء لا يؤمنون على الدَّولة، فخاف الشَّيخ موسى أن يكون للمسلمين نزال، وأن تقع الفتنة بينهم، فقال: قد وليّنا فلاناً قرية كذا، وولينا فلاناً قرية كذا، وولينا فلاناً قرية كذا، حتَّى فرّق تلك الرؤساء، ثُمَّ قال: قد وليّنا ابن عفَّان نزوى.

وقيل: إنه قال، حتَّى تضع الحرب أوزارها[٢].

قيل: فقال الشَّيخ بشير بن المنذر[٣]: إنا كنا نرجو أن نرى ما نحب، فالآن رأينا ما نكره، والحمد لله.

= انظر: دليل أعلام عُمان، ص١٤٨. وانظر: الخروصي، سليمان بن خلف بن محمد: ملامح من التاريخ العُماني، ص١٠٧-١٠٨. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بي مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٣٧٣.

(١) انظر التفاصيل في سياق ترجمة الشيخ موسى بن أبي جابر الإزكوي في: البطاشي، سيف بن حمود بن حامد: إتحاف الأعيان، ج١، ص٢٢٢-٢٢٣.

(٢) بشير بن المنذر: هو الشيخ العلّامة أبو المنذر بشير بن المنذر النزوي العقري، جدّ بني زياد، وهو من بني نافع، من سامة بن لؤدي بن غالب، كان من تلامذة الربيع، وأحد الأربعة الذين حملوا العلم من البصرة إلى عُمان، عن الربيع (رحمه الله)، والثاني موسى بن أبي جابر، والثالث محمد بن المعلا الفشحي، والرابع، المنير بن النيّر الرّيامي الجعلاني. والشيخ بشير أحد كبار علماء عُمان في زمانه، وقد أدرك عصر الإمام الجلندى بن مسعود، شارك في مبايعة محمد بن أبي عفان مع الشيخ موسى بن أبي جابر، وهو الذي قال له حين بايع بن أبي عفان: كنا رجوناك يا أبا علي، أن تسير بهذه الدولة، فرددتها إلى هؤلاء الذين يُخافون على الدولة، فقال له موسى: إنما كان نظري يا أبا الحكم، لأنهم اجتمعوا وكل يطلب الأمر لنفسه، والأمر بعده ضعيف، ففرقناهم عن وجوهنا حتى يقوى الأمر، ثم أُرسل بعزلهم قبل أن يصلوا. وإذا أُطلق اسم الشيخ أو الشيخ الكبير في أثر أصحابنا المشارقة، فالمراد به الشيخ بشير هذا، صاحب مسجد الشيخ الذي بعقر نزوى. كانت وفاته في سنة ثمان وسبعين =

فقال موسى: إنما فعلنا كما تحب، وأعلمه بسريرته، وإنما أراد أن يفرق الَّذين لا يؤمنون لئلا تقع الفتنة.

فلمّا أخرج هؤلاء الرؤساء، ومضى كل واحد منهم إلى البلد التي وليها، كتب الشَّيخ موسى بعزلهم، فعزلوا.

وبعث ولاة للبلدان، وبقي محمَّد بن أبي عفَّان في العسكر، فظهرت منه للمسلمين أحداث لم تعجبهم.

وبلغنا أن الَّذي أنكروا عليه، جفوته للمسلمين، وردّه للنصائح، فلم يرضوا بسيرته، فعملوا عليه حيلة، فأخرجوه من عسكر نزوى.

فلمّا خرج اجتمعوا، فاختاروا إماماً للمسلمين الوارث بن كعب الخروصي اليحمدي الشاري، فعزلوا محمَّداً، وكانت مدة إقامته سنتين وشهراً.

◆ [الإمام الوارث بن كعب الخروصي (١٧٩-١٩٢هـ/٧٩٦-٨٠٨م)]:

فلمّا بايعوا الوارث بن كعب الخروصي، وطئ آثار السَّلف الصَّالح من المسلمين، وأظهر العدل، وأعزّ الحقّ وأهله، وأخمد الكفر والنّفاق والبغي والشّقاق.

وللوارث بن كعب، (رحمه الله)، قبل أن تخلص له البيعة بالإمامة مع الخاصَّة والعامّة، أسرار ظاهرة، وبراهين باهرة، يقرّ له بالفضل النبيه والفهيم، منها غرس النصاب، وفك المظلومين من الصَّلب في بلدة الرّستاق وعلى بيته الأول لم تقع نفنفة من ماء غمامة، وإبقاء شجر الليمون

= ومائة للهجرة، أيام الوارث بن كعب الخروصي. انظر: البطاشي، سيف بن حمود بن حامد: إتحاف الأعيان، ج١، ص٢٢٠-٢٢١. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٧٠.

الَّذي له بوارث المنسوب إليه، وانتزاح مياه الأودية القوية عن قبره الشَّريف [١٣٥-ب] بنزوى، وترك الوادي [١٩٥-أ] الَّذي أغرقه لجثته، فأودعها في شجرة، ولم يتغير منه شيء، إلَّا خروج نفسه الطيّبة من جثّته الطَّاهرة، فكفى هذا شأناً وبرهاناً، له (رحمة الله).

وقد ذكرت هذا كله في السفر الَّذي سمّيته الصحيفة القحطانية.

وفي زمن الوارث (رحمه الله)، بعث هارون الرشيد(١) عيسى بن جعفر(٢) في ألف فارس وخمسة آلاف راجل، فكتب داود بن يزيد المهلّبي(٣) الأزدي إلى الإمام الوارث يخبره أن عيسى قاصده بعسكره.

---

(١) هارون الرشيد (١٤٩-١٩٣هـ/ ٧٦٦-٨٠٩م): هارون بن محمد بن المنصور العباسي، أبو جعفر، خامس خلفاء الدولة العباسية في العراق وأشهرهم، ولد بالريّ لما كان أبوه أميراً عليها، ونشأ في دار الخلافة ببغداد. وولاه على غزو الروم في القسطنطينية، فصالحته الملكة إيريني، وأوفدت من مملكتها بسبعين ألف دينار تبعث بها إلى خزانة الخليفة في كل عام. بويع بالخلافة بعد وفاة أخيه الهادي سنة ١٧٠هـ، كان الرشيد يحب الأدب وأخبار العرب، وله محاضرات مع علماء عصره، ولم يجتمع على باب خليفة ما اجتمع على بابه من العلماء والشعراء والكتّاب والندماء، وهو أول خليفة لعب بالكرة والصولجان، وهو صاحب وقعة البرامكة. توفي في سناباذ من قرى طوس، وبها قبره. انظر: الزركلي خير الدين: الأعلام، ج٨، ص٦٢. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج٩، ص٢٨٦.

(٢) عيسى بن جعفر: عيسى بن جعفر بن المنصور العباسي، قائد، من أمراء بني العباس. وهو أخو زبيدة، وابن عم هارون الرشيد، بعثه الرشيد عاملاً على عُمان في تسعة آلاف مقاتل، فلم يكد يستقر فيها حتى سيّر إليه إمام الأزد الوارث بن كعب الخروصي جيشاً قاتله، فانهزم عيسى وأُسر وسُجن في صحار، ثم تسوّر عليه بعضهم في السجن، فقتلوه فيه. انظر: الزركلي خير الدين: الأعلام، ج٥، ص١٠٢.

(٣) داود بن يزيد المهلبي: داود بن يزيد بن حاتم المهلبي الطائي، من أبناء المهلب بن =

فأخرج إليه الإمام الوارث مقارش بن محمَّد[١] بعساكر جمَّة، فالتقى جيش الإمام وجيش عيسى دون صحار، فانهزم عيسى ومن بقي معه من القوم، وركب البحر في مراكبه الآتي عليها.

فسار إليه أبو حميد بن فلج الحداني السلّوتي[٢]، [ومعه عمرو بن عمر[٣] في ثلاثة مراكب من مراكب الإمام الوارث][٤]، فأسره، وقتل من

= أبي صفرة، أمير، من الشجعان العقلاء. كان مع أبيه في إفريقية، واستخلفه أبوه عليها، فتولاها بعد وفاته سنة ١٧٠هـ، فأحسن تدبيرها، وبقي في إمارتها إلى أن استعمل الرشيد عليها عمه روح بن حاتم سنة ١٧٢هـ، وولى داود إمرة مصر في أواخر سنة ١٧٣هـ، وكان أمرها مضطرباً، فهدأت في أيامه، واستمر سنة ونصف شهر، وعزل سنة ١٧٥هـ، ثم ولاه الرشيد السند سنة ١٧٥هـ، فاتسقت له أمورها، وتوفي فيها سنة (٢٠٥هـ/ ٨٢٠م). انظر: الزركلي خير الدين: الأعلام، ج٢، ص٣٣٦.

(١) مقاريش بن محمد: مقاريش بن محمد اليحمدي، والي صحار من قبل الإمام الوارث بن كعب الخروصي، تولى قيادة القوات التي نازلت القوات العباسية بقيادة عيسى بن جعفر في موقعة حيي على مقربة من صحار، وألحق بها هزيمة منكرة. انظر: دليل أعلام عُمان، ص٦٣.

(٢) أبو حميد بن فلج الحداني السلوتي: قائد الإمام الوارث بن كعب الخروصي، عاش في القرن الثاني الهجري، خرج إلى عيسى بن جعفر بثلاثة مراكب من مراكب الإمام الوارث، فأسره، وقتل من معه، وأخذ سيفه. انظر: دليل أعلام عُمان، ص٢٦. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص١١٣-١١٤.

(٣) عمرو بن عمر: محارب، قائد، عاش في القرن الثاني الهجري، وكان أحد رجال الإمام الوارث بن كعب الخروصي، أرسله الإمام مع أبي حميد بن فلج الحداني السلوتي في ثلاثة مراكب لمؤازرة جيشه في حربه مع عيسى بن جعفر، عامل هارون الرشيد على عُمان، فكان النصر حليف جيش الوارث. انظر: دليل أعلام عُمان، ص١٢١. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٣٣٣.

(٤) سقطت من النسخة (ب).

معه، وأخذ سفنه إعانة للمسلمين، وقوة لمذهبهم اليقين، ومضى بعيسى إلى صحار، فحبسه في حصنها.

فشاور الإمام الوارث فيه الشَّيخ العالم علي بن عزرة[1]، فقال له: إن قتلته فواسع لك، وإن تركته فواسع لك، فأمسك الإمام عن قتله، فتركه في السجن.

فبلغنا أن قوماً من المسلمين فيهم يحيى بن عبد العزيز[2] انطلقوا إليه

---

(١) علي بن عزرة: من مشاهير علماء عُمان في زمانه، في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، كان في أيام الإمام الوارث بن كعب الخروصي، وهو من جملة العلماء الذين استفتاهم، أو شاورهم الإمام في قتل عيسى بن جعفر المنصور العباسي، بعد أن أسره جيش الإمام، وسجنه بحصن صحار، فقال الشيخ علي ابن عزرة: إن قتلته فواسع لك، وإن أطلقته فواسع لك، فبقي في السجن إلى أن تسوَّر عليه بعض شراة الإمام ليلاً، فقتلوه، من حيث لا يعلم بذلك الإمام، ولا والي صحار. وهو أيضاً والد العلّامة موسى بن علي، وأخيه الفقيه الأزهر بن علي، والفقيه محمد بن علي، وفيهم يقول الشيخ العلّامة الرقيش من قصيدته في علماء إزكي:

وعليُّ بنُ عزرةَ بحرُ علمٍ ... كَم غريق ببحره الزخّارِ
ثم موسى ابنه ومن ذا كموسى ... عَلَمٌ يهتدي بهِ كُلُّ ساري
وأخوهُ محمدُ بن علي ... سبقَ الناسَ في مجاري الفخارِ
ثم لا تنسَ أزهرَ بن عليٍّ ... فهوَ حبرٌ ومالهُ من مجاري

لا يعرف تاريخ مولد الشيخ علي بن عزرة، ولا تاريخ وفاته. انظر: البطاشي، سيف ابن حمود بن حامد: إتحاف الأعيان، ج١، ص٥٢٩-٥٣٠.

(٢) يحيى بن عبد العزيز: من أفاضل المسلمين بعُمان في زمانه، كان من أكثر أهل عُمان مكانة وفضلاً، عاش في القرن الثاني الهجري، في عهد الإمام الوارث بن كعب الخروصي، وقد تسلل مع جماعة من المسلمين، حتى أتوا صحار، فتسوروا السجن، وقتلوا عيسى بن جعفر، وانصرفوا من ليلتهم. انظر: دليل أعلام عُمان، ص١٧٤. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٥٠٠.

من حيث لا يعلم بهم الإمام، حتَّى أتوا صحار، فتسوّروا السَّجن، فقتلوه، من حيث لا يعلم بهم الوالي والإمام، وانصرفوا من ليلتهم إلى منازلهم.

فلمّا علم هارون الرشيد بقتل صاحبه عيسى بن جعفر، عزم على إنفاذ جيش آخر إلى عُمان، فمات قبل أن ينفذ جيشه إلى عُمان، وكفى الله شرَّه المسلمين.

وبلغنا أن يحيى بن عبد العزيز كان من أفاضل المسلمين، ولم يتقدم عليه أحد بعد الإمام في زمانه، وشهرته بالفضل بعُمان كشهرة عبد العزيز ابن سليمان بحضرموت.

وكان الشَّيخ بشير بن المنذر يقول: أرجو [أن يكون][1] قاتل عيسى ابن جعفر لم تمسّه النار.

ولم يزل الإمام الوارث حسن السّيرة قائماً بالعدل [١٩٦-أ] ناهياً عن المنكر، آمراً بالمعروف، ومقامه في بلدة نزوى، حتَّى اختاره الله لما لديه.

وكان سبب موته، أنه غرق في سيل وادي كلبوه[2] من نزوى، وغرق معه سبعون رجلاً من أصحابه، وذلك أنه كان سجن المسلمين بنزوى عند سوقم مائل، والسوقم شجر معروف، وكان في السّجن أناس سُجنوا بأمر الإمام الوارث، فأمر بإطلاقهم، فلم يستطع أحد أن يمضي إليهم خوفاً من الوادي، فقال الإمام: أنا أمضي إليهم، ومعه أناس من أصحابه، فمرّ بهم الوادي، فحملهم مع المُحْبوَسين، فمات الإمام الوارث في غصني شجرة، وقبروه بعد أن جف الوادي بين العقر[3] وسعال[4] من نزوى، وقبره هناك مشهور معروف إلى الآن.

---

(١) سقطت من النسخة (ب).

(٢) وادي كلبوه: أحد الأودية المشهورة في نزوى. وكلبوه كلمة فارسية معناها الزهوب.

(٣) العقر: أحد أحياء مدينة نزوى.

(٤) السعال: أحد أحياء مدينة نزوى.

وكانت مدَّة إمامته اثنتي عشرة سنة وستة أشهر إلَّا بضعة أيَّام[(١)].

◆ **[الإمام غسَّان بن عبدالله الفجحي (١٩٢-٢٠٧هـ/٨٠٨-٨٢٣م)]:**

ثُمَّ بويع من بعده غسَّان بن عبدالله[(٢)] الفجحي اليحمدي الأزدي، فوطئ آثار المسلمين الصَّالحين، وأعزّ الحقّ، وأزال الفساد، وأذلّ أهل الباطل، وأعلا منار العدل، وكان في زمانه تقع البوارج على عُمان، وتفسد فيها، وفي سواحلها، فاتخذ الإمام غسَّان هذه الشذاوة[(٣)] لغزوتهم.

قال المصنف: هي التي تسمّيها العامّة الزواريق، وهو أوَّل من اتخذها، وغزا بها، فانقطعت البوارج من عُمان.

---

(١) انظر التفاصيل في: السالمي، نورالدين عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان، ج١، ص١١٨.

(٢) الإمام غسان بن عبدالله: الإمام العادل، الأديب الأريب، غسان بن عبدالله بن أحمد ابن محمد بن أحمد الخروصي الفجحي اليحمدي الأزدي، بويع بالإمامة بعد وفاة الإمام الوارث بن كعب الخروصي، يوم الاثنين لست خلون من جمادى الأولى سنة اثنتين وتسعين ومائة، وقيل في اليوم الرابع من الشهر المذكور. وقدم غسان بعد إمامته صحار، لخمس بقين من جمادي الأخرى سنة إحدى ومائتين، فوقع الحريق في السوق بعد ذلك بخمسة أيام. وفي زمانه خصبت عُمان خصباً كثيراً، وصارت خير دار. وكان غسان بنزوى في بيت الإمامة في العقر، وفي زمانه سُميت نزوى (بيضة الإسلام) وكانت قبل ذلك تسمى (تخت ملك العرب). انظر: بن رزيق، حميد ابن محمد: الصحيفة القحطانية، ج٥، ص٨٨. وانظر أيضاً: السالمي، نور الدين عبدالله ابن حميد: تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان، ج١، ص١٢٠-١٢٤. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٣٤١.

(٣) الشذاوة: نوع من السفن، ويقصد بن رزيق بذلك أن الإمام غسان بن عبدالله اتخذ أسطولاً لحماية الشواطئ العُمانية من القراصنة الهنود آنذاك، وهو أول من اتخذ الأسطول من أئمة عُمان.

وفي زمانه قُتل الصَّقر بن محمَّد بن زائدة[١]، وكان ممن بايع على راشد بن النَّضر الجلنداني، وأعانهم بالمال والسلاح.

وسبب قتله، أنه خرج على المسلمين رجل من أهل الشَّرق، ومعه بنو هناءة وغيرهم، باغياً على المسلمين، فقيل للمسلمين: إنَّ أخا الصَّقر مع البغاة، فذكروا للصَّقر، فقال: هذا غير صواب، وإنما أخي في الدار مريض.

فلمّا هزم الله البغاة تحقَّق أن أخا الصَّقر معهم، فاتَّهموه بالمداهنة لما ستر عليهم من أخيه، وكان الصَّقر [١٣٦-ب] يومئذٍ في سمايل.

[١٩٧-أ] فبعث إليه الإمام غسَّان سرايا، وكتب لواليه الَّذي بحصن سمايل، وهو الوضَّاح بن عقبة[٢]، أن يسلمه لهم، فلمّا وصلوا قبضته الشُّراة، ومضى الوالي معهم إلى الإمام خوفاً عليه منهم أن يبطشوا به،

(١) الصقر بن محمد بن زائدة. انظر تفاصيل قصة مقتله في: بن رزيق، حميد بن محمد: الصحيفة القحطانية، ج٥، ص٨٨-٨٩. وانظر أيضاً: السالمي نور الدين عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان، ج١، ص١٢١-١٢٣. وانظر ترجمته في: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٢٤٧.

(٢) الوضاح بن عقبة: من عقر نزوى، من علماء القرن الثالث الهجري، ومن شيوخ أبي المؤثر، كان من العلماء الذين اجتمعوا في عهد الإمام المهنا للفصل في قضية خلق القآن، وقد تسلسل من ذريته رجال فقهاء، هم: ابنه زياد، والعباس بن زياد، والوضاح بن العباس، وكان الشيخ الوضاح بن عقبة وابنه زياد ممن بايع الإمام الصلت بن مالك. انظر: البطاشي، سيف بن حمود بن حمود: إتحاف الأعيان، ج١، ص٥٤٣. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٤٩٦.

وبعث الإمام أيضاً سريّة ثانية لقبضه، وبعث إليه في السريّة الثَّانية موسى ابن علي[1]، فالتقوا بنجد السحاماة.

فبينما هم في مسيرهم إذ اعترض بعض الشُّراة الصَّقر، فقتلوه، ولم يكن للوالي أبي الوضَّاح، ولا لموسى بن علي حينئذٍ قدرة على منعهم من قتله.

وبلغنا أنَّ موسى بن علي خاف على نفسه، وربما لو قال شيئاً لقتلوه معه، ولم يبلغنا عن الإمام غسَّان إنكار على من قتل الصَّقر.

وكانت تلك الأيام صدر الدَّولة وقوتها.

فهذا كان سبب قتل الصَّقر فيما بلغنا، والله أعلم بالصَّواب.

---

(١) موسى بن علي: هو العلاّمة الشيخ الجليل أبو علي موسى بن علي بن عزرة الإزكوي، كان هو وأخوه محمد بن علي، والأزهر بن علي من أجلَّة علماء زمانهم، وهو فيما قيل: من بني سامة بن لؤي بن غالب. ولد الشيخ موسى ليلة العاشر من جمادى الآخرة، وقيل: لثلاث عشرة منه سنة سبع وسبعين ومائة، قبل وفاة جدّه لأمه الشيخ موسى بن أبي جابر بنحو ثلاث سنين وبضعة أشهر، وقبل نصب الإمام الوارث بن كعب الخروصي بسنتين ونصف تقريباً. نشأ في مدينة إزكي، وأخذ العلم عن والده العلاّمة علي بن عزرة وغيره من مشايخ العلم، وعن شيخه العلامة هاشم بن غيلان السيجاني، ويبدوا أنه تبحّر في العلم وفاق أقرانه، وهو في سن مبكّر، وعاصر من الأئمة غسان بن عبدالله الخروصي، وعبد الملك بن حميد الأزدي، والمهنا بن جيفر الفجحي الأزدي، ويوجد في الأثر أن الشيخ موسى زار حضرموت أيام أئمة المذهب بحضرموت. توفي الشيخ موسى في ٨ ربيع الأولى سنة ٢٣٠هـ، وقيل: سنة ٢٣١هـ، وعمره (٣٥) سنة. انظر الترجمة الكاملة في: البطاشي، سيف بن حمود بن حامد: إتحاف الأعيان، ج١، ص٢٣٨-٢٤٩. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٤٦٣.

ومن أحكام الإمام غسَّان (رحمه الله)، كانت لبني الجلندى بسمد نزوى دور، أو لعلها الّتي تسميها العامة عقود مظلمة، وكانت تلك العقود تقعد فيها الفسقة، وهي على الطَّريق، فإذا مرت امرأة، تعرّض لها أحد من الفسقة وأهل الريبة.

فبلغ ذلك الإمام غسَّان، فحكم على أهل تلك الدور، إمّا أن يهدموا تلك العقود، أو يدخلوها في دورهم، حتَّى تنظر المارَّة أهل الرَّيبة، فقيل: إن أهل تلك الدّور أخرجوا طريقاً من أموالهم للنَّاس، يمرّون عليها، ثُمَّ هدم العقود، أهل تلك الدّور، ورجع النَّاس يمرّون في الطّريق الأول، ولهذه العقود آثار ورسوم جدر حذاء المسجد الجامع من سمد نزوى وسهيله.

ولم يزل الإمام غسَّان قائماً بالعدل والحقّ، فمرض يوم الأربعاء لثُمَّان بقين من ذي القعدة سنة المائتين وسبع سنين، ومات من مرضه هذا بعد أيام يسيرة، وكانت إمامته مدّتها خمس عشرة سنة، وسبعة أيام.

◆ [الإمام عبد الملك بن حميد الأزدي (٢٠٧-٢٢٦هـ/٨٢٣-٨٤١م)]:

ثُمَّ بويع من بعده عبد الملك بن حميد(١)، وهو من بني سودة بن

---

(١) عبد الملك بن حميد: إمام عادل، عاش في النصف الثاني من القرن الثاني والثلث الأول من القرن الثالث الهجريين. تولى الإمامة في عُمان بعد الإمام غسان بن عبدالله الخروصي، وكانت بيعته يوم الاثنين لثمان ليالٍ بقيت من شوال سنة (٢٠٧هـ/ ٨٢٣م)، فقام بالحق حتى كبر وذهب سمعه، فخافوا على الدولة، فقام موسى بن علي بالدولة حتى مات الإمام عبد الملك، وتولى بعده الإمام المهنا بن جيفر. كان في عهد الإمام عبد الملك عدد كبير من العلماء، منهم: موسى بن علي، وهاشم بن غيلان، والأزهر بن علي، والعلاء بن أبي حذيفة، ومحمد بن محبوب، وسعيد بن محرز، وكان الإمام يشاورهم ويسألهم في بعض القضايا، وكان شديداً في الحق =

علي بن عمرو بن عامر ماء السماء الأزدي، فسار سيرة [١٩٨-أ] الحقّ والعدل والإنصاف، واتبع الأثر الصَّالح، من السَّلف الآمرين بالمعروف، والناهين عن المنكر، وصارت به عُمان يومئذٍ في أمان واطمئنان.

بويع يوم الاثنين لثُمَّان ليال بقيت من شوال سنة مائتين وثُمَّان، ولم يزل مقيم العدل آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر حتَّى كبر وزمن وضعف.

وفي زمنه كانت تقع الأحداث في عسكره، فشاور المسلمون الشَّيخ العالم موسى بن علي في عزله مع كبره وضعف بدنه وذهاب قوته، فأشار عليهم أن يحضِّروا العسكر، [ويقيموا أود الدولة، فأحضر الشَّيخ موسى العسكر][١] وأقام أودهم، ومنع الباطل، وعبد الملك في بيته لم يعزلوه، ولم ينزلوه حتَّى مات، وهو لهم إمام بريء من الطعن والريب.

وكانت ولايته إلى أن ضعف عن القيام ثُمَّاني عشرة سنة، وعلى الاتفاق، إذ هو لما بويع بالإمامة كان كبير السّن.

◆ **[الإمام المهنَّا بن جيفر الفجحي الأزدي (٢٢٦-٢٣٧هـ/ ٨٤١-٨٥٢م)]:**

فلمّا توفي بايع المسلمون المهنَّا بن جيفر الفجحي اليحمدي الأزدي[٢]، فسار سيرة الحقّ والعدل، واتبع آثار السَّلف الصَّالح،

= يطلب الجناة ويحاربهم. توفي ليلة الجمعة لثلاث ليالٍ خلت من (رجب سنة ٢٢٦هـ/ ٢٨ أبريل ٨٤١م). انظر: السعدي، مهند بن علي بن هاشل: معجم الفقهاء والمتكلمين الإباضية، ج٢، ص٣٢٧-٣٢٨. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٢٩٨-٢٩٩.

(١) سقطت من النسخة (ب).

(٢) قال المؤرخ والشاعر بن رزيق في كتابة الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عُمان:

وناظِرَهُ المُهنَّا في جهادٍ فما نَظَرَ العدوّ لهُ ارتقابا

إمام أُمَّةٌ في كلِّ عينٍ يُرىَ وبنابهِ السيَّفُ استنابا =

وصارت عُمان به في أمان، فَعُقِدَ له بالإمامة يوم الجمعة في شهر رجب سنة ست وعشرين ومائتين.

وكان له ضبط وحزم، لا يتكلَّم أحد في مجلسه بباطل، ولا يُعين خصماً على خصمه، ولا يقوم أحد من أعوانه ما دام قاعداً، ولا يدخل أحد ممن تجري له النَّفقة العسكر إلَّا بالسلاح، وكان مهيباً، إذا كشر عن نابه مغضباً لم يعش الَّذي كشر عليه نابه، بل يموت من وقته وساعته.

وفي هيبته يقول الشَّيخ العالم، صاحب الدعائم[١]:

أو كالمهنَّا في ليالي الطَّفَل[٢] يفترّ[٣] عن نابِ زَبوُنٍ أعضلِ[٤][٥]

وكان موليَّاً على الصَّدقة رجلاً من بني ضَبَّة[٦]، من أهل منح يُقالُ

= كساهُ هيبةً ربُّ البرايا فلا تبقى بها الأُسد الغِضابا

انظر الأبيات في: ابن رزيق، حميد بن محمد: الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عُمان، سلطنة عُمان، وزارة التراث القومي والثقافة، ص٣٩. وذكره الشيخ عبدالله ابن علي الخليلي في قصيدته (عُمان في سجل الدهر) حيث قال:

والمهنَّا المرتضىَ في عزمهِ مِن بني اليحمدِ خير الآمرينَ
صاحبُ النَّابِ الذي يرهبهُ كلُّ من في الأرضِ إن كادَ يبينَ

انظر: الخروصي، سليمان بن خلف بن محمد: ملامح من التاريخ العُماني، ص١١٤.

(١) صاحب الدعائم: هو العلاّمة الشيخ أحمد بن النظر السمايلي، وقد وردت ترجمته سابقاً.

(٢) الطَّفَل: الطَّفَل بالفتح الظلمة نفسها، وليلة مطفل تقتل الأطفال برداً.

(٣) يفترُّ: أي يبينُ ويظهر.

(٤) الأعضل: الغليظ.

(٥) انظر البيت في: بن رزيق حميد بن محمد: الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عُمان، ص٣٩.

(٦) بنو ضبّة: ضبّة بن أُد بن طابخة بن إلياس بن مضر، جدّ جاهلي، من أبنائه سعد، =

له: عبدالله بن سليمان[١]، وكان يرسله إلى الماشية، فقيل: إنَّه دخل أرض مهرة، ووصل إلى رجل منهم، يقال له: وسيم بن جعفر، وقد [١٣٧-ب] وجب عليه فريضتان، [١٩٩-أ] فأبى أن يعطي إلّا فريضة واحدة، وقال له: إن شئتها، وإلّا فانظر إلى قبور أصحابكم، فإن كلَّ من خالفنا وأراد خلاف ما أردنا قتلناه، فسكت عنه، ورجع، وليس معه إلّا رجل واحد.

فلمّا وصل إلى عزّ[٢] من عُمان، وكان منزله بها، أرسل صاحبه إلى الإمام المهنّا بن جيفر، فلمّا انفصل عنه، وجد الإمام قاعداً في مجلسه بنزوى، فلمّا أراد الإمام الانصراف، دعا الرَّجل الواصل إليه، وسأله عن عبدالله وسيرته في سفره، فأخبره عمّا كان من وسيم على التفصيل والجملة، فقال الإمام: اطوِ الخبر، ولا تبده لأحد.

فلمّا وصل عبدالله بن سليمان سأله الإمام عن خبر وسيم، فأخبره بمثل ما أخبره عنه صاحبه، فكتب الإمام من وقته إلى والي أدم[٣]، وإلى

= وسيد، قتل في حياة والده، وكانت ديارهم في الناحية الشمالية التهامية من نجد، وانتقلوا في الإسلام إلى العراق، فسكنوا الجزيرة الفراتية، ويقال: إن ضبّة أول من قال: (الحديث ذو سجون) و(سبق السيف العزل) وله في سبب المثل الأول خبر طويل. وأورد بن حزم أسماء بعض المشاهير من بني ضبّة. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام ج٣، ص ٣١٣.

(١) عبدالله بن سليمان: من بني ضبّة، من أهل منح، عاش في القرن الثالث الهجري، ولاه الإمام المهنا بن جيفر على الصدقة لورعه وزهده. انظر: دليل أعلام عُمان، ص١١٣. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٢٧٧.

(٢) عزّ: قرية في المنطقة الداخلية من عُمان، قريبة من منح.

(٣) أدم: تقع في حوزة تجاه الجنوب من منح، على مرحلة منها، ومن هناك تتوجه طرق المواصلات إلى شرقية عُمان، وإلى ساحل الدقم ومحوت، وإلى مصيرة، وإلى غربية عُمان، وإلى مواقع البادية العُمانية، وأدم من البلاد القريبة، وهي التي جاءت في شعر بن مقرب، حيث يقول في القرامطة وأفعالهم: =

والي سناو[١]، وإلى والي جعلان[٢]، إذا ظفرتم بوسيم بن جعفر المهري، فاستوثقوه، وأعلموني به.

وأنفذ إليه يحيى اليحمدي المعروف بأبي المقارش مع جماعة من أصحاب الخيل، ثُمَّ أنفذ كتيبة أخرى، فألقوا الكتيبة الأولى بالمنايف، ثمَّ أنفذ كتيبة أخرى فألفَت الكتيبتان في قرية عزّ، ثُمَّ أنفذ كتيبة أخرى، فألفت الكتائب المتقدمة في قرية منح، فلم تزل الكتائب تتراسل موجفة في طلبه حتَّى صادفوه، ووصلوا به إلى نزوى، فأمر الإمام بحبسه، فمكث في السجن سنة، لا يقدر أحد أن يكلِّم الإمام فيه، ويسأل عن خبره، ويكلِّم من يكلِّم الإمام فيه، حتَّى وصل جماعة من مهرة، فاستعانوا على الإمام بوجوه اليحمد، فأجابهم على إطلاقه، وشرط لهم ثلاث خصال:

الأولى: إما أن يرتحلوا من عُمان، الثَّانية: إما أن يأذنوا بالحرب،

= ولمْ تزلْ خيلهمْ تغشى سنابُكها أرضَ العـراقِ وتـغـشـى تـارةً أدمَ

وأدم بلدة طيبة حسنة، بهجة المنظر، تقع في سهل من الرمل، وفيها قوم آل بوسعيد رهط السلطان سعيد بن تيمور، ومنها أصل نشأته، وفيها كان مقر آبائه. انظر السيابي، سالم بن حمود بن شامس: العنوان عن تاريخ عُمان، ص١٢٥-١٢٦.

(١) سناو: بلدة طيبة جميلة أنيقة بهجة، ذات رياض زاهرة، وأنهار جارية، وحدائق غناء. تقع في الجهة الجنوبية من شرقية عُمان في جو صاح أنيق وأفق صالح طليق، وهي سوق البدو في ذلك الأفق بعد المضيبي. انظر: السيابي، سالم بن حمود بن شامس: العنوان عن تاريخ عُمان، ص١٢٧-١٢٨.

(٢) جعلان: اسم لقاطعة واسعة وواحة عديدة الأرجاء، تقع في سهل ممتد من جبل قهوان حتى الرويس على الساحل، وحدود بدية في الداخل، وأرض جعلان طيبة التربة، حسنة الغرس، كثيرة المياه، خصبة رطبة، نزحت المياه من قلب عُمان إليها. فانصبت فيها، فسكنت أرضها، فلذلك تراها خضرة المرابع، زاهية الفلوات، مخضرة الأرجاء، تعادل أرض الباطنة اتساعاً. انظر: السيابي، سالم بن حمود بن شامس: العنوان عن تاريخ عُمان، ص١٠٦-١١٢.

الثَّالثة: إما أن يحضروا الماشية كلّ حول إلى عسكر نزوى، وتشهد الشهود على حضورها، وهم العسكر [٢٠٠-أ]، أنه لم يتخلف منها شيء، ويعدل الشّهود المعدّل بآدم، فقالوا: أما الارتحال، فلا يمكننا، وأما الحرب، فلسنا نحارب الإمام، وأما الإبل، فسنحضرها كما تشترط، ونفيئُ له كما أمر، فعند ذلك عدّل الإمام الشهود.

فكانوا يحضرون إبلهم في كل سنة، تدور عند السَّارية التي بقرية فرق، وهي قد بنيت بأمر الإمام المهنَّا بن جيفر، علّامة لبني مهرة، ليحضروا إبلهم عندها.

وخرج المغيرة بن روشن الجلنداني ومن معه من بني الجلندى بغاة على المسلمين، فوصلوا إلى توام الجوف، وكان أبو الوضَّاح[١] والياً عليها للإمام المهنَّا بن جيفر، فقتلوا أبا الوضاح.

فلمّا بلغ ذلك المسلمين، وكان أبو مروان[٢] والياً على صحار،

(١) أبو الوضاح: عالم فقيه، كان والياً على حصن سمائل، أرسل إليه الإمام غسان بن عبدالله الفجحي اليحمدي الأزدي كي يسلمه الصقر بن محمد بن زائدة، فمضى الوالي معهم إلى الإمام خوفاً عليه من أن يبطشوا به. ثم ولّاه الإمام المهنا بن جيفر على توام الجوف، وخرج المغيرة بن روشن الجلنداني ومن معه من بني الجلندى بغاة على المسلمين، فوصلوا إلى توام الجوف، وقتلوا أبا الوضاح. انظر: دليل أعلام عُمان، ص٢٧. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٤٩٥.

(٢) أبو مروان: سليمان بن الحكم بن بشير (أبو مروان) قاضٍ، والٍ، وقائد فقيه، من عقر نزوى، عاش في القرن الثالث الهجري، نقل عن سليمان بن عبد الرحمن، وعن الحكم بن بشير، وعن هاشم بن غيلان، وسليمان بن عثمان، وحفظ عن أبي علي موسى بن علي. تولى الولاية والقضاء على صحار للإمام المهنا بن جيفر، ثم للإمام الصلت بن مالك، وكان زياد بن الوضاح معدياً له بصحار، ويذكر أنه عُزل عن ولاية =

فسار بمن معه من المسلمين وعنده المطار الهندي ومن معه من الهند.

فلمّا وصلوا إلى توام، هجموا على بني الجلندى، وعلى من شايعهم من البغاة، فهزمهم الله، وقتل من قتل منهم، وتفرقوا بعد الالتئام أيادي سبأ في التنايف والربا، وأحرق المطار الهندي ومن معه من السفهاء دور بني الجلندى بالنَّار، وكان في دورهم المواشي والبقر والغنم مربوطة، فاحترقت.

فبلغنا أنَّ رجلاً من أصحاب المطار كان يلقي بنفسه في [الفلج][(١)] حتَّى يبتل بدنه وثيابه، ثُمَّ يمضي إلى النار ليقطع حبال الدواب، فينجي أنفسها من النيران.

وبلغنا عنهم أنهم أحرقوا لهم سبعين غرفة، وقيل: خمسين غرفة، والله أعلم.

وبلغنا أن نسوة من بني الجلندى خرجن على وجوههن إلى الصَّحراء

= صحار، فاشتدّ عليه العزل، وقال: إن أعمال البرّ كلها عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كتفلة في بحر. وقد سبق بسريّته إلى توام سريّة الإمام المهنا بن جيفر عندما قُتِلَ أبو الوضاح والي توام من قبل المغيرة ومن معه من بني الجلندى. كان حكيماً فطناً في قضائه، نزيهاً لا تأخذه في الله لومة لائم. كان هو ومحمد بن علي من المتمسكين بإمامة المهنا بن جيفر حتى مات. وكان يرسل الأسئلة دائماً إلى موسى بن علي، يستشيره في كثير من المسائل النازلة. توفي قبل سنة (٢٦٠هـ/ ٨٧٤م)، إذ قيل: إنه دخل في حكم بين قوم، فلما مرض أسلمه إليهم، فقضى فيه بعد موته محمد بن محبوب المتوفي في سنة ٢٦٠هـ وتوجد له أجوبة في الأثر. انظر: السعدي، فهد بن علي بن هاشل: معجم الفقهاء والمتكلمين الإباضية، ج٢، ص١٣٨-١٣٩.

(١) (النهر) في النسخة (ب).

هاربات ومعهنَّ أَمَةٌ، فلبثن ما شاء الله في الصَّحراء، ثُمَّ احتجن إلى الطَّعام والشَّراب، فانطلقت الأمَة إلى القرية في اللَّيل تلتمس لهنّ طعاماً وشراباً، فلمّا وصلت القرية بعد هزيع[1]، وجدت شيئاً من السّويق[2]، [٢٠١-أ] وسقاء من أسقية اللَّبن، فعمدت إلى الفلج فملأت السقاء ماءً، فبصر بها أحد من أصحاب المطار، قد توجهت نحو النسوة بالماء والسُّويق، فأدركها الرَّجل [١٣٨-أ]، فلمّا وصلها، أخذ منها السُّويق، فألقاه في الرَّمل، وأراق الماء الَّذي حملته في سقائها في الأرض.

وكان أبو مروان لم يأمر بالحرق، ولا بشيء من هذه الأحوال، بل قد نهى عن ذلك، فلم يقبل قوله.

وبلغنا أن الإمام قد بعث رجلين إلى القوم الَّذين أُحرقت منازلهم، فأمر بإنصافهم، وأن يعطوهم ما وجب لهم من الحقّ، هكذا في أصحّ الرِّوايات.

وقيل: إن القوم الَّذين اجتمعوا عند أبي مروان اثنا عشر ألفاً، والله أعلم.

ولم يزل الإمام المهنَّا إماماً حتَّى مات يوم السادس والعشرين من ربيع الآخر سنة سبع وثلاثين ومائتين، وكانت مدَّة إمامته عشر سنين، وأشهراً، وأياماً، والمسلمون عنه راضون، وله مؤازرون، وقبره مشهور ببلدة نزوى.

ويوجد في سيرة الشَّيخ أبي قحطان[3]، (رحمه الله)، أن الشَّيخ

---

(١) هزيع: الهزيع من الليل نحو ثلثه أو ربعه.

(٢) السويق: هو الخبز القديد.

(٣) الشيخ أبو قحطان: هو العلّامة الفقيه خالد بن قحطان الهجاري الخروصي، أبو قحطان، من علماء النصف الأول من القرن الرابع الهجري. كان أبو قحطان، وأبو =

العالم محمَّد بن محبوب[1]، والشَّيخ بشير، أنهما اطَّلعا على حدث لمهنًّا تزول به إمامته، وأنهما كانا يبرءان منه بسيرته، والله أعلم بالصواب.

= مالك غسان بن الخضر الصلاني، قد أخذا العلم عن أشهر عُلماء زمانهما في عُمان، وهما الشيخ عبدالله بن محمد بن محبوب، وأخوه الشيخ بشير بن محمد بن محبوب. ومن كلام أبي قحطان (رحمه الله) متعقباً كلام موسى بن موسى في استحلاله عزل الصلت بن مالك بأنه صار إلى حدّ الزمانة، وتغيّر العقل في بعض الأوقات، قال أبو قحطان: فقد علمتم يا أهل عُمان أن الصلت بن مالك كان يحكم بين الناس بالعدل، فيبرز إلى الناس في الأئبة، صحيح العقل، واللسان، والسمع، والبصر، والله شاهد على قولنا. من مؤلفاته كتاب الجامع المسمى (جامع أبي قحطان) يوجد منه قطعة في مكتبة السيد محمد بن أحمد بن سعود البوسعيدي تحت رقم (٣٦) وقطعة أخرى برقم (٣٧) وهي بخط جيد، أولها باب في الإيمان، والثاني باب النذور، وآخرها باب ما يحل من الحيلة وما لا يحل. وفيه يقول الشيخ محمد بن ربيعة بن خلفان:

كتابُ أبي قحطان في القلب شائقٌ ... كشهدٍ مُصَفًّى وهو في النُّظمِ فائقُ
حوىَ كُلَّ معنى في الشريعةِ إنَّهُ ... له الشرفُ الساميُّ بالحقِ ناطقُ
مسائلُهُ تُغنيكَ يا صاحِ حكمةً ... فنورُ الهُدى فيهِ لكَ الرشدُ شارقُ

انظر: البطاشي، سيف بن حمود بن حامد: إتحاف الأعيان، ج١، ص٢٦٩-٢٧٠.

(١) محمد بن محبوب: هو العلّامة الشيخ الفهامة، شيخ المسلمين في زمانه، محمد بن محبوب بن الرحيل بن سيف بن هبيرة القرشي المخزومي، من أشهر العلماء في زمانه، مرجع المسلمين في زمانه، وكان مضرب المثل في العلم، والزهد والتقوى. نشأ في أيام الإمام غسان بن عبدالله الخروصي، الذي بويع سنة ١٩٢هـ، وعاصر الإمام المهنا بن جيفر، ثم تألّق نجمه أيام الإمام الصلت بن مالك، حيث كان على رأس العلماء المبايعين للصلت سنة ٢٣٧هـ، وقلّده القضاء على صحار وتوابعها سنة ٢٥١هـ من أشياخه العلّامة موسى بن علي الإزكوي (رحمه الله). قال عنه المؤرخ بن رزيق: (هو فريد عصره في العلم والزهد، وكان رئيس المسلمين في مبايعة الصلت ابن مالك، ومات قبل الإمام بصحار، يوم الجمعة لثلاث ليالٍ خلون من شهر المحرم سنة ٢٦٠هـ، قبره بصحار مشهور، ويُزارُ). انظر: البطاشي، سيف بن حمود بن حامد: إتحاف الأعيان، ج١، ص٢٥٠-٢٥٣.

◆ [الإمام الصَّلت بن مالك الخروصي (٢٣٧-٢٧٣هـ/٨٥٢-٨٨٧م)]:

ثُمَّ بايع المسلمون، الصَّلت بن مالك الأزدي الخروصي[١] في اليوم الَّذي مات فيه المهنَّا بن جيفر، وكان يومئذٍ رئيس المسلمين في العلم والدِّين الشَّيخ العالم القطب، الفهَّامة محمَّد بن محبوب، (رحمه الله) ورضي عنه، فبايعوا الصَّلت بن مالك على ما بويع عليه أئمَّة العدل من قبله، فسار بالحقّ والعدل، وعمّر في الإمامة، ولم يعمّر أحد من قبله من أئمَّة عُمان، حتَّى كبر وأسنَّ، وضعف، وإنما ضعفه كان من قبل رجليه خاصَّةً، وأما عقله وبصره وسمعه فلا نعلم أحداً من الثُّقات وغير الثُّقات [٢٠٢-أ] قال بهنّ ضعف.

فلمّا بلغ الكتاب أجله، وأراد الله أن يختبر أهل عُمان، كما اختبر الَّذين من قبلهم، سار موسى بن موسى[٢] بمن معه حتَّى نزل

---

(١) وفيه يقول: بن رزيق هذه الأبيات:

فَبويعَ بعدهُ الصَّلتُ انتصاراً ... لـديـنِ اللهِ طـوعـاً لا اغـتـصـابـا
وفاضَ العدلُ منهُ في عُمانٍ ... ومـا ألْـفَـتْ بـسـيـرتـهِ الـخـرابـا
فعَمَّرَ في الإمامةِ وهو عَدْلٌ ... ولـم يـحـدثْ إلـيـهِ الـفـعـلُ عـابـا
وفي رجليهِ لما ابتَّ ضعفٌ ... ولـم يسطعْ إلى السَّيفِ اجتذابا
فعن بيتِ الإمامةِ ليسَ عنها ... تـخـلَّـى فـهـي كـانـتْ مـنـهُ قـابـا
فمات بغيرِ عزلٍ من شيوخٍ ... وشـبَّـان لـهـم أعـلـوا جـنـابـا

انظر: بن رزيق، حميد بن محمد: الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عُمان، ص ٤٨-٥١.

(٢) موسى بن موسى: موسى بن موسى بن علي عالم جليل من سامة بن لؤي بن غالب، وزير، قائد، قاضٍ، عاش في القرن الثالث الهجري، وهو بن إمام العلماء موسى بن علي، كان وزيراً للإمام الصلت بن مالك الأزدي الخروصي، وممن بايعوا راشد بن النضر بدلاً من الإمام الصلت، ثم حضر بيعة الإمام عزّان بن تميم الخروصي، فأثبته =

فرقاً[١]، فتخاذلت الرَّعيّة عن الصَّلت، وضعف عن الإمامة والإقامة، فاعتزل عن بيت الإمامة، فعقد موسى بن موسى الإمامة لراشد بن النَّضر في يوم الخميس، وثلاث ليال خلون من شهر الحجِّ سنة ثلاث وسبعين ومائتي سنة.

وكانت وفاة الإمام الصَّلت ليلة الجمعة للنصف من ذي الحجَّة سنة خمس وسبعين ومائتي سنة. وفي أيامه توفي العالم العلَّامة محمَّد بن محبوب، (رحمه الله)، وكانت وفاته بمدينة صحار، وقبره مشهور بها، إلى هذه الغاية، (سنة الألف والمائتين والأربع والسبعين)، ثُمَّ وقعت الفتنة بعُمان، وكبرت الإحنة والمحنة، واختلفوا في آرائهم، وكثرت بينهم السير والأقوال، وعظم القيل والقال.

وذلك أنه لما نزل الصَّلت من بيت الإمامة، وولي راشد بن النَّضر وقعت بين أهل عُمان وقائع شهيرة، منهنَّ وقعة الروضة[٢]، المعروفة

= الإمام عزان على القضاء، ثم وقعت بينهما العداوة والبغضاء والإحن، فعزله الإمام عزان، وتخوّف منه، فأطلق المسجونين، فساروا إلى أزكي لمقاتلته، فقتلوه سنة ٢٧٨هـ في بلدة النزار بإزكي. انظر: دليل أعلام عُمان، ص١٥٦. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٤٦٤.

(١) فرق: قرية في المنطقة الداخلية من عُمان، تبعد عن نزوى عشرة كيلومترات. وهي مسقط رأس الإمام جابر بن زيد الأزدي العُماني الفرقي، وبها قبر ابنته الشعثاء.

(٢) وقعة الروضة: وقعت معركة الروضة بعد أن ولي راشد بن النضر، وتقدم على إمامة الصلت بن مالك، حيث أرادت جماعة من اليحمد عزله، واجتمعوا في الرستاق، وخرجوا مع أنصارهم إلى نزوى، وأخذوا طريق الجبل، فلما صاروا بالروضة من تنوف، وجّه إليهم راشد بن النضر السرايا والجيوش، فوقعت بينهم وقعة شديدة، قتل فيها كثير من أهل الورع والعفاف، ووقعت الهزيمة على اليحمد والعتيك وبني =

بتنوف[١]. وذلك أنه خرج فهم بن وارث[٢] ومصعب بن سليمان[٣] على

= مالك بن فهم، ووقعت الفتنة بين أهل عُمان بسبب هذه الوقعة. ثم أنكروا على راشد ابن النضر وضللوه لتقدمه على الإمام الصلت بن مالك، وهو يومئذٍ إمام لم يبدل، ولم يغيّر، ولم تلحقه قاله. وفي هذه الوقعة يقول أبو بكر محمد بن حسين بن دريد الأزدي:

نبأٌ نابهُ خطبٌ جليلُ ... بل رزايا لهنَّ عبءٌ ثقيلُ
بلْ عرامٌ مبادهُ بلْ ... دهارسٌ وقعُهنَّ وبيلُ
إنَّ للبقاعِ من تنوفٍ محلا ... ليسَ للمكرماتِ عندهُ حويلُ

انظر: العوتبي، سلمة بن مسلم: الأنساب، ج٢، ص ٣١٣-٣١٥.

(١) تنوف: قرية في المنطقة الداخلية من عُمان، على مقربة من مدينة نزوى.

(٢) فهم بن وارث: فهم بن وارث الكلبي، زعيم، عاش في القرن الثالث الهجري، أحد زعماء اليحمد في عُمان، الذين اجتمعوا في الرستاق، وبايعوا شاذان بن الصلت إماماً، وتحالفوا مع العتيك، وولد مالك بن فهم على محاربة راشد بن النضر في معركة الروضة الشهيرة سنة ٢٧٥هـ، وقتل فيها خلق كثير، فأُسر، وسجن سنة، ثم أُطلق سراحه، شارك مع الإمام عزان في الجيش الذي جهزه ضدّ الخارجين عليه سنة ٢٧٨هـ في وقعة القاع، وقتل فيها خلق كثير، وكانت سبباً للفتنة في عُمان. انظر: العوتبي، سلمة بن مسلم: الأنساب، ج٢، ص٣١٣-٣١٤. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٣٤٨.

(٣) مصعب بن سليمان: مصعب بن سليمان الكلبي، من جماعة اليحمد، ومن وجوههم، وهو أخ لأبي خالد، خرج على السلط بن مالك، وحضر بيعة راشد بن النضر للإمامة، وخرج أيضاً على راشد وموسى ومن شايعهما، وناصبهم العداء، وأراد عزل راشد عن الإمامة، تحالف مع أخيه أبي خالد ومن معهم مع خالد بن سعوة الخروصي وشاذان بن الصلت وغيرهم من وجوه اليحمد، فكاتبوا عدداً من رؤساء قبائل العتيك وبني مالك بن فهم على محاربة راشد وعزله، فأجابوهم على ذلك، وخرجوا جميعاً إلى نزوى، فلما صاروا بالروضة من تنوف وجه إليهم راشد السرايا والجيوش وباغتهم ليلاً بالروضة وهم لا يشعرون، ووقعت الهزيمة على =

راشد بن النَّضر فبعث إليهم راشد جنوده فاقتتلوا بالروضة، فظفر راشد بن النَّضر على فهم.

ومنها وقعة الرّستاق[١] بين سوني[٢] وعيني[٣] التي خرج فيها شاذان[٤] بن الإمام الصَّلت على راشد، فظهر راشد وجنوده.

= اليحمد ومن شايعهم، ومات خلق كثير، واضطرمت نار الأحقاد والعصبيات والحروب، وانتهى الأمر بحبس راشد وعزله، وانتقال الإمامة إلى عزان بن تميم في صفر سنة ٢٧٧هـ وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٤٤٩.

(١) وقعة الرستاق: وقعت هذه المعركة بين راشد بن النضر، وشاذان بن الصلت بن مالك، في موقع بين سوني وعيني، وقيل: بين سوني والرستاق. وسوني هي قرية العوابي حالياً، وسبب هذه الوقعة خروج الزعيم شاذان بن الصلت ومن معه على راشد بن النضر، حيث وقعت بينهم معركة عظيمة، ظهر فيها راشد بن النضر، وانهزم جيش شاذان، وقعت فيما بين سنة ثلاث وسبعين إلى سبع وسبعين ومائتين. انظر: البطاشي، سيف بن حمود بن حامد: إتحاف الأعيان، ج١، ص٢٦٠-٢٦١.

(٢) قرية من قرى الرستاق في سلطنة عُمان.

(٣) قرية من قرى الرستاق في سلطنة عُمان.

(٤) شاذان بن الصلت: شاذان بن الصلت بن مالك الخروصي، عالم فقيه، زعيم عاش في القرن الثالث الهجري، وهو ابن الإمام الصلت بن مالك، اجتمع مع وجهاء اليحمد في الرستاق، وهم: الفهم بن وارث الكلبي، ومصعب بن سليمان، وأبو خالد بن سليمان الكلبيان، وخالد بين شعوة الخروصي، وسليمان بن اليماني، ومحمد بن مرجعة، وغيرهم، وسار إليهم وجهاء العتيك من الباطنة، وولد مالك ابن فهم، وأكدوا البيعة لشاذان بن الصلت، وتوجه الجميع إلى نزوى لعزل راشد بن النضر، حيث وقعت معركة الروضة الشهيرة. انظر: العوتبي، سلمة بن مسلم: الأنساب، ج٢، ص٣١٣-٣١٤. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان ابن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٢٣٤.

ثُمَّ إنَّ موسى بن موسى بريء من راشد بن النَّضر، وفسقه، وضلّله، وصال عليه، وعزله.

◆ [الإمام عزَّان بن تميم الخروصي (٢٧٧-٢٨٠هـ/٨٩١-٨٩٤م)]:

ثُمَّ وُلِّي عزَّان بن تميم الخروصي(١) يوم الثلاثاء لثلاث ليال خلون من شهر صفر سنة سبع وسبعين ومائتين، وكان ممَّن حضر البيعة عمر بن محمَّد بن سليمان(٢)، فلبث موسى وعزَّان وليِّن لبعضهما البعض ما شاء

---

(١) عزّان بن تميم الخروصي: الإمام عزّان بن تميم بن أحمد بن صالح بن أحمد الخروصي الأزدي، داره المسفاة، وهي قرية في وادي بني خروص، بويع له بالإمامة في ٣ صفر سنة ١٧٧هـ، وممن حضر البيعة من المشائخ الثقات عمر بن محمد القاضي، ومحمد بن موسى بن علي، وعزّان بن الهزبر، وأزهر بن محمد بن سليمان، وبعد خلافه مع موسى ابن موسى وعزله عن القضاء، اشتدت الفتن في عُمان، ووقعت معركة إزكي، وقُتل موسى بن موسى، وانقسمت كلمة أهل عُمان، وغزاها محمد بن نور والي العباسيين على البحرين سنة ٢٨٠هـ، وأخضعها لسيطرة الدولة العباسية بعدما تمكّن من قتل الإمام عزّان في سمد الشأن. انظر: ابن رزيق، حميد بن محمد: الصحيفة القحطانية، ج٥، ص٩٦-١٠٢. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٣٠٦-٣٠٧.

(٢) عمر بن محمد: عمر بن محمد القاضي الإزكوي الضبي (من بني ضبّة) من علماء النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، ومن أشياخ العلّامة محمد بن جعفر الإزكوي، مؤلف كتاب (الجامع) وهو أحد العلماء الذين امتنعوا عن بيعة راشد ابن النضر، فلما عُزلَ، وبايع المسلمون عزّان بن تميم الخروصي بالإمامة، بايعه هو، وكان من قضاته، ولم يلبث بعد ذلك إلّا شهراً، فمات في تلك السنة، أي سنة سبع وسبعين ومائتين، وسار الإمام عزّان إلى إزكي للصلاة عليه، ثم رجع إلى نزوى. وفي ذلك قول العلّامة الرقيشي (رحمه الله):

ثم قاضي زمانِهِ عُمر بن محمـ ... ـد حليفُ المساعي الكبارِ
جاءَ عزانُ يومَ ماتَ لإزكـ ... ـي لصلاةِ عليهِ واستغفارِ

انظر: البطاشي، سيف بن حمود بن حامد: إتحاف الأعيان، ج١، ص٥٣٢.

الله من الزمان، حتَّى وقعت بينهما الإحن، فعزل عزَّان موسى عن القضاء [٢٠٣-أ]، وتخوف عزَّان من موسى، فعاجله بجيش أطلق به كافة المسجونين، فساروا إلى إزكي[١]، فدخلوا حجرة النزار[٢]، [١٣٩-ب] وطفقوا يقتلون من فيها، ويأسرون، ويسلبون، وينهبون، وأضرموا فيها النّيران، فأحرقوا منها أناساً أخياراً، وقتل موسى بن موسى عند حصيَّات الردَّة التي عند مسجد الحجر من محلة الجنوّر[٣] وفعلوا في أهل إزكي ما لم يفعله أحد قبلهم من الجور، فاشتدَّت الفتن، وعظمت الإحن، وجعل كل فريق يطلب إساءة صاحبه بما قدر، وآوى عزَّان المحدثين من أصحابه، وأجرى عليهم النَّفقات، وطرح نفقة من تخلَّف عن المسير إلى إزكي.

وكانت الوقعة المذكورة يوم الأحد، وليلة بقيت من شهر شعبان سنة المائتين والثَّماني والسَّبعين، ومن أجل هذه الوقعة خرج الفضل بن

---

(١) إزكي: إزكي (أو جرنان - اسم صنم في الجاهلية) مدينة قديمة، من العمارات العريقة مجداً وسؤدداً، ذات شأن وذكر حافل بمهام التاريخ، إذ قام بها أمراء بني سامة الأمجاد قديماً، واشتهر بها من فحول العلم عباهل أطواد.و هي ذات ريف متسع وفضاء لا بأس به، ويرجع إلى زعامتها كل ذلك الصقع، من حدود وادي بني رواحة شمالاً، إلى مدينة منح جنوباً، وإلى أعمال نزوى غرباً.

وأين إزكي وطيسُ الحربِ ما فعلتْ ... فإنَّ عمدةَ هذا الأمرِ جرنانُ

ومن أشهر علماء إزكي الشيخ الكبير موسى بن علي في القدماء، والشيخ محمد بن سالم بن زاهر الرقيشي، والشيخ أبو زيد عبدالله بن محمد في المتأخرين، وأبو الحواري وأمثاله كثيرون. انظر: السيابي، سالم بن حمود بن شامس، العنوان عن تاريخ عُمان، ص٨٧-٨٩.

(٢) حجرة النزار: حي من أحياء مدينة إزكي.

(٣) محلة الجنوّر: حي من أحياء مدينة إزكي.

=

الحواري القرشي النَّزاري[١] ثائراً لمن قتل من أهل إزكي، وشايعته على ذلك المضريَّة والحدان وناس من بني الحارث من أهل الباطنة[٢].

ولحق عبدالله الحداني[٣] بجبال الحدان، وخرج الفضل إلى توام،

---

(١) الفضل بن الحواري: الفضل بن الحواري السامي الإزكوي، من سامة بن لؤي بن غالب، من أشهر علماء عُمان في القرن الثالث الهجري. كان والشيخ عزان بن الصقر في زمن واحد، وبهما يضرب المثل في عُمان، أنهما كالعينين في جبين واحد، أدرك الفتنة التي وقعت في عُمان، فقام فيها وقعد، وخرج على الإمام عزان بن تميم، وبايع الحواري بن عبدالله الحداني، فقتل هو وإمامه في وقعة القاع من صحار. من مؤلفات الشيخ الفضل، كتاب (الجامع) المسمى (جامع أبي الفضل الحواري) مجلد واحد، طبعته وزارة التراث القومي والثقافة في ثلاثة أجزاء، وفي بعض نسخ المخطوطة أبيات في تقريظ الكتاب، وهي:

كتابٌ عظيمٌ ألّفهُ الفضلُ	سليلُ الحواريِّ فاعرفِ الفضلَ يا فضلُ
كتابٌ شريفٌ مالهُ أبداً مثلُ	يسرُّ ذوي الألباب حتَّى بهِ يسلوا
ويزري بهِ في الذِّكر من لا له عقلُ	فشانيه في ضيق على القلبِ لا يخلوا
ويغشاهُ منْ ربِّي العداوةَ والذّلَ	لما حازَ من إثم علا قلبه غلّ

انظر: البطاشي، سيف بن حمود بن حامد: إتحاف الأعيان، ج١، ص٢٥٨-٢٦٢.

(٢) الباطنة: أو سهل الباطنة، المنطقة الممتدة من السيب إلى خطمة الملاحة، ويعدّ من أخصب المناطق الزراعية العُمانية، وأكثرها كثافة في السكان.

(٣) عبدالله الحداني: عبدالله بن محمد الحداني، المكنّى بأبي سعيد القرمطي، إمام عاش في القرن الثالث الهجري، تولى الإمامة على الشراة بعد الشيخ محمد بن الحسن الأزدي الخروصي، ثم عُزل في أواخر القرت الثالث الهجري، أي زمن دخول العباسيين إلى عُمان بعد حروب بن نور. يقول السالمي: (عُقدت له قبل أن يعلم منه عن دعوة المسلمين إلى بدعة القرامطة). انظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٢٨٣-٢٨٤. وانظر: دليل أعلام عُمان، ص١١٤-١١٥.

ثُمَّ رجع إلى الحدان، ورجع معه الحواري بن عبدالله السلّوتي[١]، ومضوا إلى صحار، وذلك يوم الثّالث والعشرين من هذا الشهر ويوم الجمعة، وحضرت صلاة الجمعة، وصلّى بالنّاس زيد بن سليمان، وخطب النّاس، ودعا للحواري بن عبدالله السلّوتي على المنبر، وأقاموا فيها بقية الجمعة والسّبت، وخرجوا عشيّة الأحد لمحاربة الأهيف بن حمحام الهنائي[٢]، ومن معه من أصحاب عزّان بن تميم.

وذلك أن عزّان بن تميم لما سمع بخروجهم، وجّه إليهم الأهيف بن حمحام الهنائي في جماعة من اليحمد، وفيهم فهم بن وارث، فساروا حتَّى

---

(١) الحواري بن عبدالله السلّوتي: قائد، عالم، يُنسب إلى سلوت بمحلة عُمان، خرج عن الصلت بن مالك الخروصي، وكان ممن قام بعزله. أحد قادة راشد بن النضر في وقعة الروضة سنة٢٧٥هـ ضدَّ، الخارجين عليه، خرج على الإمام عزان بن تميم، وعقد له أنصاره الإمامة بصحار بعد مقتل موسى بن موسى، فجهز لهم الإمام عزان جيشاً، فالتقوا بالقاع، وقتل عبدالله، وكان النصر حليف جند الإمام. خلَّف من الأبناء العالم الفقيه الفضل بن الحواري. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بي مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص١١٥-١١٦. وانظر: دليل أعلام عُمان، ص٥٣.

(٢) الأهيف بن حمحام الهنائي: قائد، زعيم، عاش في القرن الثالث الهجري، كان أحد قادة جيوش الإمام عزان بن تميم الخروصي، أرسله على رأس جيش جرار لقتال الثائرين على الإمام بعد مقتل موسى بن علي وخراب إزكي وتشريد أهلها، فالتقى بهم في موقعة القاع من ظهر عوتب من الخيام من صحار، قضى على الثائرين، وخاض معارك أخرى منها حربه بدما (السيب) ضدّ محمد بن نور الوالي العباسي على البحرين الذي استنصره محمد بن القاسم وبشير بن المنذر بعد مقتل الإمام عزان، وفيها دارت الدائرة على جيش الأهيف، فقُتل، وأُبيد جيشه. انظر: دليل أعلام عُمان، ص٣٠. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٦٦-٦٧.

بلغوا مجزّ من الباطنة، وأرسلوا إلى الصَّلت بن النَّضر، فخرج عليهم في جماعة من الخيل والرجال، ووصل إليهم الفضل بن الحواري، والحواري ابن عبدالله، وأسرعوا فيهم القتال، فقتل من المضرية يومئذٍ [٢٠٤-أ] خلق كثير، ووقعت الهزيمة عليهم، وكانت هذه الوقعة يوم الاثنين لأربع ليالٍ بقين من شهر شوَّال من هذه السَّنة المذكورة.

ولم تزل الفتن تتراكم بين أهل عُمان، وتزيد فيهم الإحن، وصار أمر الإمامة بينهم لعباً ولهواً، وبغياً وهوى، ولم يقتفوا كتاب الله، ولا آثار السَّلف الصَّالح من آبائهم وأجدادهم، حتَّى أنَّهم عقدوا في عام واحد ست عشرة بيعة، ولم يفوا بواحدة، حتَّى بلغ الكتاب أجله.

فخرج محمَّد بن أبي القاسم[(١)]، وبشير بن المنذر من بني سامة ابن لؤي بن غالب[(٢)]، وقصدا إلى البحرين.

---

(١) محمد بن أبي القاسم: زعيم، من بني سامة بن لؤي ومن عشيرة موسى بن موسى، كان قائداً، عاش في القرن الثالث الهجري، خرج قاصداً البحرين هو والبشير بن المنذر، وكان بالبحرين محمد بن نور عاملاً للمعتضد العباسي، فلما قدما عليه، طلبا منه الخروج معهما إلى عُمان، وأطمعاه في أشياء كثيرة، فأجابهما إلى ذلك، وأشار إليهما أن يذهبا إلى الخليفة ببغداد، ويذكرا له أمرهما، فسار محمد بن أبي القاسم إلى بغداد، وذكر للخليفة المعتضد الأمر تفصيلاً، فأمر بخروج محمد بن نور إلى عُمان، ورجع محمد بن أبي القاسم إلى عُمان. انظر: دليل أعلام عُمان، ١٤٣. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٣٧٢.

(٢) سامة بن لؤي بن غالب: نزل في توام بجوار الأزد، بعد أن تمكن مالك بن فهم من طرد الفرس من عُمان، وزوج سامة ابنته هند بنت سامة، بالأسد بن عمران بن عمرو بن عامر، فولدت له العتيك بن الأسد، وبنو سامة بتوام، انظر: العوتبي، سلمة بن مسلم: الأنساب، ج٢، ص٢٧٦-٢٧٧.

كان بها يومئذٍ محمَّد بن نور[١] عاملاً للمعتضد العباسي[٢]. فلمّا قدما عليه، شكيا إليه ما أصابهما من الفرقة الحميرية[٣]، وسألاه الخروج معهما إلى عُمان، وأطمعاه في أشياء كثيرة، فأجابهما على ذلك، وأشار إليهما أن يذهبا إلى الخليفة ببغداد، ويذكرا له أمرهما، وأنهما قدما يريدان نصرته.

فسار محمَّد بن أبي القاسم إلى بغداد، وقعد بشير مع محمَّد بن نور.

فلمّا قدم محمَّد على الخليفة المعتضد، ذكر له الأمر على التفصيل والجملة، فاستخرج له على محمَّد بن نور عهداً على عُمان، ورجع إلى البحرين.

فلمّا قدم على محمَّد بن نور، أخذ محمَّد بن نور في جمع العساكر

---

(١) محمد بن نور: محمد بن نور والي العباسيين على البحرين، كلفه الخليفة العباسي المعتضد بالقضاء على حكم الإمامة الإباضية الثانية في عُمان، فاحتل عُمان، وقتل الإمام عزان بن تميم الخروصي في سمد الشان سنة ٢٨٠هـ. انظر: ابن رزيق، حميد ابن محمد رزيق: الصحيفة القحطانية، ج٣، ص٢٩٥.

(٢) المعتضد العباسي (٢٤٢-٢٨٩هـ/ ٨٥٧-٩٠٢م): أحمد بن طلحة بن جعفر، أبو العباس، المعتضد بالله ابن الموفق بالله بن المتوكل، خليفة عباسي، ولد ونشأ ومات ببغداد، كان عون أبيه في حياته أيام خلافة المعتمد، تسلّم الخلافة بعد وفاة عمّه المعتمد سنة ٢٧٩هـ. وفي المؤرخين من يقول: (قامت الدولة بأبي العباس، وجُدِّدت بأبي العباس). يريدون السفاح والمعتضد. قال بن تغري بردي: المعتضد آخر خليفة عقد ناموس الخلافة، وأخذ أمر الخلفاء بعده في الإدبار. كان عارفاً بالأدب، موصوفاً بالحلم، إلّا في مواضع الشدّة. مدّة خلافته تسع سنوات وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوماً. وكان نقش خاتمه: (أحمد يؤمن بالله الواحد). انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج١، ص١٤٠. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد ابن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج١٣، ص٤٦٣.

(٣) الفرقة الحميرية: أي العرب القحطانية من حمير.

من سائر القبائل، وخاصَّة النِّزارية، وحصل معه أناس من الشَّام من طي، فخرج يريد عُمان في خمسة وعشرين ألفاً، ومعه من الفرسان خمسة آلاف وخمسمائة فارس، عليهم الدّروع والجواشن، وعندهم الأمتعة.

فلمّا اتصل خبره بعُمان اضطربت، ووقع الخلف بين أهلها والعصبيّة، وتفرقت آراؤهم، وتشتَّت قلوبهم، فمنهم من خرج من عُمان بأهله وماله، ومنهم من سلّم نفسه إلى الهوان، لقلَّة حيلته.

فخرج سليمان بن عبد الملك السليمي[١] ومن اتبعه [٢٠٥-أ] إلى هرموز[٢]، [١٤٠-ب] وخرج أهل صحار إلى [شيراز][٣]، والبصرة بأهلهم وأموالهم.

---

(١) سليمان بن عبد الملك السليمي: سليمان بن عبد الملك بن بلال السليمي، قائد، كان شيخاً مطاعاً في قومه، وكان يسكن مجز من صحار، عاش في القرن الثالث البحري، كان أحد قواد جيش الإمام عزان بن تميم الخروصي في حربه ضدّ الحواري بن عبدالله الحداني، والفضل بن الحواري بعد قتل موسى بن علي الإزكوي، التقى الجيشان بالخيام من ظهر عوتب بموضع يسمى القاع، فأبلى بلاءً حسناً، وانتصر في المعركة، وذهب فيما بعد إلى هرمز، وأقام بها، واتخذ بها داراً وأموالاً، يأساً من العودة إلى عُمان، وهو الذي قصده ابن دريد في لاميته المشهورة، حيث يقول:

يا سليمان جرّد العزمَ قدماً تدركَ الوترَ منجداً وهو نولُ

انظر: دليل أعلام عُمان، ص٨٣-٨٤. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بي مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٢١٦.

(٢) هرموز: مدينة في البحر، تبحر إليها المراكب، وتنقل أمتعة الهند إلى كرمان وسجستان وخراسان، ومن الناس من يسميها هرمز. انظر: الحموي، ياقوت بن عبدالله: معجم البلدان، ج٥، ص٤٠٢.

(٣) سقطت من النسخة (ب). وشيراز: قصبة من بلاد فارس، وقيل: سميت بشيراز نسبة إلى شيراز بن طهمورث، مدينة عذبة الماء، صحيحة الهواء، كثيرة الخيرات، وإليها =

وقدم محمَّد بن نور بجنوده وعساكره، فافتتح جلفار، ووصل إلى توام، فاستولى على السرّ ونواحيها، وقصد نزوى، فتخاذلت النَّاس عن عزَّان بن تميم، فخرج من نزوى إلى سمد الشَّان، ووصل محمَّد بن نور إلى نزوى، فسلمت له.

ثُمَّ مضى قاصداً إلى سمد الشَّان، فلحق عزَّان بن تميم دونها، فوقعت بينهم الحرب، واشتدَّ الطَّعن والضَّرب، وذلك يوم الأربعاء لخمس وعشرين من صفر من هذه السَّنة، فكانت الهزيمة والدائرة على أهل عُمان.

وقتل عزَّان بن تميم، وخرجت عُمان من يد أهلها، ولم يغير الله ما بهم، بل غيَّروا ما بأنفسهم، فكان قتال الفريقين، وحربهم، طلباً للملك والرياسة على الرعيَّة، فسلّط الله على أهل عُمان عدوَّهم، فكانت دولة الإباضية مذ ملكوها، إلى أن خرجت من أيديهم مائة سنة وستّين إلّا شهراً، واثني عشر يوماً، والله أعلم.

وبعث محمَّد بن نور برأس عزَّان بن تميم إلى الخليفة المعتضد ببغداد، ورجع محمَّد بن نور إلى نزوى، فأقام بها.

ثُمَّ إنَّ الأهيف بن حمحام الهنائي كاتب المشايخ أهل عُمان وقبائلها من كل مكان، يدعوهم إلى مقاتلة محمَّد بن نور، ويحثّهم على إخراجه من عُمان، فأجابوه، وأقبلوا عليه بعسكر كثير.

وبلغ ذلك محمَّد بن نور، فدخل الرّعب في قلبه، فخرج هارباً، فتبعه الأهيف بعساكره، وكان الرأي الصَّائب ألَّا يلحقوه، بل يمضون خلفه رويداً رويداً، إلى أن يخرج من عُمان، ويرجعوا عنه، ولكن ليقضي الله

= نُسب عدد كبير من العلماء. انظر: الحموي، ياقوت بن عبدالله: معجم البلدان، ج٣، ص٣٨٠.

أمراً كان مفعولاً، فسار سريعاً، فلحقوه بدما، فاقتتلوا قتالاً شديداً، حتَّى كثر القتلى والجرحى في الفريقين، وقد كادت الهزيمة تكون على محمَّد ابن نور، وقد ألجأوه إلى سيف البحر من السيب.

فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم ركب من أهل فدمة وغيرهم من المضريَّة على كلِّ جمل [٢٠٦-أ] رجلين من قبل عبيدة بن محمَّد الشّامي مدداً لمحمَّد بن نور.

فلمّا كانوا قريباً من العسكرين نزلوا عن رواحلهم، وأخذوا أسلحتهم، وحملوا مع محمَّد بن نور على الأهيف وأصحابه، فكانت الدائرة على أهل عُمان ولم يسلم إلَّا من تأخر أجله.

ورجع محمَّد بن نور إلى نزوى، واستولى على كافة عُمان، وفرَّق أهلها، وعاث في البلاد، وأهلك كثير من الحرث والأولاد، وجعل أعزَّة أهلها أذلَّة، وقطع الأيدي والأرجل والأذان، وسمل الأعين، وجعل على أهلها النّكال والهوان، ودفن الأنهار، وأحرق الكتب، وذهبت عُمان.

ثُمَّ إنَّه لمَّا أراد الرجوع إلى البحرين جعل عاملاً على عُمان أحمد بن هلال، ورجع هو إلى البحرين، وجعل أحمد بن هلال عاملاً على سائر عُمان.

وكانت إقامة أحمد بن هلال ببهلا[1]، وجعل على نزوى من قبل

(١) بهلا: مدينة في المنطقة الداخلية من عُمان، بين نزوى وعبري، وتعدّ من أقدم مناطق عُمان، كانت عاصمة عُمان في فترات التاريخ القديم، وتشتهر بسورها التاريخي الذي يحيط بها، وقلعتها القديمة التي تعود إلى العصر الجاهلي. وقال عنها السيابي: بهلا مدينة علم، وكورة ملك بأحبار نزلوها، وأخيار نشأوا بها، وأفاضل رتعوا في ظلها، ما زال التاريخ يفتخر بذكراهم، وما برح المجد يعرب عن شرفهم. وبقد جعل بهلا ملوك بني نبهان القدماء عرش مملكتهم عهداً طويلاً، والحقيقة هي =

أحمد بن هلال البيحرة، ويكنّى أبا أحمد، وقيل: البيجرة، بإهمال الجيم، فقيل له ذات يوم: إنَّ أبا الحواري ومن معه من أصحابه يبرأون من موسى ابن موسى، فأرسل إلى أبي الحواري جندياً، فوصل إليه الجندي، وهو قاعد في محراب المسجد، وهو مسجد ابن سعيد، المعروف بأبي القاسم، وهو مسجد الشجبي بعد صلاة الفجر، يقرأ القرآن، فقال: إن أبا أحمد يقول لك: سر إليه، فقال أبو الحواري: لا حاجة لي به، وأخذ في القراءة.

فبقي الجندي لا يدري كيف يفعل به، حتَّى جاءه رسوله يخبره، فقال له: لا تحدث في أبي الحواري شيئاً، فرجع، وذلك ببركة القرآن العظيم.

وقيل: إنَّ ذلك الجندي قال: إنما دعوته ليقوم لئلا يبل دمه المحراب.

ولم يزل البيحرة عاملاً على نزوى، حتَّى قتله أهل نزوى، وسحبوه، [١٤١-ب] وقبره معروف عندهم أسفل من باب مؤثر قليلاً في اللجيَّة هناك على الطريق [٢٠٧-أ] الجائز الَّذي يمرّ على فرق، يطرحون عليه الجذوع والسَّماد.

= أخت نزوى في غالب أحوالها وكامل صفاتها، وهي روضة فناء، ومدينة زهرا وحضيرة حسنا. ولقد حوت من أهل الفضل والتقوى وأعلام الدين والإيمان من يفتخر بهم الدهر، ويطرب بذكرهم العصر، كالأئمة الجهابذ، والقادة الأماجد. انظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٦٦-٦٧. وانظر: بهلا عبر التاريخ، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م، ص٩.

◆ [الإمام محمَّد بن الحسن الأزدي الخروصي][١]:

ثُمَّ بايعوا الشَّيخ [محمَّد بن الحسن الأزدي الخروصي][٢] على الشِّراء، ثُمَّ عزلوه.

◆ [الإمام عبدالله بن محمَّد الحدَّاني]:

ثُمَّ [بايعوا عبدالله بن محمَّد الحداني][٣] المعروف بأبي سعيد القرمطي، ثُمَّ عزلوه

(١) محمد بن الحسن الأزدي الخروصي: هو الشيخ العالم الفقيه أبو الحسن محمد بن الحسن السعالي النزوي؛ قال بعضهم: إنه خروصي، من ولد محمد بن الصلت بن مالك، وإنه بويع بالإمامة سنة اثنتين وثمانين ومائتين، بعد قتل بيحرة. قال: ووصلت جنود المعتضد إلى عُمان في أخذ ثأر بيحرة، وعاضدتهم قبائل النزار، واقتتلوا هم والإمام أبو الحسن محمد بن الحسن، ولا زالت بينهم الوقائع. ثم لم يزل الإمام يداهن الأمور، ويكفّ عن القتال، متى لم يجد له سبيلاً، ولا زال على هذه الحال؛ إلى أن مات (رحمه الله) ودفن بموضع يقال له: (الشعشعيَّة) من سعال نزوى قريب من الحورة، وقبره بها معروف. ولعل العلّامة أبو الحسن هذا من أشياخ أبي سعيد الكدمي .
وذكر أبو عبدالله محمد بن روح (رحمه الله) من الأئمة المنصوبين: محمد بن الحسن الخروصي اليحمدي، النازل فشح، من أودية الرستاق، وأنه بويع على الشراء، ثم اعتزل عن الإمامة. ولا يعرف هل هو صاحب الترجمة، أم أنهما اثنان.
انظر: البطاشي، سيف بن حمود بن حامد: إتحاف الأعيان، ج١، ص٢٦٧-٢٦٨.

(٢) سقطت من النسخة (ب) ومكانها بياض.

(٣) سقطت من النسخة (ب) ومكانها بياض.

◆ [الإمام الصَّلت بن القاسم][1]:

ثُمَّ عقدوا الإمامة [للصَّلت بن القاسم،][2] وكانوا قبل هذه البيعة بايعوه، وفي هذه البيعة الثانية لم ينقموا عليه شيئاً، فمات في الإمامة.

◆ [الإمام الحسن بن سعيد السَّحتني][3]:

ثُمَّ بايعوا الحسن بن سعيد السَّحتني، فلبث في الإمامة أقل من شهر، ثُمَّ مات.

---

(١) الصلت بن القاسم: الصلت بن القاسم الخروصي، بويع بالإمامة من بعد اعتزال محمد بن الحسن، وكان ينزل بنزوى. وهو أحد الأئمة الثمانية الذين بويعوا على الشراء أو الدفاع. كما بويع إماماً بعد راشد بن النّضر، فقدم عليه حموية الفاسق، ففرَّ عنه، فلم يذب عن الحريم، فلما قضى حموية غشمه وظلمه، رجع الصلت إلى موضعه، فأنفذ الأحكام، وجبى الصدقات، وولى الولاة، وصلى الجمعة، إلى أن رجع حموية ثانية، ففرَّ الصلت بن القاسم، فحاصره، فدفع الله شرّ حموية، فانقلب صاغراً، ولم يدخل الجوف، فلما أحسن في فعله، رجعوا عليه، فبرؤوا منه، وخلعوه. انظر: السالمي، نور الدين عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان، ج١، ص٢٦٨-٢٧٠. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٢٤٧.

(٢) سقطت من النسخة (ب) ومكانها بياض.

(٣) الحسن بن سعيد السَّحتني: إمام، من بني ثعالبة، عاش في القرن الرابع الهجري، عقدت له الإمامة بعد موت الصلت بن القاسم، فلبث في الإمامة أقل من شهر، ثم مات على غير اعتزال من الإمامة، وذلك بعد خروج محمد بن نور الوالي العباسي وأعوانه، وطرد العُمانيين لهم أواخر القرن الثالث وبداية القرن الرابع الهجري. انظر: السالمي، نور الدين عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان، ج١، ص٢٦٦. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٩٨.

◆ [الإمام الحواري بن مطرف الحدَّاني][(١)]:

ثمَّ عقدوا [للحواري بن مطرف][(٢)] الحداني على الدفاع، فأخذ على يد الفسَّاق والسُّفهاء من أهل عُمان أخذاً شديداً، فكان إذا جاء السُّلطان إلى عُمان يجبي أهلها. اعتزل من بيت الإمامة إلى بيت نفسه، ولم يمنعه من ظلمه وبغيه.

فإذا خرج السُّلطان من عُمان رجع هوإلى بيت الإمامة، ووضع تاج الإمامة على رأسه، وقال لمن حوله: لا حكم إلَّا الله، ولا طاعة لمن عصا الله.

وكان قائماً له بالأمر عند السُّلطان رجل يسمى ياسر من بني سامة، وهذا السُّلطان هو سلطان بغداد، فعزلوه.

◆ [الإمام عمر بن محمَّد بن مطرف][(٣)]:

وعقدوا الإمامة لابن أخيه عمر بن محمَّد بن مطرف، فسلك سبيل

---

(١) الحواري بن مطرف الحداني: بويع بالإمامة بعد وفاة الإمام الحسن بن الحسن سعيد السحتني، وكان ينزل بنزوى، وكانت بيعته إلى الدفاع، وكان في البلد آخذاً على أيدي الفسّاق من سفاء أهل عُمان أخذاً شديداً، وكان إذا جاء السلطان إلى نزوى يجبي من أهلها، اعتزل من بيت الإمامة إلى منزل نفسه من نزوى. وكان قائماً له بالأمر عند السلطان قوم من بني سامة، فلم يزل الحواري على ذلك إلى أن مات من غير اعتزال عن الإمامة. انظر: السالمي، نور الدين عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان، ج١، ص٢٦٦. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان ابن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص١١٧.

(٢) سقطت من النسخة (ب) ومكانها بياض.

(٣) عمر بن محمد مطرف: عقدوا له الإمامة بعد عمه الحواري بن مطرف، وكان على نحو سبيل عمه، إذا جاء السلطان اعتزل من بيت الإمامة. ثم جاءت القرامطة بعد =

عمه، فكان إذا جاء صاحب السُّلطان أذعن إليه. واعتزل عن بيت الإمامة، وإذا خرج السُّلطان رجع إلى بيت الإمامة، فجعل يأمر وينهي.

ثُمَّ جاءت القرامطة، فكثرت في عُمان، فلم يرجع [عمر][1] إلى بيت الإمامة، وكانت القرامطة قد تغلبت على كثير من البلدان، وصار لهم الأمر والنهي في مكة، شرّفها الله، والشَّام، وأطاعتهم القبائل والمنازل، وزلزلوا بهيبتهم البلاد، وأكثروا فيها [٢٠٨-أ] الفساد، وهم بنو أبي سعيد الحسن الجنابي[2]، وقد أبطلوا الصَّلاة، والصِّيام، والحجَّ، والزَّكاة، وقد زخرف لهم الحسن، وموّه على الضُّعفاء حتَّى تألهوه، فجعلوه إلهاً دون الله تعالى، جلّ وعلا شأنه عمّا يقول الظَّالمون علوًّا كبيراً.

وكان سبب زوال ملكه، لعنه الله، على يد عبدالله بن علي، وكان قيامه عليه بأربعمائة رجل، وكانوا في عسكر وجنود كثيرة، فلبث في محاربتهم سبع سنين، ثُمَّ انتزع الدولة منهم.

= ذلك، وعمر بن محمد في الحياة، ورجعت القرامطة من عُمان إلى البحرين، وهو حي، فلم يرجع إلى بيت الإمامة. ثم كان من بعده فترة في سنين عن عقد الإمامة. انظر: السالمي، نور الدين عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان، ج١، ص٢٦٧. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٣٢٩.

(١) سقطت من النسخة (ب).

(٢) أبو سعيد الحسن الجنابي: الحسن بن بهرام الجنابي، أبو سعيد، كبير القرامطة ومعلن مذهبهم. كان دقاقاً، من أهل جنابة (بفارس) ونفي منها، فأقام في البحرين تاجراً، وجعل يدعو العرب إلى نحلته، فعظم أمره، فحاربه الخليفة، فظفر الحسن، وصافاه المقتدر العباسي، وكان أصحابه يسمونه (السيد). استولى على هجر، والإحساء، والقطيف، وسائر بلاد البحرين. كان شجاعاً، داهية، قتله خادم له صقلبي في الحمام بهجر سنة (٣٠١هـ/ ٩١٤م). انظر: الزركلي، خيرالدين: الأعلام، ج٢، ص١٨٥.

وفي ذلك يقول جمال الدّين عبدالله بن علي بن مقرب[(١)] شعراً:

سلِ القرامطَ من شظا جماجمهمْ فلقاً وغادرهم بعدَ العلا خدما
من بعدِ ما ارتجّ بالبحرينِ شأنهمُ وأرجفوا الشَّام بالغارات والحرما
ولم تزلْ خيلهمُ تغشى سنابكُها أرضَ العراقِ وتغشى تارةً أدما
وحرَّقوا عبد قيسٍ في منازلها وصيَّروا العزّ من ساداتها خدما
وأبطلوا الصَّلوات الخمس وانتهكوا شهرَ الصِّيامِ ونضوا بينهم صنما
وما بنوا مسجداً لله نعرفهُ بل كلَّما وجدوه قائماً هُدما
حتَّى حمينا على الإسلامِ وانتدبتْ منا فوارسُ تجلو الكربَ والظّلما
وطالبتنا بنو الأعمامِ ما عدمتْ فلم تجد بكماً منّا ولا صمما
وقلّدوا الأمرَ منّا ماجداً نجداً يشفي ويكفي إذا ما حادث دهما
ماضي العزيمةِ مأمونٌ [تعيّنهُ][(٢)] أعلا نزارٍ إلى غاياتها هِمَما
وسارَ تتبعهُ، غرٌّ غطارفةٌ لو زاحمت سدَّ ذي القرنين ما سلما[(٣)]

[١٤٢-ب] من قصيدة طويلة.

---

(١) جمال الدين عبدالله بن علي بن مقرب: قائد، من سكان الإحساء، خرج من الإحساء بعدما صنع ببغاتها من القرامطة ما صنع، وسكن بلدة طيوي (داخل مسقط حالياً) وبنى حصناً من الحجر في الجبل المشرف على الماء الجم، وهو المسمى الشط الشرقي، وأحدث نهراً سماه (النهر اليدوي). وتوفي جمال الدين في طيوي، ودفن في جبل شاهق في كهف من كهوفه تستره أعشاب وأشجار. انظر التفاصيل في: ابن رزيق، حميد بن محمد: الصحيفة القحطانية، ج٥، ص١٠٦-١٠٧-١٠٨.

(٢) سقطت من النسخة (ب).

(٣) انظر القصيدة في: بن رزيق، حميد بن محمد: الصحيفة القحطانية، ج٥، ص١٠٦. وانظر أيضاً: السالمي، نور الدين عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان، ج١، ص٢٦٧.

◆ [الإمام محمَّد بن يزيد الكندي][١]:

ثُمَّ كانت في عُمان سنون فترة من عقد الإمامة، حتَّى عقدوا لمحمَّد ابن يزيد الكندي، فعزلوه بعدما عقدوا له بها، وذلك لمَّا عقدوا له على الدفاع، وتغلب السُّلطان البغدادي على عُمان، وحاصره بعسكرين [٢٠٩-أ] عسكر بالسرّ، وعسكر بالعتيك، وهرب محمَّد بن يزيد الكندي، فزالت إمامته.

◆ [الإمام الحكم بن الملاء البحري][٢]:

ثُمَّ عقدوا الإمامة للحكم بن الملاء البحري النَّازل بسعال نزوى، [فلما رأوا منه ما رأوا عزلوه][٣].

(١) محمد بن يزيد الكندي: محمد بن يزيد الكندي، النازل سمد نزوى، من أئمة القرن الثالث الهجري، بويع على ما بلغنا على الدفاع، واعتل عليهم عند البيعة بأنه رجل عليه دين لأهل الإحساء، وعندما تغلب السلطان على البلد هرب محمد بن يزيد من محاصرته للسلطان بعسكرين: عسكر بالسرّ، وعسكر بالأعتاك، فعقدوا الإمامة من بعده في حياته للملاء البحري. انظر: السالمي، نور الدين عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان، ج١، ص٢٦٧-٢٦٨. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٤٣٣.

(٢) الحكم بن الملاء البحري: بويع بالإمامة بعد هروب محمد بن يزيد الكندي أمام جيوش السلطان، وكان الملاء ينزل بسعال نزوى. وعنه قال ابن روح: (فلا نعلم أن إماماً كان من أهل القبلة مثله في الضعفة والوهنة)، (مسلماً ولا مجرماً). قال: (ثم إن الحكم بن الملاء اعتزل عن الإمامة، وأقام السلطان عسكراً بنزوى). انظر: السالمي، نور الدين عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان، ج١، ص٢٦٨. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بون مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص١٠١.

(٣) في الأصل (فما رأوا منه فعزلوه) الجملة مضطربة ولنا عليها ملحوظتان: =

واختلفت كلمة أهل عُمان إلى ظهور الإمام سعيد بن عبدالله بن محمَّد بن محبوب بن الرحيل بن سيف بن هبيرة، فارس رسول الله (ﷺ).

◆ [الإمام سعيد بن عبدالله]:

قال بن قيصر[1]: ولم أقف على تاريخ متى وقعت البيعة له؟ ولا كم أقام في الإمامة، ثُمَّ قال: ووجدت أنَّ أوَّل من عقد على الإمام

= أ- إصلاح اضطرابها كما ورد في النص.

ب- ورد في تحفة الأعيان للسالمي: (قال ابن روح: ثم إن الحكم بن الملاء اعتزل عن الإمامة). انظر: السالمي نور الدين: تحفة الأعيان، ج١، ص٢٦٨.

(١) ابن قيصر: عبدالله بن خلفان بن قيصر الصحاري، المشهور بـ(بن قيصر) فقيه، وناظم للشعر، مؤرخ، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، من ولاية صحار. من آثاره العلمية (سيرة جامعة لفتوحات ووقائع وأحداث وأحوال الإمام ناصر بن مرشد) يذكر فيها الحدث نثراً ونظماً، كما مدح فيها ورثى مجموعة من علماء عصره، و(أُرجوزة في الجراحات وقياسات الجروح) نظمها من كتاب (مختصر البسيوي). ومن رثاء ابن قيصر للعلامة الفقيه خميس بن رويشد الضنكي هذه الأبيات:

ألا يا عينُ جودي بالدُّموعِ ... ولا تصغي إلى طيبِ الهجوعِ

ونوحي العالمَ الزَّاكي خميساً ... عشيَّةَ ما استقلَّ من الرُّبوعِ

إذا خاطبتهُ خاطبتَ حِبراً ... عَليماً بالأُصُولِ وبالفُروعِ

ففي دنياه كان فتىً قنوعاً ... وكل الخير في الرجل القنوعِ

انظر: السعدي، فهد بن علي بن هاشل: معجم شعراء الإباضية، ص٢٤٨. وانظر أيضاً: البطاشي، سيف بن حمود بن حامد: إتحاف الأعيان، ج٣، ص١٤٨. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بي مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٢٧٣.

سعيد بن عبدالله، الحواري بن عثْمَّان[١]، ثُمَّ عبدالله بن محمَّد بن أبي المؤثر[٢]، وكانت بيعته على الدفاع.

---

(١) الحواري بن عثمان: الحواري بن عثمان (أبو محمد) من علماء النصف الأول من القرن الرابع الهجري، كان من جملة العلماء الذين قاموا ببيعة الإمام سعيد بن عبدالله ابن محمد بن محبوب (رحمه الله) بل هو أول من عقد له الإمامة. والشيخ الحواري هذا، قال عنه أبو سعيد الكدمي في كتاب الاستقامة: (وأما أبو محمد الحواري بن عثمان، فبلغنا عنه أنه كان يبرأ من موسى وراشد، وأحسب أنه كان يذهب إلى الوقوف عن الصلت بن مالك، وأخذنا ولاية الحواري بن عثمان بالرفيعة والظاهر، وهو لنا ولي). نقل الحواري بن عثمان عن عبدالله بن محمد بن محبوب، ومحمد بن روح، وتوجّه بالسؤال إلى أبي الحواري محمد بن الحواري، ونقل عنه عبدالله بن محمد بن أبي المؤثر، وتجّه إليه بالسؤال أبو بكر محمد بن سعيد بن أبي بكر. له أجوبة ومسائل في كتب الأثر، منها جواب إلى الإمام سعيد بن عبدالله. انظر: البطاشي، سيف بن حمود بن حامد: إتحاف الأعيان، ج١، ص٥٢٠-٥٢١. وانظر أيضاً: السعدي، فهد بن علي بن هاشل: معجم الفقهاء والمتكلمين الإباضية، ج١، ص١٦٨-١٦٩.

(٢) عبدالله بن محمد بن أبي المؤثر: عبدالله بن محمد بن أبي المؤثر الصلت بن خميس الخروصي، من علماء القرن الرابع الهجري، كان في مقدمة العلماء الذين بايعوا الإمام سعيد بن عبدالله (رحمه الله) ثم الإمام راشد بن الوليد، وكانت إمامتهما في النصف الأول من القرن الرابع الهجري، ومات هذا الشيخ مقتولاً في فتنة وقعت بالغشب من الرستاق. روى الشيخ عبدالله بن محمد عن محمد بن خالد، ونقل وروى عن الحواري بن عثمان، ونقل عنه أبو سعيد محمد ابن سعيد الكدمي. كان عبدالله بن محمد يقف عن الإمام الصلت بن مالك، ويبرأ من موسى بن موسى، وراشد بن النّضر، لكنه يتولى من يقف عنهما. له أجوبة في الأثر. انظر: البطاشي، سيف بن حمود بن حامد، إتحاف الأعيان، ج١، ص٥٢٩. وانظر أيضاً: السعدي، فهد بن علي بن هاشل: معجم الفقهاء والمتكلمين الإباضية، ج٢، ص٣٠٥-٣٠٦.

قال: بلغنا عن محمَّد بن روح[١]، (رحمه الله تعالى)، قال: إن الإمام سعيد بن عبدالله أعلم الجماعة، والعاقدين له، والَّذين كانوا معه.

قال: وقد تظاهرت الأمور معنا من أهل الدَّار ممن كان ينتحل نحلة الحقّ على الإجماع على ولايته، وهو وليُّنا وإمامنا، (رحمه الله).

قال: ولم نعلم في أئمَّة المسلمين كلّهم بعُمان أفضل من سعيد بن عبدالله، لأنه كان إمام عدل، وعالماً، وقتل شهيداً، فجمع ذلك كله، (رحمه الله).

قال: إلَّا أن يكون الإمام الجلندى بن مسعود، (رحمه الله)، مثله، أو يلحق به، والله أعلم.

قال: وبلغنا عن الشَّيخ محمَّد بن سعيد بن أبي بكر[٢] (رحمه الله)،

---

(١) محمد بن روح: هو الفقيه العالم أبو عبدالله محمد بن روح بن عربي الكندي النزوي السَّمدي، من علماء النصف الأول من القرن الرابع الهجري، وهو والشيخ رمشقي ابن راشد، شيخا أبي سعيد الكدمي، فقد قال أبو سعيد في كتاب (الاستقامة): (وأما أبو عبدالله بن محمد بن روح، وأبو الحسن محمد بن الحسن، فشاهدناهما، وصحبناهما الزمان الطويل، والكثير غير القليل، وأخذنا عامة أمر ديننا عنهما). وإلى الشيخ محمد بن روح ينسب مسجد ابن روح بسمد نزوى، الذي يقع شمالي بيت السليط، ولا زال موجوداً، معمور بالجماعة. وله سيرة كتبها في الحدث الواقع بعُمان أيام الإمام الصلت بن مالك، أبان فيها عن مذهبه، وهي موجودة. وله قصيدة ميميّة في الإمامة وأحكامها، وهي مفقودة، لا يوجد منها سوى بعض الأبيات في كتب الأثر. من أشياخ العلّامة محمد بن روح، الشيخ مالك بن غسان بن خليد. لا يوجد تاريخ محدد لوفاة ابن روح، إلّا أنه كان حيّاً سنة (٣٢٠هـ/ ٩٣٢م). انظر: البطاشي، سيف بن حمود بن حامد: إتحاف الأعيان، ج١، ص٢٧٧-٢٨٠. وانظر أيضاً: السعدي، فهد بن علي بن هاشب: معجم شعراء الإباضية، ص٣١٨.

(٢) محمد بن سعيد بن أبي بكر: هو العلّامة الشيخ الفقيه أبو إبراهيم محمد بن سعيد =

أنه قال: إن الإمام سعيد بن عبدالله أفضل من الجلندى بن مسعود، وما أحقه بذلك، لأنه كان إماماً عادلاً صحيح الإمامة من أهل الاستقامة، عالماً في زمانه، يفوق أهل عصره وأوانه، وهو مع ذلك قتل شهيداً، في ظاهر أمره، (رحمه الله)، وغفر له، وجزاه عنّا وعن المسلمين أفضل ما جزى إماماً عادلاً عن رعيته.

قال: ووجدنا تاريخاً للوقعة التي قتل فيها الإمام [٢١٠-أ] سعيد بن عبدالله، (رحمه الله)، سنة ثمان وعشرين بعد الثلاث المائة سنة، والله أعلم.

قال: وسبب هذه الوقعة، أنها كانت امرأة من أهل الغشب من الرّستاق مجففةً حبًّا في الشَّمس، فجاءت شاة، فأكلت الحبَّ، فرمتها بحجر، فكسرت يدها، فجاءت صاحبة الشَّاة، فضربت المرأة التي كسرت يد الشَّاة، فاستعانت بجماعتها، فجاء وأحد من جماعتها، وجاء وأحد من جماعة الأخرى، فكان كل فريق يثيب فريقه، فوقعت بينهم صكَّةٌ عظيمةٌ، وملحمةٌ شديدةٌ، فجاء الإمام سعيد بن عبدالله ومعه أحد من عسكره على معنى الحاجزين والمصلحين بين الفريقين، فقتل في تلك المعركة، والله أعلم.

= ابن أبي بكر، الذي ذكره أبو سعيد الكدمي في كتاب (الاستقامة) وأثنى عليه، وهو من إزكي، ووالده سعيد بن أبي بكر الإزكوي. وقد عاصر الشيخ محمد بن سعيد الكثير من العلماء، منهم: الشيخ محمد بن جعفر وابنه الأزهر، وأبو خالد الكيس بن الملاء، وعثمان بن محمد بن وائل. واشترك في الإجتماع الذي عقد بسعال من نزوى في مسألة فتنة الصلت وراشد. كانت بينه وبين أبي الحواري مكاتبات. من تلامذته الشيخ أبو سعيد الكدمي. اختار التوقف في أمر موسى وراشد، وعدم القول برأي معين. انظر: البطاشي، سيف بن حمود بن حامد: إتحاف الأعيان، ج١، ص٥٢٣. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٤٠٠-٤٠١.

◆ [الإمام راشد بن الوليد]:

قال: ثُمَّ بويع من بعده راشد بن الوليد. وذلك أنه لما اجتمع الشَّيخ عبدالله بن محمَّد بن أبي المؤثر، والنعُمان بن عبد الحميد[(١)]، وأبو محمَّد عبدالله بن محمَّد بن صالح[(٢)]، وأبو المنذر بن أبي محمَّد بن روح[(٣)]، وكانوا هؤلاء في تلك الجماعة التي حضرت في ذلك الوقت، هم المنظور إليهم والمشار عليهم، كنحو ما كانت الجماعة التي حضرت البيعة للإمام سعيد بن عبدالله في زمانهم، وأيامهم، لا تنكر أهل المعرفة فضلهم، ولا

---

(١) النعمان بن عبد الحميد: النعمان بن عبد الحميد، أبو مسعود، من علماء النصف الأول من القرن الرابع الهجري، كان في عصر الإمامين المرضيين العادلين سعيد بن عبدالله، وراشد بن الوليد، ومن جملة العلماء المبايعين للإمام راشد (رحم الله الجميع رحمة واسعة)، وكان أحد العلماء الذين امتنعوا عن بيعة الإمام راشد بن النضر، وتمسك بولاية الصلت بن مالك، وكان ممن يبرأ من راشد وموسى بن موسى. انظر: البطاشي، سيف بن حمود بن حامد: إتحاف الأعيان، ج١، ص٥٤٣. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٤٨٢-٤٨٣.

(٢) أبو محمد عبدالله بن محمد بن صالح: كان أبو محمد عبدالله بن محمد بن صالح من المبايعين لراشد بن الوليد على الدفاع، حيث بويع على طاعة الله ورسوله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. وله أجوبة إلى عمر بن القاسم. انظر: السالمي، نور الدين عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان، ج١، ص٢٨١-٢٨٢. وانظر أيضاً: السعدي، فهد بن علي بن هاشل: معجم الفقهاء والمتكلمين الإباضية، ج٢، ص٣٠٤.

(٣) أبو المنذر بن أبي محمد بن روح: والصحيح المنذر بن أبي محمد بن روح الكندي السمدي النزوي، حضر بيعة الإمام راشد بن الوليد، وأحد المجتمعين على الوقوف عن الخوض في الولاية والبراءة من موسى بن موسى، وراشد بن النّضر، جمعاً للكلمة، ومنعاً للتفرقة، انظر: نزوى عبر الأيام، عالم وأعلام، ص٩٧.

تجهل عدلهم، ولا يجدون في حضرتهم من أهل نحلتهم مثلهم، ولكل زمان رجال، ولكل مقام مقال، وكلّ أهل في زمن من الأزمنة شائع فضلهم، مؤتمون على جميع دينهم. بذلك جاء الأثر، فحجة من حضر قائمة على من غاب، وليس للشَّاهد أن يغير، ولا للغائب أن ينكر، ولا للداخل أن يخرج، ولا للقائل أن يرجع، فاجتمعوا في بيت كان ينزل فيه راشد بن الوليد بنزوى، وكان مقدماً فيهم أبو محمَّد عبدالله بن محمَّد بن أبي المؤثر، فاجتمعوا جميعاً على الواقف عن [٢١١-أ] موسى بن موسى، وراشد بن النَّضر، والمتبرئ منهما، جميعاً في الولاية.

قال: ثُمَّ بايعوا الإمام راشد بن الوليد على سبيل الدفاع، وخرجوا إلى النَّاس بالبطحاء من نزوى، في جماعة [١٤٣-ب]من أهل عُمان [من][1] نزوى، ومن سائر القرى، من شرق عُمان وغربها، من أهل العفاف والفضل والجاه والرئاسة، مستمعون له، مطيعون، لم يظهر لأحد منهم كراهية ولا تكبر.

ثُمَّ قام أبو محمَّد عبدالله بن محمَّد بن شيخه[2]، على رأسه خطيباً بين

---

(١) سقطت من النسخة (ب).

(٢) أبو محمد بن محمد بن شيخه: من أهل الحل والعقد في القرن الرابع الهجري، كان أبو محمد عبدالله بن محمد بن أبي شيخة أحد العلماء الذين اجتمعوا في منزل راشد ابن الوليد، وكان المقدم فيهم أبو محمد عبدالله بن محمد بن أبي المؤثر، فاجتمعوا على أن الواقف عن موسى وراشد، والمتبرّئ منهما جيمعاً في الولاية، وأنهما جميعاً مؤتمنان على دينهما في ذلك. ثم بايعوا الإمام راشد بن الوليد سنة ٣٢٨هـ على طاعة الله ورسوله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وعلى الجهاد في سبيل الله، وعلى سبيل الدفاع، وعلى سبيل اتباع أئمة العدل قسطاً وعدلاً، وكانت بينه وبين أبي الحواري مراسلات. انظر: السالمي، نور الدين عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان، ج١، ص٢٨١-٢٨٢. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٢٨٧.

الجماعة، فخطب له بالإمامة، وأخبر النَّاس، وأمرهم بالبيعة له، فبايع النَّاس له شاهراً ظاهراً، لا ينكر ذلك من النَّاس منكر، ولا يغير منهم مغير، ودخل النَّاس في بيعته أفواجاً، ووفد على ذلك الوفود، آحاداً وأزواجاً، وأخذ عليهم المواثيق والعهود.

وبعث العمال والولاة على القرى والبلدان، وصلَّى بنزوى الجمعات، وقبض هو وعماله الصَّدقات، وجيّش الجيوش، وعقد الرَّايات، وأنفذ الأحكام، وجرت له فيما شاء الله من المصر والأقسام، ولم تبقَ بلد في عُمان يغلب عليها سلطان، ونأى عنه في تلك الأيَّام، وذلك الزَّمان، إلَّا جرت في أحكامه، وثبتت عليهم في أقسامه، وأقر في ظاهر الأمر أنه إمامه، من غير أن تظهر في شيء من سيرته، ولا علانيَّته وسريرته شدَّة، ولا غلظة يخاف بها ويُتَّقى، ولا هوادة، ولا ميل، يُطمع فيه بذلك ويُرتجى، فيصانع عن تقيَّة، وينخدع لطمع أو رجيّة، بل كان (رحمه الله)، لرعيَّته رفيقاً، وبآرائهم شفيقاً، غضيضاً عن عوراتهم، مقيلاً لعثراتهم، بعيد الغضب عن مسيئهم، قريب الرضا عن محسنهم، مساوياً بالحقّ بين شريفهم، ودنيِّهم، ووضيعهم، وفقيرهم، وغنيهم، وبعيدهم، وعسيرهم، منزلاً لهم منازلهم، متفقداً لأمورهم وأحوالهم، مساوياً لمن هو دونه منهم، قابلاً مشاورتهم بما يأمرونه، فلم [٢١٢-أ] يزل، (رحمه الله)، على ذلك يتجشم من رعيته الصَّبر على المكروب، ومفارقة السّرور والمحبوب، ويصبر على الشَّتم والأذى، ويسمع منهم الخنا والقذى، وهو يتأنى في تلك الأمور، ويرجو من الله الدائرة على أهل الإحن تدور، وكثير من أهل مملكته وعصره يتربَّصُ به الدَّوائر، ويسرُّ له أقبح السَّرائر، تعرف في وجوه الَّذين كفروا المنكر، وما تخفى من صدروهم من الغلِّ والحسد أعظم وأكبر، قد استحوذ عليهم الشَّيطان، وغلبت عليهم العداوة والشّنآن، حتَّى آلت به عليه الأمور، وجرى عليه من الله المقدور، أن ظهر من عامة

رعيَّته التخلُّف عنه والخذلان، وظهر من عامة خواصِّه المعاندة والعصيان، والمداهنة عليه للسُّلطان، والمباشرة له بالقلب وباللِّسان، وخرجوا إلى السُّلطان مظاهرين، وتألبوا على ذلك متناصرين، فمنهم على ذلك جبراً، ومنهم قسرهم على التخلف عن ذلك قسراً، فوقعت بينه وبين عامتهم العداوة والشَّحناء، وفارقوه على ذلك من قرية بهلا متعصِّبين، وقد سار السُّلطان بالسرِّ مقبلاً، وهو من الضِّعاف في نفر أقلّاء، قد انفضّت جماعتهم، وصحَّت معه عداوتهم.

وإنما خرج من نزوى في ردِّهم عن خروجهم في حرب العدو المقبل.

فلمّا رأى ما نزل به من الخذلان، وبأن له منهم من العداوة والعصيان، واستضعف نفسه ومن معه على لقاء السُّلطان، وخاف أن يدهموه بالمكان، تحيَّز بمن معه من بهلا إلى كدم[1]، ورجا أن يكون استوثق لنفسه واحتزم.

فلم يزل بكدم، حتَّى صحّ معه أنهم دخلوا الجوف، فداخله ومن معه لقلَّتهم الخوف، فانحرفوا هنالك إلى وادي النخر، ودعا إلى حرب السُّلطان من حضره، واستنفر على من قدر عليه ونصره، واجتهد في ذلك وصبر، ودعا إلى ذلك واستنصر، وراح في ذلك وبكّر، وأقبل في ذلك وأدبر، فأمدّه الله بمن أمدّه، فأبلى بهم طاقته وجهده، [٢١٣-أ] فجيّش لهم أنصاره وأعوانه، ومن لا عناية عنه من خاصَّته وأحبَّة إخوانه، وقعد بهم في مكانه.

---

(١) كدم: بلدة من أعمال بهلا، منها العلامة الشيخ أبو سعيد الكدمي، صاحب كتاب (الاستقامة).

وكان السُّلطان وأعوانه بنزوى نازلين [١٤٤-ب]، وكان تخلُّفه عن الحرب برأي من حضره من إخوانه وأهل شفقته، ورجا في تخلفه عزّ الإسلام وأهله، وقوَّة لعدله ونصره، وكان تخلُّفه عن الجيش الَّذي بعثه السُّلطان الجائر بنزوى قريباً من المجازة إلى عقبة منح، لم يكن منهم ببعيد، فأتى الله بالمقدور، وما قد علم الله أنه لتصير إليه تلك الأمور، فهُزم أنصارهُ وغُلبوا، وولّوا عنه وأدبروا معاً وهربوا، فانفضَّت هناك جماعتهم، وزالت رايتهم، وخرج مخذولاً مغلوباً خائفاً، يترقّب، مظلوماً.

وكان ذلك في ضحوة النَّهار، فلم تكن عشيَّة من يومه حتَّى انفضّ عنه جميع من كان معه، ووقعت الغلبة واليأس، وأيس مع ذلك من نصر النَّاس، فاستولى السُّلطان الجائر على جميع عُمان من جميع النواحي والبلدان.

وأقبل النَّاس في المصانعات، وأقبل السُّلطان الجائر إليهم بالسخريات والمداهنات، حتَّى دانت له جميع النواحي، والإمام خائف في رؤوس الجبال والمسافي، مشفق من السُّلطان والرعيَّة، يترقَّب في كل موضع نزول المنيَّة، وأن تدهمه في مرقده ومنامه بليّة، وأصبح خائفاً على نفسه وماله، هارباً من داره وعياله، وأصبح جميع أهل المصر قد أكمنوا واطمأنوا في منازلهم، وصانعوا سلطانهم، فلم يكن لهم من الاستسلام بدّ، إذ لم يكن له إلى غيره سبيل ولا جهد، فطالع في أمره، واستشار له ذوي الأبصار، واتبع في أمره فيما ظهر حكم الأبرار، وأخذ بالرخصة من قول الأخيار، ومما لا نعلم فيه اختلافاً، أن الإمام المدافع تسعه التقيَّةُ إذا خذلته الرعيَّةُ، ولم يكن أصحّ لنا من ذلك الخذلان، ولا أبين لنا من تلك العداوة وذلك العصيان، والله هو الرؤوف بعبده والمنَّان، وما جعل الله على عباده في الدِّين من حرج، بل الصَّحيح معنا [٢١٤-أ] أنه جعل لكل

مدخل من دينه باب مخرج، ولعل عاجزاً عن فرض من فرائضه عذر أو باب فرج، ولا فرق بين الإمام والرعيَّة، والكل منهم جارٍ عليه حكم القضية، ألقى بيده إلى منزله، واستسلم رجاء أن يستتر فيه ويسلم، فوصل إليه رسول السُّلطان إلى مكانه، يعطيه منه الميثاق بأمانه.

فبلغنا أنه أعطاه بلسانه، ولم يبلغنا عنه عرض اليمين، وما كان إلى باب السُّلطان من الوافدين، ولا من القادمين إليه والواصلين، وإنما السُّلطان الَّذي وصل إليه، واضطره على ذلك، وجبره عليه، فزالت بذلك معنى إمامته، وثبتت بالغدر الواضح ولايته.

ولا نعلم أن في الأحكام، ولا ما اختلف فيه من أمر الإمام، أن راشد ابن الوليد (رحمه الله)، يلحقه القائل في إمامته بمقال، [ولا ظنّ][١] طعن، ولا عيب في حال من الحال، فلبث بعد ذلك قليلاً محموداً، ومات عن قريب من ذلك مفقوداً.

وكان راشد بن الوليد في أيامه وزمانه وموضعه ومكانه، ومع أنصاره وأعوانه، والعاقدين له من أصحابه وإخوانه، في عامة أموره غريباً معدوماً، ولم يكن عند أحد من أهل الخبرة في أموره ملوماً، فجزاه الله عن الإسلام وأهله، لما قد قام فيه من حقه وعدله في عناء، وعن جميع من عرف فضله ما جزى إماماً عن رعيَّته.

قال: وإنما ذكرنا من أمر راشد بن الوليد، (رحمه الله)، ما قد ظهر، وما نرجو أنه لن [يُدفع][٢]، ولن يُنكر، وإلَّا ففضائله كانت معنا أكثر من هذا وأكبر.

---

(١) (ولا لهن) في النسخة (ب) وما أثبتناه في النص من النسخة (أ).

(٢) (يرفع) في النسخة (ب).

قال: وكان أبو محمَّد عبدالله بن محمَّد بن أبي المؤثر قد قتل في وقعة الغشب في سيرة الإمام راشد بن الوليد في طاعته، وكان زوال أمر الإمام راشد بن الوليد في وقعة نزوى، وعنها [دالت][1] رايته، وانفضَّت جماعته، وبان خذلان رعيَّته له، ولزمته التقيّة، وخاف على نفسه من السُّلطان والرعية أن يقصدوه [١٤٥-ب] بالقتل، رضاءً للسُّلطان، ولا برح مستقراً في موضع من عُمان من حدِّ جلفار إلى حدِّ رعوان، ولا في جبال عطالة، ولا في أرض الحدان [٢١٥-أ] والرّستاق، فأدهى عليه وأمرّ وأعدى عليه من كل عدو أشرّ، والله أولى بالعذر من البشر، وكل من عذره الله في دينه، فواجب أن يُعذر ويُعان في ذات الله فيما قد نزل به ويُنصر.

وكان راشد بن الوليد، (رحمه الله)، فيما ظهر إلينا أمره طاهر الإيمان، ظاهر عليه شواهد الفضل والإحسان، نهيًّا عن الشَّر والبهتان، صادق الفعل واللّسان، ورعاً عن المحارم، مجتنباً، عاملاً بما علم، سائلاً عما نزل به ولزم، متواضعاً لمن هو فوقه، منعطفاً لمن هو دونه، كاظماً للغيظ، بعيد الغضب، سريع الرِّضا، محتملاً للأمة، حريصاً على إصلاح المسلمين، رؤوفاً رحيماً بالمؤمنين، متوشحاً بكرم الأخلاق، صبوراً على مضايق الخناق، مستقيماً على الحقّيقة، قاصداً قصد الطريقة، تضرب به الأمثال، ويعجز الواصفُ عن وصفه بالمقال، فرحم الله تلك المهجة وتلك الأوصال، وتفضَّل علينا وعليه بالمنّ منه والأفضال، واجمعنا وإياه على جزيل ثوابه وكراماته، إنه هو أرحم الرَّاحمين.

◆ [الإمام الخليل بن شاذان]:

قلت: ولمّا ركدت زعازع بغي الخلفاء العباسيين عن عُمان،

---

(١) (زالت) في النسخة (ب).

وانقطعت مادتهم عنها بالبغي والعدوان، عقد أكابر عُمان بالإمامة على الخليل بن شاذان، فسار سيرة العدل والإنصاف، واتبع أثر السَّلف الصَّالح، فأقرَّ عيون الرَّعيَّة، وجعل الفقير، والغنيّ، والضَّعيف، والقويّ، في الحكم بالسويَّة، وصارت بعدله أرض عُمان في أمان واطمئنان، وقطع شقشقة البغاة، وجدع أنف شماس الطُّغاة، فعاش حميداً، ومات كريماً، وكانت دولته على الأشهر، بضعاً وأربعين سنة.

◆ [الإمام راشد بن سعيد]:

ثُمَّ بويع بعده الفاضل الحميد راشد بن سعيد[1]، فسلك نهج السَّلف الصَّالح في سيرته الحميدة، ومات في شهر محرم سنة خمس وأربعين وأربعمائة.

---

(١) راشد بن سعيد: راشد بن سعيد اليحمدي، أبو غسان، إمام بويع بالإمامة في اليوم الذي توفي فيه الإمام الخليل بن شاذان سنة ٤٢٥هـ وقد بويع في أول الأمر على الشراء، ثم بويع على الدفاع. وقد سار فيهم سيرة أئمة العدل في نصرة الحق وإعلاء كلمة الله. بسط سلطته على أكثر بلاد عُمان، وأخضع الثائرين عليه، وأزال كل ما يؤدي إلى الفتنة، إذ حاول الجمع بين الفرق بسبب الفتنة التي كانت في عهد الصلت ابن مالك وراشد بن النّضر، وقد ذكره الإمام الحضرمي في قصيدته مادحاً له في قصيدة طويلة منها:

أيا راشدُ إنَّا لعمركَ نزدهي بذكراكمْ في حضرموتَ تعاظما

وفي زمانه غزت عُمان قبيلتا نهد وعقيل اليمانيتان من الجهة الشمالية فأفسدتا ونهبتا، فبادرهم الإمام بالقتل والأسر، فأمنت من شرهما البلاد، وله صولات في رفع راية الحق والعدل. وكان راشد ذا شعر رقيق، وتنسب إليه سيرة في الولاية والبراءة، وله عهود ورسائل إلى ولاته في البلا. توفي الإمام والناس عنه رضوان في شهر محرم سنة ٤٤٥هـ، ودفن في مقبرة الأئمة بنزوى. انظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص١٤٧.

◆ [الإمام حفص بن راشد بن سعيد]:

ثُمَّ عقد بالإمامة بعده على ولده حفص بن راشد بن سعيد[(١)]، فما لبث فيها إلَّا يسيراً إلى أن توفاه الله.

◆ [الإمام راشد بن علي]:

ثُمَّ عقد بعده على [٢١٦-أ] راشد بن علي[(٢)]، فحمدته الخاصَّة

---

(١) حفص بن راشد بن سعيد: إمام، بويع بالإمامة بعد وفاة والده الإمام راشد بن سعيد في محرم سنة ٤٤٥هـ على الدفاع، فاقتفى أثر السلف الصالح، وقام بالعدل، ولم الشمل، ورأب الصدع، وحكم بالكف عن التحدث في مسألة موسى بن موسى وراشد بن النّضر الذي شغل الناس آنئذ وقد تبرأ من الشيخ أبو الحسن البسياني، كما تبرأ من والده لعدم إظهارهما موقفاً من تلك الأحداث. كابد الإمام من بني العباس أهوالاً صعاباً، لما بعثوا الديلم طمعاً بعُمان وإخضاعها إلى سلطانهم، فحاربهم ببسالة المغوار، وسعى إلى تخليص البلاد من قبضتهم، وانهزم الجيش العباس. ولبث في الإمامة ثمان سنين، ثم توفي، وقبره في بلدة نزوى، ولم ينكر عليه أحد، أو نكل فيه بعيب أو بريب. انظر: بن رزيق، حميد بن محمد: الصحيفة القحطانية، ج٥، ١١٨. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص١٠٠-١٠١.

(٢) راشد بن علي: الإمام راشد بن علي بن سليمان بن راشد الخروصي، أحد أئمة الدفاع من الطائفة الرستاقية، تولى الإمامة بعد وفاة حفص بن راشد بنزوى، واستمر فيها حتى سنة ٥١٣هـ، وقد كان يتنازع السلطة على بعض النواحي مع الإمام عبد الرحمن بن محمد بن مالك بن شاذان. جرت في عهده أحداث يبدو انه عالجها بشيء من الخشونة، مما جعل علماء زمانه يعترضون عليها ويشترطون عليه التوبة منها وضمان ما لحق بأموال الناس من تلف. ثار عليه بعض وجهاء وعلماء زمانه بقيادة نجاد بن موسى والقاضي أبو بكر المنحي، فتغلب عليهم، وذهبوا إلى الرستاق لجمع أتباعهم وعزل ذلك الإمام، فقتل رأسهم المدبر نجاد بن موسى في سنة ٥١٣هـ، وتوفي بعده في السنة نفسها. وعرفت عُمان في عهده الإحتلال الخارجي. انظر: =

والعامَّة، وسار سيرة العدل، وقمع أهل البغي والظَّلامة، وكانت وفاته يوم الأحد للنّصف من ذي القعدة سنة ست [وسبعين][(١)] وأربعمائة.

◆ [الإمام أبو جابر موسى بن موسى المعالي بن نجاد]:

ثُمَّ بويع بعده أبو جابر موسى بن موسى المعالي بن نجاد، فسار سيرة الحقّ، وطمس بغي أهل الضَّلال، فأثنت عليه ألسنة الرعيَّة، لما تركهم في الحكم بالسويَّة، وتوفي (رحمه الله) سنة تسع وأربعين وخمسمائة، وقُبر حذاء فلج الغنتق من نزوى عند جبل ذي النّجود، وأصيب أهل عُمان بموته بما لم يصابوا بأحد من قبله.

◆ [الإمام مالك بن أبي الحواري]:

ثُمَّ عقدوا بعده على مالك بن أبي الحواري، سنة تسع وثُمانمائة، ومات سنة اثنتين وثلاثين وثُمَّانمائة وبضعاً.

قال صاحب كتاب «كشف الغمة»[(٢)] وغيره من المؤرخين

= ابن رزيق، حميد بن محمد: الصحيفة القحطانية، ج٥، ص١١٩. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص١٥٠.

(١) سقطت من النسختين (أ) و(ب). وما أثبتناه في النص من: ابن رزيق، حميد بن محمد: الصحيفة القحطانية، ج٥، ص١١٩.

(٢) صاحب كتاب (كشف العمة) هو المؤرخ العُماني الشهير سرحان بن سعيد بن سرحان الإزكوي، وفيما يأتي ترجمته: هو الشيخ سرحان بن سعيد بن سرحان بن سعيد السرحني الإزكوي، من علماء القرن الثاني عشر الهجري، فقيه ومؤرخ، له أجوبة كثيرة في الأثر. من مؤلفاته كتاب (كشف الغمة) الذي يعدّ مرجعاً في التاريخ العُماني (مخطوط حققه الأستاذ الدكتور محمد حبيب صالح والدكتور محمود بن مبارك السليمي، وطبعته وزارة التراث والثقافة العُمانية في سبعة أجزاء) أدرك الشيخ =

العُمانيين: فهذه مائتا سنة وبضع، لم أجد فيهن تاريخ أحد من الأئمَّة، والله أعلم أنها كانت سنين فترة من عقد الإمامة، أو غاب عنا معرفة أسمائهم.

[خروج حاكم شيراز فخر الدين أحمد بن الداية وأخوه شهاب الدين على عُمان سنة (٦٧٤هـ/١٢٧٦م)]:

ثُمَّ قال: إلَّا أني وجدت تاريخ خروج أهل شيراز إلى عُمان، ورئيسهم يومئذٍ فخر الدِّين أحمد بن الداية[(١)]، وشهاب الدِّين[(٢)]، وهم أربعة آلاف فارس وخمسمائة فارس، وجرى على النَّاس، [يعني][(٣)] أهل

= سرحان بن سعيد أيام الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي، وحضر البيعة الثانية له بنزوى سنة (١١٦٧هـ/ ١٧٥٥م)، بعد البيعة له بالرستاق. انظر: البطاشي، سيف بن حمود بن حامد: إتحاف الأعيان، ج٣، ص٢٣٩-٢٤٠.

(١) فخر الدين أحمد بن الداية: قائد فارسي كان يحكم شيراز من بلاد فارس، خرج لغزو عُمان سنة ٦٧٤هـ في عهد الملك عمر بن نبهان، ومعه خمسة آلاف جندي، وساعده في ذلك شهاب الدين ليلى حاكم هرمز، حيث تمكن من دخول نزوى، لكن الله كسر شوكتهم، وانسحبوا من عُمان .
انظر: السالمي، نور الدين عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان، ج١، ص٣٥٩.

(٢) شهاب الدين: شهاب الدين ليلى، حاكم هرمز من بلاد فارس، تحالف مع فخر الدين أحمد بن الداية لغزو عُمان في عهد الملك عمر بن نبهان النبهاني، حيث تمكنت قواتهم من السيطرة على عُمان لبضعة أشهر، ثم انسحبت منها. انظر: السالمي، نور الدين عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان، ج١، ص٣٥٩.

(٣) سقطت من النسخة (ب).

عُمان خاصَّة، أذى كثير لا غاية له، فلمّا بلغوا إلى نزوى أخرجوا أهل العقر من نزوى، وذادوهم من بيوتهم، وأقاموا على ذلك أربعة أشهر في عُمان، ومضوا إلى «بهلا»، فحاصروها، ولم يقدروا عليها.

ومات بن الداية، وأصاب النَّاس غلاء كثير، وذلك في دولة السُّلطان عمر بن نبهان النبهاني سنة أربع وسبعين بعد الستمائة.

[خروج أمير هرمز محمود بن أحمد الكوشي على عُمان سنة (٦٦٠هـ/١٢٦٢م)]

قال: [١٤٦-ب] ووجدت تاريخاً آخر.

لقد خرج أمير من هرموز يسمَّى، محمود بن أحمد الكوشي[(١)] على عُمان، فلمّا وصل إلى قلهات[(٢)]، وكان المتولي يومئذ على عُمان أبو

(١) محمود بن أحمد الكوشي: فارس، أمير من أمراء هرمز، غزا عُمان سنة ٦٦٠هـ، عن طريق قلهات، واتجه إلى ظفار عن طريق البحر، ثم أراد غزو المناطق الداخلية من عُمان عن طريق ظفار، فمات، وجيشه جوعاً وعطشاً. انظر: السالمي، نور الدين عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان، ج١، ص٣٥٨-٣٥٩.

(٢) قلهات: أولى العواصم في الجاهلية قبل غيرها لعُمان، في العهد الذي باد بأهله وفات، وهي المعهد الملكي والمركز السلطاني المهم في شبه الجزيرة من الجانب الشرقي. ولكنها الآن اسم بلا مسمى، وأثر بعد عين. كانت قلهات عاصمة مالك بن فهم عند نزوله عُمان، ثم ما زالت عرشه في الساحل، ومنهج قصره في الداخل، ثم انتقلت رئاسة القطر إلى صحار بعد ذلك حتى جاء الإسلام، وبها بنو الجلندى ملوك عُمان، وبعد انتقل عرش عُمان إلى نزوى.انظر: السيابي، سالم بن حمود بن شامس: العنوان عن تاريخ عُمان، ص٥٤-٥٥.

المعالي كهلان بن نبهان[١]، وأخوه عمر بن نبهان[٢]، فلبث محمود بقلهات، راقياً خَشَبَهُ[٣]، التي جاء عليها، فكتب إلى أبي المعالي، أن يصل إليه، فلمّا وصله، طلب منه المنافع من عُمان، وخراج [٢١٧-أ] أهلها، فاعتذر أبو المعالي إليه، وقال: إني لا أملك من عُمان إلَّا بلدة واحدة، فقال محمود: خذ من عسكري ما شئت، واقصد بهم من خالفك من أهل عُمان.

فقال أبو المعالي: إن أهل عُمان ضعفاء، لا يقدرون على تسليم الخراج، كلّ ذلك حميَّة لأهل عُمان، فحقد عليه محمود، وأضمر له

---

(١) أبو المعالي كهلان بن نبهان: هو كهلان بن عمر بن نبهان النبهاني، أبو المعالي، ملك عاش في القرن السابع الهجري، تولى حكم عُمان بعد أبيه عمر بن نبهان. وفي عهده خرج أولاد الريّس على عُمان سنة ٦٧٥هـ، فخرج كهلان لملاقاتهم في الصحراء، ومعه جملة من أهل العقر، وكان ما كان منهم من الحرق والسلب والقتل، واستعانوا بالحدان ومن كان معهم، فكسر الله شوكتهم، ومات منهم خلق كثير. قتل في هذه الوقعة حسب الدرجيني ثلاثمائة رجل، وانهزم أولاد الريِّس، يقول: لعلها هذه السنون التي بين محمد بن خنبش ومالك بن الحواري حين ملك النباهنة، ولعل ملكهم زاد على خمسمائة سنة. انظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٣٥٥. وانظر: دليل أعلام عُمان، ص١٣٧.

(٢) عمر بن نبهان: عمر بن نبهان النبهاني، ملك من ملوك النباهنة، حكم في القرن السابع الهجري. في دولته خرج أهل شيراز على عُمان وريثهم أحمد بن الداية وشهاب الدين، فجرى منهم على الناس أذى كثير، وأقاموا على ذلك أربعة أشهر، فمات بن الداية، وكفى الله المؤمنين شرهم، وفي عهده أصاب الناس غلاء كبير، وهو ممن مدحهم السِّتالي الشاعر. انظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٣٣٠.

(٣) راقياً خشبه: أي راكباً سفنه.

كيداً، واستدعى أمراء البدو من عُمان، فكساهم، وأعطاهم، فوعدوه النصر على عُمان والخروج معه.

ثُمَّ إنّه ارتحل إلى ظفار[١]، وركب البحر إليها، فلمّا وصلها، قتل من أهلها خلقاً كثيراً، وسلب مالاً جزيلاً، ورجع قاصداً إلى عُمان، فأرقى سفنه بقلهات، وترك معها بعض قومه، ومضى يسايرهم على طريق البرّ، فلمّا صار في طريق الرَّمل، حاد عن [السبيل][٢]، وضلّ عنها، فأصاب قومه العطش والجوع، حتَّى بلغ عندهم منُّ[٣] اللَّحم بدينار، وأضرّ بهم العطش في تلك الطَّريق التي سلكوها، حتَّى قيل: إنَّه مات من عسكره خمسة آلاف رجل، أو أكثر.

قلت: وأخبرني غير واحد من المشايخ المسنَّة عن أصحاب محمود ابن أحمد الكوشي، الَّذين قعدوا مع أخشابهم بقلهات. لما مضى محمود على طريق البرّ إلى عُمان، مضى رجاله إلى طيوي[٤] لينهبوها، فخرج، إليهم رجال بني جابر[٥] ومن تبعهم، فوقع بينهم قتال شديد، فلم يسلم

---

(١) ظفار: ظفار المعروفة بحقل يخصب، فيها قصور منها قصر ذي يزن، وقصر ريدان، قصر المملكة بظفار، وقصر شوحطان، وقصر كوكبان، لأنه مؤزر الخارج بالقصة، وما فوقها أحجار بيض، وداخله منطق بالعود والفسيفساء، والجزع وصنوف الجوهر. قال أبو نصر: وكان لظفار تسعة أبواب: (باب الأسلاف، وباب خرقة، وباب مانة، وباب هدوان، وباب حُبَّان، وباب حورة، وباب صعيد، وهو سُمارة، وباب الحقل). انظر: الهمداني، أبي محمد الحسن: الإكليل، ج٨، ص٢٣-٢٩.

(٢) (الطريق) في النسخة (ب).

(٣) المنُّ: نوع من أنواع الوزن مستعمل في عُمان، قدره أربعة كيلوجرامات من القياس الحديث.

(٤) طيوي: بلدة على ساحل بحر عُمان.

(٥) بنو جابر: قبيلة عدنانية، يتصل نسبها إلى جابر بن يربوع بن بغيض بن مرّة بن عوف =

أحد من أصحاب محمود، ثُمَّ ركضوا على بقيتهم التي بقلهات، فقتلوهم جميعاً، وأحرقوا سفنهم بالنَّار. وإن هذه القبور التي ببلد طيوي على شاطئ بحرها قبورهم، وهم يسمونها إلى هذه الغاية، (سنة الألف ومائتين والأربع والسبعين) قبور التّرك، وهي قبور كثيرة، شهدت أكثرها بعيني سنة الألف والمائتين والسبع والخمسين.

[خروج أولاد الريّس على سلطة النباهنة في عهد الملك كهلان بن عمر النبهاني سنة (٦٧٥هـ/١٢٧٧م)]:

قال صاحب كتاب «كشف الغمة» وغيره: ووجدت تاريخاً آخر.

خرجت أولاد الريِّس على عُمان، وكان خروجهم في شهر شوال سنة خمس وسبعين بعد السّت مائة، وكان الملك يومئذٍ بعُمان كهلان بن عمر ابن نبهان، فخرج إليهم ليلقاهم بالصَّحراء، وخرج عليه جملة أهل العقر، من نزوى، فانفضت أهل العقر، وقبضت أولاد الريِّس على العقر، فدخلوها، وأحرقوا [٢١٨-أ] سوقها، أخذوا ما فيها، وسبوا نساءها، وأحرقوا مخازن المسجد الجامع المتصلة به، وكل ذلك في نصف يوم.

ثُمَّ سار كهلان إليهم بعساكره في أول يوم من ذي القعدة من السنة المذكورة، فاجتمعت أولاد الريِّس عليهم، وكان عددهم سبعة آلاف، فانكسرت أولاد الريِّس، ومن معهم من الحدان وغيرهم، وقتل في هذه الوقعة منهم ثلاثُمَّائة رجل.

= بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. والمفرد: الجابري. انظر: الخروصي، سليمان بن خلف بن محمد: ملامح من التاريخ العُماني، ص٢٧٥.

قال: ولعلها هذه السنون التي كانت بين محمّد بن خنبش[١] ومالك ابن أبي الحواري، سنون ملك النباهنة، يزيد على خمسمائة سنة، فيما بعد هذه السنين، ويعقدون على الأئمَّة، والنباهنة ملوك في شيء من البلدان العُمانية والأئمَّة في بلدان أخرى.

قلت: وقد ذكرت هذا، وأكثر منه في الكتاب الَّذي سميته «الصحيفة القحطانية».

والآن لأذكر، إن شاء الله، نبذة من سيرة بني نبهان، وهي أخالها لم تخل من الصحيفة المذكورة، أقول على طريق الاختصار، وبالله التوفيق وبه يصاب التحقيق. . . .

---

(١) محمد بن خنبش: الإمام محمد بن خنبش بن محمد بن هشام الأزدي، عقدوا له الإمامة في اليوم الذي مات فيه والده الإمام خنبش بن محمد، والعاقد إليه بالإمامة الشيخ العالم نجاد بن موسى في سنة عشر سنين وخمسمائة، عرف بعدله وحسن سيرته. وتوفي في نزوى، ودفن عند مقبرة القاضي أبي بكر أحمد بن عمر سنة سبع وخمسين وخمسمائة هجرية في أعلى فلج الغنتق، عند جبل ذي الجيود، خلف قبر أبيه، وأُصيب أهل عُمان بموته مالم يصابوا بأحد قبله. انظر: ابن رزيق، حميد بن محمد: الصحيفة القحطانية، ج٥، ص١٢٠-١٢١. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٣٩٢.

في ذكر

بعض ملوك بني نبهان في عُمان

إن بني نبهان كانوا ملوكاً عظاماً بعُمان، ولهم فيها من المكارم والملاحم شأن أي شأن، أما ذكر ملوكهم على التفصيل إلى الجملة فمتعذّى لكثرتهم، [١٤٧-ب] وكل واحد منهم هو في الشَّان والسُّلطان في ذلك الزَّمان بعُمان.

◆ [الملك الفلاح بن المحسن النبهاني]:

ولكن الفلاح بن المحسن، هو الأشهر منهم جوداً ونسباً وسياسة، وكان مسكنه في مقنيَّات[١] من أرض السرِّ، وهو الَّذي بنى فيها الحصن السَّامك، فسمَّاه الأسود، وهو حصن عالٍ منيع، وهو الَّذي غرس شجرة الأمبا بمقنيَّات، فكثرت في عُمان، وكانت هذه الشجرة قبله لا توجد في عُمان. فبعث لها بواعثه، لمّا ذُكر له أنَّها شجرة طيّبة، فغرس في مقنيَّات من هذه الشَّجرة شجراً كثيراً، وكان الفلاح محباً للشّعراء والشّعر، مكرماً لمن مدحه، وقد مدحه موسى بن حسين بن شوال[٢] بجملة

---

(١) مقنيات: إحدى قرى منطقة الظاهرة في سلطنة عُمان.

(٢) موسى بن حسين بن شوال: موسى بن حسين بن شوال الحسيني، المشهور بـ(الكيذاوي) شاعر النباهنة المتأخرين، عاش في النصف الثاني من القرن العاشر =

قصائد، [٢١٩-أ] ومدحه غيره من أهل عصره، فأجازهم وأنعم عليهم.

فحكى عنه أنه وفد عليه رجل من أهل الحساء[1]، راكباً على حصان، فلمَّا خلع اللّجام عن حصانه، وربطه، مضى إليه، فرأى في برزته العساكر وقوفاً، صفوفاً صفوفاً، فارتعدت فرائص ذلك الرَّجل، من هيبة الفلاح والمحدقة به بالسِّلاح، فجعل يخترق الصُّفوف، حتَّى قابل وجهه وجه الفلاح، فسلَّم عليه وهو يرتعد من الخوف، فردّ الفلاح (عليه السَّلام)، ورحّب به، ولاطفه بالتحيَّة، وأقبل عليه بالبشاشة الكليَّة.

فلمّا أراد الفلاح الانصراف إلى حصنه، قال له الرَّجل المذكور: أيها السُّلطان المعظَّم، أريد خيلاً لقتّي، لا، بل أريد قتًّا لخيلي، فضحك النَّاس عليه، فقال الفلاح لبعض عبيده: اعطِ الرَّجل خيلاً من خيلي، واعطه قتّاً لخيله.

فلمّا أعطاه العبد الخيل والقتَّ، قال له: شأنك عجيب يا غريب، قلت أولاً، أريد خيلاً لقتّي، ثُمَّ قلت: أريد قتّاً لخيلي، أكان قلبك مع المسألة الأولى غير حاضر، فحضر مع المسألة الثانية.

= وأول القرن الحادي عشر الهجريين، من بلدة محليا، من وادي عندام، بنيابة سمد الشأن، تعلّم القرآن الكريم وعلوم العربية في بلده، ودرس على يدوالده الشيخ حسين بن شوال. ثم انتقل من بلده إلى ملوك النباهنة المتأخرين، فمدحهم، وصار شاعرهم الذي لا يقدمون عليه أحداً. له ديوان مطبوع، لكن سقط منه ما يقرب من خمسين قصيدة أو أكثر، كما أن كثيراً من قصائد الديوان المطبوع سقط منها أبيات كثيرة. كان جلّ قصائده وشعره في الغزل والنسيب والمديح، وتوجد له قصائد قليلة في الرثاء. انظر: السعدي، فهد بن علي بن هاشل: معجم شعراء الإباضية، ص٣٦٨.

(١) الحسا: يقصد بها الإحساء.

قال: كان قلبي حاضراً مع المسألة الأولى والثانية، ولكن برزة الفلاح بن المحسن تخرس فيها الألسن، فلو كنت غريباً مثلي لقلت مثلي.

فقال له العبد: صدقت، فعذرك مقبول.

ثُمَّ إنَّ الفلاح بعث للرجل بدراهم جمَّة وكسوة سنيَّة، فمضى عنه راجعاً ذاكراً، شاكراً، يثني عليه.

◆ [الملك عرار بن الفلاح بن المحسن النبهاني][١]:

ولمَّا مات الفلاح، قعد في المملكة والسُّلطان بعده ولده عرار بن الفلاح أبن المحسن، فمضى على طريقة أبيه في الكرم وحسن الخلق. وكانت وفاته لعشر ليالٍ خلون من شهر الحجّ سنة التسع والتسعين [وتسعمائة][٢].

◆ [الملك مظفر بن سليمان النبهاني][٣]:

ثُمَّ ملك من بعده مظفر بن سليمان بن سليمان، فأقام في ملكه مدة شهرين ثُمَّ مات.

---

(١) عرار بن الفلاح بن المحسن النبهاني: من أشهر ملوك النباهنة، تولى الحكم بعد وفاة والده سنة ٩٩٩هـ، فمضى على طريق أبيه في الكرم وحسن الخلق، أرسله سليمان بن مظفر عوناً على أهل (عيني) من الرستاق، ثم وصله الخبر بأن الأمير عمير بن حمير ومن معه دخلوا بهلا، فنهض من (عيني) بمن معه، ودخلا بهلا، واستولى على حصن القرية. توفي عرار سنة (١٠٢٤هـ/ ١٦١٥م). انظر: دليل أعلام عُمان، ص١١٦. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٣٠٤-٣٠٥.

(٢) استدراك من: الإزكوي، سرحان بن سعيد: كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة، ص٢٥٦.

(٣) مظفر بن سليمان النبهاني: مظفر بن سليمان بن المظفر النبهاني، ملك عاش في القرن الحادي عشر الهجري، تولى الملك في عُمان بعد وفاة الملك عرار بن فلاح، =

◆ [الملك مخزوم بن الفلاح بن المحسن][١]:

فملك بعده مخزوم بن الفلاح بن المحسن، فخرج عليه نبهان بن الفلاح، فأخرجه من بهلا، [٢٢٠-أ] وجعل في حصنها ابن عمِّه، علي بن ذهل، وعنده سيف بن محمَّد[٢].

ومضى نبهان بن الفلاح إلى مقنيَّات، فأقام في حصنها، وأخرج ابن عمه سلطان بن حمير من بهلا خشية أن يعمل الحيلة على أخذ حصنها.

= لكنه لم يمكث في الملك إلّا شهرين فقط، وتوفي سنة (١٠٢٤هـ/ ١٦١٥م). انظر: دليل أعلام عُمان، ص١٥٣. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٤٤٩.

(١) مخزوم بن فلاح النبهاني: مخزوم بن فلاح بن المحسن النبهاني، ملك، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، تولى الملك في عُمان بعد وفاة الملك مظفر بن سليمان، ولم يمكث في الملك سوى شهرين حتى خرج عليه نبهان، وسيف بن محمد الهنائي، وأخرجاه من الحصن، وخرج مرغماً إلى ينقل، وتولى الأمر على أصحابها، وبنى حصن ينقل. انظر: دليل أعلام عُمان، ص١٥١. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٤٣٧.

(٢) سيف بن محمد الهنائي: قائد عاش في القرن الحادي عشر الهجري، سار بقومه من بلاد سيت إلى بهلا مناصراً للأمير عمير بن حمير، فتولى الحكم بها بعد أن أصبح كل جزء من عُمان يخضع لحكم غير الذي يخضع له الآخر. خاض حروباً ضدّ الإمام ناصر بن مرشد اليعربي، فوجّه إليه الإمام جيشاً بقيادة عبدالله بن غسان، فلما نزل الجيش بلاد سيت هرب الهنائي من الحصن، فأمر الوالي بهدم حصنه، فهُدم، ثم أتى الهنائي إلى الإمام يطلب منه العفو والغفران، ودانت بذلك للإمام جميع قبائل عُمان. انظر: دليل أعلام عُمان، ص٨٧. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٢٣٢.

فمضى سلطان بن حمير إلى صحار، فكانت بهلا بيد علي بن حمير والوالي سيف بن محمَّد، فرجع هو وقومه إلى نزوى، ثُمَّ وفد ثانية على بهلا، ثُمَّ رجع إلى نزوى فدخل هو ومن معه العقر.

وكان سيف بن محمَّد يومئذٍ ببلدة سيت[1]، فلمّا علم بما جرى، نهض بمن معه من القوم، فدخل الحصن، ولم يمنعه عنه مانع، وأرسل إلى نبهان بن الفلاح أن القوم قد دخلوا الدار، فأقبل بمن معك من العسكر إليها، فمكث أياماً يجمع فيها عسكراً.

وكان عمير بن حمير قد أحكم مقابض البلاد كلها، ومكث سيف بن محمَّد بالحصن، ينتظر قدوم نبهان، وقومه إليه، فلم يصل إليه أحد.

فلمّا يئس سيف من النصر، خرج من الحصن، وحمل ما فيه من آلة الحرب، [١٤٨-ب] وقصد القرية، وأقام عمير مدَّة في حصن بهلا، وبعث إلى سيف بن محمَّد بأن يميل إليه، ويترك ميلولته لنبهان بن الفلاح، فأجابه إلى ذلك، وامتزج به امتزاجاً كليًّا، وجرى بينه وبين عمير بن حمير يمين وعهد ميثاق على أن عدوَّه عدوّه، ومحبّه محبّه، فأقام عمير بن حمير سيف بن محمَّد الهنائي والياً من طرفه بحصن بهلا، وقدَّمه على كافة بني عمِّه، ولم يكن لسيف وبني عمِّه يومئذٍ في ذلك نزاع.

وكان يومئذٍ سلطان بن حمير ومهنا بن محمَّد بن حافظ، وعلي بن ذهل بن محمَّد بن حافظ مسكنهم مدينة صحار عند مهنّا بن محمَّد الهديفي[2]، وقد أراد مهنّا بن محمَّد أن يمضي بهم إلى ابن عمِّهم نبهان بن

---

(١) بلدة سيت: والصحيح بلاد سيت، وهي بلدة من أعمال بهلا، في داخلية عُمان.

(٢) مهنا بن محمد الهديفي: والٍ، ولي صحار، استنجد بسليمان بن مظفر عندما علم بقدوم العجم إلى صحار، فلبى سليمان نداءه بجيش جرار، فنشب القتال بين الفريقين، ودارت الدائرة على الفرس. انظر: دليل أعلام عُمان، ص١٥٥.

فلاح في مقنيَّات ليصلح شأنهم. وكان يومئذٍ مخزوم بن فلاح يبني حصن ينقل، وما اتفق الصّلح بين سلطان بن حمير، ومهنّا بن محمَّد بن حافظ، وعلي بن ذهل بن محمَّد بن حافظ وابن عمِّهم نبهان، فنهض [٢٢١-أ] بعد ذلك سلطان بن حمير، وعلي بن ذهل بمن عندهما من القوم من سمايل إلى بهلا، ودخل سلطان بن حمير حلّة بني صلت من بهلا، وأقبل عمير ابن حمير بقومه، وعلى أثره سيف بن محمَّد، فوقعت بينهم الحرب.

وبنو سلطان بن حمير يومئذٍ في حلة بني صلت، وقد بنوها بناءً محكماً للحصار، فأرسل عمير بن حمير إلى رعيته من جميع القرى، ونهض الشَّيخ سعيد بن أحمد الناعبي[1] برجال من نزوى ومنح إلى محاربة سلطان بن حمير ومن معه من القوم، فأحاطوا به وبقومه إحاطة الهالة بالقمر.

فلمّا ضعف شأنه، طلب الأمان من الشَّيخ سعيد بن أحمد، فسمح له بأن يمضي حيث يريد، من المكان بمن معه، وبما عنده من آلة الحرب.

فمضى إلى الظَّاهرة، واستقام سلطان بن حمير، وعلي بن ذهل، ومهنّا بن محمَّد بن حافظ في مقنيَّات مدَّة مديدة، فأوجس نبهان منهم

---

(١) سعيد بن أحمد الناعبي: سعيد بن أحمد بن أبي سعيد الناعبي، زعيم، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، أحد الزعماء من أهل الحل والعقد بنزوى، كان من أهل الحل والعقد في عصره، خرج على رأس قومه على بهلا لمساندة الأمير عمير بن حمير في حربه مع أبناء عمه سلطان بن حمير وعلي بن ذهل من النباهنة، فالتقى الفريقان في حارة بني الصلت، ودارت رحى الحرب بينهما، وأحاطوا بسلطان بن حمير، وضيقوا الحصار عليه حتى خرج مستسلماً. انظر: دليل أعلام عُمان، ص٧٨. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص١٨١.

خيفة، فأخرجهم من مقنيَّات، ومضوا إلى صحار[١]، فلاذوا بمحمَّد بن مهنَّا الهديفي، ومكثوا عنده اثني عشر شهراً.

ثُمَّ إنَّ سلطان بن حمير أشار على محمَّد بن مهنّا الهديفي أن يغزو دير عمير بن حمير، الَّذي هو ببلدة السّيب من الباطنة، وكان في ذلك الدّير سنان بن سنان بن سلطان وعلي بن حمير، وأخوه سعيد بن حمير، فأجابه على ذلك.

فركب محمَّد بن مهنا وسلطان بن حمير، ومن معهما من الرجال من صحار لغزو دير حمير، فلمّا وصل الخبر إلى سنان بن سنان بن سلطان، وعلي، وسعيد ابني عمير، شرعوا في أهبة لقائهم ومناجزتهم، فما كان إلَّا قليلاً، حتَّى أقبلت إليهم العساكر، وسلّت عليهم البواتر من البرِّ والبحر، ووقع القتال، وعظم النزال، حتَّى بلغت القلوب الحناجر، فقتل عند ذلك علي بن حمير ومعه خلق كثير، ورجع محمَّد بن مهنَّا إلى صحار.

فلمّا علم عمير بن حمير بما جرى على إخوته وبني عمِّه، وهو يومئذٍ في بهلا، اعتقد عقيدة الحزم، وتسربل سربال العزم، وآلى ألَّا [٢٢٢-أ] يرجع عن صحار حتَّى يحصدهم بالسيف، ويحرقهم بالنّار، ويبدّد شملهم في كلِّ دار.

فأخذ في جمع العساكر من البرّ والبحر، حتَّى وافاه خلق كثير، وركب هو إلى مسقط، ليحمل قوماً منها، وأرسل إلى ملك هرموز، فأتاه بعدَّة من الرجال على مراكب، ووصل مع هذه القضيَّة مركب من الهند، وفيه عسكر كثيرة وآلة حربه كاملة، فقذفته الريح إلى مسقط. وكان مراده

---

(١) وردت في النسختين (أ) و(ب): (ممباسة) والصحيح ما أثبتناه في النص.

أن يمضي إلى فارس، فأخذه عمير بن حمير، ومضى هو ومن أَسَرَهُ من النَّصارى من المركب الَّذي ذكرناه إلى بلدة السّيب.

فلمّا مضت له فيها [١٤٩-ب] أيام، وسمع بخبره محمَّد بن جفير، وكان مقامه ببلدة السيب، مضى إلى صحار، لينصر محمَّد بن مهنَّا.

فلمّا وصل، أدخله الحصن هو وقومه، وفرح به محمَّد فرحاً شديداً. فلمّا استقر محمَّد بن مهنَّا المذكور في الحصن أغراه الطمع بأخذه، فأمر عبداً من عبيده سراً أن يقبض محمَّد بن مهنَّا، وهو قد خرج من الحصن لبعض الحوائج، وندب قومه إلى أخذ الحصن، وكان بعض قومه في برج من بروج الحصن، فوقعت الصَّيحة في الحصن، واستحر الحرب والقتل ساعة طويلة، ورجع محمَّد بن جفير وقومه.

فلمّا بلغ هذا الخبر إلى عمير بن حمير، مضى إلى صحار بمن عنده من القوم برّاً وبحراً، ودخل صحار يوم التاسع من ربيع الآخر، فاستقام فيهم القتال من أول النهار إلى الليل، ومكث القوم، كلٌّ مكانه، ثُمَّ بعد يوم أو يومين هبطت النَّصارى من المراكب بما عندهم من آلة الحرب، فجعلوا يجرّون قفع القطن أمامهم لتقيهم رصاص المدافع، وكان معهم مدفع يجرونه على أعجال الخشب في البرّ، وكان في جانب الدار برج لمحمَّد بن مهنَّا، وفيه رجال كثيرة، فجرت عليه النصارى [٢٢٣-أ] قطع القطن، فأكثروا عليه الضَّرب بالمدافع حتَّى انهدم بعضه، وخرج الَّذين فيه، فدخلته النَّصارى.

فلمّا علم محمَّد بن مهنَّا بذلك، ندب قومه، ووقع بينه وبين النَّصارى قتال على البرج المذكور في تلك الليلة، فقتل عند ذلك علي بن ذهل، ومحمَّد بن مهنَّا الهديفي.

فلمّا علم عمير بقتلهما، استصرخ قومه إلى القتال، فلمّا أتوه، مضى

بهم إلى صحار، ونهض إليه عمير، فالتقى الجمعان بكبد صحار، فاستقامت الحرب بينهم على ساق، فانكشف يومئذٍ جمع سلطان بن حمير، وقتل من أصحابه خلق كثير، وقتل من أهل صحار أيضاً رجال كثير، ورجع عمير إلى بلدة سمايل مسروراً.

وكان يومئذٍ مخزوم بن فلاح متولياً حصن ينقل، فقبض من القوم رجلين، فقتل أحدهما، وبقي الثاني جريحاً، وهم يظنونه قتيلاً، فأتاه رجل من أهل ينقل ليلاً، فحمله إلى داره، فأطعمه وسقاه، وعالجه حتَّى شفاه الله، فأطلقه بعد ذلك، فعاش زماناً طويلاً.

فلمّا علم نبهان بن فلاح بموت أخيه، ركب من مقنيَّات إلى ينقل، وجعل فيها والياً من قبله، ورجع هو إلى مقنيَّات، وكان مقامه فيها بعد خروجه من بهلا ثلاثين شهراً.

ثُمَّ إن نبهان بن فلاح انتقل من مقنيَّات إلى ينقل، وترك بعض عساكره في حصن مقنيَّات، وكانوا قد ملوه لكثرة جوره وبغيه، وعزم أن يهجم عليه أهلها في حصنه ليقتلوه، وبعثوا رجلاً إلى عمير بن حمير، ورجلاً إلى سيف بن محمَّد الهنائي، لينتصروا بهما عليه.

فلمّا وصل سيف بن محمَّد، وعمير بمن معهما من القوم، دخلوا حصن مقنيَّات بغير قتال، وأقاموا مدَّة أيام.

ثُمَّ ركب بعض قومهما إلى ينقل، فلمّا علم بهم نبهان بن فلاح، خاف على نفسه، فركب هو ومعه أربعة من الرجال إلى دار أخواله الريايسة، وذلك لاثني عشر يوماً من شهر صفر سنة ست وعشرين من بعد الألف.

وأقام عمير بن حمير وسيف بن محمَّد بمقنيَّات وينقل أياماً، ثُمَّ إن عمير وهب البلاد لأهلها، يأكلونها هنيئاً مريئاً، ورجع إلى مقنيات، فلمّا

وصلها أرسل إلى أهلها، يسألهم عما كان يأخذ منهم نبهان، فقيل: إنه كان يأخذ نصف غلَّة النَّخل، وربع الزَّرع، [٢٢٤-أ] فعرض عليهم عمير بن حمير العشر من الزَّرع، وأموال بيت المال لمن أقام بالحصن.

وجعل [١٥٠-ب] في الحصن عمير بن محمَّد بن أبي سعيد، ورجع عمير بن حمير وسيف بن محمَّد إلى بهلا.

ثُمَّ إنَّ نبهان بن فلاح أخذ قوماً من أخواله أولاد الريِّس، فوصل بهم إلى الظَّاهرة، ودخل توام، وأقام بها مدَّة أيام.

ثُمَّ جاءه واحد من خاصته الَّذين هم بينقل، فقالوا له: نحن لندخلنَّك ينقل، ونثبت قدمك فيها، ونشدّ عضدك، وننصرك على القوم، ونستفتح لك الحصن.

فسار بمن معه من القوم، فدخلوا ينقل ليلة النصف من ربيع الثاني سنة ست وعشرين بعد الألف، فاستولى على مقابض البلاد طراً ماخلا الحصن، وكان به رجال من بني علي، فتحصنوا في الحصن، فأحدق بهم نبهان، وحصرهم حصراً شديداً، واستقامت الحرب بينهم على ساق.

فخرج رجل من أهل الحصن إلى قطن بن قطن(١)، وناصر بن

(١) قطن بن قطن: قطن بن قطن الهلالي، أحد زعماء بني هلال، زعيم، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، كان مسكنه في بادية الشمال، له حصن شاهق في بلدة الأفلاج الواقعة إلى الشمال الغربي من عبري من ظاهرة عُمان، كانت بينه وبين الإمام ناصر بن مرشد وقائع مشهورة، استولى على حصن بات، ولم يبرحه حتى حاصر أتباع الإمام ناصر بن مرشد الحصن، واستولوا على إبله، مما اضطره إلى تسليم الحصن، ومغادرته فدية لإبله. انظر: دليل أعلام عُمان، ص١٣٣. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٣٥٢.

ناصر[١] الهلاليين، فدعوهما إلى النّصرة على عمير بن حمير النبهاني، فمضى مع المستصرخ محمَّد بن جفير المتَوَلّي أمر الحصن من قبل نبهان ابن فلاح، فعظم بينهم النزال، وتفاقم بينهم القتال، فانكسر عسكر نبهان ابن فلاح، فمنهم من قتل، ومنهم من طلب التّسيار، فخرجوا من البلد متبدّدين، لا يلتفت الأول منهم إلى الآخر.

قلت: وقطن بن قطن، وناصر بن ناصر الهلاليّان المذكوران مسكنهما يومئذٍ مع بادية الشّمال، وبلغ الخبر إلى سيف بن محمَّد الهنائي، أن نبهان بن فلاح دخل ينقل، فمضى بعساكره ليقاتل نبهان، فلمّا كان ببعض الطّريق، بلغه ما وقع على نبهان بن فلاح من الانكسار، وأنه قد خرج من البلد قسراً، وشُرّد قهراً.

فرجع سيف إلى بهلا، وأما عمير بن حمير فإنه كان يومئذٍ في اشتغال، جمع العساكر لينصر بهم السُّلطان مالك بن أبي العرب اليعربي[٢]

(١) ناصر بن ناصر: ناصر بن ناصر بن قطن، أحد زعماء آل قطن، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، كان أحد قادة الجيش الذي توجّه لمحاربة نبهان بن فلاح في ينقل، وإخراجه منها، تغلب على ينقل، وتحصن فيها ضدّ الإمام ناصر بن مرشد، فتوجّه إليه الإمام على رأس جيش، وانتصر عليه، وأخرجه من ينقل، وظل ناصر على ظلمه وبغيه، ينهب، ويسلب، ويقطع الطريق، حتى سيّر له الإمام جيشاً في شمال عُمان، هزمه شرّ هزيمة، فهرب. انظر: دليل أعلام عُمان، ص١٦١.

(٢) مالك بن أبي العرب بن سلطان اليعربي: أمير، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، كان بالرستاق، وهو جدّ الإمام ناصر بن مرشد بن مالك اليعربي، كانت له مكانة رفيعة بين أمراء عصره، وقعت بينه وبين بني لمك في الرستاق معارك عظيمة. انظر: دليل أعلام عُمان، ص١٤٢. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٣٦٠-٣٦١.

على بني لمك[١]، فهجم على بني لمك بعد ما فرغ من جميع العساكر، فكانت الدائرة على بني لمك، ولبث سيف بن محمَّد في بهلا.

---

(١) بنو لمك: قبيلة قحطانية، يتصل نسبها إلى كندة بن عفير بن عدي بن الحارث بن مرّة ابن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب ابن قحطان بن هود النبي عليه الصلاة والسلام، والمفرد: اللمكي. انظر: الخروصي، سليمان بن خلف بن محمد: ملامح من التاريخ العُماني، ص٢٥٥.

أئمة عُمان

في عهد النباهنة

◆ **[الإمام أبو الحسن عبدالله بن خميس بن عامر الأزدي]:**

قلت: ولمَّا اشتد فساد بني نبهان بعُمان، وصار منهم أهل عُمان في امتهان، [٢٢٥-أ] اجتمع أكابر أهل عُمان لإزالة الجور والفساد والطّغيان، فعقدوا من بعد موت مالك بن الحواري بسبع سنين لأبي الحسن عبدالله بن خميس بن عامر الأزدي يوم الخميس في شهر رمضان سنة ثُمَّانمائة وتسع وثلاثين سنة، ومات ولم ينكر عليه أحد شيئاً، سنة ثُمَّانمائة وست وأربعين سنة يوم السبت وواحد وعشرين من ذي القعدة.

◆ **[الإمام عمر بن الخطاب بن محمَّد الخروصي]:**

ثُمَّ عقدوا للإمام عمر بن الخطاب بن محمَّد بن أحمد بن شاذان بن صلت اليحمدي الأزدي الخروصي، سنة ثُمَّانمائة وخمس [وثمانين][(١)] سنة، وهو الَّذي حاز أموال بني نبهان، وأطلقها لمن عنده من الشُّراة،

---

(١) سقطت من النسختين (أ) و(ب). وما أثبتناه في النص استدراك من: ابن رزيق، حميد ابن محمد: الصحيفة القحطانية، ج٥، ص١٢٩.

وذلك أنَّ المسلمين اجتمعوا، ونظروا في الدماء التي سفكها بنو نبهان، والأموال النى اغتصبوها ظلماً، فوجدوها أكثر من قيمة أموالهم.

وكان يومئذٍ القاضي الشَّيخ محمَّد بن سليمان بن أحمد بن مفرّج[١] [وكيلاً لملوك بني نبهان، فقضى أحمد بن صالح[٢] بن محمد بن عمر][٣]

---

(١) محمد بن سليمان بن سليمان أحمد بن مفرج: هو العلامة القاضي المجاهد، محمد بن سليمان بن أحمد بن مفرج البهلوي، وهو ابن عم العلامة أحمد بن مفرج بن أحمد بن مفرج. والشيخ محمد بن سليمان، من علماء النصف الثاني من القرن التاسع الهجري، وكان من المجتهدين في عودة الإمامة، ومن أبرز العلماء الذين بايعوا الإمام عمر بن الخطاب بن محمد الخروصي سنة ٨٨٥هـ، ولمّا أراد الإمام عمر تفريق أموال ملوك بني نبهان، كان الشيخ محمد بن سليمان من القائمين والمؤدين لإنفاذ حكم التفريق. كان العلامة محمد بن سليمان، شيخ العلماء في دولة الإمام عمر بن الخطاب الخروصي، ومن مشهوري قضاة زمانه، وقد اختاره المسلمون، فعقدوا له الإمامة سنة ٨٩٤هـ، وكأنه عُزل أو اعتزل، ثم بايعوه مرّة أخرى بعد مبايعتهم لعمر الشريف. انظر: البطاشي، سيف ابن حمود بن حامد: إتحاف الأعيان، ج٣، ص٢٣-٢٦.

(٢) أحمد بن صالح بن محمد بن عمر: هو العلامة الشيخ القاضي أحمد بن صالح بن عمر بن أحمد بن مفرج، عُيّن وكيلاً لملوك بني نبهان عندما قرر الإمام عمر بن الخطاب الخروصي تفريق أموالهم، فمضى أحمد بن صالح جميع مال آل نبهان، من أموال، وعروض، ونخيل، وبيوت، وأسلحة، وآنية، وغلل، وتمر، وسكر، وجميع مالهم، كائناً ما كان، من ماء، وبيوت، وأطوى، وأثاث، وأمتعة، ودور، قضاءً ثابتاً واجباً، فصارت هذه الأموال بالقضاء الكائن الصحيح للمظلومين، وللإمام أن يقبض الأموال المغيبة، وأموال الفقراء، ومال من لا ربَّ له، يجعله في عزّ دولة المسلمين. انظر: البطاشي، سيف بن حمود بن حامد: إتحاف الأعيان، ج٣، ص٢٤.

(٣) سقطت الجملة من النسختين (أ) و(ب) والعبارة مضطربة. الصحيح ما أثبتناه في النص نقلاً عن: بن رزيق، حميد بن محمد: الصحيفة القحطانية، ج٥، ص١٢٩. وانظر أيضاً: البطاشي، سيف بن حمود بن حامد: إتحاف الأعيان، ج٣، ص٢٤.

أن جميع مال آل نبهان من أموال، وأراضٍ، ونخيل، وبيوت، وأسلحة، وآنية، وغلة، وجميع مالهم كائناً ما كان بيت مال.

وقيل: قضى الشَّيخ [أحمد بن صالح][1] بن عمر من المظلومين من أهل عُمان من حضر منهم ومن غاب، وكبر أو صغر، الأنثى منهم والذكر، فصارت هذه الأموال المغتصبة بالقضاء الكائن الصحيح للمظلومين، وقد جهلت معرفة حقوقهم الكليَّة، ولم يحيطوا بها علماً، ولم يدركوا لها قسماً، وكل ما لا يعرف قسمه، فأربابه مجهولون، راجع إلى الفقراء، فالإمام العدل عند وجوده أولى بقبضه وتصرفه في إعزاز دولة المسلمين، والقيام بها، وكل من أصح حقه وأثبته [١٥١-ب] فهو له من أموالهم، ويحاسب بالتجزئة بما يصح له بقسطه، إن أدرك ذلك، وإن لم يدرك التحرية، ولم يحط بها، فذلك النَّصيب نصيب غير معلوم، وهو مجهول للفقراء، والإمام يقبض الأموال المغيّبة، وأموال الفقراء، وما لا ربّ له، يجعله في إعزاز دولة المسلمين.

قال غيره: وفي هذه المسألة اختلاف، رجع، وقد صح هذا الحكم والقضاء فيه، فمن بدّله بعد ما سمعه، فإنما إثُمّه على الّذين يبدلونه [٢٢٦-أ] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[2].

وكان هذا الحكم ليلة الأربعاء لسبع ليالٍ خلون من جمادى الآخرة من سنة ثُمَّانمائة وثمانٍ وثُمَّانين، وكان هذا في عقده الثاني، لأنه لما نصب أولاً، أقام سنة، وخرج عليه سليمان بن سليمان بن مظفر النبهاني،

(١) ورد في النسختين (أ) و(ب): (محمد بن عمر) والصحيح ما أثبتناه في النص نقلاً عن: بن رزيق، حميد بن محمد: الصحيفة القحطانية، ج٥، ص١٣٠. وانظر أيضاً: البطاشي، سيف بن حمود بن حامد: إتحاف الأعيان، ج٣، ص٢٤.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ١٧.

فانكسر عمر بن الخطاب وعسكره بحممت من وادي سمائل، ثُمَّ نصبه ثانية الشَّيخ محمَّد بن سليمان بن أحمد بن مفرج القاضي المذكور سنة أربعة وتسعين بعد الثُّمَّانمائة من الهجرة النبوية.

◈ [الإمام عمر الشريف]:

ثُمَّ نصب من بعده عمر الشريف[١]، وأقام سنة، فلاذ ببهلا.

◈ [الإمام محمَّد بن سليمان]:

فنصب أهل نزوى محمَّد بن سليمان ثانية.

◈ [الإمام أحمد بن عمر بن محمَّد الربخي]:

ثُمَّ عقد لأحمد بن [عمر بن][٢] محمَّد الربخي بعده[٣].

---

(١) عمر الشريف: من أئمة القرن التاسع الهجري، بويع بالإمامة بعد الإمام محمد بن سليمان بن أحمد بن مفرج الذي لم يطل عهده، وظل عمر الشريف في الإمامة سنة كاملة، ثم خرج من نزوى إلى بهلا، فبايع أهل نزوى إماماً بعده هو أحمد بن عمر الربخي. انظر: ابن رزيق، حميد بن محمد: الصحيفة القحطانية، ج٥، ص١٣٥. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٣٢٤.

(٢) سقطت من النسختين (أ) و(ب) وما أثبتناه في النص استدراك من: بن رزيق، حميد ابن محمد: الصحيفة القحطانية، ج٥، ص١٣٥.

(٣) أحمد بن عمر بن محمد الربخي البهلوي، نسبة إلى قرية بهلا، من داخلية عُمان: عُقد له بالإمامة بعد عمر الشريف، وكان مسكنه ضنك من الظاهرة، والرباخ هؤلاء يمنيو النسب، قليلو العدد، ومنهم الرباخ أهل إقليم طيوي. وبقي في الإمامة حتى وفاته بنزوى حيث دفن فيها. انظر: بن رزيق، حميد بن محمد: الصحيفة القحطانية، ج٥، ص١٣٥. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٥٨.

◆ [الإمام أبو الحسن بن عبد السَّلام]:

فلمّا مات عقد لأبي الحسن بن عبد السَّلام، وأقام في الإمامة دون سنة، فخرج عليه سليمان بن سليمان بن مظفر، فمات أبو الحسن عند خروج سليمان بن سليمان عليه[1].

◆ [الإمام محمَّد بن إسماعيل]:

ثُمَّ عقد لمحمَّد بن إسماعيل السَّاكن الحارة الغربية من سكة باب النزار من إزكي، وسبب ذلك أن سليمان بن سليمان بن مظفر النبهاني لمَّا كثر فساده في البلاد، وجوره في العباد، لم يزل يسمع هاتفاً لا يرى شخصه، إذا خلا في غرفته التي هي بحصن بهلا، وإذا تخلّى من خاصته والعامة، يقول له: تمتعوا يا بني نبهان أياماً قليلة، فإن ملككم سريع الزوال، فتأهبوا للارتحال، أو مثل ما قال ذلك الهاتف له من المقال، فارتاع سليمان من ذلك، وكثر حزنه، فقال له بعض خاصَّته الفسَّاق: أراك أيها السُّلطان في ضيق، فوضّح لي عن الحقّيقة في هذه الطَّريقة.

---

(١) سليمان بن سليمان: سليمان بن سليمان بن مظفر النبهاني، ملك، قائد، وشاعر بليغ، عاش في القرن التاسع وأول القرن العاشر الهجريين، من ولاية بهلا، نشأ نشأة ناعمة، فقد كان أبوه وجدّه ملكين، وقد تعلم في صباه مبادئ القراءة والكتابة والحساب في بلده، وأخذ العربية والأدب عن علماء الرعيّة النبهانية. كان قائداً حربياً بمعنى الكلمة، وخاص حروباً عديدة ضدّ أخيه حسام حيناً، وضدّ الأئمة الإباضيين حيناً آخر، تأثر الشاعر سليمان بن سليمان بما قرأه من كتب العرب القديمة ودواوين الشعر في العصرين الجاهلي والإسلامي، فجاء شعره في غاية الجزالة والقوّة. وقد ترك ديواناً حافلاً بالفخر والحماسة والغزل والحكمة، وقد طبعته وزارة الثقافة والتراث. انظر: السعدي، فهد بن علي بن هاشل: معجم شعراء الإباضية، ص١٩٦-١٩٧.

فلمّا أخبره بما يسمعه من الهاتف، قال له: إنها لوساوس، يوحي بها الشَّيطان على أهل الجنان، فإذا أردت أن يذهب هذا الوسواس عنك، امضِ على حين غفلة من أهل بهلا إلى نزوى، فإنَّ فيها ما يشتهيه قلبك، وتقر به عينك.

وفي حال ما قاله له صاحبه ذلك المقال، ركب هو وصاحبه ناقتيهما إلى نزوى، فدخلاها ليلاً، فأقاما في بيت السَّلطنة الَّذي بناه فيها [٢٢٧-أ] سليمان بن سليمان له خاصَّة.

فلمّا كان من صباح تلك الليلة، وقت صيام النهار، شهد سليمان امرأة تسعى إلى فلج الغنتق، فترك صاحبه، ومضى إليها، في إثرها، وهي لا تشعر به، فهجم عليها قبل أن تخلع ثيابها للغسل، فهربت منه، فتبعها، حتَّى إذا كانا دون حارة الوادي، وكان قد خرج محمَّد بن إسماعيل، فاستجارت به المرأة، وسألته أن يمنعه عنها، فقبض محمَّد بن إسماعيل على سليمان بن سليمان المذكور، وصرعه إلى الأرض، ثُمَّ جرّد خنجره على حنجرته فذبحه بها، ودخلت المرأة الحجرة، ودخل هو حلة العقر، فأخبر رجالها بالخبر، فسرَّهم ما فعله في سليمان، وسرّ أهل الحواير وغيرهم ما فعله محمَّد في الفاسق الجائر، فنصَّبوه إماماً، وذلك سنة ست وتسعمائة سنة.

فسار محمَّد بن إسماعيل في الإمامة سيرة صالحة.

◆ [الإمام بركات بن محمَّد بن إسماعيل]:

فلمّا توفي نصب مكانه ولده بركات بن محمَّد بن إسماعيل في اليوم الَّذي مات فيه أبوه.

ثُمَّ لمَّا كان يوم السبت لعشر ليالٍ بقين من المحرم سنة خمس وستين بعد تسعمائة سنة، خرج بركات بن محمَّد المذكور من حصن بهلا يريد نزوى، فدخله محمَّد بن جفير بن علي بن هلال الجبري، وذلك بعد أن دخل

[١٥٢-ب] السُّلطان سلطان بن المحسن بن سليمان بن نبهان[١] نزوى، وملكها في سنة أربع وستين وتسعمائة، فثبت حصن بهلا في يد محمَّد بن جفير إلى أن اشتراه منه آل حمير بثلاثُمِّائة لك[٢]. ودخل آل عمير حصن بهلا، يوم الثلاثاء لتسع ليالٍ بقين من جمادى الآخرة سنة سبع وستين وتسعمائة.

قال صاحب كتاب «كشف الغمة»: ولعل عمر بن القاسم الفضيلي[٣] كان في أيام بركات بن محمَّد بن إسماعيل، والله أعلم.

◆ [الإمام عبدالله بن محمَّد القرن الهنائي]:

ثُمَّ نصب بعد بركات بن محمَّد بن إسماعيل المذكور عبدالله بن محمَّد القرن الهنائي، في منح يوم الجمعة لخمسة عشر يوماً من شهر رجب سنة سبع وستين وتسعمائة، ودخل حصن بهلا يوم الاثنين لليلتين بقيتا من [٢٢٨-أ] هذا الشهر من هذه السَّنة.

---

(١) سلطان بن المحسن بن سليمان: سلطان بن المحسن بن سليمان النبهاني، أحد ملوك النباهنة المتأخرين بنزوى، ومؤسس الأسرة النبهانية الثانية، خرج بقومه على الإمام بركات بن محمد سنة ٩٦٤هـ أثناء توجه الإمام بركات إلى بهلا لاسترجاعها من يد الإمام عبدالله القرن، فسيطر على نزوى التي كانت في ذلك الوقت حاضرة عُمان الداخلية، واستمر ملكه تسع سنين ومات سنة ٩٧٣هـ، وترك ثلاثة أولاد، هم: المظفر الذي ورث حكم عُمان بعد أبيه، وطهماس، وسلطان. انظر: دليل أعلام عُمان، ص٨٢.

(٢) لك: اسم العملة المتداولة في عُمان آنذاك.

(٣) عمر بن القاسم الفضيلي: إمام عاش في القرن العاشر الهجري، تولى حكم عُمان عندما سخط أهلها على الإمام بركات بن محمد بن إسماعيل، فرضي الشيخ الفقيه أحمد بن مداد، ومعه كثير من أهل عُمان بإمامته، وبايعوه، ودخل مدينة منح، ثم حصن بهلا سنة ٩٦٧هـ، ولم يبقَ وقتاً طويلاً، إذ انقلب عليه أهل عُمان، وبايعوا عبدالله بن محمد القرن إماماً لهم. انظر: دليل أعلام عُمان، ص١٢٠. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٣٢٣.

ولمَّا كان ليلة الأربعاء لثلاث بقين من شهر رمضان سنة ثُمَّان وستين وتسعمائة، دخل بركات بن محمَّد بن إسماعيل حصن بهلا، وأخرج منه عبدالله بن محمَّد القرن، وكان الشَّيخ أحمد بن مدَّاد[١] يبرأ من محمَّد بن إسماعيل وولده بركات، وله في ذلك سيرة طويلة[٢]، تركتها طلب الاختصار، وكل مخصوص بعلمه.

وبالجملة إن ملوك بني نبهان لم يكن منهم إمام ولا ملك عادل يرضى به ربّ الأنام[٣]، بل كان أكثرهم أهل جور وظلم، فهم فيه يعمهون، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[٤].

---

(١) أحمد بن مداد: العلّامة الفقيه، العارف النحرير أحمد بن مدّاد بن محمد الناعبي العقري النزوي، أحد أقطاب العلم والعمل بنزوى، من ذرية آل مدّاد، الذين طبق الأرض صيتهم، واشتهروا بالعلم والفضل، فكانوا قادة للمسلمين، وحماة للدين، وسعاة لمرضاة رب العالمين، عاش في أوائل القرن العاشر الهجري، في عهد الإمام محمد بن بركات، وللشيخ أحمد رأي في إمامة بركات ابن محمد بن إسماعيل، فهو ومن معه من الفقهاء يبرأون من بركات بحجة أنه لم يحمِ الديار، وعلى هذا ليس له أخذ الصدقة من الناس، انظر: الفارسي، ناصر بن منصور: نزوى عبر الأيام معالم وأعلام، ص١٤٥-١٤٦. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٦٢.

(٢) انظر التفاصيل في: بن رزيق، حميد بن محمد: الصحيفة القحطانية، ج٥، ص١٣٩-١٤٥.

(٣) إن أغلب المؤرخين قد رمى النباهنة بصفة الجور والظلم، ولم يكن بن رزيق مبتدعاً في هذا حين أشار في هذه العبارة إلى أنه لم يكن منهم إمام ولا ملك عادل يرضى به رب الأنام، ولا شكّ أن هذا القول فيه ما فيه من التعميم، حيث أننا لا نعرف من تاريخ النباهنة إلّا النذر اليسير، ولا من سمات ملوكهم إلّا ما تناثر في بعض كتب الفقه والموسوعات وبعض دواوين الشعراء الذين خلّدوا ذكرهم، وبذلك فإنه على الباحثين أن يعيدوا النظر لانصاف النباهنة على العموم.

(٤) سورة إبراهيم، الآية: ٤٢.

أئمة عُمان في عهد اليعاربة

(١٠٣٤-١١٥٤هـ/ ١٦٢٤-١٧٤١م)

◆ **[الإمام ناصر بن مرشدّ اليعربي (١٠٣٤-١٠٥٩هـ/١٦٢٤-١٦٤٩م)]:**

فلمَّا قضى الله بكَشْفِ الضرّ عن عُمان وأهلها، ويضيء بالعدل وعرها وسهلها، أظهر لها شمس الهدى، السَّاقي العدا، أهل الاعتداء، كأس الرَّدى وهو الإمام الهمامُ الأرشد، ناصر بن مرشدّ بن سلطان بن مالك بن بلعرب بن سلطان بن أبي العرب بن محمَّد بن يعرب بن سلطان بن حمير ابن مزاحم بن يعرب بن محمَّد بن يعرب بن مالك بن يعرب بن مالك بن يعرب اليعربي، العربي، الحميري، الأزدي، اليمني، الإباضي، الاستقامي، (رحمه الله) وغفر له.

فهذا بما اتضح عندي من تسلسل نسبه على لسان أهل العلم بالنَّسب والحسب والله أعلم بالصَّواب، وبه يصاب فصل الخطاب.

وظهور هذا الإمام العادل بعُمان بعدما اختلفت آراء أهل الرُّستاق، ووقعت بينهم الإحنة والمحنة والشِّقاق، في أمور شتَّى، وملكهم يومئذٍ مالك بن أبي العرب اليعربي، فتشاور علماء المسلمين، أهل الاستقامة في الدّين، أن ينصبوا لهم إماماً، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فأمضوا نظرهم وفكرهم في من يكون أهلَا لذلك، والقدوة يومئذٍ الشَّيخ العالم،

الورع خميس بن سعيد الشَّقصي[١]، فاجتمعت آراؤهم أن ينصبوا النَّدب الهمام الأرشدّ ناصر بن مرشدّ، فحضروا، وحضر معهم، فنصّوا[٢٢٩-أ] عليه، ورغبَّوه في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وكان المجتمعون لذلك الشَّأن، وهو واحدهم، سبعين رجلاً، من جهابذة العلماء الأعلام، لا يطوون عزائمهم إذا نشروا للحرب عَلَمَ الأعلام، شمُّ الأنوف، يتواثبون إلى الصّفوف، كآساد الشّرى، شراة يرون من باع نفسه في سبيل الله بها حياته اشترى.

استقاميةٌ لهمْ في الجهادِ	وثباتُ القَسَاورِ الآسادِ
قاليهم منهُ أمرُّ المنايا	لا يشكّ المنيبُ أمرَ المرادِ
مقتوا كُلَّ مائلٍ لضلالٍ	فغدا حدّهم لهُ بالجِدادِ
لم تذرْ بيضُهم[٢] عنيداً ولا سمراً[٣]	وبيضاً إلى أهيل العِنادِ

(١) خميس بن سعيد الشقصي: هو الشيخ العالم العلّامة الفقيه خميس بن سعيد بن علي ابن مسعود بن عبدالله بن زياد الشقصي الرستاقي، نسبة إلى أبي الشقص، يُعدُّ من مشهوري علماء عُمان في القرن الحادي عشر الميلادي، ومن المؤلفين والمتصدرين في الفتيا، من مؤلفاته كتاب «منهج الطالبين» في أربعة وعشرين جزءاً. و«منهج المريدين» اختصر فيه منهج الطالبين، يوجد منه بعض الأجزاء بمكتبة وزارة التراث والثقافة برقم (٣٠٥٤) والشيخ خميس هو الذي أشار على بعض إخوانه من العلماء والأكابر بالبيعة للإمام ناصر بن مرشد (رحمه الله) لما عرف من فضله وزهده وورعه، وكان ربيباً له، فبايعوه بالإمامة، وصار الشيخ خميس أحد أركان دولته، وقاضيه، وقائد جيشه لحرب البرتغال في مسقط. وللشيخ خميس من الأولاد: سعيد، ومحمد، وراشد، وعلي، وناصر، وجعروف، وسليم. انظر: البطاشي، سيف ابن حمود بن حامد: إتحاف الأعيان، ج٣، ص١٤٩-١٥٩.

(٢) بيضهم: البيض هي السيوف.

(٣) السّمر: هي الرماح.

لَمْ يرعهمْ ضربُ الرقاب ولا طعـ ـنُ صدورٍ بالذابلاتِ[١] الصِّعادِ
إنما الضَّربُ عندهمْ ضربُ والـ ـطعنُ قندٌ[٢] يومَ الوغى والجلادِ[٣]

[١٥٣-ب] فأجابهم على ذلك بعد عذر طويل، فعقدوا له في عام أربع وثلاثين بعد الألف، وكان مسكنه يومئذٍ بقصرى من بلدة الرُّستاق على الاتفاق.

وملك الرُّستاق يومئذٍ مالك بن أبي العرب، وملك نخل سلطان بن أبي العرب[٤]، وملك سمايل مانع بن سنان العميري، وملك سمد الشَّأن علي بن قطن الهلالي، وملك إبرا محمَّد بن جفير[٥]، وإزكي بيد بني

---

(١) الذابلات: أسنّة الرماح.

(٢) القند: عسل قصب السكر.

(٣) انظر الأبيات في: بن رزيق حميد بن محمد: الصحيفة القحطانية، ج٥، ص١٨٨.

(٤) سلطان بن أبي العرب بن مالك بن أبي العرب: والٍ، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، وهو ابن عم الإمام ناصر بن مرشد اليعربي، تولى الزعامة على نخل قبيل قيام دولة الإمام ناصر بن مرشد اليعربي، الذي حاربه وانتزع منه نخل. انظر: دليل أعلام عُمان، ص٨١. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٢١٠.

(٥) محمد بن جفير: محمد بن جفير بن جبر الجبري، والٍ، كان والياً على إبرا، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، حارب مع أهل نزوى بجيش عظيم ضدّ الملك سليمان بن مظفر، ودانت له سائر الشرقية، ما خلا صور وقريات، فإنهما كانتا في أيدي البرتغاليين، وكانت بينه وبين الإمام ناصر بن مرشد اليعربي معارك متعددة، انتهت بهزيمة محمد بن جفير وقتله. انظر: دليل أعلام عُمان، ص١٤٤. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٣٨٣-٣٨٤.

عزرة[١]، ونزوى بيد أهل العقر، ومنح بيد اللغابرة[٢]، وحصن بهلا[٣]، وحصن بلاد سيت بيد سيف بن محمَّد الهنائي، وحصن الغبّي بيد بني هلال[٤]، وحصن مقنيَّات وبات بيد الجبور، وحصن ينقل بيد ناصر بن قطن الهلالي، وحصون توام بيد بني هلال، وحصن لوى بيد سيف بن محمَّد بن جفير، وحصن جلفار بيد العجمي الملقب ناصر الدّين.

وأمّا صحار ومسقط وقرِّيات وصور بيد النَّصارى[٥]، على ما رواه الجمهور.

فعضدَتْ الإمام الأمجد رجال اليحمد بأنفسهم، وأمدّوه بذخائرهم

---

(١) بنو عزرة: قبيلة عدنانية، يتصل نسبها إلى عزرة بن سامة بن لؤي بن غالب بن فهر ابن مالك بن النضر (وهو قريش) ابن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر ابن نزار بن سعد بن عدنان، والمفرد: العزري. انظر: الخروصي، سليمان بن خلف بن محمد: ملامح من التاريخ العُماني، ص٢٧٣-٢٧٤.

(٢) الأغابرة: قبيلة عدنانية، تنسب إلى الجبور، والنسب معروف، والمفرد: الأغبري. انظر: الخروصي، سليمان بن خلف بن محمد: ملامح من التاريخ العُماني، ص٢٧٩.

(٣) حصن بهلا: شُيدت قلعة بهلا في الأول الأُولى قبل الميلاد، ومن المسلّم به أنها لم تحتفظ بطابعها الذي وجدت عليه قبل الإسلام، وإنما أُدخلت عليها تعديلات وإضافات في عهد النباهنة والأئمة البوسعيديين. انظر التفاصيل في: الخروصي، سليمان بن خلف بن محمد: ملامح من التاريخ العُماني، ص٢٦٢.

(٤) بنو هلال: قبيلة عدنانية، يتصل نسبها إلى هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان ابن مضر بن نزار ابن سعد بن عدنان. والمفرد: الهلالي. انظر: الخروصي، سليمان بن خلف بن محمد: ملامح من التاريخ العُماني، ص٢٨١.

(٥) النصارى: أي البريغاليون الذي كانوا يسيطرون على هذه المدن منذ عام ١٥٠٧م.

وأموالهم في سبيل الله، فبلغنا عنه قبل أن يلي الإمامة، [٢٣٠-أ] ويغمر عدله الخاصَّة والعامَّة، مما يتعذَّر حصره على العلماء الأعلام، بجموم الصُّحف والأقلام، مع كثرة اللَّيالي والأيَّام من تفاقم الظُّلم وأندراس العلم بعُمان، فصار أهلها في هوان، وتناهى امتهان، أعراضهم وأموالهم مهتوكة، ودماؤهم مسفوكة، لا ذائد لهم مجير، ولا قائد لهم خفير، ولا نابه يقوم بإصابة الصَّواب، ولا عالم عيلم في المسألة والجواب، حتَّى بلغنا أن ملكاً من ملوك اليعاربة، من أهل وبل الرُّستاق، لمَّا كثر الجهل من الفسَّاق، واضمحلَّ العلم وأهله من عُمان على الإطلاق، لم يحصل له قاضٍ من أهل الاستقامة، ليقضي بين الخاصَّة والعامَّة، فأتي له بقاضٍ من أهل الخلاف، الحائدين عن الإنصاف.

فلمَّا تولى الحكم، استعمل فيه الظّلم، حتَّى أراد أن يدرس به مذهب الاستقامة، وأن يذهب المتمسِّكون به إلى مذهبه المفضي لضدّ السَّلامة، ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ﴾[1]. ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[2]. ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾[3].

قاضٍ يميلُ عن الهُدى — وإلى الضّلالِ يميلُ
فإذا قضى فقضاؤُهُ — لمْ يصطحبهُ دليلُ
فهو الصَّحيحُ معَ الكِذا — بِ معَ الصَّواب عليلُ[4]

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٠٤، ٢٠٥. (٢) سورة المائدة، الآية: ٤٥.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٣٢.

(٤) انظر الأبيات في: بن رزيق، حميد بن محمد: الصحيفة القحطانية، ج٥، ص١٨٦.

فلمَّا سمع أهل عُمان بسوء صنيعه وتشنيعه، بعثوا كتبهم بعزله إلى الَّذي أمره بالحكم، فعزله، وأراح الله العباد من الظلم.

ولمَّا خلصت البيعة للإمام الأرشدّ ناصر بن مرشدّ، مضى بمن معه من الرجال إلى قلعة الرُّستاق، وحصنها، وكان يومئذٍ المالك لهما ولبلدة الرُّستاق على الإطلاق ابن عمِّه مالك بن أبي العرب، اليعربي، فلمَّا رأى راية الإمام، سلّم له الحصن والقلعة بغير طعن سنان وضرب حسام [٢٣١-أ]، ثُمَّ توجه الإمام ومن معه من الجند الكرام إلى نخل، وكان المالك لها ويومئذٍ عمِّه سلطان بن أبي العرب، فحاصره أيَّاماً قلائل، ثُمَّ افتتحها، وكانت فرقة من أهلها غير تابعة للإمام في الباطن، وفي الظَّاهر مسلّمين له الأمر.

فلمَّا رجع الإمام إلى الرُّستاق، نجم بهم النّفاق، فحصروا الحصن، فمضى إليهم برجال اليحمد وغيرهم، فلمَّا دخل نخل بمن معه، بدَّد الله شمل أعدائه، وسُئِل الصَّفح عنهم، والإقالة عمَّا كان منهم، فصفح، وأقال، وولَّى عليهم عبدالله بن سعيد الشَّقصي[1]، ورجع هو ومن معه إلى الرُّستاق، فما كان بعد ذلك إلَّا أيَّاماً قلائل أن قدم رسل أهل نزوى [١٥٤-ب] يدعونه إلى ملكها، فأجابهم إلى ذلك، فسار إليهم بجنده، حتَّى نزل بشرجة صغر من سمد الكندي، فأقام بها ليلة، فلم يوفوا له بما وعدوه، فرجع إلى الرُّستاق، وكان طريقه لمَّا مضى إلى نزوى، ولمَّا رجع منها إلى وادي العقّ، ولم يمضِ إلى سمائل.

فلمَّا وصل إلى الرُّستاق، أتى إليه الشَّيخ أحمد بن سليمان

---

(١) عبدالله بن سعيد الشقصي: لعلّه أخو العلاّمة الشيخ الفقيه خميس بن سعيد الشقصي.

الرَّواحي[١] في جماعة من بني رواحة، ورجال من قبل مانع بن سنان العميري يدعونه إلى ملك سمائل، فأجابهم إلى ذلك، وسار معه رجال اليحمد وغيرهم، فلمّا وصل إلى سمايل، سلّم رجالها له الأمر، فترك بعض قومه عند مانع بن سنان، ومضى بالباقي يريد نزوى، وقد وقع الاتفاق بينه وبين مانع بن سنان وبني رواحة، أن يمضي هو ومن معه من القوم على طريق وادي بني رواحة إلى نزوى، فمضى إليها ومعه القاضي خميس بن سعيد الشقصي، فلمّا وصل إلى بلدة إزكي، سلّم الأمر إليه أهلها، وقبض حصنها، وولى عليهم رجلاً من أخيارهم، ومضى هو ومن معه من العسكر إلى نزوى، فلمّا وصلها بادره أهلها بالطّاعة والانقياد، فأقام في حلّة العقر، فأمر بالمعروف، ونهى عن المنكر.

فلمّا طال مقامه فيها، ملّتْهُ من ملّتهم الحسد وعرض الدّنيا، واجتمعت آراء بني أبي سعيد، وهم يومئذٍ رؤساء أهل العقر، أن يخرجوه منها في يوم جمعة، إذا خرج إلى المسجد الجامع، لصلاة الجمعة [٢٣٢-أ]، فأخبره واحد من أهل الصّلاح بما عزموا عليه من الفساد.

فلمّا تحقق عنده ذلك، أمر بإخلائهم من البلاد، ونهى عن قتلهم والبطش بهم، فتفرقوا في البلدان، فلجأ بعضهم إلى مانع بن سنان العميري، وكان مانع قد عاهد الإمام على اتّباع الحقّ، فنقض في حال وصولهم إليه العهد، وبعضهم انضاف إلى سيف بن محمّد الهنائي، وكان

(١) بنو رواحة: قبيلة عدنانية، يتصل نسبها إلى رواحة بن قطيعة بن لهيعة بن عمرو بن عيسى بن بغيض بن ريث بن غطفان بن غيلان بن مضر بن نزار ابن معد بن عدنان، والمفرد: الرواحي. انظر: الخروصي، سلمان بن خلف بن محمد: ملامح من التاريخ العُماني، ص٢٧٤.

هو يومئذٍ المالك لحصن بهلا، فوازرهم على حرب الإمام، فاستقامت الحرب بينه وبين الإمام على ساق.

وفي تلك الحرب أمر الإمام ببنيان الحصن المتهدم الَّذي بناه الصَّلت ابن مالك، فلمَّا تَمَّ بناء الحصن جاءه أكابر بلدة منح يدعونه إلى إقامة العدل فيهم، فتوجه إليهم، فلمَّا وصلهم سلّموا الحصن إليه، وجعلوا المعوّل بعد الله في الحقّ عليه، فأمر بالمعروف، ونهى عن المنكر.

ثُمَّ رجع إلى نزوى، فأتته أهل سمد الشَّأن يسألونه الوصول إليهم إلى إقامة العدل والإنصاف، وكان المالك يومئذٍ لسمد الشَّأن علي بن قطن الهلالي، فوجَّه الإمام لها جيشاً يموج بالطُّوفان، يقدمه الشَّيخ الفقيه مسعود بن رمضان[١]، فافتتحها مسعود على رغم الحسود، بافتتاح الحصن وطاعة أهل البلد. فمضى الإمام إلى سمد الشَّأن، وبايعه أهلها، فأمر بالمعروف ونهى عن المنكر.

---

(١) مسعود بن ومضان: هو الشيخ العلّامة الفقيه مسعود بن رمضان بن سعيد بن محمد ابن أحمد بن عمر بن نبهان بن ذهل بن محمد بن عمر بن نبهان بن عثمان النبهاني العقري النزوي، كان مسكنه نزوى سمد، ولما نصب الإمام ناصر بن مرشد اليعربي، انتقل إلى عقر نزوى، وكان من قضاة الإمام وولاته، وهو الذي الذي فتح سمد الشأن للإمام ناصر. وكان الشيخ مسعود بن رمضان والياً للإمام ناصر بن مرشد على الباطنة (ولعله يقصد بالباطنة مدينة صحار وتوابعها، أو أن الباطنة كلها كانت ترجع إلى والٍ واحد). وللشيخ مسعود فتاوى كثيرة في الأثر. مات في أيام الإمام ناصر، ورثاه الشيخ محمد بن عبدالله بن عمران المنحي بقصيدة:

يا نكبة حدثتْ من الحدثانِ ... موسومةٌ بخرابِ كل مكانِ
قد بانَ طودُ العلمِ عن نزوى ولم ... نعلمْ بأنْ سيبينُ ركنُ أبانِ
علمُ الهدىَ والدِّينِ ركنُ الحقِّ ... والإسلامِ مسعودُ فتى رمضانِ

انظر: البطاشي، سيف بن حمود بن حامد: إتحاف الأعيان، ج٣، ص٤٨٩-٤٩١.

ثُمَّ أتته أهل إبرا يدعونه إلى إقامة العدل فيهم، وكان المالك لهم يومئذٍ محمَّد بن جفير بن جبر، فبعث الإمام لها جيشاً، أميره مسعود بن رمضان، فافتتحها، ودانت للإمام سائر الشرقيَّة، وانقادت له بالإذعان أرضون جعلان، وما شذّ يومئذٍ عن طاعته إلّا صور وقرَّيات، فإنهما كانتا بيد النَّصارى[١].

فلمَّا رجع الإمام إلى نزوى، جهز جيشاً كثيراً لمحاربة سيف بن محمَّد الهنائي القابض حصن بهلا، فلمَّا كان الجيش بقاع المرخ رأى أميره، وهو مسعود بن رمضان إشارة خيانة من بعض ذلك الجيش لبعضه. فرأى الصَّلاح في الرّجوع، فرجع به [٢٣٣-أ] إلى نزوى، وأخبر الإمام بالقضيَّة.

فترك الإمام في تلك الأيَّام حرب بهلا، وجعل يجمع العساكر، فاجتمع له جمع كثير، فسار بهم إلى الظَّاهرة، فافتتح وادي فدى[٢]، وأمر ببنيان حصنها القديم، وأمحضت النَّصر له أهل علَّاية ضنك[٣]. وكان المقدم عليهم يومئذٍ الشَّيخ خميس بن رويشد[٤].

---

(١) أي بيد البرتغاليين.

(٢) وادي فدى: أحد أودية منطقة الظاهرة في سلطنة عُمان.

(٣) علّاية ضنك: في منطقة الظاهرة.

(٤) خميس بن رويشد بن: هو الشيخ العالم الفقيه خميس بن رويشد بن خميس المجرفي الضنكي، من علماء القرن الحادي عشر الهجري، أيام الإمام ناصر بن مرشد اليعربي (رحمه الله) وهو من ولاته وقادة جيشه، ولما توجه الإمام ناصر إلى الظاهرة، وافتتح وادي فدى، وأمر ببناء حصنها، وناصره أهل العلاية من ضنك، كان الشيخ خميس في مقدمتهم. ولمّا تحركت الظاهرة بعد فتحها، جاء الشيخ خميس يستنصر الإمام، فجهز الإمام جيشاً قاده بنفسه، فافتتح عبري وحصن الغبّي، وولى عليه الشيخ خميس. توفي في عهد الإمام ناصر، وله أرجوزة في الفقه تبلغ مئات الأبيات، أولها: =

فأذعنت له الفيَّالون[1] [١٥٥-ب] والوحاشا. ثُمَّ جعل الإمام بعد أن رجع إلى عُمان يطوف على البلدان الَّتي ملكها، فلمَّا رأى أهلها ثابتين على العهد، غير ناقضين للعقد، رجع إلى الرُّستاق، ومعه من بني ريام رجال كثيرة، فما كان مكثه بالرُّستاق إلَّا قليلاً، إلى أن هجم على نخل محمَّد بن جفير الجبري، فدخلها، واحتوى عليها، ولم يبقَ شيء شاذ عليه من نخل إلَّا حصنها.

فلمَّا علم الإمام بصنيع محمَّد بن جفير بنخل، مضى إليه بجيش خضم، فيه رجال المعاول، وسائر القبائل، فهزم محمَّد بن جفير وجنوده، ورجع بعدما قضى وطره من نخل إلى الرُّستاق، فما كان لبثه بالرُّستاق إلَّا أيَّاماً قلائل، أن أتاه الشَّيخ خميس بن رويشدّ يستنصره على الظَّاهرة، فجهز الإمام لها جيشاً جمَّاً، وسار به حتَّى نزل على الصخبري[2]، وانضافت إليه

= الحمدُ للهِ الذي ليسَ لهُ ... قبلٌ ولا بعدٌ ولا أعدلُه

من خلقهِ شيءٌ من الألوانِ ... من الجماداتِ أو الحيوانِ

وقد رثاه ابن قيصر بقصيدة عينيّة، ووصفه فيها بالتقوى، والقناعة، والعبادة، والزهد، منها:

ألا يا عينُ جودي بالدُّموعِ ... ولا تصغي إلى طيبِ الهجوعِ

ونوحي العالمَ الزاكي خميساً ... عشيّةَ ما استقلَّ من الربوعِ

انظر: البطاشي، سيف بن حمود بن حامد: إتحاف الأعيان، ج٣، ص١٤٤-١٤٩.

(١) الفيّالون: فخذ من قبيلة الجنبة، أبناء جنب بن يزيد بن حرب بن غامد بن مالك بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ابن هود النبي (ﷺ)، والجنبة في صور أربعة أفخاذ: العريميون، والفوارس، ومخانة، والفيالون. انظر: الخروصي، سليمان بن خلف بن محمد: ملامح من التاريخ العُماني، ص٢٥٤.

(٢) الصخبري: قرية في منطقة الظاهرة.

رجال السّر والضحاحكة[١]، فمضى قاصداً بجمعه حصن الغبّي، وفيه يومئذٍ جمهور بني هلال، ومعهم جملة من البدو، والحضر، فاستقامت الحرب بينهم على ساق، وكانت بينهم ملحمة شديدة، قتل فيها أخو الإمام جاعد بن مرشدّ[٢]، وانهزم جيش بني هلال، وما استولى الإمام يومئذٍ على الغبّي، فتوجه إلى عبري، فافتتحها، وأقام فيها ليلة، ورجع إلى الصخبري. فلمَّا انفصل عنها، أحاط بحصن الغبّي، فحصره أيَّاماً قلائل، ثُمَّ فتحه، فولَّى على حصن الغبّي وأهلها الشَّيخ خميس بن رويشدّ الرويشدّي.

وقيل: إن الإمام قد بعث أخاه جاعد بن مرشدّ اليعربي لحرب حصن الغبّي بجيش كثير، فوقعت بينه وبين بني هلال ورجال الغبّي ملحمة شدّيدة، قتل فيها أخوه جاعد، [٢٣٤-أ] ورجع الجيشُ إلى الإمام.

فجيّش الإمام جيشاً خضرماً، فافتتح حصن الغبّي، وفتح سائر الحصون المستنكفة على الإمام، والله أعلم.

وعلى الاتفاق أن الإمام لمَّا استفتح حصن الغبّي، وولَّى على أهل الغبّي الشَّيخ خميس بن رويشدّ الرويشدّي، وكان الشَّيخ خميس المذكور تقيًّا، وشجاعاً، مشهوراً مع الجمهور، وولَّى الإمام على حصن بات رجلاً

---

(١) الضحاحكة: من قبائل منطقة الظاهرة.

(٢) جاعد بن مرشد: قائد، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، وهو أخو الإمام ناصر ابن مرشد اليعربي، وأحد رجال دولته، قتل في حصن الغبّي في الحروب التي دارت بين الإمام ناصر بن مرشد وبعض مناوئيه. انظر: دليل أعلام عُمان، ص٤٥. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٨٣.

من أهل الرُّستاق، غاب عني اسمه[١]، وجعل معه الشَّيخ محمَّد بن سيف الحوقاني[٢]، وأمره بفتح ما بقي من قرى الظَّاهرة، فامتثل أمره، وأذعنت للإمام قرى الظَّاهرة إلَّا بلدة ضنك، فإنها قد استولت يومئذٍ عليها بنو هلال، وجعلوا يغزون الواليين، والواليان يغزونهم، فالتقى ذات مرة جند البغاة وجندهما بالدير، ووقع بينهم قتال شدّيد، فنصر الله جند الإمام عليهم، فقتل من حزب آل هلال رجال كثيرة، وأخذوا إبلهم لينتصروا بها عليهم، ففدى قطن بن قطن إبله بتسليم حصن ضنك، وما حوته بيد الإمام.

ثُمَّ توجه الواليان الوليَّان بمن معهما من القوم إلى حصن مقنيَّات، فحصروه، وكان به يومئذٍ عامل من قبل الجبور، فلمَّا علم الجبور بذلك، استصرخوا بني هلال، بدواً وحضراً، وانضافت إليهم بنو الريِّس.

فلمَّا بلغ خبرهم إلى الواليين، خافا هجومهم على بات، ولم يكن في حصنها يومئذٍ إلَّا بعض الرَّجال، فتركا حرب مقنيَّات، وقصدا بمن معهما من القوم بلدة بات، فالتقى الجمعان دون بلدة بات، فوقع بينهم حرب شديد من صلاة الفجر إلى نصف النَّهار، فشقَّ ذلك على المسلمين،

(١) هو الشيخ الرستاقي محمد بن أحمد، ومعه محمد بن سيف الحوقاني. انظر: بن رزيق، حميد بن محمد: الصحيفة القحطانية، ج٥، ص٢٠٠.

(٢) محمد بن سيف الحوقاني: قائد، والٍ، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، أحد رجال الإمام ناصر بن مرشد اليعربي (رحمه الله) قام بدور مهم في أيامه لإقامة معالم السلام في ربوع عُمان، ولاه الإمام ناصر قرية بات، ومعه والٍ من أهل الرستاق، وعهد إليه بالتعاون مع والي الرستاق، ثبّت دعائم الدولة اليعربية في منطقة الظاهرة، فخاض هناك معارك ووقائع عظيمة، وأبلى بلاءً حسناً، لا يُعرف تاريخ وفاته. انظر: دليل أعلام عُمان، ص١٤٧. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بي مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٤٠٥.

وكثر القتل في البغاة، حتَّى عجزوا عن دفن من قتل منهم، وكلّت يد المسلمين من الضَّرب والطَّعن باليسار واليمين.

فلمَّا بلغ الإمام الخبر بانهزام البغاة، وكثر قتلهم، جمع جيشاً كبيراً، فقصد به بهلا، فدخلها ليلة عيد الحجّ، فحاصرها شهرين، وأتى جيش للجبور نصرة لسيف بن محمَّد النهائي، فالتقاه جيش الإمام، فاقتتلوا قتالاً شدّيداً، فكانت الهزيمة [٢٣٥-أ] على جيش الجبور، فقتل من أكابرهم قاسم بن مذكور الدهمشي[1]، ومعه ناس كثير، [١٥٦- ب] ورجع من بقي من جيش الجبور هزيماً، وبقي سيف بن محمَّد الهنائي، ومن معه في الحصن محصوراً، ثُمَّ سلّم الحصن إلى الإمام، فأقام الإمام والياً فيه من قبله، ما وجدت في التاريخ اسمه.

ثُمَّ توجه الإمام إلى سمايل لمحاربة مانع بن سنان العميري، فلمَّا وصلها، واجهه مانع، واستقال الإمام وسأله أن يتركه في حصنه، وأن يكون تابعاً للحق، فتركه الإمام فيه.

ثُمَّ إنَّ الإمام أمر ببنيان حصن سمايل القديم، فلمَّا كمل بنيانه، جعل فيه والياً من قبله، لم أجد اسمه في التواريخ[2]، ورجع هو ومن معه إلى نزوى.

---

(١) قاسم بن مذكور الدهمشي: قائد، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، كان مسكنه بالظاهرة من عُمان، أحد قادة جيوش الجبور في مقنيّات، التي حوصرت من قبل الإمام ناصر بن مرشد اليعربي على يد سيف بن محمد الهنائي لمدّة شهرين، وقتل في هذه الحروب على يد جند الإمام سنة ١٠٥٩هـ. انظر: دليل أعلام عُمان، ص١٣٣. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٣٥١.

(٢) الوالي هو الشيخ محمد بن إبراهيم. انظر: بن رزيق، حميد بن محمد: الصحيفة القحطانية، ج٥، ص٢٠٣.

فلمَّا وصلها، جهز جيشاً خضرماً إلى حرب مقنيَّات. فلمَّا وصلها، وقعت بينه وبين البغاة المستولين عليها حروب كثيرة، فنصره الله عليهم، وفتح الحصن بعد أن حاصره ثلاثة أشهر، على الأشْهَرِ، وجعل والياً فيه محمَّد بن علي بن محمَّد الحراصي[(١)]، ولم يزل سعيد بن مسعود الخيالي[(٢)] وجماعته مسرّين البغض للإمام، يكاتبون الجبور حتَّى أدخلوهم الصخيري، فقاتلوا [رجالاً][(٣)] كثيراً من الضحاحكة وناساً من شراة الإمام، فبادرهم والي الإمام محمَّد بن سيف بعسكره.

وكان محمَّد يومئذٍ الوالي من قبل الإمام على الغبّي، وقع بينه وبين البغاة حروب شدّيدة، منها وقعة بالعجفيَّة، ووقعة بالعالية، ووقعة بالمظهرة، ووقعة بالزيادة، ووقائع شتى، حتَّى كاد أن يتزعزع بهن ركن الإسلام، وكثير من أصحاب محمَّد بن سيف كاع الحرب، فأدبر عنه، وما بقي معه إلَّا قليل، وهو في حومة العدو، وجموعهم محدقة به، فلمَّا تكاثرت عليه البغاة، تحصَّن في حصن الغبّي، فحصروه حصراً شديداً.

فلمَّا بلغ الخبر إلى والي الإمام محمَّد بن علي، وكان هو يومئذٍ الوالي على مقنيَّات، مضى بمن معه من القوم إلى الغبّي، فدخلها على حين غفلة من الفئة الباغية، فنازل الأضداد بالرِّماح [٢٣٦-أ] والسّيوف

---

(١) محمد بن علي بن محمد الحراصي: والٍ، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، كان أحد رجال دولة الإمام ناصر بن مرشد اليعربي (رحمه الله) ولاه الإمام على مقنيّات بعد فتح حصنها. انظر: دليل أعلام عُمان، ص١٤٩.

(٢) «سعيد بن مسعود الخيالي»: كان مسكنه بلدة الصخيري من أعمال عبري، وقد أعان الجبور على حرب الأمام ناصر بن مرشد، ولا يعرف تاريخ وفاته. انظر: بن رزيق، حميد بن محمد: الصحيفة القحطانية، ج٥، ص٢٠٥. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص١٩٨.

(٣) «قتالا» في النسخة (ب).

الحداد، وفرَّقهم في كل مهمه[١] ووادٍ. فمنهم من دخل الصخبري، ومنهم من هرب إلى الفيافي[٢]، ومنهم من قصد بلدة ينقل، وحصنها يومئذٍ لمالك بن ناصر بن قطن الجبري، فنصر الله المسلمين على الباغين.

ثُمَّ إنَّ ناصر بن قطن جعل يكاتب سيف بن محمَّد الهنائي سرًّا، فأجابه سيف على ذلك، فأنقض العهد الَّذي بينه وبين الإمام، فالتفّ جمعه بجمع ناصر بن قطن، فدخلوا نزوى، فأقرَّهم أهل حلَّة العقر في العقر، وما بقي في حكم الإمام يومئذٍ من نزوى غير الحصن، فحصروه حصراً شدّيداً، وعزموا أن ينقبوا جانباً منه، فيدخلوا على الإمام ومن معه من العسكر.

فأمدّ الله الإمام برجال إزكي، وأهل الجبل، وهم بنو ريام، وانضاف إليهم أهل بهلا، فسرّ قدومهم الإمام، فنازل بهم البغاة والطغاة الناكثين، فأيَّده الله بالنَّصر والفتح المبين، وقيل بعداً للقوم الظَّالمين، فحينئذٍ اشتدَّ عزم الإمام وقوي سلطانه، فأشار عليه بعد حصول النَّصر إليه ذوو الرأي الرشيد، بهدم حصن مانع بن سنان، ويجليه من سمايل لأحداث أحدثها، وهي غير صالحة.

فلمَّا علم مانع بذلك، هرب إلى فنجا[٣]، فطرده أهلها، فلاذ بالنَّصارى المالكين مسقط، ثُمَّ انفصل عنهم، وسار إلى فنجا، فلاذ بمحمَّد بن جفير الجبري، وهو يومئذٍ بلوا صحار.

---

(١) المهمة: المغازة البعيدة، والبلد القفر.

(٢) الفيافي: الصحارى التي لا ماء فيها.

(٣) فنجا: مدينة في المنطقة الداخلية من عُمان، على طريق مسقط. نزوى.

ثُمَّ إنَّ الإمام أمر واليه الشَّيخ عبدالله بن محمَّد بن غسَّان[1]، مؤلف كتاب «خزانة الأخيار في بيع الخيار»، وكان عبدالله هو يومئذٍ الرئيس على أهل نزوى، أن يمضي إلى حرب المستنكفين الباغين المقبلين إلى الدّنيا، المدبرين عن الدّين.

وقد جمع الإمام جيشاً جمًّا، فمضى به الوالي عبدالله بن محمَّد إلى بلاد سيت، فلمَّا وصلها، هرب سيف بن محمَّد الهنائي، ومن معه من حصنها، ومضى إلى الإمام إلى نزوى، يطلب منه المسامحة عمّا جنى [١٥٧-ب]، فسامحه الإمام، لمَّا علم أن الوالي عبدالله [٢٣٧-أ] قد هدم حصنه، فدانت إلى الإمام جميع قبائل عُمان.

فلمَّا خلصت له طاعتهم، جمع جيشاً كثيراً، وسار به بنفسه، ومعه الشَّيخ العالم خميس بن سعيد الرُّستاقي إلى ينقل، وكان أهلها قد عصوه بعد الطَّاعة، فلمَّا وصلها، حصر حصنها أيَّاماً يسيرة، ثُمَّ فتحه، فجعل

---

(١) عبدالله بن محمد بن غسان: هو الشيخ العلّامة الفقيه عبدالله بن محمد بن غسان بن محمد بن غسان بن محمد بن عمر النزوي الخراسيني، والي الإمام ناصر بن مرشد (رحمه الله) من علماء النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري، ولاه الإمام ناصر على سمد الشأن، وأقام بحصنها المسمى «حصن حزام» وفيه ألف كتابه «خزانة الأخيار» في بيوعات الخيار، الذي لم يؤلف مثله في بابه عند العُمانيين. توفي الشيخ عبدالله بن محمد حاجاً بين مكة والمدينة. وقد رثاه بعض شعراء زمانه بمراثٍ، منهم الشيخ محمد بن عمران المنحي، ومطلع قصيدته:

بـنـأ ألـمَّ الـغـداة خـطـيـرُ ... كـادتْ قـلـوبُ الـنـاسِ مـنـهُ تـطـيرُ
وتـكـادُ مـنـهُ الـراسـيـاتُ تـسـيـرُ ... والأرضُ تـرجـفُ والـسـمـاءُ تـمـورُ
والـنـيـراتُ يـكـدنَ مِـنْ أهـوالِـهِ ... تـرتـدّ والأفـلاكُ لـيـسَ تـدورُ
أتـرى كـعـبـدِاللهِ نـجـلُ مـحـمـدٍ ... فـي الـنَّـاسِ وهـو الـعـالـمُ الـنـحـريـرُ

انظر: البطاشي، سيف بن حمود بن حامد: إتحاف الأعيان، ج٣، ص٣٤٩-٣٨٥.

الوالي فيه على الرعيّة نجاد بن حمحام العبري، وأمره بالعدل والإنصاف بين الرعيّة، فامتثل أمره.

ورجع الإمام إلى الرُّستاق، فمكث بها أيّاماً قلائل، ثُمَّ جمع جيشاً كثيراً، وأمّر عليه الشَّيخ عبدالله بن محمَّد بن غسَّان النزوي، وأمره أن يقصد جوف توام، فمضى إليها ومعه الشَّيخ خميس بن رويشدّ الضنكي، وحافظ بن جمعة النزوي الهنوي[1]، ومحمَّد بن سيف، ومحمَّد بن علي، ومن معهم.

فلمَّا وصلها، استفتحها، فولَّى عن أمر الإمام على توام وقراها كافة الشَّيخ أحمد بن خلف الشَّامسي، ثُمَّ قصد الشَّيخ عبدالله بن محمَّد النزوي الكندي المذكور بمن معه من الجيش إلى بلدة لوى، والباعث إلى ذلك أن الجبور اختلفت كلمتهم، وتشتت آراؤهم بقتل محمَّد بن جفير الجبري، وكان في حياته هو المالك لحصن لوى، فوقعت بينهم العداوة والبغضاء في قتله، فبعضهم راضٍ بما وقع عليه، وبعضهم ساخط، فصار حصن لوى بعده في حكم سيف بن محمَّد بن جفير الهلالي، وقد هرب أخو محمَّد بن جفير الجبري إلى حصن صحار، فلاذ بالنَّصارى.

وكان مانع بن سنان يومئذٍ عند النَّصارى بصحار، فظلوا يغزون جيش الإمام المحاصر حصن لوى، ويمدُّون أهل الحصن بالطَّعام وآلة الحرب، وعسكر الإمام قد شدّوا عليهم الحصار، والمتولي على الجيش كله يومئذٍ عبدالله بن محمَّد الكندي النزوي، فترددت بالصّلح بينهم أولاد محمَّد بن

---

(١) حافظ بن جمعة الهنوي: قائد، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، كان أحد رجال دولة الإمام ناصر بن مرشد، وقائد جيوشه في حروبه، خرج في الجيش الموجه لفتح بلدان الجو، وكان إلى جانب عبدا بن محمد، وقد كان النصر حليف جيش الإمام. انظر: دليل أعلام عُمان، ص٤٩. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بي مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٩٣.

جفير في ظاهر الأمر، وهو غدر منهم في الباطن، ومرادهم بذلك الاطِّلاع على كثرة جيش الإمام، وقلَّته، وضعفه، وقوته. وفي الظَّاهر أنهم يناصحون أهل الحصن بخروجهم عنه، وهم [٢٣٨-أ] في الباطن يحرِّضونهم على الحرب، ويعدونهم النَّصرة إليهم بالمال والرجال، ونحو ذلك.

فلمَّا علم الشَّيخ الوالي الأمير عبدالله بن محمَّد بكيدهم، ومكرهم، وغدرهم، وخديعتهم، بعث عليهم رجالاً من جيشه مشهورين بالشَّجاعة والبأس، يقدمهم محمَّد بن علي، فسار بهم محمَّد، فهجم عليهم قبل الفجر، فوجدهم بالمنقل مما يلي الجنوب من الحصن على ساحل البحر، فدارت بينهم رحى الحرب، واشتد بينهم الطِّعن والضَّرب.

ثُمَّ رجع محمَّد بن علي ومن معه إلى لوى، وحصروا الحصن، هم وأصحابهم حصراً أشدّ من الحصر الأول، فلمَّا علم سيف بن محمَّد الهنائي الانتصار، ورأى أن ليس له يد تفك الحصار، أرسل إلى الشَّيخ عبدالله بن محمَّد يريد الأمان، وليسلم له الحصن، فأجابه إلى ذلك، فخرج من الحصن بمن معه من الرجال بسلاحهم وزادهم، ودخل الوالي، وخاصَّته الحصن، وقد ساعد الوالي قبل ذلك على حصر الحصن ناصر بن قطن، فأحسن إليه عبدالله بن محمَّد، ورفع منزلته.

ثُمَّ إنَّ الشَّيخ عبدالله رجع إلى نزوى، وولَّى على حصن لوى قبل أن يرجع محمَّد بن علي، وقد سرّ الإمام ما صنعه الشَّيخ عبدالله بن محمَّد، من فلّ شوكة العِدى، واستيلائه لحصن لوى، وسرّ ذلك سائر المسلمين.

وبعد ذلك بأيَّام قلائل بعث الإمام الشَّيخ مسعود بن رمضان بجيش كثير إلى حرب النَّصارى المستولين على مسقط والمطرح، فسار مسعود بالجيش، فعسكرهم حيث طوي الرَّولة من مطرح[1]، فدارت رحى الحرب [١٥٨-ب]

(١) مطرح: مدينة تجارية غربي مسقط، وطوي الرولة مزرعة شجر الرولة.

بين المسلمين والمشركين، فنصر الله جيش الإمام، فهدموا من مسقط بروجاً باذخة ومباني شامخة، وقتلوا من المشركين خلقاً كثيراً.

ثُمَّ إنَّ النَّصارى طلبوا الصّلح، فصالحهم مسعود بأمر الإمام على فكِّ ما بأيديهم من مال العمور والشّيعة من صحار، فأذعنوا بالطّاعة، فأمّنهم مسعود على ذلك، وأخذ منهم العهد على الوفاء، ورجع هو إلى الإمام.

قلت: ومن [٢٣٩-أ] شروط الصّلح الّذي اتفقوا عليه، أن يعطي أولئك النَّصارى الجزية للإمام دور كلّ سنة، ولا يؤذوا مسلماً إذا وفد على مسقط، فأذعنوا بذلك. ورجع مسعود عنهم بعد ما قبض الجزية منهم.

أخبرني بهذا غير واحد من الثقاة المسنّة، منهم الشَّيخ معروف بن سالم الصايغي[١]، وخاطر بن حميد البداعي[٢]، وحميد بن سالم الأعمى[٣]، المعروف بالبسط، انتهى.

---

(١) معروف بن سالم الصايغي: أحد المؤرخين المعروفين الذين أخذ عنهم ابن رزيق مادته التاريخية مشافهة، لعله كان من سكان الرستاق، شاهد على الحرب التي وقعت بين قوات الإمام سلطان بن سيف (الأول) والبرتغاليين في مسقط والمطرح، وقد روى ابن رزيق أحداث معارك مسقط والمطرح نقلاً عنه، وعن حميد بن سالم الأعمى، وخاطر بن حميد البداعي في الصحيفة القحطانية. انظر: ابن رزيق، حميد بن محمد: الصحيفة القحطانية، ج٥، ص٢٣١-٢٣٧. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٤٥٢.

(٢) خاطر بن حميد البداعي: شيخ، مؤرخ، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، عاصر الأحداث التي واكبت دخول مسقط تحت إمرة الإمام سلطان بن سيف الأول سنة ١٦٤٩م، وقد روى ابن رزيق عنه ذلك في الصحيفة القحطانية. انظر: ابن رزيق، حميد بن محمد: الصحيفة القحطانية، ج٥، ص٢٣١-٢٣٧. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص١١٩.

(٣) حميد بن سالم الأعمى: شاهد على الحرب التي وقعت بين قوات الإمام سلطان بن =

وكان مانع بن سنان كامناً بالعداوة والبغضاء للإمام، ولم يزل قادحاً[١] في ملكه، وفساد دولته، فاستأذن مدّاد بن هلوان[٢] الإمام في قتل مانع بالخديعة الجائزة في الشَّرع، فأذن له، فكاتبه مدّاد على أن يدخله حصن لوى، وأطمعه بلطف كلامه، وكان مدّاد هو يومئذٍ المقدم عند الوالي حافظ بن سيف[٣] على عسكر حصن لوى، والوالي حافظ بن سيف يشاوره في الأمور الباهظة، الَّتي يشكل حلّها وعقدها، لإصابة رأيه، فجعل مدّاد يكاتب مانعاً بدخوله للحصن، ويخادعه في ذلك، وقد أسرَّ

= سيف الأول والبرتغاليين في مسقط والمطرح. انظر: ابن رزيق، حميد بن محمد: الصحيفة القحطانية، ج٥، ص٢٣١-٢٣٧.

(١) قادحاً في ملكه: أي طاعناً في ملكه وشرعيته.

(٢) مداد بن هلوان: أحد رجال الإمام ناصر بن مرشد اليعربي، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، كلفه الإمام العادل بإعداد حيلة للقبض على مانع ابن سنان الذي تآمر عليه، فنفذها مداد بالتعاون معه حافظ بن سيف والي لوى، وتم القبض على مانع وقتله، انظر: دليل أعلام عُمان، ص١٥١-١٥٢. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٤٣٩.

(٣) حافظ بن سيف: والٍ، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، تولى لوى في عهد الإمام ناصر بن مرشد اليعربي، أراد بناء حصن صحار، ومعه رجال من العمور الشراة، فأرسل إلى من بقربه من القرى من بني خالد، وبني لام، والعمور، فاجتمعت معه عسكر كثيرة، ودعاه من رجال من صحار إلى ملكها، فمضى بجيشه، وبات بقرية عمق، ثم نزل بمكان يسمى البدعة من صحار، وهاجم البرتغاليون العُمانيين، واشتد بينهم الطعن والضرب، وكان البرتغاليون يضربون بمدافعهم من الحصن، ولم تزل الحرب بينهم، حتى جاءت ضربة مدفع، فاخترقت القوم حتى وصلت مجلس الوالي، وأصابت راشد بن عباد، فاشتد عزم الوالي على بناء حصن صحار، فأمر بتأسيسه في الحال، حتى تم بنيانه، فنزل به الوالي. انظر: دليل أعلام عُمان، ص٤٩. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٩٣.

إلى حافظ بن سيف ما يحاوله في مانع، ففوض حافظ الأمر إليه في ذلك، ورسله تترى[1] إلى مانع، ورسل مانع تترى إليه، وكان مانع مسكنه في ذلك الزمان في قرية دبا، فلمَّا اطمأن قلبه بمدّاد، مضى من دبا إلى صحار، وأقام منها بالمنقل، فأقام أيَّاماً بها ينتظر ما وعده به مدّاد، وجعل يكاتب مدّاداً بإنجاز الوعد، وجعل مدّاد يجدّد له على ذلك العهود والمواثيق.

فلمَّا كانت اللَّيلة الَّتي أتّعدا فيها على دخول الحصن، أخبر مدّاد الوالي بذلك، ففرق الوالي في تلك اللَّيلة العسكر، فجعلوا يدورون في البلاد، لمَّا أمرهم بقبض مانع، وتعاهدوا أن يلتفّوا على مانع، إذا صادفوه عن يمين وشمال.

فلمَّا دلف مانع إلى لوى، لم يشعر إلَّا وقد أحاطت به أصحاب الوالي حافظ عن يمين وشمال، فأخذ قهراً، وقتل صبراً، وقتل من أصحابه رجال [٢٤٠-أ] عدّة، وفرّ من سلم من القتل فرار الفرَّار.

فلمَّا بلغ خبره الإمام، سَرّهُ ما صنع حافظ ومداد فيه وفي قومه، وسرّ سائر المسلمين المجاهدين المجتهدين في الدّين، فعند ذلك جهز الإمام جيشاً، وجعل الأمير عليه علي بن أحمد، وعضده برجال من بني اليعاربة، وأمره بالمسير إلى قرية جلفار الصيّر[2]، وكان الملك لها يومئذٍ ناصر الدّين العجمي، ومعه قوم كثير من العجم، فلمَّا وصلها علي المذكور وعسكره أحاط بحصنها، فاستقامت الحرب بينه وبين ناصر وقومه على ساق، وكان بحصن جلفار الصيّر برج معتزلة جدره عن الحصن، متصلة بعضها به، وفيه من قبل ناصر الدّين قوم تقاتل قتالاً شدّيداً، ليلاً نهاراً،

---

(١) تترى: أي تصل إليه تباعاً.

(٢) جلفار: رأس الخيمة في الإمارات العربية المتحدة حالياً.

وللنَّصارى سفن في البحر، وهي الَّتي تسميها العامَّة باللغة الاصطلاحيَّة الغربان، تدفع برصاص مدافعها المسلمين على الحصن، فعزم المسلمون على البرج المذكور الهجوم، فهجموا عليه في ليل يحموم، فأخذوه قهراً، ومالوا على الحصن، فافتتحوه، وجعل من قبل الإمام والياً فيه، ما وقفت على تاريخ لاسمه[١]، ورجع هو إلى الإمام، فلم يلبث معه إلَّا يسيراً، ثُمَّ رجع إلى جلفار، فكان هو الوالي من قبل الإمام.

وفي خبر آخر أنه لبث في الحصن المذكور بعد ما فتحه، وأنفذ كتبه إلى الإمام يخبره بفتح جلفار على يده، فولاه الإمام على حصن جلفار وأعمالها، فأقبلت [١٥٩-ب] إليه رجال الدهامش، ومعهم خميس بن مخزوم نصرة للإمام.

وكان بجلفار حصن على الساحل للنَّصارى، غير الحصن الَّذي فتحه، فأحاطت به الدهامش، وحصروه حصراً شدّيداً، فأمدّهم علي بن أحمد برجال، وزادو آلة حرب، فذلّ المشركون، وطلبوا من عليّ [٢٤١-أ] الصّلح، فصالحهم على خروجهم من الحصن، فخرجوا منه، فجعل علي والياً على جلفار وأعمالها رجلاً من بني عمِّه، آل علي، ورجع هو ومن معه من العسكر إلى نزوى، فأخبره الخبر كلّه، فشكره على حسن صنيعه.

---

(١) الوالي: هو الشيخ علي بن محمد. انظر: ابن رزيق، حميد بن محمد: الصحيفة القحطانية، ج٥، ص٢١٧. وترجمته: علي بن محمد العبري، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، كان من أعوان الإمام ناصر بن مرشد ومناصرته. شارك مع الإمام في حربه ضدَّ ناصر بن قطن الهلالي. انظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر. (قسم المشرق) دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى٢٠٠٦م، ص٣٢٠.

ثُمَّ إنَّ الإمام كتب إلى حافظ بن سنان، وهو يومئذٍ الوالي على لوى ببنيان حصن على ساحل بحر صحار، فلمَّا وصله كتاب الإمام، بعث كتبه إلى من بقربه من أهل القرى، الَّتي هي من أعمال جلفار وغيرها، فأتته من بني خالد[١] وبني لام والعمور[٢] رجال كثيرة، وكان بصحار قبل ذلك رجال يدعونه إلى ملكها، فاجتمعت معه عساكر كثيرة، فدلف بالجيش إليها، فبات في تلك اللَّيلة الَّتي فيها مضى إليها بالعقّ، وأصبح في صحار، ولم يعلم به أحد من الأعداء، وذلك في آخر يوم من شهر المحرم سنة ثلاث وأربعين بعد الألف.

فأناخ بمكان يسمي البدعة من صحار، فنهض المشركون على المسلمين، واشتدّت بينهم الحرب، فجعلت النَّصارى تذود المسلمين برصاص المدافع من الحصن وبروجه، فانتقل الوالي بالعسكر الَّذين معه من ذلك المكان إلى مكان آخر مبتعداً من الحصن، ولم تزل الحرب بينهم قائمَّة على ساق الشِّقاق، وجاءت رصاصة مدفع، فاخترقت القوم، حتَّى وصلت إلى مجلس الوالي، فأصابت رجلاً من خيار قومه، يسمى راشد بن عبّاد، فقتلته، فمات شهيداً، رحمة الله عليه.

---

(١) بنو خالد: قبيلة عدنانية، يتصل نسبها إلى خالد بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر ابن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، والمفرد: الخالدي. انظر: الخروصي، سليمان بن خلف بن محمد: ملامح من التاريخ العُماني، ص٢٨١-٢٨٢.

(٢) العمور: قبيلة عدنانية، يتصل نسبها إلى هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر ابن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، والمفرد: العموري. انظر: الخروصي، سليمان بن خلف بن محمد: ملامح من التاريخ العُماني، ص٢٨٤.

ثُمَّ إنَّ الوالي أمر بتأسيس الحصن، كما أمره الإمام، فأسس حتَّى كمل، فنزل فيه الوالي، والحرب قائمة بينه وبين المشركين لم تفتر.

ولمَّا رجعت رسل الإمام الَّذين بعثهم إلى النَّصارى الَّذين هم بمسقط، وأخبروه عنهم، أنَّهم استنكفوا، ومنعوا الجزية، وشدّوا عليهم الكلام، وقطبوا عليهم الحواجب، فبعث الإمام على حربهم الشَّيخ القاضي خميس بن سعيد الشّقصي، فمضى إليهم برجال كثيرين، فلمَّا وصل إلى بوشر، أرسلت النَّصارى إليه بالصّلح، فلم يصغِ لكلامهم، فمضى بمن معه من القوم، فأقام معهم في [٢٤٢-أ] المطرح، فأتته وجوه النَّصارى وكبراؤهم يطلبون منه الصّلح، فصالحهم على أداء الجزية، ورجوع المقابض الَّتي أخذها بالمطرح، ورخص للنَّاس المسير إليهم للبيع والشِّراء بينهم، وكفِّ الأذى عن القتال، وترك ما بأيديهم من مقابض مسقط، والمقابض الَّتي رجعها إليهم من المطرح، فرفع السَّيف عنهم بذلك، ورجع إلى الإمام.

فلمَّا أخبره عمَّا جرى بينه وبين النَّصارى المقدم ذكرهم، حَمَدَهُ الإمام، وشكر سعيه.

ثُمَّ إنَّ الإمام جمع جيشاً كثيراً، وأنفذه إلى صور، وأمير ذلك الجيش ابن عمِّه، وهو سلطان بن سيف بن مالك اليعربي، فلمَّا وصل إلى صور، حصر حصنها، وكان حصنها يومئذٍ بيد النَّصارى، فأخذه منهم قهراً.

ثُمَّ مضى إلى قريّات، وكان حصنها يومئذٍ للنَّصارى، فأخذه منهم بعد حرب شدّيدة، فاحتوى الإمام على جميع إقليم عُمان ما خلا مسقط، والمطرح، والحصن الَّذي بيد النَّصارى في صحار.

ولم يزل ناصر بن قطن يغزو عُمان بمن معه، ومسكنه يومئذٍ في الحسا، فيأتي منها إلى عُمان على حين غفلة من أهلها، فيأخذ من باديتها

المواشي، ويسلب وينهب، ويقتل من قدر عليه في كل سنة، ويرجع إلى الحسا.

فلمَّا بلغ الإمام ذلك، كتب إلى واليه محمَّد بن سيف الحوقاني، أن يتجسس عن قدوم ناصر بن قطن، فإذا علم بدلفته[١] إلى عُمان، فليكمن له دونها.

فلمَّا بلغه كتاب الإمام، انتخب إلى قتاله الشجعان والأبطال المشهورين يوم الحرب بالطَّعن والضَّرب، فلمَّا علم بقدومه، مضى بمن معه من أولئك المصاليت، وكمن بهم دون الرمل الَّذي [١٦٠-ب] هو من حدود الظَّفرة[٢].

فلمَّا سمع به ناصر، دخل حصن الظَّفرة، وشايعته بنو ياس[٣]، فانضافوا إليه، فبعث ناصر أحداً من أصحابه إلى الوالي محمَّد بن سيف يطلب الصّلح والأمان منه، وكان قد قلّ على محمَّد وصحبه الزَّاد، وبعدت عليهم المدد والبلاد، فصالحه على ردّ ما نهبه، وغرم ما أتلف، فتمَّ الصّلح بينهما على ذلك.

ثُمَّ إنَّ [٢٣٤-أ] ناصر بن قطن لمَّا رجع عنه محمَّد بن سيف، جعل يجمع البدو والحضر من بني ياس وغيرهم، وعزم على حرب توام، وكان رجال من أهل توام يغزونه بذلك، فمضى بمن معه إلى توام، وهي

---

(١) بدلفته: أي بقدومه.

(٢) الظفرة: قرية من قرى ساحل عُمان، في الإمارات العربية المتحدة حالياً.

(٣) بنو ياس: قبيلة عدنانية، يتصل نسبها إلى ياس بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار ابن معد بن عدنان، والمفرد: الياسي. انظر: الخروصي، سليمان بن خلف بن محمد: ملامح من التاريخ العُماني، ص٢٧٦.

المعروفة الآن بالبريمي، فأحاط بحصنها؛ وحصره حصراً شديداً، فعلم ولاة الإمام من الباطنة والظَّاهرة، وكان بحصن توام يومئذٍ الوالي من قبل الإمام محمَّد بن خلف الشقصي، فمضى كل واحد من هؤلاء الولاة بمن معه من العسكر نصرة للإمام وواليه محمَّد بن خلف المذكور، فاجتمعت لهم جنود كثيرة من بدو وحضر. فلمَّا كانوا بالقرب من توام، وسمع بهم ناصر بن قطن ومن معه، فرّوا فرار الآبق[1]، ولم يبقَ منهم أحد بتوام.

ثُمَّ أقبل الوالي الأكبر الشَّيخ عبدالله بن محمَّد بن غسَّان الكندي النزوي إليهم بجيشه، فلمَّا أخبروه الخبر أمر بهدم حصون الجوف، الَّتي تسميِّها العامَّة الجو، كافة فهُدِمَتْ، وتفرقت الأعادي أيادي سبأ، فانضاف ناصر بن قطن إلى النَّصارى الَّذين هم بصحار، وكان مع النَّصارى من أعداء الإمام يومئذٍ عمير بن محمَّد العميري[2]، فأنس بعضهم ببعض، وذهبت طائفة منهم بالفرار إلى عقبة جلفار، فكانوا يقطعون السَّبيل، ويغزون البلدان، فمضى إليهم الوالي محمَّد بن خلف، ومن معه من القوم.

فلمَّا وصلهم، وضع فيهم السَّيف، فقتل من قتل منهم، وفرّ الباقون، فرَّ الذوّد[3] من الأسود، وغزا ناصر بن قطن رعيَّة الإمام، فهجم على إبل

---

(١) الآبق: الذاهب المستخفي.

(٢) عمير بن محمد العميري: قائد، محارب، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، كان أحد أنصار ناصر بن قطن في حروبه ضدّ الإمام ناصر بن مرشد اليعربي، وتآمر مع أهل حصن الجو على واليه أحمد بن خلف، فأخرجوه منه، فسارت جيوش الإمام لقتالهم، ولما بلغ أنصار ناصر بن قطن ذلك فرّوا هاربين، والتجأ عمير إلى البرتغاليين في صحار. انظر: دليل أعلام عُمان، ص١٢١.

(٣) الذود: الذّود هي الإبل.

بني خالد، وبني لام، فأخذ هو وأصحابه جملة منها، وسلبوا ما على النساء من الحلي، ورجعوا إلى الحسا.

ثُمَّ إنَّ ناصر بن قطن غزا ثانية عُمان، فمضى على طريق ساحل البحر، يريد أن ينهب أعراب الساحل من عُمان، فجهّز جيشاً، وأمر عليه علي بن أحمد العلوي، وعضَّده بمحمَّد بن الصَّلت الرِّيامي(١)، وعلي بن محمد العبري(٢)، وأحمد بن بلحسن[٢٤٤-أ] البوشري(٣)، ومراد بن راشد بن حسام(٤)، وبعض الشّراة، فمضوا إلى قرية لوى، فأقبل ناصر

---

(١) محمد بن الصلت الريامي: قائد، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، كان أحد قادة الإمام ناصر بن مرشد اليعربي. انظر: دليل أعلام عُمان، ص١٤٧.

(٢) علي بن محمد العبري: والصحيح علي بن أحمد العبري. انظر: بن رزيق، حميد بن محمد: الصحيفة القحطانية، ج٥، ص٢٢. وترجمته: علي بن أحمد العبري المعروف بالقمقام، قائد، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، أحد قادة جيوش الإمام ناصر بن مرشد اليعربي، أرسله على رأس جيش به بنو عمّه آل يعرب، وأمره باسترداد قرية جلفار الصير من يد ناصر الدين العجمي ومن معه من الفرس، فحاصر الجيش حصن الصير، ودارت الحرب، ولما كان العجم يمتلكون سفناً حربية مجهزة بالمدافع، فقد صعّب ذلك على العُمانيين الوصول إلى الحصن، فظلوا يحاصرونه وقتاً طويلاً، حتى فتحوه ليلاً على غرّة، ثم سار إلى جلفار، ففتحها بعد هزيمة أهلها، وطلبهم للصلح، فصالحهم، وولى عليها والياً، وعاد إلى نزوى. انظر: دليل أعلام عُمان، ص١٧٧.

(٣) أحمد بن بلحسن البوشري: قائد، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، كان مسكنه ببوشر، أحد رجال دولة الإمام ناصر بن مرشد اليعربي، استعان به الإمام مع غيره من الرجال على تثبيت دعائم دولته، ثم قتل في معركة الخروش التي خاضها ضدّ ناصر بن قطن الهلالي وذلك قبل سنة ١٠٥٩هـ. انظر: دليل أعلام عُمان، ص٢٧. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٤٩.

(٤) مراد بن راشد بن حسام: قائد، بطل، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، =

بقومه، وهو لم يشعر بهم، فلمَّا اقترب من لوى، نهضوا عليه، فوقعت بينهم حرب شدّيدة، فتقهقر ناصر لمَّا فشا في قومه القتل والجراح منهزماً لا يدري هو ومن معه إلى أين يذهبون، وتبعتهم كتائب عسكر الإمام، فكان أول من لحقهم أحمد بن بلحسن البوشري، ومراد بن راشد بن حسام، وبعض الشّراة بموضع يقال له: الخروس، فوقع القتل في المسلمين قبل أن يتكامل معهم جيش الإمام، فقتل المتقدِّمون المذكورون جميعاً، رحمة الله عليهم.

فلمَّا وصل أصحابه إلى مكان الملحمة، رأوا أصحابهم صرعى، وقد فاتهم العدو، ورجعوا إلى عُمان، بعد أن دفنوا من وجدوا من أصحابهم في الملحمة قتيلاً.

ثُمَّ إنَّ رجلاً من البغاة يُسمَّى محمَّد بن عثُمَّان، ويُسمَّى أيضاً ابن حميد، غزا بلاد السرّ من الظَّاهرة، والوالي لها يومئذٍ محمَّد بن سيف الحوقاني. وبها معه يومئذٍ سعيد بن خلفان المقرشي، فطلب محمَّد بن عثُمَّان فعلته الخبيثة المواجهة، وقيل: إن سعيد بن خلفان المذكور طلب المواجهة من محمَّد بن عثُمَّان، والأول أصحّ. فتواجها في مسجد الشَّريعة.

وفي خبر آخر: إنَّ محمَّد بن سيف أمر على عسكره [١٦١-ب] أن يأتوه به من حيث وجدوه، فلمَّا صادفوه، أحاطوا به يميناً وشمالاً، فقتلوا من قتلوا من أصحابه، وأتوا به إليه مأسوراً، وكانت مصادفتهم له دون ضنك، والله أعلم بالصَّواب.

= خاض الحروب من أجل تثبيت دعائم دولة الإمام ناصر بن مرشد اليعربي، وقتل في إحداها. انظر: دليل أعلام عُمان، ص١٥٢.

فلمَّا أحضروه إليه، سأله أن يردَّ إليه ما كسب ونهب، فأبى وتغلّب، فأمر عليه بالأسر، والقيد، فأسر، وقيِّد، وحبس في حصن الغبّي.

ومضى الوالي المذكور إلى الإمام، فوجده ببلدة الرُّستاق، فلمَّا أخبره عما كان من محمَّد بن عثمَّان، وما كان عليه من الأسر، أمره الإمام أن يُؤتى به إلى الرُّستاق [٢٥٤-أ]، ويسجن في حصنها، ليصير بعد العزِّ بالذلِّ وعدم الاقتدار عبرة لأولي الأبصار.

فلمَّا رجع سعيد إلى أرض السرّ، بعثه إلى الإمام، فأمر الإمام بحبسه في حصن الرُّستاق، فمات في السّجن بعد أشهر يسيرة.

ثُمَّ إنَّ الإمام جهّز جيشاً، وأمّر عليه سعيد بن خلفان المذكور، وعضَّده بعمير بن محمَّد بن جفير الجبري، فساروا قاصدين الظَّفرة لأخذ إبل ناصر بن قطن الهلالي، فالتقتهم بنو ياس دون الإبل بموضع يقال له: الشِّعب دون الظَّفرة، فوقعت بينهم وبين بني ياس الحرب، وكان مقدام بني ياس يومئذٍ سقير بن عيسى، فقتل هو وأخوه محمَّد بن عيسى، وجماعة من قومه، فطلب من بقي من القوم بعد قتل أصحابهم العفو من الوالي، فعفا عنهم، ورجع بالجيش المنصور، فمرّوا على مورد يقال له: دعفس، فيه إبل لناصر بن قطن، فوجدوها سائمَّة حوله، فأخذوها، وتركوها أمانة عند عمير بن محمَّد بن جفير.

وكان لعمير أخ يقال له: علي بن محمَّد، فأشار عليه بعض خدمه أن يرحل بها إلى ناصر بن قطن، فمضى بها إليهم، فلم يزالوا يغزون عُمان حتَّى أخافوا البدو والحضر بغزواتهم، والتجأت من شرّهم أكثر البادية إلى البلدان.

ثُمَّ أقبل ناصر بن قطن غازياً، وأناخ بجمعه ناحية الجنوب، وأمر أصحابه بقطع السُّبل، فوجَّه إليه الإمام جيشاً، وأمّر عليه سيف بن

مالك[١]، وسيف بن أبي العرب[٢] اليعربيّين وعندهما حزام بن عبدالله[٣]، فبادرت أول زمرة من جيش الإمام جيش ناصر بن قطن، فقتلوا البغاة جميعاً مع قلّتهم وكثرة عدوّهم، ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾[٤]، ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[٥]، ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[٦].

وبالجملة، إنَّ الإمام ناصر بن مرشدّ غاية في الإنصاف وآية في العدل، أعزّ الله به المسلمين، وأذلّ الله به الكفّار والمشركين والمنافقين، أخرج المناوئين من ديارهم [٢٤٦-أ]. وابتزهم من قراهم، وأهان عزيزهم، واستوثق مروّتهم، وقمع ظالمهم، ومنع غاشمهم، وأمكنه الله

---

(١) سيف بن مالك بن أبي العرب اليعربي: أمير، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، ابن عم الإمام ناصر بن مرشد اليعربي، أرسله الإمام على رأس جيش جرار، ومعه رؤوس القبائل لمحاربة ناصر بن قطن ومن معه، حتى أبادهم. انظر: دليل أعلام عُمان، ص٨٥. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٢٣١.

(٢) وفي الصحيفة القفحطانية: «أرسل جيشاً عليه أميره اليعربي سيف بن مالك، ومعه من مشاهير جماهير العرب أكرم القمقام، وسيف بن أبي الضرب». انظر: ابن رزيق، حميد بن محمد: الصحيفة القحطانية، ج٥، ص٢٢٥.

(٣) حزام بن عبدالله (بن قمقام): قائد، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، كان أحد قادة الإمام ناصر بن مرشد اليعربي. اشترك في قيادة الجيش الذي خرج لحرب ناصر ابن قطن الهلالي ومن معه، وانتصر عليهم. انظر: دليل أعلام عُمان، ص٥٠. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٩٦.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٢٦.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٤٩.

(٦) سورة الأنفال، الآية: ١٧.

منهم، وأعانه عليهم، وأيده الله بنصره، وأمده بتوفيقه حتَّى علا الإسلام وظهر، وخفى الباطل واستتر، وفشا العدل بعُمان وانتشر، فعمّ البدو والحضر، فلم تبقَ إلَّا زعانفة من النَّصارى متحصِّنين في حصون مسقط، وسيرانها[1]، بعد أن نصب لهم الحرب حتَّى وهنوا وضعفوا، ووهى سلطانهم، وتفرقت أعوانهم، وكاد الموت والقتل يأتي على أكثرهم.

فتوفي (رحمه الله)، وعفا عنه، وجميع أهل الخير عنه راضون، وله موالون متولُّون، وكانت وفاته يوم الجمعة لعشر ليالٍ خلون من شهر ربيع الآخر سنة تسع وخمسين وألف، وكانت مدَّة ملكه ستاً وعشرين سنة، وقُبر في نزوى، وبها وفاته، وقبره مشهور مع مساجد العُبَّاد بنزوى، فمن ذا سلم من المنون، ورب الخلق يقول لخير الخلق: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[2].

نبذة من فضائل الإمام، يبقى ذكرها مدى اللَّيالي والأيَّام:

إنه كان رجلاً نائماً في مسجد قصرى من الرُّستاق، فرأى كأنَّ في إحدى زوايا المسجد سراجاً مضيئاً، فلمَّا انتبه رأى في تلك الزَّاوية الإمام [١٦٢-ب] مضطجعاً، وذلك قبل أن يعقد له بالإمامة[3].

ومن فضائله، (رحمه الله)، أنَّ أمّه كان لها زوج بعد أبيه، وكان الإمام، (رحمه الله)، يأمرها أن تصنع طعامه قبل طعامهم، لئلَّا تبقى بقيَّة

---

(١) السور: حائط المدينة، قال صاحب القاموس: والجمع سور وسيران، وعلى ذلك فإن صيغة الجمع التي بها ابن رزيق فصيحة. انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة سور.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٣٠.

(٣) انظر: السالمي، نور الدين عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان، ج٢، ص١٧.

من عجين زوجها، فيدخل في طعامه، فخالفت أو نسيت يوماً مقاله، فعجنت الطَّحين الَّذي لزوجها، ثُمَّ خبزته، ولم تغسل الإناء [٢٤٧-أ]، وصبَّت عجين ولدها الإمام في ذلك الوعاء. فلمَّا وضعت يدها في الطّوبج[١] التصقت به، ولم تقدر على نزعها، حتَّى أتى ولدها الإمام، فنزعها منه، و(رضي عنها)[٢].

ومن فضائله، (رحمه الله)، أنه بعد ما عقد له بالإمامة، واشتهر بها مع الخاصَّة والعامَّة، اجتمع ناس من أهل النّفاق في بيت رجل منهم بالرُّستاق، يسبّون الإمام بكلام قبيح، فنهتهم زوجة الرّجل المجتمعين في بيته عن سبّ الإمام، فلم ينتهوا، فخرجت عنهم، فخرّ عليهم سقف ذلك البيت، فماتوا جميعاً[٣].

ومن فضائله، (رحمه الله)، أن مطية لبعض الأعراب أكلت من طعام بيت المال، فتحرَّشت، ولم تزل كذلك في ذلك حتَّى رآها الإمام، والنَّاس أمامها وخلفها إلمام، فأتت، إليه فوضعت رأسها ورقبتها ليديه، ولم تزل كذلك حتَّى أتى صاحبها، فسأل الإمام عن حالها، فأخبره أنها أكلت من طعام بيت المال، فتحرشت في الحال، فرضي الإمام عنه، وأحلّه، فمسح بيده على رقبتها، ورأسها، فشفاها الله من علتها[٤].

---

(١) الطوبج: الصاج الذي يُخبز عليه.

(٢) انظر: السالمي، نور الدين عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان، ج٢، ص١٧-١٨.

(٣) المصدر نفسه، ص١٧-١٨.

(٤) انظر: السالمي، نور الدين عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان، ج٢، ص١٨.

ومن فضائله، (رحمه الله)، أن جراب تمر أشبع أيّام دولته مائة رجل أيّاماً، ومثل ذلك مورة أرزّ، فحسبُهُ برهاناً وإكراماً[1].

ومن فضائله، (رحمه الله)، أنه كان نائماً أيّام حرّ فوق سطح داره، فأتى إليه رجل يريد أن يقتله، فوقف على رأس الإمام، وفي يد الرّجل خنجر مشحوذة، فلم يقدر أن يطعن بها الإمام، وأمسك الله على يده، فانتبه الإمام، فرآه واقفاً على رأسه، فسأله الإمام عن مراده، فقال له: ما يسعني غير عفوك، فإني عزمت على قتلك، فعفا الإمام عنه، ولم يعاقبه على ما صدر منه[2].

ومن فضائله، (رحمه الله)، أن بدوياً ضلّت له ناقة، فتجشّم في طلبها وعراً وسهولاً، فرأى أثر قدم استعظمها عرضاً وطولاً، فانتهى به قصّ الأثر إلى خميلة مخضرّة الشّجر، مخضلّة الزّهر والثمّر، فسمع صوتاً من باطن كرة تلك الشّجر الداني، يقول: أبشر بالتّهاني، فإن ناقتك في المكان الفلاني [٢٤٨-أ]. وقل للإمام الأرشد ناصر بن مرشد، أن يلزم هذه السّيرة، فإنها سيرة خير الأنام محمَّد عليه أفضل الصَّلاة والسَّلام[3].

فرجع البدوي مذعوراً، تمسك صدره المضطرب الرّواجب، ورأى ناقته في المكان الّذي وصفه له ذلك المخاطب، فركبها، ومضى بنجح المرام إلى الإمام، فأخبره في محفل من الورى بما قيل له ورأى.

واتفق أن الإمام رأى في المنام بدوياً يبشّره أنه على سيرة خير الأنام، محمَّد عليه أفضل الصَّلاة والسَّلام، فأخبره بذلك الكلام بعض الكرام،

---

(١) المصدر نفسه، ص١٨.

(٢) انظر: السالمي، نور الدين عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان، ج٢، ص١٨.

(٣) المصدر نفسه، ص١٨.

قبل أن يأتي إليه البدوي الَّذي ضلّت ناقته، فوجدها، وأخبره عن صاحب الصَّوت من كرة الشَّجر المخضرّ، قبل أن يحرز مقودها، وما قال له: قل للإمام من الكلام، كما ذكرنا إلى التَّمام[١].

ومن فضائله، (رحمه الله)، أنه كان يعطي نفقته من مال بيت المال، ولم يكن له قدر يطبخ لهم فيها طعام، فكانت زوجته تنقص من النَّفقة قليلاً قليلاً، فلمَّا مضت على ذلك أيَّام، باعتها، واشترت بها قدراً من صفر[٢]، فلمَّا رآها الإمام، سألها عنها سؤال الحاذق الذمر، وحين أخبرته عن الطّيّ والنَّشر، قال: استعمليها، وارفقي بها مع الاستعمال، فإنها لبيت المال. وأمر وكيل الغالة[٣]، أن ينقص من نفقتهم مثل ما كانت تنقص زوجته، فانظر إلى ما حوى من صالح الأعمال[٤].

ومن فضائله، (رحمه الله)، أن قاضيه الشَّيخ محمَّد بن عمر[٥] دخل

---

(١) انظر: السالمي، نور الدين عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان، ج٢، ص١٨-١٩.

(٢) الصفر: هو النحاس.

(٣) وكيل الغالة: المسؤول عن الأموال التي تجبى من غلّة الأرض وزرعها.

(٤) انظر: السالمي، نور الدين عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان، ج٢، ص٢٠.

(٥) محمد بن عمر: هو الشيخ الفقيه العلّامة الزاهد، العالم العامل، قاضي المسلمين محمد بن عمر بن أحمد بن مداد بن عبدالله بن مداد بن محمد بن مداد بن عبدالله ابن مداد بن محمد بن فضالة المدادي الناعبي، من علماء النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري، وأول العلماء المدادين في القرن المذكور. والشيخ محمد بن عمر علّامة مشهور، جليل القدر بين أقرانه وإخوانه، وقد شهد بفضله، وجلالة قدره، وشهرته بعض علماء عصره، والشيخ محمد من قضاة الإمام ناصر بن مرشد اليعربي (رحمه الله). وقد توفي في أيام الإمام ناصر، ورثاه بعض الشعراء منهم بن قيصر في قصيدة مطلعها: =

عليه ذات يوم [١٦٣-ب] من الأيَّام فرآه متغيّر الحال من الاهتمام، فسأله عن الإجاج والقراح[١]، فسكت عن الإيضاح، ثُمَّ أخبره بعد الإلحاح، أنَّه لم يكن له من الطارف والتليد[٢] ما ينفقه على أهل بيته لسّنة العيد، فذكر القاضي إلى الوالي الممجَّد عبدالله بن محمَّد[٣]، أن يدفع إلى الإمام شيئاً من دراهم بيت المال، فدفع إليه عشرة دراهم، فانظر إلى ما حوى من صالح الأعمال.

ومن فضائله وبراهينه [٢٤٩-أ] (ﷺ)، أنه منذ سكن بعد البيعة عقر نزوى، لم يمت من بشرها كبير ولا صغير، حتَّى مات، والخبر شهير.

ومن فضائله وبراهينه، (رحمه الله)، و(ﷺ)، أنه لم يفترس أيَّام دولته ذئب شاة بأرض عُمان حتَّى مات، تغمَّده الله بالمغفرة والرّضوان.

وأخباره في الصَّالحات كثيرة، ومناقبه الشائعة بالشعشعانيَّة شهيرة.

فلمَّا توفي (رحمه الله) وغفر له، اجتمع المسلمون الصَّالحون من أهل عُمان. فرأوها أهلاً بعد الإمام الأرشد ناصر بن مرشد ابن عمِّه سلطان ابن سيف.

= حوادثُ أسبابِ القَضَا لَمْ تُعَدَّدِ — فأنَّى وما تقضي بهِ يتجددِ
بِهِ الناسُ قد تكبوا عثاراً ولا لعا — لها في كبوٍّ في الزَّمانِ المنكدِ

انظر: البطاشي، سيف بن حمود بن حامد: إتحاف الأعيان، ج٣، ص٤٧٠-٤٧٥.

(١) الإجاج والمقراح: الماء الملح والعذب.

(٢) التليد: هو القديم.

(٣) عبدالله بن محمد: هو العلاّمة الفقيه عبدالله بن محمد بن غسان بن محمد بن غسان ابن محمد بن عمز النزوي الخراسيني، والي الإمام ناصر بن مرشد اليعربي. وقد وردت ترجمته سابقاً.

◆ **[الإمام سلطان بن سيف الأول (١٠٥٩-١٠٩١هـ/١٦٤٩-١٦٨٠م)]:**

سلطان بن سيف بن مالك بن بلعرب بن سلطان بن مالك بن أبي العرب بن سلطان بن مالك بن أبي العرب بن محمَّد بن يعرب بن سلطان ابن حمير بن مزاحم بن يعرب بن محمَّد بن يعرب بن مالك بن يعرب بن مالك اليعربي العربي، اليمني، الحميري الأزدي، الإباضي، الاستقامي.

فلمَّا خصلت له بيعة الإمامة من أهل عُمان الخاصَّة والعامَّة، قام بالعدل، وشمّر، وجاهد في الله، وما قصَّر، وكان الإمام سلطان يقال له لقباً: صاحب الكاف، فمن النَّاس من يزعم أنه لقب بهذا اللقب لمعرفته بالكيمياء، وحصول وصوله إليها، ومنهم من زعم أنَّه لقِّب بهذا اللَّقب لسمة ركابه، فهو قد جعل سمتها في خدودها، حرف الكاف، وهذا عندي هو الأصحّ، والله أعلم.

فهو لمَّا صار بيده زمام عُمان، نصب الحرب لمن بقي من النَّصارى بمسقط، وسار إليهم بنفسه حتَّى نصره الله عليهم.

قال المصنف السائل ربه عنه وعن المسلمين، أهل الاستقامة في الدين دفع كل ضير وضيق، حميد بن محمَّد بن رزيق: أخبرني غير واحد من الثِّقات المسنيّن، الَّذين نشأوا في زمان الإمام سلطان بن سيف بن مالك [٢٥٠-أ] اليعربي، (رحمه الله)، فاتّفقوا في الرِّواية معنىً، واختلفوا لفظاً، فكان معنى كلامهم اللَّفظي والمعنوي، أنَّ الإمام سلطان بن سيف ابن مالك اليعربي المذكور، لمَّا توفي ابن عمِّه الإمام ناصر بن مرشد، لم يمكث بعُمان، بعدما خلصت له الإمامة، إلَّا أيَّاماً قلائل، إلى أن أسرع الوثبة لحرب النَّصارى(١) الَّذين بيدهم زمام بلدة مسقط، والمطرح، وهم

---

(١) لحرب النصارى: أي لحرب البرتغاليين.

المسمَّون البرتكيس[١]، وولاتهم من الهندجوة[٢]، وهم يومئذٍ أشد النَّصارى قوَّة في المملكة والسُّلطان[٣]، وإليهم سائر النَّصارى عضداً وأعواناً، ولكلٍّ زمان دولة ورجال، فكان معسكر الإمام سلطان بن سيف، لمَّا عزم على حربهم بطوي الرَّولة من المطرح إلى سدّ روي[٤]، ومعه من الجند خلق كثير، فطفق جنده يغزون البرتكيس صباحاً ورواحاً، وهم مستعدون لحربه، لم يظهروا له الجبن، ولا الإذعان، وقد أفعموا حصني مسقط وبروجها وسورها وجبالها برجالهم الشَّهيرة بالصبر على القتال، وحدّ غزوات عسكر الإمام سلطان بن سيف عليهم إلى بير الرَّاوية من مسقط، إذ هم قد بنوا على رؤوس جبال مسقط بروجاً، وأكمنوا فيها رجالهم، أهل التّفق[٥]، فكل من اقترب منهم من عسكر الإمام رموه برصاص التّفق، وقد نصبوا في الهواء سلسلة من حديد، عليها سور من حديد من البرج المسمَّى الآن برج والدي محمَّد بن رزيق إلى البرج المسمَّى الآن المربّع، فلم يزالوا من كمنوا في سرر تلك السّلسلة المذكورة يرمون من اقترب منهم من عسكر الإمام برصاص التّفق، وقد قبضوا الجبل المسمَّى السّعالي، من أوله إلى آخره، وقبضوا جبل المكلّا من أوله إلى آخره [١٦٤-ب]، وصوت التّفق من الكامنين في الجبال وسائر المقابض لا يفتر، لا سيَّما إذا جنّ اللَّيل، وحرَّاسهم وجواسيسهم يتردَّدون [٢٥١-أ] عليهم بالأخبار باللَّيل والنَّهار، وقد أخذوا من حزمهم

---

(١) البرتكيس: البرتغاليون، حسب التسمية المحلية العُمانية.

(٢) الهندجوة: الهنود.

(٣) كانت البرتغال آنذاك أقوى الدول الأوروبية.

(٤) سد روي: روي قرية قرب مسقط، وتشكل اليوم أحد أحيائها.

(٥) التفق: البنادق حسب التسمية المحلية العُمانية.

الغاية، وبلغوا من الحذر النّهاية، وقد أفعموا الصّيرتين برجالهم المتقنين ضرب التّفق والمدفع، [فما][١] تركوا للدخول عليهم سبيلاً.

فكانت الحرب يومئذٍ بينهم وبين الإمام وعسكره سجالاً، لا قدرة للبرتكيس أن يخرجوا الإمام وعسكره من المطرح، ولا قدرة للإمام وعسكره أن يدخلوا مسقط على النَّصارى، بل كانت عسكر الإمام تدلف لهم، فيقتلون من يرونه حذاء الرَّاوية في الأرض، ويقتلون من يرونه سائحاً في المكان الَّذي يسمى حلَّة العجم[٢]، والبحارنة[٣]، ونحوهم، ويرفعون أصواتهم إلى من بالسّور من البرتكيس. ناجزونا، بارزونا، فإن الشُّجاع مع الحرب لا يتحصن بالقلاع والسِّيران، ويعيّرونهم طويلاً، فلم يخرج إليهم منهم أحد، لعلمهم أنهم ليسوا كفئاً لهم على المبارزة بالسَّيف، ولا الرّمح، ولا يمنعهم عن الدخول عليهم غير التّفق والمدفع، فطالت الحرب بينهم على تلك الحال، حتَّى كاد الإمام وحزبه أن يثنوا عزيمتهم عنهم، لعدم القدرة على الدّخول عليهم، حتَّى جرى بين البرتكيس وعابد البقر[٤]، وهو المشرك المسمَّى «نروتم البانياني» الشقاق في المصاهرة والتزويج.

وذلك أن نروتم المذكور كانت له بنت جميلة الصّورة، وقد خطبها منه أمير البرتكيس على لسان رجل من شماستهم[٥] وطموسهم الملازم لكنيستهم الَّتي بالحصن الغربي، وكان اسم أميرهم المذكور فرفرة،

---

(١) سقطت من النسخة (ب).

(٢) حلَّة العجم: حي من أحياء مسقط.

(٣) حلَّة البحارنة: حي من أحياء مسقط.

(٤) بين البرتكيس وعابد البقر: بين البرتغالي والهندوسي.

(٥) الشّماس: قَسٌّ نصراني يحلق وسط رأسه ويلازم الكنيسة.

وقيل: الفريرة، فما رضي نروتم أن يزوجه بابنته، وقد بذل الفريرة البرتكيسي مالاً عظيماً، فأبى عن ذلك، فكان جوابه لرسول الفريرة: إنَّ هذا الشَّأن الَّذي يريده مني السُّلطان، لا يليق به، ولا يليق بي، إذ هو نصراني المذهب، ومذهبي غير مذهبه [٢٥٢-أ]، فهو وأهل مذهبه يحلِّلون شرب الخمر، وأكل لحم البقر، وسائر الحيوان غير الناطق، فما في القديم، ولا في الجديد زَوَّجنا نصرانيَّاً، ولا زُوِّجنا نصراني.

فقال له رسول فريرة: لا ينبغي لك أن تخالف الأمير، وهو قد أحسن إليك غاية الإحسان، وأعطاك مفاتيح حوانيت الحصن، وغيرها ووكّلك المال والبلاد، وفوّض إليك الحلَّ والعقد، فهو يقول: إن لم تزوِّجه طوعاً، زوَّجته بها غصباً، وفعل بك ما لم يفعل بأحد قبلك من التعزير والغرامة وسائر العقوبة المهلكة لك ولأهلك، فأطعه، ولا تخالفه، فإنَّ من خالف الملوك العظام أسلمته مخالفته للحمام.

وأكثر عليه رسول الفريرة بمثل هذا الكلام.

فلمَّا رأى نروتم لا تنقذه من شرِّ الفريرة إلَّا الحيلة، ليّن للرسول الجانب، وموّه له الطَّاعة، وقال له: امضِ أمامي إليه، فإنني جعلت في هذا الشَّأن، وإن شان معوِّلي عليه، فليطب من قبلي نفساً، وأنت كذلك، فلمَّا سارا إليه، وجداه بارزاً برزة عظيمة بقومه في الجزيرة.

فلمَّا سلَّما عليه تسليم رعايا النَّصارى لملوك النَّصارى، أخذ بيدهما، وفسح بعسكره المحدقين به، فصعد بهما إلى غرفة الجزيرة، فقال: ما خطبكما في الخطبة؟

فقال له نروتم: اعلم أيُّها الأمير، إنَّ الأمر الَّذي جاءني رسولك به، فهو عليّ يشقُّ، لأجل المباينة[1] في المذهب بيننا وبينكم، وعدم العادة،

(١) المباينة: الاختلاف في المذهب.

فإذا كان ولا بدَّ من ذلك، فامهلني إلى سنة، حتَّى أحلِّي ابنتي الحلّي الَّتي تلبسها نساؤها اللواتي لم يمسسهن بعل، وهذه الصيغة المحكمة لا يقدر على نظمها إلَّا بعض صوّاغ بلدة ناجنة، وقبل خروج هذه السّنة، ودخول الثَّانية، لا يسهل نظم الصِّيغة [١٦٥-ب] المحكمة، وكل ما هو آتٍ قريب، وإنّي لك لمن النَّاصحين العارفين بعواقب أمور الحروب، وما فيهنَّ من الرَّاحة واللُّغوب[1]، فإن ملك عُمان، سلطان بن سيف، ما رفع عنك السَّيف، فهو كامن لك برجال كالصّلال، عساكره تترى إليه من عُمان، يرجوك [٢٥٣-أ] أن تبارزه، وأنت متقهقر عنه، لا قدرة لك على مبارزته، فصرت كالذَّليل، وصار كالعزيز القويّ، فعلى هذا الشَّأن أخشى أن يهجم عليك هو ومن معه من العساكر، فيقتحمون سور البلاد كالآساد، فهو الآن على ما يرجحه ظنّي، ينتهز الفرصة للهجوم على البلاد، والدخول من أبواب السّور قسراً، فإنهم إذا أقلّوا عليه السَّلالم، فلا أشكّ أنّهم يبلغون فيك مرادهم، فلا يبقى معك إلَّا الحصنان، الغربي والشَّرقي، فيحصرونك حينئذٍ أشدّ حصار، وتنقطع عنك مادّة الانتصار، لا سيَّما من قبل الماء العذب، فإنَّه ليمنعه عنك، فتبقى أنت وأصحابك في أشدّ عطش، وهيهات أن يصبر محصور على عدم الماء، وبه حياة النَّفس، فإنَّ الماء الَّذي هو في برك الحصنين والصيرتين ماء قديم، تسبح فيه الديدان المضرة بالأحشاء، فعلى طول مدّة الحصار، لا يسلم من شرّها المحصور الشَّارب من مياه هذه البرك.

والثَّانية: إنَّ البارود والزَّاد الَّذي في الحصنين والصيرتين صارا قديمين. فالأولى أن تنزف الماء منهنَّ، وتغسل البرك قبل الحصار بماء جديد عذب، وتخرج البارود منهم، فتصلحه بالدّق، وتخرج منهنَّ الطَّعام

---

(١) اللغوب: الإعياء الشديد.

القديم، فتدخل فيهنّ طعاماً جديداً، فإنّنا إن أدخلنا الطّعام الجديد مع الطّعام القديم دخل دود الطّعام القديم في الطّعام الجديد، فيفسده، وتحصل منه الأسقام المفضيَّة إلى الحمام، وأكثر عليه مثل هذا الخطاب في هذا الباب.

فلمّا سمع الفريرة منه ذلك، قلّده في جميع ما قال له من الأمر، وتخيلت له هذه الخديعة منه بنصيحة خالصة، فأمهله التزويج كما طلب إلى سنة.

فلمّا أخرج نروتم ما في الحصن والصّيرتين من الماء والزّاد والبارود قاطبة، كتب إلى الإمام سلطان بن سيف بسرعة الوثبة إلى مسقط، وأنفذ [٢٥٤-أ] الكتاب بيد رجل من أصحابه سرًّا، ومعنى كتابه له:

«إنّك يا إمام عُمان، طالما حاصرت البرتكيس، وأنت في المطرح، وهم بمسقط، فما أجدتك المحاصرة شيئاً، إذ هي لا شيء، فالرأي السّديد، إذا كان يوم الأحد من هذا الشّهر أسرع الوثبة إلى مسقط، فإني صنعت بهم كذا وكذا، لمّا أرادوا أن يصنعوا بي كذا وكذا من قبل الصهريّة، فالآن لا ماء، ولا زاد، ولا بارود في الحصنين والصيرتين، وإنّما القوم في يوم الأحد، وهو يوم عيدهم، لا يحملون فيه السّلاح، لاشتغالهم بشرب الخمر والنّفخ في الزمر، فإنك إذا دخلت رقعة مسقط، بلغت منهم المطلوب، وفي حال دخولك، اركض أنت وقومك على الكوتين والحصنين، فاحرق أبوابهما المغلقة بالنّار، فإن البارود الّذي فيهما قد أخرجته، وأدخلت عوضه باروداً صبّ عليها الخل، فلا يجديهم بشيء، وإيّاك والمهلة بعد اليوم الّذي ذكرته لك، فإنّك إن نبذت كلامي، وأخذت بكلام غيري، وكلامه ضدّ كلامي، لم تبلغ المطلوب، ولو حاصرتهم سنين».

فلمَّا قرأ الإمام الكتاب، وأسمعه الآتي بنصيحة نروتم له، وما صنعه في البرتكيس من الحيلة، بعد ما كان فيه منهم من قسرية التزويج والتكليف على المصاهرة، وحلف له بالله بالعظيم، أنهما في قولهما له من الصادقين، أجاب الآتي بالكتاب بامتثال الأمر، وأخفى الخبر عن الخاصَّة والعامَّة، فرجع الآتي بالكتاب إلى صاحبه مسرور القلب، قريراً.

فلمَّا أخبر نروتم عن [١٦٦-ب] امتثال الإمام إليه، وأنّه عوّل على ما عوّل عليه، انشرح صدره، وكاد من السّرور المستلاح أن يطير إلى الإمام بلا جناح.

فلمَّا كان يوم الأحد من الميعاد، صلَّى الإمام بالقوم صلاة الضُّحى، وصلاة الحرب بعد صلاة الضُّحى، وسأل الله له وللمسلمين بعد الفراغ من الصَّلاتين النَّصر والفتح المبين على المشركين، فنهض بقومه جميعاً، وأسرع بهم الوثبة.

فلمَّا بلغوا إلى رأس عقبة الوادي الكبير من جبال مسقط [٢٥٥-أ] أخذ منهم البيعة على التسوّر للسّور والركضة على الكوتين الحصنين، وسائر المقابض الَّتي بيد البرتكيس، من حدِّ مسقط إلى المطرح، فيابعوه على التفصيل والجملة.

فلمَّا أخذ البيعة منهم، مشى أمامهم، وهم يكرِّرون: «الله أكبر، اللهم انصر المسلمين الاستقاميّة، على البرتكيس أهل الحرلحية»[١]، حتَّى إذا كانوا تحت السّلسلة المنصوبة، جعلوا يضربون من في سورها برصاص

(١) لم نجد في القاموس أصلاً لهذه الكلمة، ولعلها تصحيف كلمة الحركلة. قال ابن منظور: الحركلة: الرجَّالة. انظر مادة حركلة.

التّفق والحجارة، فلم يلتفت إليهم أحد بضرب تفق، ولا برمي حجارة، قد أغل الله أيديهم، عنهم فانصرفوا عنهم.

فلمَّا وصلوا إلى السّور أقلوا عليه السلالم، فملكوا أبواب السّور كلها، ولم يكن من البرتكيس غير العربدة بالسّكر، لا تصل أيديهم لقبض السِّلاح، فضلاً عن الضَّرب والطَّعن به، فوضع المسلمون فيهم السَّيف وطعن الرِّماح، فتركوهم صرعى، كأعجاز نخل منقعر، ثُمَّ انقسموا قسمين، قسم ركض على الحصن الغربي، وقسم ركض على الحصن الشَّرقي، فأقلوا عليهم السَّلالم، فلمَّا شرع من فيهما إلى ضرب المدافع، خانهم البارود، فما شعروا إلَّا والسّيوف تقدُّ جماجمهم وحناجرهم، والرِّماح والخناجر في صدورهم.

فملك الإمام وقومه السّور والحصنين والصيرتين، وسائر المقابض، إلَّا البرج المسمَّى كاسم أميره كبريته، وكان كبريته من شجعان البرتكيس، فظل يحارب الإمام وقومه، يركض عليهم إذا وجد الفرصة للركضة ومعه أصحابه رجال عدَّة، فهجم ذات يوم على المسلمين القابضين بالجزيرة، فخرجوا إليه، فانكسر عنهم، فتبعوه، حتَّى إذا كان بسوق البزّ، وقف وقفة شديدة، فأشرعوا فيه وفي أصحابه الشرَّع الرِّماح، والبيض الصِّفاح، فقتلوه ومن معه جميعاً، وأراح الله المسلمين منه، ومن أصحابه المشركين.

ثُمَّ إنَّ الإمام أمر بعض أصحابه الركضة على القابضين حصن المطرح من فئة البرتكيس، فما استتم كلامه، إلَّا وأميرهم قد [٢٥٦-أ] أقبل إلى الإمام، يريد منه الأمان، فأمنه الإمام على قبض الحصن منه، فسلمه إلى الإمام، ونهى عن قتله وقتل أصحابه، وما بقي للإمام منازع من البرتكيس، إلَّا أهل مركبين عظيمين من مراكبهم، فمضى أحدهما إلى

المطرح، فطرح أناجره[١] بعيداً من الحصن، وجعل يضرب البلاد بالمدافع، والحصن يضربه، فلم يصبه رصاص مدفعه، لابتعاده منه، والثَّاني جعل يضرب الرقعة الداخلية من مسقط، فبلغ رصاص مدافعه إلى أقصى سدّاب[٢].

فلمَّا أكثر من الأذى، أمر الإمام المسلمين بالركضة عليهم، فاعتذروا له، وقالوا: لا يركض على المركب العظيم إلَّا مركب مثله، فقال له صاحب المغيوث: أيها الإمام، إن الأرواح نفيسة، لا تباع إلَّا بالمال الجزيل، فعليك المال، وعليَّ الرِّجال، فأجابه الإمام على ذلك.

فمضى صاحب المغيوث إلى عُمان، فانتخب منها مائة رجل في فمهم الحمام ألذّ من المدام في أهل المدام، فلمَّا أقبل بهم إليه، وأجزل لهم المال، ركضوا على المركبين المذكورين على سفن صغار، فنصرهم الله على الكفار، فاستأصلوا المركبين، وقتلوا من فيهما من المشركين.

ثُمَّ إنَّ الإمام ولّى على مسقط سيف بن بلعرب اليعربي[٣]، وترك معه عساكر جمَّة، وأمره بالحزم، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر [١٦٧-ب]، ونزول الرعيّة في الحكم بالسويَّة، ورفع الجزية عن نروتم وأهل بيته، جزاء إعانته إليه، وإلى سائر المسلمين.

ولمَّا رجع الإمام إلى نزوى، أتته أكابرها وأصاغرها، يهنّونه بالظّفر

(١) فطرح أناجره: الأنجر بفتح الجيم، مرساة السفينة، وكانت تتخذ من خشبات يفرغ بينها الرصاص المذاب، فتصير كالصخرة، إذا ألقيت في الماء، رست السفينة.

(٢) سدّاب قرية عُمانية على الساحل، قرب مسقط.

(٣) سيف بن بلعرب اليعربي: والٍ، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، ولّاه الإمام سلطان بن سيف (الأول) على مسقط بعد تخليصها من أيدي البرتغاليين، وترك معه عساكر جمّة، لحمايتها، انظر: دليل أعلام عُمان، ص٨٥.

والنَّصر، والفتح الَّذي أعزّ الله به المسلمين، وأذلّ به المشركين، وفي الحال أمر الإمام بمجاهدة المشركين النازحين عن ساحل بحر عُمان، فاستفتح منهم الديو[١]، ودمز، وكلابوه، وعكة وكثيراً من مدن المشركين، وقراهم، فخافه المشركون كافة خوفاً شديداً، واختفت البغاة من أهل عُمان، وبطل ما كان منهم من مظاهرة العدوان، وكثرت الغنائم من المشركين، فشرع الإمام في بناء [٢٥٧-أ] القلعة الشَّهيرة بنزوى[٢]، فأتمّ بنيانها بعد اثنتي عشرة سنة، بلكوك من الفضة والذهب، وأحدث فلج البركة[٣] الَّذي بين إزكي ونزوى.

وربما تكلَّم متكلِّم، ولم تصغِ أذن إلى قوله في إمامته من أسباب التجارات، كأن لم يسمع ذلك المتكلّم أن الرِّجال الَّذين يبعثهم إلى بلاد الهند، وأرض العجم، وصنعاء، والبصرة، والعراق لأجل شوكة المسلمين من خيل سلاح، وغير ذلك.

وبالجملة، إنَّ عُمان اعتمرت في أيَّام دولته وزهرت، واستراحت في عصره رعيته، ورخصت الأسعار، وصلحت الأسفار، وربحت التّجار، وسدت الأثمار، وكان متواضعاً لله الواحد القهّار، رؤوفاً بالرعيّة، صفوحاً عنهم، عمَّا جاز الصَّفح فيه شرعاً، ولم يكن متحجِّباً عن رعيّته، وكان

---

(١) الديو: مدينة على شاطئ المليبار في الهند.

(٢) قلعة نزوى: شُيّد حصن نزوى في منطقة العقر سنة (٢٢٥هـ/ ٨٤٥م)، وقيل: إن الذي شيده هو الإمام الصلت بن مالك عام (٢٣٧هـ/ ٨٥١م)، وكان بناؤه يقرب الجامع القديم. وقد جدّد بناؤه في عهد الإمام ناصر بن مرشد اليعربي سنة (١٠٣٤هـ/ ١٦٢٤م). وبين عامي (١٠٥٩-١٠٧٩هـ/١٦٤٩-١٦٦٨م) بنى الإمام سلطان بن سيف (الأول) القلعة الكبيرة الفريدة في عمارة التحصينات في عُمان. انظر: عُمان في التاريخ، ص٢٦٤-٢٦٥.

(٣) فلج البركة: ويقصد بذلك فلج بركة الموز، القرية التي تقع بين نزوى وإزكي.

يخرج إلى الطَّريق بغير عسكر، ويجلس مع النَّاس، ويحدِّثهم، ويسلِّم على الصَّغير والكبير، والحرّ والعبد، ولم يزل آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، محافظاً على الصَّلوات حتَّى مات، (رحمه الله)، وغفر له، وقبر حيث قبر الإمام ناصر بن مرشد، (رحمهما الله).

وكانت وفاته ضحى الجمعة وسادس عشر من ذي القعدة سنة إحدى وتسعين وألف[١] سنة من الهجرة النبويَّة، على صاحبها أفضل الصَّلاة والسَّلام.

◆ [الإمام بلعرب بن سلطان (١٠٩١-١١٠٤هـ/١٦٨٠-١٦٩٢م)]:

ثُمَّ [بويع من][٢] بعده لولده: بلعرب بن سلطان بن سيف بن مالك ابن بلعرب بن سلطان اليعربي، وبقية نسبه قد مضى فيه القول مع ترجمة أبيه سلطان بن سيف.

فلمَّا خلصت له الإمامة، أظهر العدل والإنصاف، ووطئ أثر السَّلف الصَّالحين، فشكرته الرعيّة وأثنت عليه.

وكان بلعرب يقال له: أبو العرب، لكرمه الزَّائد، وهو الَّذي عمّر يبرين[٣]، وبنى فيها الحصن الشَّاهق[٤]، وانتقل من نزوى إلى يبرين،

(١) ورد في النسختين (أ) و(ب) أن وفاة الإمام سلطان بن سيف (الأول) كانت سنة إحدى وخمسين وألف، في حين أن هذا التاريخ هو سنة مبايعته بالإمامة، وتاريخ وفاته هو سنة إحدة وتسعين وألف، وهذا ما أثبتناه في النص.

(٢) إضافة يقتضيها السياق.

(٣) يبرين أو جبرين: بلدة من أعمال ولاية بهلا، من داخلية عُمان، وهي بلدة عامرة بالمزروعات، وبها المياه التي تجلبها الأفلاج، أول من بناها الإمام بلعرب بن سلطان اليعربي.

(٤) حصن يبرين، أو حصن جبرين: بناه الإمام بلعرب بن سلطان اليعربي، وقد اختلف =

ونصب فيها مدرسة[١] للعلماء والمتعلِّمين، ورغّبهم ببذل المال، وأكل الفواكه، فنالت العلم بكرمه الطلبة، فغدا [٢٥٨-أ] من كان لا متعلِّماً فقيهاً عالماً، ومن كان لا أديباً، أديباً شاعراً متصرفاً بالعربية.

فمن المتعلمين، وصاروا بعد ذلك علماء جهابذة: الشَّيخ خلف ابن سنان الغافري[٢]، والشَّيخ محمَّد بن عبدالله بن جمعة بن

= في تاريخ بنائه، إلّا أن التاريخ الموجود على القوس المزخرف الذي يؤدي إلى الدرج المفضي إلى القبو يشير إلى عام (١٠٨٦هـ/ ١٦٧٥م)، أي أنه بناه في حياة والده الإمام سلطان بن سيف (الأول)، وقد موّل الإمام بلعرب بن سلطان هذا الحصن من أمواله الخاصة، وينسب بعض المؤرخين إلى أن سببيّة بنائه انطلقت من أهمية وجوده كمقر للسكن، فضلاً عن كونه معقلاً لصدّ هجمات الغازين والمغيرين. انظر: عُمان في التاريخ، ص٢٧٠-٢٧١.

(١) مدرسة يبرين: تعدُّ مدرسة حصن جبرين التي أنشأها الإمام بلعرب بن سلطان من أشهر مدارس الدولة اليعربية، وكانت تضم العشرات من الطلبة والدارسين، وخرجت نخبة من علماء عُمان آنذاك منهم: العلّامة خلف بن سنان الغافري، والعلّامة محمد بن عبدالله بن جمعة بن عبيدان، والشاعر الأديب راشد بن خميس الحبسي. انظر: عُمان في التاريخ، ص٢٤٠.

(٢) خلف بن سنان الغافري: هو الشيخ العالم الفقيه، والناظم البليغ خلف بن سنان بن عثيم الغافري، من علماء القرن الحادي عشر، أدرك أيام الإمام ناصر بن مرشد، وعاش إلى أيام الإمام سلطان بن سيف (الثاني) الذي بويع له سنة (١١٢٣هـ/ ١٧١١م)، وقد امتدحه وأثنى عليه، كما امتدح الأئمة ناصر بن مرشد، وسلطان ابن سيف (الأول) وولديه الإمامين بلعرب، وسيف. وكان والياً وقاضياً للإمام سلطان بن سيف (الأول) وكان فقيهاً مفتياً، وله أجوبة كثيرة في الأثر، وله ديوان شعر كبير، يوجد بمكتبة وزارة التراث القومي والثقافة، وأكثر شعره في المديح والفقه، وبعضه في الفلك والطب، ومنها قوله:

قُلْ لِمَنْ عاثتْ الحرارةُ فيهِ ... فَغَدا موجعاً مُسهدَ عَيَنِ
اشربِ الليمَ أخضراً شِيبَ بالماءِ ... زلالاً أهدتهُ أعذبُ عينِ =

عبيدان[١]، وغيرهما جملة، ومن الأدباء وصاروا أدباء بكرمه: الشَّيخ راشد ابن خميس الحبسي[٢] الأعمى، وغيره.

= وإذا بلغمٌ عليكَ طَغى فالشهدُ والـثـومُ فـيـهِ أفـضـلُ عـيـنِ

وكانت له مكتبة كبيرة، تحتوي على آلاف الكتب. لا يعرف تاريخ وفاته، وقبره في بلدة العمور بولاية نزوى. انظر: البطاشي، سيف بن حمود بن حامد: إتحاف الأعيان، ج٣، ص١٢٥-١٣٠.

(١) محمد بن عبدالله بن جمعة بن عبيدان: هو الشيخ العالم الفقيه، القاضي، محمد بن عبدالله بن جمعة بن عبيدان العقري النزوي، من علماء القرن الحادي عشر، تصدى للفتوى كغيره من علماء زمانه، كثير الفتوى في مسائل الفقه، وقد أصيب بالعمى، وكان قاضياً للإمام سلطان بن سيف بن مالك (رحمه الله) ولولده الإمام بلعرب بن سلطان. له أجوبة كثيرة متفرقة في كتب الفقه، وله أجوبة مجموعة في مجلد أو مجلدين، قامت وزارة التراث بطبعها في ثلاثة أجزاء، وكتاب «جواهر الآثار» نشرته وزارة التراث. توفي صباح يوم الخميس ٢١ محرم ١١٠٤هـ/ ٢ تشرين الأول/ أكتوبر ١٦٩٢م. ويشكك البطاشي في أن الشيخ ابن عبيدان تعلم بمدرسة جبرين التي أنشأها الإمام بلعرب، لأنه كان قاضياً للإمام سلطان بن سيف بن مالك، ثم لولده بلعرب بن سلطان المتوفي هو وابن عبيدان في عام واحد (١١٠٤هـ/ ١٦٩٢م)، انظر: البطاشي، سيف بن حمود بن حامد: إتحاف الأعيان، ج٣، ص٤٦١-٤٦٥.

(٢) راشد بن خميس الحبسي: راشد بن خميس بن جمعة الحبسي، أديب، شاعر، عاش في أواخر القرن الحادي عشر والقرن الثاني عشر الهجريين، ولد بقرية «عين بني صارح» من قرى الظاهرة، ورمد وعمي وهو ابن ستة أشهر. ثم انتقل إلى جبرين عند الإمام بلعرب بن سلطان بن سيف، فتخرج من مدرسته أديباً أريباً، وبعد وفاته ارتحل إلى الرستاق مع أخيه الإمام سيف بن سلطان (قيد الأرض) ثم انتقل إلى نزوى، فاتخذها وطناً له حتى مات. له ديوان شعر مطبوع «ديوان الحبسي». انظر: السعدي، فهد بن علي بن هاشل: معجم شعراء الإباضية، ص١٠٢-١٠٤.

وقد نظم الشَّيخ راشد بن خميس قصائد جمَّة في مدحه[١]، فأجازه، وأجزل له العطاء.

ثُمَّ وقعت بينه وبين أخيه سيف بن سلطان فتن عظيمة، وأصاب كثيراً من أهل عُمان من فقهائهم ومشايخهم أهل الورع، والزهد، والعلم عقوبات شديدة، إلى أن كادت تنفر نفوسهم قبل الحمام من أتباعهم السّفهاء، واقتفاء آرائهم، وقبول كلمتهم.

ثُمَّ إنّه خرج من نزوى، وقصد ناحية الشَّمال، فلمَّا رجع إلى [١٦٨-ب] نزوى، منعه أهلها دخولها، فمضى إلى يبرين، واجتمع أكثر أهل عُمان على نصب الإمامة لأخيه سيف بن سلطان، وكل واحد كان رضاه تقيّة، فعاقب بعضهم بعضاً على ترك الدخول في العقد.

وخرج سيف على أخيه، وأخذ عليه كافّة حصون عُمان، وخاصم كلّ من كان لأخيه محبًّا، ومساعداً، من الحضر والأعراب، ولم يبقَ بيده إلَّا حصن يبرين، ووقعت بينهما حروب كثيرة، حتَّى قال بعض النَّاس لبلعرب: «هو بلاء العرب»، وقال بعضهم: «سيف جلَّاب، وبلعرب قصّاب»، لكثرة سفك الدماء الَّتي سببها منهما.

واختلف قوم فيهما، فمنهم من يصوِّب بلعرب، ويقول: «هو الإمام، وأخوه سيف باغٍ عليه»، ومنهم من يقول: «إنَّ سيف المحقّ، والمبطل بلعرب»، وللنَّاس فيما يعشقون مذاهب.

---

(١) مدح الشيخ راشد بن خميس الإمام بلعرب بن سلطان بقصائده عديدة منها قصيدته النونية التي مطلعها:

دعها تحنُّ إلى الأوطانِ والسَّكَنِ ولهانَةٌ هاجها الماضي من الزمنِ

وأثنى عليه ثناءً جميلاً، حتى قال في آخرها:

لأنهُ خيرُ من تعنو الرقابُ لهُ ومن يفضّل عليهِ غيره يَمِنِ

انظر القصيدة كاملة في: ديوان الحبسي، ص٣٧-٤٠.

ثُمَّ إنَّ سيف بن سلطان جمع جيشاً عظيماً، وبلعرب يومئذٍ يحصن يبرين، فحصره حصراً شديداً، حتَّى مات [٢٥٩-أ] بلعرب في الحصار.

وقيل: إنَّه لمَّا اشتدَّ عليه الحصار، وتعذَّر له الانتصار، توضأ، فصلَّى لله ركعتين، وسأل ربه أن يميته، وهو راضٍ عنه، فاستجاب الله دعاءه، فمات من ساعته.

وهذا خبر شائع عن غير واحد من الفضلاء، أهل الصّدق.

◆ [الإمام سيف بن سلطان (قيد الأرض) (١١٠٤-١١٢٣هـ/١٦٩٢-١٧١١م)]:

فلمَّا مات بلعرب في الحصار، طلب أصحابه الأمان، ليخرجوا من الحصن، فأمنَّهم سيف، واستولى بعده على كافَّة عُمان، ولم يكن له منازع في الإمامة من اليعاربة وغيرهم.

فلم يزل سيف بن سلطان المذكور إماماً عادلاً، منصفاً بين الرعيّة، راداً قويّهم عن ضعيفهم، وأذعنت له القبائل من عُمان، وغيرها من الأمصار، وحارب النَّصارى في أوطانهم[١]، وأخرج بعضهم من قراهم، فاصطلم منهم ممابسة[٢]، وجزيرة الخضراء[٣] وكلوة[٤]، وغيرها من البلدان، وعمّر أكثر عُمان، وأجرى فيها الأنهار[٥]، وغرس فيها النخل والأشجار، وجمع مالاً كثيراً، وملك إماءً وعبيداً، وكان شديد الحزم على المال، وقويت عُمان به، وصارت خير دار.

---

(١) أي حارب البرتغاليين في مناطق نفوذهم ومستعمراتهم في الهند وشرق إفريقية.

(٢) ممباسة: مدينة في شرق إفريقية، على شاطىء المحيط الهندي.

(٣) الجزيرة الخضراء: جزيرة صغيرة قبالة شواطئ شرق إفريقية.

(٤) كلوة: مدينة في شرق إفريقية، على شاطىء المحيط الهندي.

(٥) أجرى فيها الأنهار: أي حفر الأفلاج، وشق أقنية الري.

ولم يزل على ذلك، حتَّى توفي بالرُّستاق، وقبره بها، وقبره مشهور، بنى عليه ولده سلطان قبَّة محكمة، فهدمتها الوهابية[(١)].

وكانت ليلة وفاته ليلة الجمعة وثالث من شهر رمضان سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف.

ووقفتُ على تاريخ للشيخ العالم محمَّد بن عريق العدواني، أن الإمام سيف بن سلطان لمَّا مات بلغ ما خلفه من النَّخل بعُمان ثلثها، وأحدث فلج الصَّايغي بالرُّستاق وفلج البزيلي من الظَّاهرة، وفلج الكوثر من الحزم، وفلج البرزمان، وفلج المسفاة[(٢)]، وملك سبعمائة عبدٍ، وثُمَّاني وعشرين سفينة، منها، الفلك، والملك، والرحماني، وكعب راس، والصَّالحي، وكل مركب من هذه المراكب غاية في الصفة، وكان في الفلك ثمَّانون مدفعاً، غلظ أصل كل مدفع منها ثلاثة أشبار، وَفَسَّلَ[(٣)] بنعُمان [٢٦٠-أ] بركة ثلاثين ألف نخلة، مبسلي[(٤)]، وستة آلاف نارجيلة، غير الَّذي غرسه ببئر النشاوة، والراضّة، والمنذرية، واشترى أموال بني لمك[(٥)]، وأموال بني عدي من وادي السَّحتن[(٦)].

---

(١) يقصد الوهابية: أتباع مذهب محمد بن عبد الوهاب في الدرعية، الذين هاجموا عُمان في عهد السيد سلطان بن أحمد وابنه السلطان سعيد بن سلطان البوسعيدي.

(٢) المسفاة: مسفاة العبريين التابعة لولاية الحمرا، في المنطقة الداخلية من عُمان.

(٣) فَسَّلَ: الفسيلة: هي النخلة الصغيرة، وفَسَّلَ بمعنى زرع.

(٤) مبسلي: نوع من أنواع التمور.

(٥) بنو لمك: قبيلة قحطانية، يتصل نسبها إلى كندة بن عفير بن عدي بن الحارث بن مرّة ابن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود النبي عليه الصلاة والسلام. والمفرد: اللمكي. انظر: الخروصي، سليمان بن خلف بن محمد: ملامح من التاريخ العُماني، ص٢٥٥.

(٦) وادي السَّحتن: واد به بلدان العبريين، وأخرى لبني غافر، ومن هم من لفيفهم، =

◆ [الإمام سلطان بن سيف الثاني (١١٢٣-١١٣١هـ/١٧١١-١٧١٨م)]:

ثُمَّ عقد بعده لولده: سلطان [بن سيف][١] بن سلطان بن سيف بن مالك بن بلعرب بن سلطان بن مالك بن بلعرب بن سلطان بن محمَّد اليعربي، فقام بأمر الله، وجاهد الأعداء في البرِّ والبحر، وحارب العجم في مواضع شتَّى، وبنى حصن الحزم، وانتقل من الرُّستاق إليه، وأنفق ما ورثه من أبيه من المال، واقترض كثيراً من أموال المساجد والوقوفات لكوكاً[٢] لبنيان حصن الحزم، وغزا البحرين، فاستخلصها، ولم تتحرك عليه حركة من أهل عُمان، ولا غيرها من البلدان، وهابته أهل عُمان هيبة، منها أنه مضى ذات يوم ومعه عبده أبو سعيدين، ولم يكن معهما ثالث من النَّاس، حتَّى إذا كانا خلف دهاس السَّلاميين، وقيل: دون الطباقة، شهدا رجلاً من الأعراب [١٦٩-ب] راكباً على جمل، قد حمل عليه جرابي تمر فرض من الظَّاهرة، يريد أن يبيعهما في سوق الرُّستاق، فقال الإمام لعبده: تأخر، واتئني إذا أشرت إليك بيدي سريعاً.

فتقدم الإمام إلى الأعرابي مشتملاً على شنّ[٣] به ماء، وسيفه وترسه على عاتقه، فلمَّا اقترب من الأعرابي، ولم يعرف أنه هو الإمام، قال له: ياحامل الشّن، اسقني شربة من شنّك.

فقال له الإمام: إذا لم أسقك فما أنت فاعل؟

= يعرفهم كل أحد، فيه قرى متعددة ومزارع معروفة.انظر: السيابي، سالم بن حمود ابن شامس: العنوان عن تاريخ عُمان، ص٢١.

(١) سقطت من النسختين (أ) و(ب) وما أثبتناه في النص استدراك من: ابن رزيق، حميد ابن محمد: الصحيفة القحطانية، ج٥، ص٢٤٨.

(٢) الك: نوع من العملة المتداولة في عُمان آنذاك.

(٣) شنّ: الشن هو القربة الصغيرة.

فقال: ولولا وجود سلطان بن سيف لضربتك بهذا السَّيف، في خبر.

وفي خبر آخر، أن الإمام جعل يشدد عليه الكلام ليختبره، هل هو على طريقة الأعراب الَّذين همتهم نهب أموال النَّاس ظلماً، أم سرت إليه هيبة العدل، فثبطته عن ذلك.

ثُمَّ أشار الإمام إلى العبد، فأتى إليه سريعاً، فانتهر الأعرابي، وقال له: ومثلك من يطاول الإمام بالكلام؟

[٢٦١-أ] فلمَّا استيقن الأعرابي أن الحرَّ هو الإمام، والعبد عبده، قطع الحبل عن الجرابين، وهرب على جمله، حتَّى بلغ إلى أرض بني مهرة[١] من الخوف.

فلمَّا رجع الإمام إلى الرُّستاق، وسأل عن الأعرابي، أُخبر بعد أيَّام طويلة أن الأعرابي زفيتي[٢] النَّسب، قد حمل جرابي تمر على ظهر جمله، فبعث إليه واحداً من عسكره عن عوض الجرابين، وقال له: إن لم تجده، سل عن أهله، فإذا عرفتهم، ادفع الدَّراهم لهم، أو له، وقل له، أو لهم، إذا ما وجدته: أن يمضوا إلى جرابيهم، فإنَّهما بالمكان الفلاني.

فلمَّا مضى رسوله إليه، لم يجده، وسأل أهله عنه، فقالوا: لا علم لنا به بعد ما انصرف عنا، فأخبرهم الخبر كله. وأعطاهم الدَّراهم، ومضوا إلى الجرابين، فوجدوهما، حيث وصف لهم رسول الإمام، فشكروا صنيع

---

(١) بنو مهرة: قبيلة قحطانية، يتصل نسبها إلى مهرة بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة، وهو الذي تنسب إليه الإبل المهرية الشهيرة، وتنسب قضاعة إلى قحطان بن هود النبي عليه الصلاة والسلام، والمفرد: المهري. انظر: الخروصي، سليمان بن خلف بن محمد: ملامح من التاريخ العُماني، ص٢٥٧-٢٥٨.

(٢) زفيتي النسب: الزفيتيون من قبائل الظاهرة.

الإمام، وأثنوا عليه، واقتفوا أثر بعير صاحبهم، فوجدوه ملتفًّا ببني مهرة من الخوف، فرجعوا به إلى داره ودارهم تنعم[١].

ومن هيبته، أنه كان رجل تاجر من أهل اليمن يأتي إلى الرُّستاق في كل سنة، حاملاً إليها من الأمتعة الورسيَّة[٢] وغيرها شيئاً كثيراً، فيقيم بالرُّستاق يبيع ويشتري إلى الموسم، فيحصل له من الربح شيء جزيل، ثُمَّ يرجع إلى مسقط، ليسافر منها إلى اليمن.

فأتى ذات سنة كعاداته الأولى، فباع، واشترى، فحصل له من الربح مال كثير، فلمَّا أراد الرجوع، شهده رجل من أعراب الظَّاهرة، قد أقبل من السَّوق حاملاً على كتفه كيسين بهما دراهم، فطمعت نفسُ الأعرابي في الدَّراهم، فجعل يمشي خلفه، لمَّا انفصل عن الرُّستاق، والرجل اليمني لم يشعر به، فبيَّته[٣] في البيد، المسمَّى شعاب المرخ، فسرق عليه الكيسين، وهو نائم، فحث ناقته، بعدما سرقه، بالمسير إلى رجل أعرابي، يسمى سالم بن هويشل، وهو رجل حاذق، قد جعل له الإمام من بيت المال نصيباً لقصِّ الأثر، ومسكنه بعرعر من الرُّستاق، فصوّت عليه ليلاً، فلمَّا خرج إليه، أخبره بما صنعه بالرجل اليمني، ورمى إليه كيساً [٢٦٢-أ] من الكيسين اللَّذين سرقهما عليه، ورغَّبه في أخذ الكيس، فبقى سالم يفكِّر في نفسه طويلاً، ثُمَّ سوَّلت له نفسه بأخذ المال، فقال لصاحبه: أنت امضِ في حال سبيلك، وأنا إذا أمرني الإمام بقصِّ الأثر، فأموّه له الكلام، فانحدر السَّارق يحثّ ناقته، فما طلعت الشَّمس عليه، إلَّا وهو في قرية ودام[٤]،

---

(١) تنعم: قرية من قرى الظاهرة، قريبة من مدينة عبري.

(٢) الأمتعة الورسيّة: أي الثياب المصبوغة بالورس، وهو نبات يزرع في اليمن.

(٣) فبيّته: أي أمضى ليلته في الصحراء.

(٤) ودام: قرية في سهل الباطنة، من أعمال ولاية المصنعة.

فباع ناقته على أعرابي من أعراب ودام، واستكرى سفينة صغيرة منها إلى مكران[١].

ولما انتبه الرّجل اليمني من المنام، لم يجد الكيسين ولا الدَّراهم، فجعل يلطم خده، ويشق ثيابه من الغمِّ، فرجع إلى الرُّستاق، وشكا ما جرى له.

فبعث الإمام إلى سالم القصَّاص، وقال: قصّ أثر سارق دراهم الرّجل الغريب، فإنه يزعم قد وضعها في كيسين، فسرقا عليه.

فقال سالم لليمني: ففي أي مكان جرى عليك هذا؟

فقال: مكان لا أعرف اسمه، ولكن من صفته كذا وكذا.

فقال الإمام ومن حضر معه [١٧٠-ب]: فعلى ما يذكر هذا الغريب هو المكان المسمَّى شعاب المرخ.

فمضى سالم من أول نهار ذلك اليوم، ورجع عند غروب الشَّمس، فقال له الإمام: ما الخبر؟ فقال: يا إمام المسلمين، لقد فلوت[٢] الطّرق كلها، فرأيت أثر الأقدام، وقد وقع بعضها على بعض، فما نفعني القصُّ بشيء، فأقلني من ذلك، واعذر، فإنَّ الغيب فيه العجائب.

فنظر الإمام إليه شزراً[٣]، ثُمَّ قال: يا سالم، لا يجديك قولك هذا بشيء عن العقوبة، إرجع ثانية، وقصَّ الأثر، فإن قلبي يحدثني، أن نفسك

(١) مكران: مدينة في فارس، سميت مكران بمكران بن فارك بن سام بن نوح (ﷺ)، أخي كرمان، لأنه نزلها واستوطنها. انظر: «الحموي، ياقوت بن عبدالله»: معجم البلدان، ج٣، ص١٧٩-١٨٠.

(٢) فلوت: أي بحثتُ وفتّشتُ.

(٣) شزراً: نظرة الغضبان بمؤخر العين.

قد سوّلت لك بشيء شيّن، فاترك ما عزمت عليه من الغدر، ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ﴾(١)، وقالت له خاصَّة الإمام: ارجع يا سالم، وامتثل أوامر الإمام، فعسى الله أن يهديك إلى الصَّواب.

فسار، ورجع، فقال للإمام مثل مَقَالِه الأوَّل، فأمر الإمام بصلبه، وقال: لا أحد يسقيه ما دام في صلبه، فلمَّا أشرف على الموت من العطش، شفع له واحد من خاصة الإمام مع الإمام، وقال للإمام: أمهل سالماً إلى عشرة أيَّام في قصِّ الأثر والبحث [٢٦٣-أ] عن السَّارق، فعسى الله أن يظفره عليه، فأجابه الإمام إلى ذلك.

فانطلق سالم يقص الأثر، فرأى أثر ناقة صاحبه قد انحدر إلى خط البحر، فتبعه إلى ودام، ثُمَّ تتبع الأثر إلى بيت المشتري، فوجد النَّاقة، فقال له: أين صاحب هذه النَّاقة؟

فقال: صاحبها أنا الآن، فإني اشتريتها من أعرابي من أعراب الظَّاهرة بكذا وكذا، فقبض مني الثمن، وسافر إلى مكران.

فقال له: إنه لص، وقد سرق على رجل غريب تاجر من أهل اليمن مالاً كثيراً، وقد بعثني الإمام لآتي به أسيراً.

فقال له: لو علمت أنّه لصّ لما اشتريت منه النَّاقة، وللزمته أنا والجماعة، وبعثنا به إلى الإمام.

فقال: استَكْرِ لي سفينة إلى مكران، فإني لأطلبه حيث كان من المكان.

فاستكرى له سفينة صغيرة لبعض المساكين الَّذين يعملون في البحر.

(١) سورة يوسف، الآية: ٥٣.

فلمَّا بلغت به إلى مكران تتبع أثره، فوجده يسعى به في السَّبيل إلى أن يفضي به إلى بلد السّند[١]، فأحثّ السير إليه، فرآه دون السّند نائماً تحت [ظل][٢] شجرة عظيمة، وقد وضع الكيس تحت رأسه، فجذبه عنه جذباً مفرطاً، وسلّ عليه السَّيف، فهرب منه، فلم يزل يتبعه حتَّى غاب عن بصره.

فرجع بالكيس، واستكرى سفينة إلى ودام، فلمَّا وصلها، قال للرَّجل الَّذي اشترى النَّاقة: اصحبني إلى الإمام، واحكِي له خبر الرّجل الَّذي اشتريت منه النَّاقة، فإنّي وجدته قد سلك طريق السّند، فهجمت عليه وهو نائم في ظل شجرة، فهرب، وقد أخذت الكيس منه، وأخبره الخبر كله.

فمضيا إلى الإمام والرجل يقود النَّاقة، وسالم يمشي أمامه، حتَّى إذا كانا دون بيته، أوقفه، ودخل بيته، فوضع الدَّراهم الَّتي شاطره بها السّارق في الكيس الَّذي أخذه منه لمَّا هرب عنه.

فلمَّا وصلا إلى الإمام، وأخبراه الخبر كله، قال لمشتري النَّاقة: أنت ارجع بناقتك إلى حيث شئت، لا بأس عليك، وأمر على سالم بالقيد والحبس، فمكث في الحبس والقيد سنة، ثُمَّ أطلقه، فقال له: لولا أن الحكم الشرعي مبني على الظَّاهر لقطعت يدك، فاذهب حيث

---

(١) السند: بلاد بين بلاد الهند وكرمان وسجستان، قالوا: السند والهند كانا أخوين من ولد بوقير بن يقطن بن حام بن نوح. يقال للواحد من أهلها «سندي» والبعض يجعل مكران منها، ويقول: هي خمس كور، فأولها من قبل كرمان، مكران، ثم طوران، ثم السند، ثم الهند، والتيز، وهي أيضاً على ساحل البحر، فتحت في أيام الحجاج بن يوسف الثقفي. انظر: الحموي، ياقوت بن عبدالله: معجم البلدان، ج٣، ص٢٦٧.

(٢) سقطت من النسخة (ب).

شئت، وأحال الفريضة[1] الَّتي [٢٦٤-أ] كان يأخذها لقص الأثر إلى رجل آخر.

وأما الرّجل التاجر اليمني، ففي حال وصول سالم بالدَّراهم أنفذها إليه، وقال احسبها، فلمَّا حسبها وجدها كما هي، فشكر الإمام، وأثنى عليه، ورجع إلى مسقط، وقد صحبه من قبل الإمام رجال عدة إلى مسقط.

فلمَّا وصل إلى اليمن، وأخبر الخاصَّة والعامَّة عن الإمام، أثنوا عليه، وقالوا: نِعْمَ الإمام العادل، فنظيره عديم.

◆ [الإمام سيف بن سلطان الثاني - البيعة الأولى - (١١٣١-١١٣١هـ/١٧١٨-١٧١٨م)]:

ولما توفي الإمام [١٧١-ب] سلطان بن سيف[2]، وقع الاختلاف

---

(١) الفريضة: الأجر.

(٢) سلطان بن سيف: الإمام سلطان بن سيف بن سلطان بن سيف بن سلطان بن مالك ابن بلعرب بن سلطان بن مالك بن أبي العرب بن محمد بن يعرب بن سلطان بن حمير بن مزاحم بن يعرب بن محمد بن يعرب بن مالك اليعربي.ولد بالرستاق، بويع بالإمامة سنة ١١٤٠هـ بعد مقتل محمد بن ناصر بن سليمان ومن معه من المشايخ والرؤساء، وقد أحدث أموراً أنكرها عليه المسلمون، فخلعوه ونصبوا بلعرب بن حمير وذلك سنة ١١٤٦هـ. وبعد خلعه ثارت ثائرته، فتمسك بالحصون التي بين يديه، وأعلن الحرب على بلعرب. وفي عام ١١٤٨هـ استقدم سيف جنوداً من العجم، وجعل سف أخاه بلعرب أميراً عليهم، وخرجوا لقتال بلعرب، فالتقى بهم بلعرب بالظاهرة، واقتتلوا قتالاً شديداً. في عام ١١٤٨هـ بدأت علاقته مع الإمام أحمد بن سعيد فولاه صحار. استمر سيف في الحكم إلى سنة ١١٥٤هـ، حيث بايع المسلمون سلطان بن مرشد، وقد خاض معه معارك عنيفة أدت إلى مقتل سلطان بن مرشد، وذهب سيف إلى حصن الحزم، ولم يدم فيه إلَّا أياماً قلائل، فقتل مبطوناً، ودفن داخل الحصن سنة١١٥٢هـ، وقيل: سنة ١١٥٦هـ انظر: ناصر، محمد صالح، =

بين أهل عُمان، وكثرت منهم الحميات والعصبيات، فأراد غير أهل العلم أن يكون بعده ولده سيف بن سلطان، وكان سيف يومئذٍ صغيراً لم يبلغ الحلم، ولم يراهق، وأراد أهل العلم والحلم والورع أن تكون الإمامة بعده لولده مهنًا بن سلطان، لمَّا رأوه أهلاً لها، وأنه لذو قوَّة عليها، ولم يجدوا ما يخرجه من الولاية، وقد علموا أن إمامة الصَّبي لا تجوز على حال، لأن إمامته لا تجوز في الصَّلاة، فكيف يكون إمام مصر، يتولى الأحكام، ويلي الأموال والدِّماء والفروج، ولا يجوز أن يقبض مال الله، ومال الأيتام والأغياب، ومن لا يملك أمره، فكيف أن يملك أمور النَّاس؟

فلمَّا رأى الشَّيخ عدي بن سليمان الذُّهلي[1] ميل النَّاس إلى ولد الإمام سيف بن سلطان، ولم يجد الرّخصة ليتابعهم على ميلهم، وخاف أن تقع الفتنة بينهم، لاجتماع النَّاس بالسِّلاح، وربما شهروا السِّلاح، ووقع بينهم بعض الجراح، فأراد أن يسكتهم، ويفرِّق اجتماعهم، فقال:

= والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٢٢٨-٢٢٩. وانظر: ابن رزيق، حميد بن محمد: الصحيفة القحطانية، ج٥، ص٢٤٨.

(١) الشيخ عدي بن سليمان الذهلي: هو الشيخ، العالم، الفقيه، القاضي، عدي بن سليمان بن راشد بن حسن بن بغسان بن سعيد بن ربيعة بن سعيد بن كهلان بن راشد بن محمد بن صلت بن ربيعة الذهبي. من علماء القرن الثاني عشر الهجري، ومن قضاة أئمة اليعاربة الآخرين، أيام الإمام سلطان بن سيف (الثاني) ثم الإمام الهنا ابن سلطان، وكان هو العاقد عليه الإمامة، وذلك بعد وفاة الإمام سلطان بن سيف الثاني. لكن اليعاربة أرادوا البيعة لسيف بن سلطان (الثاني) ولم يبلغ الحلم، فقال الشيخ عدي بعدم جواز ذلك، ووقع الخلاف بين اليعاربة ورؤساء القبائل من جهة، وأهل الحل والعقد والإمام مهنا بن سلطان من جهة أخرى، وأضمروا العداوة لهم، وألقوا القبض على الشيخ عدي، وقيدوه، وقتلوه سنة ١٧٢١م. انظر: البطاشي، سيف بن حمود بن حامد: إتحاف الأعيان، ج٣، ص٣٨٨.

«أمامكم سيف بن سلطان»، بفتحِ الألف والميم، يعني قدّامكم، فعند ذلك نادوا له بالإمامة، وضربت له المدافع إظهاراً واشتهاراً، وانتشر الخبر بعُمان، أن الإمام سيف بن سلطان بن سيف بن سلطان بن مالك بن بلعرب ابن سلطان بن مالك بن بلعرب بن سلطان بن مالك اليعربي.

◆ [الإمام مهنّا بن سلطان (١١٣١-١١٣٣هـ/١٧١٨-١٧٢١م)]:

[٢٦٥-أ] فلمّا سكنت الحركات، وهدأت النَّاس، أدخلوا مهنّا بن سلطان[١] الحصن خفية، وعقدوا له الإمامة في الشَّهر الَّذي مات فيه أبوه سلطان بن سيف من هذه السّنة، وهي سنة إحدى وثلاثين ومائة بعد الألف، كما ذكرنا.

فقام الإمام مهنّا بن سلطان بن سيف اليعربي بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والعدل والإنصاف، واستراحت الرَّعيّة في زمانه، وحطّ عنهم القعادات في مسقط، ولم يجعل بها وكيلاً، وربحت الرعيّة في متجرها، ورخصت الأسعار، وبورك في الثِّمار، ولم ينكر عليه أحد من

(١) مهنا بن سلطان: الإمام مهنا بن سلطان بن سيف بن سلطان بن سيف بن سلطان بن مالك بن بلعرب بن سلطان بن مالك بن أبي العرب بن محمد بن يعرب بن سلطان ابن حمير بن مزاحم بن يعرب بن محمد بن يعرب بن مالك اليعربي. سادس أئمة اليعاربة، وهو زوج بنت الإمام سلطان بن سيف الثاني، بويع بالإمامة بعد الإمام سلطان بن سيف الثاني على يد القاضي عدي بن سليمان الذهلي في حصن الحزم بالرستاق في جمادى الآخرة سنة ١١٣١هـ. كانت منه سيرة حسنة، حتى قام عليه يعرب بن بلعرب اليعربي بتحريض من أهل الرستاق، وقد قتله عبيد يعرب وهو مقيد في الحصن، وكان ذلك سنة ١١٣٣هـ. انظر: بن رزيق، حميد بن محمد: الصحيفة القحطانية، ج٥، ص٢٥٦. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٤٥٩.

العلماء شيئاً، فلبث على ذلك سنة حتَّى قتل، وسنشرح كيفية قتله من سبب الفتنة، وما آلت إليه أمور عُمان، من الامتحان والامتهان.

وذلك لمَّا عقد لمهنَّا بن سلطان بن سيف بن سلطان، لم تزل اليعاربة وأهل الرُّستاق مسرّين العداوة له، وللقاضي عدي بن سليمان الذُّهلي، (رحمه الله)، وما برحوا يحضُّون يعرب بن بلعرب بن سلطان على القيام والخروج، حتَّى خرج على الإمام مهنَّا بن سلطان، فقهر عليه مسقط، ولم يدخلها بجيش، ولكنَّ أهلها لم يخلوا من خيانة للإمام مهنَّا بن سلطان، وكان الوالي فيها يومئذٍ الشَّيخ مسعود بن محمَّد الصَّارمي[1]، والإمام مهنَّا ابن سلطان يومئذٍ بفلج البزيلي من ناحية الجوف، الَّتي تسميها العامَّة الجو، فبلغه الخبر، فرجع إلى الرُّستاق، فقام وشمَّر، واجتهد، وما قصّر، وطلب من أهل عُمان النَّصر على من اعتدى عليه، فلم ينصروه، وخذلته الرّعيّة، وحصره أهل الرُّستاق في القلعة الَّتي فيها، وحاربوه.

ثُمَّ سار يعرب من مسقط إلى الرُّستاق، وسأل مهنَّا النزول من القلعة بعد طول الحصار، وأعطاه الأمان على نفسه ومن معه، ففكر مهنَّا في أمره، فرأى نفسه أنه مخذول، وليس له ناصر من أهل عُمان، وكل من يعده له من الإخوان صار له خوَّان، فأجاب إلى النزول [٢٦٦-أ]، فنزل من القلعة، فزالت بذلك إمامته.

---

(١) مسعود بن محمد الصارمي: هو الشيخ الفقيه مسعود بن محمد بن مسعود بن سعيد ابن محمد بن أبي سبت الصارمي الريامي. كان من ولاة الإمام سيف بن سلطان (الثاني) على مدينة صور، عيّن أيضاً على مسقط لجدّه الإمام سيف بن سلطان (قيد الأرض) سنة (١١١٦هـ/ ١٧٠٤م)، لا يعرف تاريخ وفاته، إلّا أنه كان على قيد الحياة إلى أيام الإمام سيف بن سلطان (الثاني) المنصوب سنة (١١٤٠هـ/١٧٢٨م). انظر: البطاشي، سيف بن حمود بن حامد: إتحاف الأعيان، ج٣، ص٤٩٣-٤٩٤.

فلمَّا وصل بيد يعرب، أمر أن يقيد، ويخشب، ومن معه من عمومته وأصحابه وشيعته، هذا بعد ما عاهده وأعطاه الأمان.

ثُمَّ هجم عليه وهو في السِّجن بعض خدام يعرب، فذبحه هو ومن معه.

◆ [الإمام يعرب بن بلعرب (١١٣٤-١١٣٤هـ/١٧٢٢-١٧٢٢م)]:

واستقام الأمر ليعرب بن بلعرب[1]، ولم يكن يدَّعي الإمامة [١٧٢-ب]، بل الإمامة يومئذٍ لابن عمِّه سيف بن سلطان، وهو قائم بأمره، إذ كان سيف يومئذٍ صغير السّن، لا يقوم بأمر الدَّولة، وسلَّمت له جميع حصون عُمان وقبائلها، وكان هذا الشَّأن سنة ثلاث وثلاثين ومائة وألف سنة، فلبثا على تلك الحال أحوالاً من الزمان.

ثُمَّ إنَّ القاضي عدي بن سليمان استتاب يعرب من جميع أفعاله الماضية من تعديه على المسلمين، وبغيه على مهنَّا بن سلطان، وقتله، واغتصابه لدولة المسلمين، وأن يعرب كان مستحلاً في خروجه هذا، فلم

---

(١) يعرب بن بلعرب: الإمام يعرب بن بلعرب بن سلطان بن مالك بن بلعرب بن سلطان ابن مالك بن أبي العرب بن سلطان بن مالك بن أبي العرب بن محمد بن يعرب بن سلطان بن حمير بن مزاحم بن يعرب بن مالك اليعربي. سابع الأئمة اليعربيين، خرج على الإمام مهنا بن سلطان اليعربي بتحريض من بعض اليعاربة وأهل الرستاق، وقتله سنة ١١٣٢هـ، واستقام له الأمر، وظل سنة يحكم باسم سيف بن سلطان، وكان صغير السن لا يقوم بأمر الدولة، ثم بويع سنة ١١٣٤هـ، وأقام بنزوى، ثم نشبت الثورة في البلاد وخرجت الرستاق ومسقط ونخل وسمائل عن طاعته، فخلع، وطلب الإقامة في حصن خبرين، ثم دخل نزوى وتوفي في الحصن في ١٣ جمادى الآخرة سنة ١١٥٣هـ، ودفن في مقبرة الأئمة بنزوى. انظر: ابن رزيق، حميد بن محمد: الصحيفة القحطانية، ج٥، ص٢٥٨. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٥٠٣.

يلزموه ضمان ما أتلف، لأنَّ المستّحل لما ركبه إذا تاب ورجع، تجزيه التَّوبة، فعند ذلك عقدوا له الإمامة في سنة أربع وثلاثين ومائة بعد الألف، فاستقام له الأمر، وأطاعته الرّعيّة، فلبث أيَّاماً يسيرة في الرُّستاق، ثُمَّ ذهب إلى نزوى، فدخلها يوم تاسع وعشرين من شعبان من هذه السّنة.

ثُمَّ إنَّ أهل الرُّستاق لم يرضوا بيعرب إماماً، فأظهروا العصبيَّة لسيف ابن سلطان، فما زالوا يكاتبون بلعرب[١] بن ناصر[٢] خال سيف بن سلطان، وهو يومئذٍ مقيم بنزوى مع الإمام يعرب، ويحضونه على القيام، حتَّى خرج من نزوى ليلة ست مضت من شوَّال من هذه السّنة، وقصد بلاد سيت، فحالف بني هناءة على القيام معه، وعلى أن يطلق لهم ما حجره عليهم الإمام ناصر بن مرشد، (رحمه الله)، من البناء، وحمل السِّلاح،

(١) بلعرب بن ناصر وفي الصحيفة القحطانية «بلعرب بن ناصر» بينما يذكر السالمي أنه «يعرب بن ناصر» خال سيف بن سلطان (الثاني) انظر: ابن رزيق، حميد بن محمد: الصحيفة القحطانية، ج٥، ص٢٥٨. وانظر: السالمي، نور الدين عبدالله بن محمد: تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان، ج٢، ص١٢٥. وفيما يأتي ترجمته: بلعرب بن ناصر اليعربي: قائد من قواد اليعاربة، سكن نزوى، وهو خال الإمام سيف بن سلطان، خرج على الإمام يعرب بن بلعرب وتعصب لابن أخته سيف، وتعاون مع أهل الرستاق على حربه واستمال معه بني هناءة، ودانت له البلاد باسم سيف بن سلطان، ووقعت بينه وبين الإمام محمد بن ناصر الغافري وقائع تغلب فيها محمد ابن ناصر على بلعرب ولا نعلم سنة وفاته. انظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٧٣-٧٤.

(٢) يعرب بن ناصر: يعرب بن ناصر اليعربي، قائد، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، كتب إليه أهل الرستاق يستنجدون به، بعدما اغتصب يعرب بن بلعرب الإمامة من سيف بن سلطان، فقام في وجه الإمام يعرب بن بلعرب، حتى استردّ الإمامة منه. انظر: دليل أعلام عُمان، ص١٧٣. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٥٠٤.

وغير ذلك، مما حجر عليهم، وأعطاهم عطايا جزيلة، فصحبوه إلى الرُّستاق، فاستقامت الحرب فيها، حتَّى أخرجوا الوالي منها، وأحرقوا باب [٢٦٧-أ] الحصن، فاحترق مقدم الحصن جميعاً، واحترقت ناس كثيرة من بني هناءة ورؤسائهم، ورؤساء بني عدي.

فعلى تواتر الأخبار الصِّحاح أنه احترق مائة وخمسون رجلاً، واحترقت كتب شهيرة كثيرة مثل: بيان الشَّرع[١]، والمصنّف[٢]، وكتاب الاستقامة[٣]، ومجلدات الطَّلمسات مع كتب كثيرة، لم يكن لها نظير، وظهر من هذا الحريق كنز عظيم في الحصن.

---

(١) بيان الشرع: مؤلف كبير يقع في اثنين وسبعين جزءاً في علم الكلام وعلوم الشريعة، فهو موسوعة شاملة، تضم أقوال العلماء المتقدمين في هذه العلوم الشرعية، وقد نقلها مؤلفه العلّامة الشيخ محمد بن إبراهيم الكندي بدقة وأمانة، وقدمها في كتابه الموسوعي القيّم ليزوّد المكتبة العُمانية والإسلامية بمصدر قيّم، لا غنى عنه للدارسين. انظر: عُمان في التاريخ، ص٢٣٨.

(٢) «المصنف»: كتاب المصنف لمؤلفه العلّامة الفقيه الداركة الشيخ أحمد بن عبدالله بن موسى بن سليمان بن محمد بن عبدالله بن المقداد الكندي النزوي الفلّوجي. يقع كتاب المصنف في واحد وأربعين جزءاً، وهو غني عن التعريف به، من أشهر كتب أصحابنا المشارقة، وأجودها تأليفاً وتبويباً، لا يفوقه في صنعة التصنيف، وحسن السبك، إلّا كتاب «منهج الطالبين». وقد اختصر كتاب «المصنف» الشيخ الفقيه عبدالله بن بشير الحضرمي الصحاري. انظر: البطاشي، سيف بن حمود بن حامد: إتحاف الأعيان، ج١، ص٣٢٦-٣٢٧.

(٣) «الاستقامة»: كتاب «الاستقامة» لمؤلفه الشيخ العلّامة، والحبر الفهّامة أبو سعيد محمد بن سعيد بن محمد بن سعيد الناعبي الكدمي (رحمه الله) وهو في الولاية والبراءة، وهو كتاب مطبوع. وقد قرظه العلّامة السيد أبو نبهان جاعد بن خميس الخروصي (رحمه الله) فقال: =

فلمَّا بلغ الخبر يعرب بن بلعرب، وبما صنع أهل الرُّستاق، سرّى سريّة، أمّر عليها الشَّيخ صالح بن محمَّد بن خلف السُّليمي، وأمره بالمسير إلى الرُّستاق، فسار حتَّى وصل بلدة العوابي[١]، ولم تكن لهم قدرة على دخولهم الرُّستاق، فرجعوا إلى نزوى.

ثُمَّ إنَّ بلعرب بن ناصر كتب إلى والي مسقط، أن يخلِّصها لهم، وكان الوالي بها يومئذٍ حمير بن منير بن سليمان الرِّيامي[٢]، فخلصها لهم وخلصت لهم بلدة نخل بغير حرب.

ثُمَّ أخرجوا سريَّة عليها مالك بن سيف بن ماجد اليعربي[٣]، فسار

= ألا سفرُ الاستقامةِ في الدنا لشمسٌ ويزري الشمسَ إن غسقَ الدُّجا
ألم ترها أن لا ترى فيه كلمة وهذا به منها يرى ثم أبلجا

انظر: البطاشي، سيف بن حمود بن حامد: إتحاف الأعيان، ج١، ص٢٨٢-٢٨٨.

(١) العوابي: قرية في منطقة الرستاق.

(٢) حمير بن منير بن سليمان الريامي: والٍ، قائد، شيخ وعالم، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، كان والي مسقط كتب إليه أن يسلم مسقط للسرية التي أرسلها، وخلصت لهم قرية نخل بغير حرب، ثم عيّن والياً على مسقط في عهد الإمام يعرب بن بلعرب. قام حمير بن منير على رأس قومه، ومعه أهل سمائل، بمقاتلة الفرس، الذين استقدمهم سيف بن سلطان (الثاني) لمناصرته على ابن عمه بلعرب بن حمير، ثم سار حمير بمن معه من العسكر وأهل إزكي، وبنو ريام إلى بهلا، وحرروها من الفرس. انظر: دليل أعلام عُمان، ص٥٣. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص١١٥.

(٣) مالك بن سيف بن ماجد اليعربي: قائد، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، أحد قواد الإمام بلعرب بن ناصر في حروبه ضدّ يعرب بن بلعرب، أرسله بلعرب على رأس سرية عسكرية إلى سمائل، فافتتحها بغير حرب، وصحبه بنو رواحة إلى إزكي، فافتتحها أيضاً بغير حرب، ثم خرج يعرب بن بلعرب ومن معه من أهل نزوى قاصداً =

إلى سمايل، فافتتحها بغير حرب، وصحبته بنو رواحة إلى إزكي، فلمَّا وصلها، خلصت له بغير حرب، وأخرج الوالي منها، وذلك في شهر ذي القعدة من هذه السّنة.

ثُمَّ إنَّ يعرب خرج بمن معه من نزوى وبني ريام والقاضي عديّ بن سليمان الذُّهلي، حتَّى وصل إلى إزكي، فالتقاه أهلها بالضِّيافة والطَّعام، وقالوا له: نحن معك، وفي طاعة الله، ثُمَّ طاعتك.

فمكث يكاتب مالك بن سيف ليخرج من الحصن يومه، فأتى عليه، فنصب يعرب له الحرب، وضرب الحصن ضربتي مدفع.

ثُمَّ وصلت إلى يعرب عساكر بني هناءة، يتقدمهم صاحب العنبور[1] من أهل الرُّستاق، فتفرقت عساكر يعرب، وبقي مخذولاً، فرجع إلى نزوى.

وأما الشَّيخ عدي بن سليمان، فإنَّه قصد الرُّستاق، فلمَّا وصلها،

= إزكي، فأرسل إلى مالك كي يخرج منها، فرفض، وقامت الحرب بينهما، إلى أن انتهت بانتصار مالك، فرجع يعرب إلى نزوى مخذولاً. انظر: دليل أعلام عُمان، ص١٤٢. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٣٦١.

(١) صاحب العنبور: هو علي بن محمد العنبوري الرستاقي، قائد، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، كان رئيس بني هناءة، حضر على رأس كتيبة إلى إزكي مناصراً لمالك بن سيف، وعندما حاصرت عساكر الإمام يعرب بن بلعرب حصن إزكي، لم يستطع يعرب مواصلة القتال، ورجع مخذولاً إلى نزوى، فمضى العنبور في أثره، وأخذ يبادل الإمام يعرب المراسلات من قلعة نزوى، قتل في المعركة التي وقعت بينه وبين محمد بن ناصر بالرستاق. انظر: دليل أعلام عُمان، ص١١٩. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٣٢٠.

أخذه أعوان بلعرب بن ناصر، فصلبوه، ومعه القاضي سليمان بن خلفان، ثُمَّ قتلا وهما مصلوبان، وسحبهما أهل الرُّستاق كما تسحب البهائم الميتة، وذلك يوم الحجّ الأكبر من هذه السّنة.

ثُمَّ [١٧٣-ب] إنَّ صاحب العنبور مضى إلى نزوى، ودخل على يعرب أناس [٢٦٨-أ] كثيرة، وسألوه الخروج منها لأجل حقن الدماء، ولم يزالوا به كذلك حتَّى أعطاهم، على أن يتركوه في حصن يبرين، ولا يسوؤه بسوء، فأعطوه العهد على ذلك فخرج من نزوى، فزالت إمامته، ومضى إلى يبرين.

◆ [الإمام سيف بن سلطان الثاني - البيعة الثانية - (١١٣٤-١١٣٧هـ/١٧٢٢-١٧٢٥م)]:

ودخل صاحب العنبور قلعة نزوى، وأمر بضرب مدافعها جميعاً، فضربت، ونادى بالإمامة لسيف بن سلطان، وخلصت له جميع حصون عُمان، وسلَّمت له جميع القبائل والبلدان.

واستقام له الأمر شهرين، إلَّا ثلاثة أيَّام، حتَّى أراد الله ظهور ما سبق في علمه أن سيكون على أهل عُمان بما غيَّروا وبدَّلوا. قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْۗ﴾[1]. الآية.

وفي ذلك الامتحان ليثبت المخلص في سريرته، ولتزلَّ قدم بعد ثبوتها، فزلقت، وخالفت علانيَّته وسريرته، وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[2] الآية.

---

(١) سورة الرعد، الآية: ١١.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٣.

وقال جلّ وعلا: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾[1]. الآية.

وقال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾[2] الآية.

والله أعلم هاهنا ظهور ما سبق في علمه القدر المحتوم، فظهر من كلّ ذي فعل فعله، فيعاقب من منع، ويثاب من أطاع، ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾[3] الآية، والفتنة هنا الاختبار، وقيل: عند الامتحان يكرم الرّجل أو يهان.

فلمَّا استقرَّ الأمر ليعرب بن ناصر على أنه القائم بالدَّولة، وعلى أن الإمام سيف بن سلطان، وفدت عليهما القبائل ورؤساء البلدان، يهنئونهما بذلك.

ووقع من بلعرب بن ناصر التهدّد على بعض القبائل، وخاصة على بني غافر وأهل بهلا، ولما قدم عليه محمَّد بن ناصر بن عامر [٢٦٩-أ] ابن رمثة الغافري العطابي الشّكيلي الغافري في جماعة من قومه، وقع عليه من بلعرب بن ناصر تهدّد، فرجع عنه محمَّد بن ناصر مغضباً، وجعل يكاتب يعرب بن بلعرب، وأهل بهلا أن يقوموا بالحرب على

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٨.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ١٠، ١١.

(٣) سورة النجم، الآية: ٣١.

بلعرب، وركب هو إلى البدو من الظَّفرة من بني نعيم[١]، وبني قتب[٢]، وغيرهم.

وأمَّا بلعرب بن ناصر فقد أرسل إلى رؤساء نزوى ليصلوا إليه، فاجتمع معه كثير من رؤسائها، وأكابرها، ورأوا منه غاية الاحتشام والإكرام، وأمرهم بالبيعة لسيف بن سلطان.

وسرّى سريَّة، وأمر عليها أخاه سليمان بن ناصر[٣]، وأمره بالمسير على طريق وادي سمايل، لوصول يعرب إليه لبلدة الرُّستاق، وأمر على

---

(١) بنو نعيم: قبيلة أزدية قحطانية، يتصل نسبها إلى نعيم بن عمران بن عمرو بن عامر (ماء السماء) بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد. والمفرد. النعيمي. انظر: الخروصي، سليمان بن خلف بن محمد: ملامح من التاريخ العُماني، ص٢٥٥.

(٢) بنو قتب: قبيلة قحطانية، يتصل نسبها إلى قتبان بن دمان بن الأملوك بن ردمان بن مالك بن عمرو بن الغوث بن حيدان بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهيسع ابن حمير الأكبر بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود النبي عليه الصلاة والسلام. والمفرد: القتبي. انظر: الخروصي، سليمان بن خلف بن محمد: ملامح من التاريخ العُماني، ص٢٥٦.

(٣) سليمان بن ناصر: سليمان بن ناصر اليعربي، قائد، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، كان مسكنه نزوى، وهو شقيق يعرب بن ناصر، أرسله أخوه على رأس سرية، وأمره بالمسير إلى جانب وادي سمائل، ليقبض على يعرب بن بلعرب الملك المخلوع، ويأتي به إلى الرستاق، ومضت السرية إلى أن وصلت إلى فرق، فسمعوا أصوات المدافع في قلعة نزوى، فعرفوا أن بلعرب دخل القلعة، فخرجوا إلى إزكي، واستولوا على حصنها. انظر: دليل أعلام عُمان، ص٨٥. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٢٢١.

أهل نزوى أن يصحبوا تلك السريَّة، فلم يزالوا يتشفَّعون برؤساء أهل الرُّستاق ليعذرهم من ذلك، فعذرهم.

ومضت السريَّة، حتَّى وصلت قرية فرق، فباتت فيها، فبعث لهم أهل نزوى بالضِّيافة، فبينما هم كذلك إذ سمعوا ضرب المدافع من قلعة نزوى، فسألوا عن الخبر فقيل لهم: إن يعرب بن بلعرب دخل القلعة، فرجعوا إلى إزكي، وكان بلعرب بن ناصر قد سرَّى سريَّة أخرى إلى يعرب، وبعثهم من جانب الظَّاهرة. فلمَّا وصلوا بهلا، قبضهم أهلها.

وبعث سريَّة أخرى إلى وادي بني غافر، وأمر أميرها بحربهم، فلمَّا بادرهم بالحرب انكشف قومه. فرجع من سلم منهم إلى الرُّستاق.

وأما يعرب فإنه قد بعث سريَّة إلى إزكي تسحب مدفعين، فلمَّا وصلوا إليها، ركضوا على الحصن، فانكسروا، وقتل منهم بعض النَّاس، ثُمَّ بعث سريَّة أخرى إلى إزكي، فأقاموا في الجنَّات الغربيات، يضربون الحصن بالمدافع، فمكثوا على ذلك عشرة أيَّام.

ثُمَّ وصل مالك بن ناصر إلى إزكي، فركض هو ومن معه [١٧٤-ب] وأهل إزكي على قوم يعرب، فانكسر مالك بمن معه، فأغار البدو من أصحاب يعرب على سدّي[١] وحارة الرّحى من إزكي، فنهبوا ما وجدوه من طرفهما، وأحرقوا سكاكرا، ومقام حمير بن منير[٢]، ثُمَّ ركضت سريَّة أخرى على أهل اليمن من إزكي، فانكسرت.

فقيل لمحمَّد بن سعيد بن زياد البهلوي [٢٧٠-أ] ولمالك بن ناصر:

---

(١) سدّي: إحدى حارات مدينة إزكي.

(٢) حارة الرحى: إحدى حارات مدينة إزكي.

إن أهل النزار[١] قد خرجوا مع سريَّة يعرب حتَّى ركضوا على اليمن[٢]، فأرسل إلى مشايخ حجرة النزار[٣]، فلمَّا أتوه، قيدهم بالجامع من إزكي.

ثُمَّ أرسل مالك بن ناصر إلى قبائل الشَّرقيَّة، فجاءه منها خلق كثير، وأتاه بنو هناءة برجال عدَّة، فلمَّا اجتمعوا بإزكي، ركضوا على سريَّة يعرب، واشتمل عليه أهل الطّبول، وأناس من المنزليّة، وذلك يوم الجمعة عند زوال الشَّمس، فكانت بينهم وقعة يُسمعُ منها ضرب التّفق كالرَّعد القاصف، ويُرى بريق السّيوف كالبرق الخاطف.

فانكسر جنود يعرب، وقتل منهم أكثر ممن قتل من قوم مالك بن ناصر، فكان جملة القتلى من الفريقين ثلاثُمائة رجل، والله أعلم.

ثُمَّ إنَّ مالكاً ارتفع بمن معه من العساكر إلى بلدة منح، وأغارت شرذمة من قومه على فلج وادي الحجر[٤]، فقتلوا منها أناساً على حين غفلة، ونهبوا ما وجدوه فيه، وأفسدوا الزرع، وأحرقوا سكاكرها، وقاموا محاصرين نزوى، وكان جمهور معسكرهم حذاء مسجد المخاض[٥] من فرق، وأحرقوا مقامات من فرق، وعاثوا في البلاد، فأكثروا فيها الفساد.

ثُمَّ خرج إليهم أهل نزوى ومن معهم من عساكر يعرب، فوقع بينهم الحرب، ثُمَّ رجع كلٌّ منهم إلى مكانه، ولم تزل الغارات بينهم والقتل والجراح، واشتدَّ على أهل نزوى البلاء، ثُمَّ وقعت بينهم حرب شديدة، فكادت أن تكون بها الهزيمة على قوم مالك، إلَّا أنهم لم يجدوا سبيلاً

---

(١) أهل النزار: أي العرب النزارية

(٢) اليمن: يقصد بذلك العرب اليمنية الذين يسكنون إزكي.

(٣) حجرة النزار: الحي الذي يسكنه النزارية في إزكي.

(٤) فلج وادي الحجر: قرية في المنطقة الداخلية من عُمان.

(٥) مسجد المخاض: اسم مسجد في قرية فرق.

للهزيمة والهرب، إذ أحاطت بهم الرِّجال كحلقة الخاتم، وربما انهزم منهم خلق كثير مع تلك الإحاطة، فظن الثابتون أن لا ملجأ من القتل، فصبروا صبر الكرام، واشتغل أهل نزوى بالتقاط سلاح الهاربين، فمال عليهم الثَّابتون على حربهم ميلة واحدة، فهزموهم، وأكثروا فيهم القتل والجراح إلى الموضع المعروف بجنور الخويصة(١) من نزوى القريب من جناة العقر(٢).

وفي ذلك اليوم قتل من الفريقين خلق كثير، ورجع قوم مالك إلى معسكرهم [٢٧١-أ]، ولم تزل الحرب قائمة بينهم على ساق من غزوات ودلفات.

ثُمَّ إنَّ مالكاً خرج بكافة أصحابه، إلَّا قليلاً تركهم في المعسكر، حتَّى وصل قريباً من جنّاة العقر، فأراد أن يحاصرهم في بستان شوع(٣)، وليثقب جدرها لرمي التّفق، فخرج إليهم أهل نزوى، ودارت رحى الحرب بينهم ساعة من النهار.

ثُمَّ قُتل مالك بن ناصر، فانكسر قومه، ورجعوا إلى معسكرهم، فأقاموا هنالك، إلَّا أنَّ قوتهم ضعفت بموت مالك.

ولم تزل الحرب قائمة بينهم حتَّى وصل محمَّد بن ناصر الغافري بجيشه من الغربية، بعد حروب كانت بها وقعات عظيمة، منها بوادي الصَّقل، ومنها بالجوف الَّتي تسميها العامَّة الجوّ، ومنها بضنك، ومنها بالغبّي، وغير ذلك.

---

(١) جنّور الخويصة: إحدى حارات مدينة نزوى.

(٢) جناة العقر: إحدى حارات مدينة نزوى.

(٣) بستان شوع: إحدى حارات مدينة نزوى.

فلمَّا وصل محمَّد إلى نزوى، أمر بالركضة على المعسكرين بفرق، فركضوا عليهم، وهو أمام القوم، فأحاطوا بهم، ووقع بينهم الحرب بالتّفق والسِّيف من الفجر إلى اللَّيل، فلمَّا جنّ اللَّيل، أمر محمَّد أن يفرجوا لهم من الجانب الأسفل من الوادي، فأفرجوا لهم، فأصبحوا منهزمين، ونهى أن يتبعهم أحد، ورجع إلى نزوى.

وكان الإمام مريضاً في تلك الأيَّام، لا يقدر على القيام، فأقام محمَّد بنزوى أيَّاماً قلائل، وكانت مدة الحصار بنزوى شهرين إلَّا ستة أيَّام.

ثُمَّ إنَّ محمَّد بن ناصر أمر بالمسير إلى الرُّستاق، فسار بمن معه من الجيش، فلمَّا وصلها [١٧٥-ب]، أراد أصحابه أن يركضوا على بومة علي ابن محمَّد العنبوري، وهي البومة المعروفة بالعنبور وفي مزاحيط الرُّستاق، فنهاهم عن ذلك، وقال: لا تركضوا عليه قبل أن يركض عليكم، ويبدأكم بالحرب. فلمَّا ركض، أمرهم أن يركضوا عليه، فركضوا.

ووقع بينهم حرب شديد، فقتل علي صاحب العنبور، وقتل من قومه عدة رجال، ورجع محمَّد إلى فلج الشراة[١]، ودخل في اليوم الثاني المدري[٢] من وبل الرُّستاق، فأتاهم بلعرب بن ناصر يطلب منه الصّلح، فصالحه [٢٧٢-أ] على تسليم قلعة الرُّستاق، وجميع الحصون الَّتي في يده، فأجابه إلى ذلك، ومضوا جميعاً إلى قلعة الرُّستاق.

فأراد بلعرب أن يخدع محمَّد بن ناصر، وكان محمَّد رجلاً حذراً، آخذاً بالحزم، فأبى أن يدخل الحصن، إلَّا أن يدخل جميع القوم، فأدخل قومه أمامه، ودخل هو بعدهم، فبطلت حيلة بلعرب، فملك محمَّد

---

(١) فلج الشراة: قرية في منطقة الرستاق.

(٢) المدري: قرية في منطقة الرستاق.

الحصن والقلعة، ووقع من قومه في البلد سلب ونهب، وسبي في الذَّراري، حتَّى بيع بعضها في غير عُمان، وذلك بما كسبت أيديهم، جزاء بما كانوا يفعلون، لا سيَّما صنيعهم بقاضي المسلمين عدي بن سليمان الذُّهلي، وسليمان بن خلفان، والإمام مهنَّا بن سلطان، وبني عمِّه، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[1].

ومات يعرب بنزوى، ومحمَّد بن ناصر يومئذٍ بالرُّستاق، وكانت وفاة يعرب لثلاث عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة خمس وثلاثين ومائة وألف. وكتم أهل نزوى موته خيفة أن يقوى عليهم العدو نحو مدة خمسين يوماً.

ثُمَّ إنَّ محمَّداً أمر بتقييد بلعرب بن ناصر بعد ما استخلص الحصون الَّتي بيده، وما شذَّ عليه منها إلَّا مقابض مسقط وحصن بركة، فإنَّ مسقط ومقابضها يومئذٍ بيد بني هناءة، ومعهم جاعد بن مرشد اليعربي، وهو غير جاعد بن مرشد أخو الإمام ناصر بن مرشد، إذ جاعد بن مرشد قتل أيَّام دولة أخيه ناصر في أرض السرّ من الظَّاهرة، وقد مضى على ذلك القول في كتابنا هذا.

وأما حصن بركة فإنَّه بيد بن القصير الهنائي[2]، ثُمَّ إنَّ بني هناة طردوا جاعد بن مرشد من مسقط، فمضى إلى بلدة نخل، وأقام محمَّد بن ناصر بالرُّستاق.

---

(١) سورة الرعد، الآية: ١١.

(٢) ابن القصير الهنائي: هو خلف بن مبارك الهنائي، المعروف بـ«القصير»، من أهالي بلدة الغشب من أعمال الرستاق. قائد وزعيم، كان والياً على مسقط في عهد الإمام يعرب بن بلعرب. قاد جيش الإمام يعرب في مقاتلة محمد بن ناصر الغافري. كانت له زعامة الهناوية، عندما انقسمت عُمان إلى هناوية وغافرية. كانت بينه وبين محمد =

وفشا الخبر بعد موت يعرب، أن الإمام سيف بن سلطان، وهو مع ذلك غير بالغ الحلم، فتفرق أهل الرُّستاق، وأكثرهم في الجبال والأودية، حتَّى قيل: إنه وجد في كهف من كهوف جبل قرية المهاليل[(١)] مائة نفس من [٢٧٣-أ] الصّبيان، والنِّساء قد ماتوا عطشاً وخوفاً من البدو، الَّذين حشدهم محمَّد بن ناصر من ناحية الشَّمال، وجاءت أقوام من جلفار، أميرهم رحمة بن مطر الهولي[(٢)]، وقوم بني قليب وبني كعب[(٣)]، عصبة لمحمَّد بن ناصر، فكان عدد الكلّ غير جنده الأوّل نصف ألف وستة آلاف، وأكثر أصحاب رحمة بن مطر لا يفهم العربيّة الفصيحة، ولا يفرّق بين محبّ محمَّد وعدوِّه، وكان يومئذٍ خلف بن مبارك الهنائي، المعروف بالقصير، ومحلته الغشب من الرُّستاق بمسقط.

فلمَّا علم بذلك، مضى إلى بركة خوفاً أن يستأصلها محمَّد بن

= ابن ناصر الغافري زعيم الغافرية، وقائع عظيمة، آخرها الحرب التي دارت بينهما بصحار، والتي قتل فيها خلف بن مبارك سنة١١٤٠هـ انظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص ١٢٤.

(١) المهاليل: قرية من قرى منطقة الرستاق.

(٢) رحمة بن مطر الهولي: أو رحمة بن مطر بن مطر القاسمي، زعيم القواسم المعروف، شارك في الحرب الأهلية العُمانية إلى جانب الحزب الغافري، وقُتل عدد كبير من رجاله في معركة فرق الشهيرة عام ١٧٤١م، واستقل بساحل عُمان في العام نفسه.

(٣) بنو كعب: قبيلة عدنانية، يتصل نسبها إلى كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر ابن نزار بن معد بن عدنان، والمفرد: الكعبي. انظر: الخروصي، سليمان بن خلف ابن محمد: ملامح من التاريخ العُماني، ص٢٧٨.

ناصر، ولم يشعر محمَّد أن خلفاً يومئذٍ ببركة، وظنها بيد أصحاب خلف، فأرسل إلى أصحابه، علي بن محمَّد الحرّاصي، والمكنى بأبي جامع، لتخليص حصن بركة، فلمَّا وصلهم، أمر خلف بقتله، فقتل ورجع أصحابه إلى الرُّستاق، فأخبروا محمَّداً بقتل علي بن محمَّد، فغضب محمد غضباً شديداً، وأمر بالمسير إلى بركة، لمحاربة خلف بن مبارك وقومه، وجعل قومه كتائب، كتيبة أميرها رحمة بن مطر، وهم أهل جلفار ومن اشتمل عليهم، وكتيبة يؤمها حمزة بن حمَّاد القليبي[1]، وكتيبة يؤمها راشد بن عبدالله الكعبي، وكتيبة يؤمها أحمد بن راشد الغافري، وكتيبة يؤمها عدي ابن سليمان الذُّهلي، وكتيبة يؤمها محمَّد بن ناصر الحراصي.

فسار بالكل محمَّد بن ناصر الغافري [١٧٦-ب]، فكان معسكره بهؤلاء القوم المذكورين على التفصيل بقرية المصنعة[2]، ومضى قبلهم قرع الدَّرمكي إلى خلف بن مبارك الهنائي، المعروف بالقصير، فوجده ببركة، فكان له سيفاً وكفًّا.

وكان بين قرع ورحمة بن مطر الهولي مقت ومنافرات قديماً، فلمَّا

---

(١) حمزة بن حماد القليبي: محارب، قائد، كان أحد رجال الإمام محمد بن ناصر الغافري، في حروبه مع خلف بن مبارك القصير وحلفائه من بني هاءة، أرسله الإمام على رأس قومه لمحاربة خلف الذي استولى لى حصن بركة وقتل واليه، فنزل حمزة بقومه بلدة المصنعة على ساحل إقليم الباطنة، ثم ساروا، والتقوا بخلف غربي بركة، فوقعت بينهم معركة عظيمة، انتهت بانتصار حمزة، ولاذ خلف بالفرار. انظر: دليل أعلام عُمان، ص٥٢.

(٢) المصنعة: ثغر وادي الرستاق من جهة الساحل، وهي مهمة جداً، يوجب موقعها الاستراتيجي إلى الوجه الرستاقي في عُمان. انظر: السيابي، سالم بن حمود بن شامس: العنوان عن تاريخ عُمان، ص١٣٢.

علم قرع أن رحمة بن مطر معسكر بالمصنعة، كتب إلى رحمة: إنك لا تصل إلينا، بل نحن لنصلك، على سبيل التهديد، فلمَّا وصل [٢٧٤-أ] كتابه وقرأه، تقدم بقومه سائر القوم إلى بركة، وقدم عيوناً من أصحابه إلى بركة، فوجدوا قرعاً وأصحابه مقبلين للقاء رحمة، فرجع العيون، وأخبروهم عنه، فالتقاهم رحمة بمكان يُسمَّى القسم، فوثب عليهم رحمة على فرس، والقوم على إثره، فوقع بينهم الحرب، فقتل قرع، وقتل معه من أصحابه عشرة رجال، وانكسر أصحابه، وجرح قضيب الهولي جرحاً هيِّناً، وسار رحمة بالقوم، حتَّى نزل الحفري، فأقام بها كي يستريح قومه.

ثُمَّ إنَّه بعث عيوناً لبركة، فوجدوا خلف بن مبارك القصير قد أقبل بقومه برّاً، وبحراً، وهم خلق كثير، فوقعت بينهم دون بركة وقعة شديدة، واتصل محمَّد بن ناصر ومن معه من القوم كافة برحمة بن مطر.

وكان عند أصحاب رحمة مدافع تجرّ على البرّ، فجعل من عليها يضربون الخشب الَّتي فيها أصحاب خلف، فأغزرت بحراً، وانكسر أصحاب خلف، وفشا فيهم القتل، ولاذ هو بحصن بركة، فتحصّن فيه، وقوم محمَّد يقتلون ويأسرون من وجدوا من أصحاب خلف، فقتل يومئذٍ من أصحاب خلف ألف رجل، واثنا عشر رجلاً، ومن سلم منهم من القتل، دخل حصن بركة.

ومضى محمَّد بقومه إلى حيل بني عمير، فعسكر بها، وحصر حصن السيّب، وبركة حصراً شديداً.

ومضى خلف ليلاً على سفينته إلى مسقط، وجعل محمَّد بن ناصر يخطر من بركة إلى السيِّب إلى بوشر، يرجو أن يبادره خلف بقتال، فلم يخرج إليه لقلَّة عسكره، وكثرة عسكر محمَّد، فكان حصر محمَّد وأصحابه لأصحاب خلف، الَّذين هم بحصن بركة السيِّب أربعة أشهر.

فلمَّا نفذ عليهم الزَّاد، رجع بهم محمَّد إلى الرُّستاق، فأقام بها، وفسح لرحمة بن مطر، وأهل الظَّاهرة الَّذين حشدهم كافة، وأصابه وهو بالرُّستاق الجدري، فعمّ بدنه، حتَّى أشرف على الموت، ثُمَّ عافاه الله من ألمه، فرجع إلى الظَّاهرة، وولى على حصن الرُّستاق [٢٧٥-أ] محمَّد بن ناصر الحراصي، وجعل معه أصحاب بهلا، وسنان بن محمَّد بن سنان المحذور الغافري، فكان مقام سنان بن محمَّد المحذور بالقلعة، ومقام محمَّد بن ناصر الحراصي بسائر الحصن، وهو الوالي من قبل محمَّد بن ناصر على الرُّستاق.

وعند مسير محمَّد بن ناصر إلى الظَّاهرة، اصطحب معه سيف بن سلطان اليعربي، وكافة اليعاربة الَّذين هم بالرُّستاق، وترك بلعرب بن ناصر اليعربي مقيداً بالرُّستاق، فكان مقامه بالرُّستاق إلى أن رحل عنها شهرين.

فلمَّا بلغ محمَّد إلى مقنيات(١)، أرسل إلى قبائل الظَّاهرة وعُمان، فأتوه بعساكر كثيرة، واستصرخ بني ياس، فأتوه بعدد كثير، فكان عدد القوم عنده يومئذٍ اثني عشر ألفاً، فمضى بهم إلى ينقل(٢)، فأقام بفلج المناذرة(٣)، فجعل يكاتبهم بتسليم حصنهم، فلم يردوا عليه جواباً، فلبث

(١) مقنيات: هي من غراس المملكة النبهانية، تقع في الجانب الغربي من عُمان الداخلية، من أعرق البلاد وأطيب المناخات. كانت إحدى حواضر زعماء النباهنة، وبها غرس فلاح بن محسن النبهاني شجرة المانغا، وهي المعروفة الآن بالأنبا. وهي في موقع منيع، ذات أنهار وغراس وبهجة. انظر السيابي، سالم بن حمود بن شامس: العنوان عن تاريخ عُمان، ص٧٤-٧٥.

(٢) ينقل: بلاد ظاهرية عريقة الشأن، خالية الذكر، ما زالت الزعامة العلوية تتوالى عليها في الأيام الخالية، بل ما برحت مصيدة للغصون زعماء بني علي ورؤسائها، وهم رهط الإمام عبد الملك بن حميد. فهو من هذه العشيرة، كان من أجل أئمة عُمان. انظر السيابي، سالم بن حمود بن شامس: العنوان عن تاريخ عُمان، ص٩٣-٩٤.

(٣) فلج المناذرة: قرية في منطقة الظاهرة في. سلطنة عُمان.

على ذلك بعض الأيَّام، ثُمَّ ارتفع عنهم يريد الجانب الأعلى من شريعة فلج المحيدث[1] من البطحاء، فالتقته بنو علي بمن معهم من أهل ينقل، فوقعت بينهم حرب شديدة، فقتل يومئذٍ من بني علي قوم كثيرون، فمن رجالهم المصاليت المشاهير شيخهم الرَّئيس سليمان بن سالم، وجماعته، ومن قوم محمَّد بن ناصر، سالم بن زياد، وقيل: سالم بن مراد الغافري، وسيف بن ناصر الشكيلي[2]، فأمَّا الجرحى من قومه فناس قليل.

فلمَّا انفصلت [١٧٧-ب] الحرب بينهم، نزل محمَّد بشريعة المحيدث من الجانب الأعلى، فحاصرهم، واشتد بينهم ضرب التّفق والمدفع، إذ هو قد سحب عليهم مدفعاً من الغبّي، وهم يضربون قومه بمدفع حصنهم.

ثُمَّ وقعت بينهم صكّة ثانية، فقتل من أصحاب محمَّد بن ناصر، محمَّد بن ناصر بن خلف القيوضي[3]، وكان واليه على ضنك وأعمالها، واحد من بني عمِّه، ومن أهل ينقل قتل بعض الرِّجال، فكسر أصحاب محمَّد عليهم الفلج، فما بقي معهم ماء يشربونه، فعند ذلك صالحوه على تسليم الحصن، فقبضه منهم. [٢٧٦-أ].

---

(١) فلج المحيدث: قرية في منطقة الظاهرة في سلطنة عُمان.

(٢) سيف بن ناصر الشكيلي: قائد، خال الإمام سيف بن سلطان، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، أرسله الإمام إلى مسقط، واستولى عليها، وهو من أصحاب محمد بن ناصر، قتل في المعركة التي دارت بين محمد بن ناصر وبني علي. انظر: دليل أعلام عُمان، ص٨٧.

(٣) محمد بن خلف القيوضي: والٍ، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، وهو أحد ولاة محمد بن ناصر الغافري، شارك في الحرب التي دارت بينه وبين بني علي، وقتل في المعركة التي دارت بينهما في منطقة شريعة المحيدث. انظر: دليل أعلام عُمان، ص١٤٥.

ووصله خبر أنَّ سعيد بن جويد الهنائي دخل السّليف متعصِّباً للصَّواوفة، وعنده رجال جمَّة من بني هناءة، فأمر محمَّد قومه بالمسير إلى السّليف، ومضى معهم أمامهم.

فلمَّا وصلها، أرسل إلى سعيد بن جويد وأهل السّليف أن يؤدوا الطَّاعة، فأبوا، وأتته الصواوفة، أهل تنعم، طائعين، وأمر بالركضة على حصن المراشيد من السّليف، فركض عليه قومه، وأقلوا عليه السَّلالم، فهدموه على من فيه من الرِّجال والنِّساء.

فطلب سعيد بن جويد الصّلح من محمَّد، والتّسيار إلى بلده هو وأصحابه، فأجابه محمَّد إلى ذلك، وسمح له، وزدوه، وبقي حصن السّليف مستنكفاً عليه، وصالحته المناذرة، لما بلغهم ما أصاب المراشيد من هدم حصنهم عليهم، فلم يصبهم منه شيء من السوء، وتركهم في حصنهم، بعد ما أخذ منهم العهد بترك الخيانة، فحصر الصواوفة حصراً شديداً، وأمر بقطع نخلهم، وفشا فيهم القتل، وفسح للأعراب من قومه، فلم يبقَ منهم معه إلَّا بنو ياس، وقبائل الحضر، فلبث محاصرهم شهرين، ثُمَّ صالحوه على هدم حصنهم بيدهم، فهدموه.

ولما اشتغل محمَّد بحروب الظَّاهرة المذكورة جمع خلف بن مبارك القصير قوماً كثيرة، فمضى بهم إلى الرُّستاق، فلمَّا وصلها، خرج إليه سنان بن محمَّد المحذور وأصحابه، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فكان الظَّفر لخلف بن مبارك وأصحابه، فقتل سنان، ولم يسلم من أصحابه إلَّا القليل، وصالحه محمَّد بن ناصر الحرَّاصي، بعد حرب شديدة، وأذعن أهل الرُّستاق لخلف، فمضى بعد ذلك إلى نخل، وقد اشتملت عليه رجال المعاول، وغيرهم من اليمنيَّة، فدخلوا بلدة نخل، وركضوا على حصنها، فأحرقوا بابه، فاستأصله خلف بن مبارك، وطرد جاعد بن مرشد عنه، فمضى جاعد ومعه جملة من أهل نخل إلى فنجا، فملكوها [٢٧٧-أ]

واتّخذها جاعد ومن معه من أهل نخل عوض نخل، وهجم سباع العموري على حصن صحار، فأخذه، فكانت ميلولته لخلف بن مبارك باطناً وظاهراً.

فلمَّا بلغ محمَّد بن ناصر، أخذ خلف بن مبارك لحصن الرُّستاق وحصن نخل، لم يرَ صلاحاً لمسيره إلى الرُّستاق قبل أن يقضي وطره من ينقل، فشدّد عليها المحاصرة.

ولما استبطأ خلف وفدة محمَّد بن ناصر على الرُّستاق، مضى بمن معه من العسكر إلى الحزم، فأحاط بحصنها، وكان يومئذٍ الوالي فيه من قبل محمَّد بن ناصر الغافري، عمر بن مسعود بن صالح الغافري، فحصره حصراً شديداً، وأرسل إليه خلف أن يخرج هو ومن معه من الحصن بأمان، فأبى، فكتب عمر بن مسعود إلى محمَّد بن ناصر يخبره الخبر، وعلى أنَّه لم يبقَ معهم ماء، إلَّا في بركة صغيرة، والقوم بهم محدقون.

فلمَّا وصله الكتاب والرسول، شدَّد الحرب على السّليف، فصالحوه على هدم حصنهم، وقد اجتمع معه جيش عظيم.

فلمَّا قضى وطره من السّليف، ولم يبقَ له منازع، أسرع الوثبة إلى الرُّستاق، فلمَّا وصلها، لم يحدث فيها شيئاً، فانحدر منها إلى الحزم، فلمَّا وصلها، ركض بمن معه من القوم على خلف وقومه، فهزمهم، وقتل من قوم خلف رجال عدَّة، ولاذ هو بفلج الشُّراة، وقيل بعرعر، فاختفى في بيت من بيوت سجرائه[1] وخاصَّته، فمكث محمَّد وقومه بالحزم أيَّاماً قلائل، فخافه أهل الرُّستاق خوفاً شديداً، فتركهم على حالهم، ورجع بمن معه من القوم إلى [١٧٨-ب] الظَّاهرة، فلمَّا وصل إلى الغبّي، لم يلبث

(١) سجرائه: أتباعه وأنصاره.

فيها إلَّا يسيراً، ثُمَّ مضى إلى سيفم[١]، فعسكر ببلاد سيت[٢]، فأرسل إليهم بالمواجهة، وأداء الطَّاعة له، فأبوا فأمر قومه بالهجوم عليهم، فهجموا عليهم، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً، ثُمَّ هجموا على عارض بني عدي، فانقاد أهلها له عنوة، ثُمَّ هجموا على [٢٧٨-أ] غمر[٣]، فخلصت لهم، وأذعنت لمحمَّد بلدان بني هناءة، أهل العلو كافة، فرجع بعد ما قضى وطره منها إلى نزوى، فمكث فيها ستة أشهر، وأرسل إلى أهل حجرة البلاد[٤] من بلدة منح، أن يؤدوا له الطَّاعة، فأبوا، فجهز لهم جيشاً، فحاصرهم، وجعل يقطع نخيلهم، فلمَّا أدوا له الطَّاعة، رحل عنهم إلى الظَّاهرة.

ثُمَّ إنَّ أهل نخل ركضوا على أصحاب خلف القائمين بالحصن، فهزموهم منه.

فلمَّا بلغ ذلك خلف، مضى إلى أودية المعاول[٥] ومعه جيش كثير، فركض به على نخل، وقد اشتملت عليه رجال المعاول، فحاصر حصن نخل، وكان فيه مرشد بن عدي اليعربي، فمكث محاصراً الحصن أربعة أشهر.

فلمَّا نفذ عليهم الزَّاد وآلة الحرب، أحرقوا بابه، وهدموا منه ما قدروا على هدمه، ولاذوا حال خروجهم منه بأصحابهم، أهل

---

(١) سيفم: قرية في وادي سيفم على بعد ستة أميال أسفل نجد البرك، عند النهاية الغربية من منطقة أسفل جبل الكور.

(٢) بلاد سيت: قرية في ولاية بهلا في داخلية عُمان.

(٣) غمر: قرية من قرى المنطقة الداخلية في سلطنة عُمان.

(٤) حجرة البلاد: حي من أحياء مدينة منح في المنطقة الداخلية في سلطنة عُمان.

(٥) والصحيح وداي المعاول.

الجميمي[١]، وهرب بعضهم إلى سمايل، والتجأ بعضهم ببني المهلهل، وهم الذين تسميّهم العامَّة لحناً بني مهلهل، وملك خلف الحصن، فصالحه أهل الجميمي، ومن لاذ منهم ببني المهلهل، أهل الجَنَاة.

وهذا الخبر عندي أصح من الخبر الأول من قبل خلف، وأهل نخل، فإن خلفاً لم يدخل نخل إلَّا مرَّة واحدة.

ولما استيقن أهل نخل بغلبة خلف عليهم، مضى بعضهم، ومعهم جاعد بن مرشد، وقيل: مرشد بن عدي اليعربي إلى فنجا، فملكوها، وهزموا أهلها.

فلمَّا مات خلف ومحمَّد بالقتل يوم صحار، وصار الأمر بعدها لسيف بن سلطان، رجع من بقي منهم بفنجا إلى نخل، والله أعلم بالصواب.

وفي خبر آخر أن خلف بن مبارك القصير لما ملك حصن نخل، وصالحه أهل الجميمي، وتشفع أهل الجَنَاة لمن لاذ معهم من أهل نخل صفح عنهم، وشفعهم فيهم.

فلمَّا استقر بهم الجلوس عند أهل الجَنَاة، وانصرف عنهم خلف وقومه، تشاوروا هم وأصحابهم أهل الجميمي، ومن بقي منهم في سائر الحجرات على أخذ حجرة الجَنَاة من بني المهلهل، فاتفقوا على ذلك، وقيل [٢٧٩-أ]: كان اتفاق من بقي من أهل نخل عند أهل حجرة الجَنَاة وأصحابهم على أخذ حجرة الجَنَاة من بني المهلهل، بعد ما صنع خلف بأهل حجرة الجميمي من الغدر ما صنع، وذلك بعد ما أعطاهم الأمان، وأكد لهم العهد على سكونهم بالحجرة كما كانوا، ورجع إلى مسقط،

(١) الجميمي: قرية في منطقة الباطنة في سلطنة عُمان.

فمكث بها أيّاماً قلائل، ثُمَّ مضى إلى وادي المعاول، فتشاور هو وأهلها على هدم حجرة الجميمي، فاتفقوا على ذلك، فهجموا على أهلها ليلاً وهم غافلون، فهزموهم منها، وقتلوا منها رجالًا كثيرين، فهرب من بقي منهم إلى بلدة الطوّ[1]، وإلى بلدة سمايل، وطلب الباقي الأمان من خلف بسكونهم في البلد في غير بنيان، فسمح لهم بذلك.

فلمَّا انصرف عنهم، تشاوروا هم وأصحابهم اللائذون ببني المهلهل. أخذ الحجرة عنهم، واتفقوا على ذلك، فكمن غير اللائذين منهم ببني المهلهل بالحمّام، ولم يدرِ بهم أحد من بني المهلهل، فلمَّا كان ليلة ميعادهم لأخذ الحجرة، ركضوا عليهم، وهم نيام، فما انتبهوا إلَّا والسِّيف يعمل فيهم، فقتلوا منهم رجالاً كثيرين، وملكوا الحجرة، فهرب من بقي من أهلها إلى وادي المعاول، فنصرتهم المعاول، فركضوا على أهل نخل، فاستقامت الحرب بينهم على ساق، وحشد خلف قوماً كثيرين، فأعان المعاول على حرب نخل، فقويت شوكة المعاول، وضعفت شوكة أهل نخل، فتركوا حجرة الجَنَاة، وانهزموا من نخل، فانضافوا إلى أصحابهم المصطلمين[2] فنجا، وهدم خلف وقومه حجرة الجَنَاة، ولم يبقَ أحد من أهل نخل بنخل، فقسمها خلف على بني هناءة، فمكث فيها بنو هناءة إلى أن ملك سيف بن سلطان [١٧٩-ب] بعدما بلغ الحلم، وأقامه المسلمون إماماً، فعند ذلك سلّموها لأهلها، وسلّموا أهل نخل لأهل فنجا، هكذا في أصحِّ التواريخ، والله أعلم.

ثُمَّ إنَّ محمَّد بن ناصر الغافري، حشد عسكراً كثيراً، فمضى بهم إلى بلدان العوامر، وقد انضاف إليهم بنو هناءة، وآل وهيبة [٢٨٠-أ]، فوقع

---

(١) بلدة الطوّ: قرية في منطقة الداخلية في سلطنة عُمان.

(٢) المصطلمين: أي الذين استأصلوا فنجا.

بينهم حرب شديد، فكانت الغلبة لمحمَّد، فانصرف عنهم، بعد ما أذعنوا إليه إلى الظَّاهرة، فجمع منها جنوداً كثيرة، ومضى بهم إلى نزوى، فحشد أهل بهلا، وأهل نزوى، وإزكي، وجبل بني ريام، فلمَّا تكامل جمعه، قصد بهم قرى سيفم، فلمَّا وصل إلى الغافات[1]، أرسل إلى سعيد بن جويد، وسائر بني هناءة بالمواجهة، فامتنعوا، واستنكفوا عن المواجهة والطَّاعة، فشدَّد على أهل الغافات الحرب، وحصر حصنهم حصراً شديداً.

فخرج سعيد بن جويد على حين غفلة من المحاصرين، ومعه بعض الرِّجال من أصحابه، فقصد بلدة ينقل، فأنقضهم العهد الَّذي بينهم وبين محمَّد، وأخذتهم الحميَّة إليه، فاجتمعت معه رجال كثيرة من أهل ينقل، وصحار وغيرهم من اليمنيَّة، فتعاقدوا على حرب محمَّد وحزبه.

فلمَّا وصل بهم إلى ضمّ، انضمَّ إليه خلق كثير من اليمنيَّة، أهل الشرقيَّة وغيرهم، وانبعثت كتبه إلى اليمنيَّة شرقاً وغرباً، وأخذت الحميَّة اليمنيَّة لنصرته، فاتَّصلت أخباره إلى محمَّد بن ناصر، وجعل عليه عيوناً.

فلمَّا أخبروه أنه أقبل بجمعه، أمر محمَّد قومه أن يجالدوه دون البلاد، فالتقى الجمعان دون الغافات، فوقع بينهم حرب شديدة، فكان الظَّفر لمحمَّد وأصحابه، فقتل سعيد بن جويد ومعه غصن، صاحب ينقل، ومن صحبهما خلق كثير، وتفرق من بقي من قومهما شذر مذر، وسحب سعيد بن جويد بحبل كما تسحب البهائم الميِّتة، ليخوفوا به أهله، أهل الغافات، وسألهم قوم محمَّد أن يذعنوا إلى محمَّد، فأبوا، فشدَّدوا عليهم الحصار، ورجع محمَّد إلى يبرين، وجعل مبارك بن سعيد بن بدر

---

(١) الغافات: قرية من قرى المنطقة الداخلية في سلطنة عُمان.

الغافري[١]، نائباً عنه لحصر أهل حصن الغافات، فجعل يقطع نخيلهم، ويجذم[٢] المادَّة عليهم.

فلمَّا نفذ عليهم الزَّاد، ولم تبقَ لهم دابة إلَّا ذبحوها [٢٨١-أ]، وأكلوا لحمها، حلالاً كان لحمها، أو حراماً، ويئسوا من نصرة خلف إليهم، جنحوا إلى السّلم، فصالحهم مبارك بن سعيد على هدم حصنهم، فهدموه بيدهم، وسلكوا في غير معقل من البلاد.

فكتب مبارك بن سعيد إلى محمَّد بن ناصر بما صنعه في أهل الغافات على التفصيل، فبعث مكانه راشد بن سعيد الغافري، وأمر راشد بن سعيد بحرب أهل العقير.

فلمَّا وصل إلى العقير، حصرهم حصراً شديداً، ورجع مبارك بن سعيد بأمر محمَّد بن ناصر إلى بلده، فلم يزل راشد بن سعيد محاصراً أهل العقير، وهم متجلدون على حربه، حتَّى فرغ ما عندهم من الزَّاد، ويئسوا من نصرة خلف إليهم، فحينئذٍ مالوا إلى الصّلح، فصالحوا راشد بن سعيد على هدم حصنهم، فسمح لهم بذلك، وهدموا حصنهم بيدهم، وأذعن

---

(١) «مبارك بن سعيد بن بدر الشكيلي»: في النسختين (أ) و(ب) والصحيح ما أثبتناه في النص نقلاً عن ابن زيق، حميد بن محمد: الصحيفة القحطانية، ج٥، ص٢٦٩-٢٧٠. وترجمته: مبارك بن سعيد بن بدر الغافري: والٍ عاش في القرن الحادي عشر الهجري، كان أحد أصحاب محمد بن ناصر، وكان هو القائد بعد أن رجع محمد بن ناصر إلى حصن جبرين، وذلك في الحرب التي قتل فيها سعيد بن جويد، والتي دارت في صدر الغافات، وكان محمد بن ناصر، بعد قتل جويد وهزيمة قومه، عهد الأمر إلى مبارك بن سعيد بن بدر والي يبرين، ثم عزله، وجعل مكانه راشد بن سعيد ابن راشد الغافري. انظر: دليل أعلام عُمان، ص١٤٢. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٣٦٥.

(٢) يجذم المادة عليهم: أي قطع عنهم الزاد والطعام.

أهل سيفم إلى محمَّد، ولم يستنكف عليه أحد من رجالها، ورجع راشد بن سعيد إلى محمَّد بعد انقياد بني هناءة إليه.

ثُمَّ إنَّ محمَّد بن ناصر جمع خلقاً كثيراً من الحضر والبدو، فلمَّا كثر جيشه، مضى بهم إلى الحبوس(١)، وقد اجتمعت الحبوس ببلدة المضيبي(٢)، والرَّوضة(٣)، ومعهم يومئذٍ خلف بن مبارك القصير، وعنده جنود كثيرة من اليمنيَّة، أهل الشرقية وأعراب بركة وأعمالها.

فلمَّا وصل إليهم محمَّد ومن معه من القوم، وقع بينهم حرب شديدة، وكان خلف يومئذٍ هو الرَّئيس على اليمنيَّة كافَّة، فانكسر أصحاب خلف، ودخلوا حجرة المضيبي كلّهم، ثُمَّ وقع الصّلح بين محمَّد وأهل المضيبي بخروج خلف ومن معه عنهم، فخرج خلف إلى إبرا، وعصبته الحرث على محمَّد، فلمَّا علم محمَّد بذلك، مضى إلى إبرا، فلمَّا وصلها، أرسل إلى الحرث بخروج خلف عنهم، فأبوا، فجعل محمَّد يقطع نخليهم، فلمَّا رأوا ألا طاقة لهم على حربه، صالحوه على خروج خلف

---

(١) الحبوس: قبيلة عدنانية، يتصل نسبها إلى شهاب بن النويرة، وبقية النسب معروف، فمسيّب وحبس أخوان، والمفرد: الحبسي. انظر: الخروصي، سليمان بن خلف بن محمد: ملامح من التاريخ العُماني، ص٢٧٥.

(٢) المضيبي: كرسي بلاد حبس، بلدة لها أهميتها المبهجة وطلعتها الزاهية في رياضها وغياضها وبساتينها، وبها السوق الكبيرة في أنحاء الشرقية، وهي كما يقول الشاعر الفحل ابن شيخان في قصيدته السينية:

وما دارُ المُضيبي في قُراها ... عُلاً إلَّا كَمَلِكٍ فوقَ كرسي

وليست قديمة العمران، وإنما هي من الفترة الإسلامية، وفي العهد اليعربي تجدد قصرها، وانحل إصرها، وشدا بذكرها الشادي. انظر: السيابي، سالم بن حمود بن شامس: العنوان عن تاريخ عُمان، ص١٢٩-١٣١.

(٣) الروضة: قرية من قرى المنطقة الشرقية في سلطنة عُمان.

عنهم [٢٨٢-أ]، فمضى خلف بعدما خرج عنهم إلى مسقط، ورجع محمَّد [١٨٠-ب] ومن معه من القوم إلى يبرين.

ثُمَّ رجع بهم إلى نزوى، وأرسل إلى رؤساء القبائل، وأهل العلم من عُمان، فلمَّا وصلوا، طلب منهم أن يقيموا واحداً في مكانه مع سيف بن سلطان، وتعذَّر من الحرب، فلم يعذره أهل نزوى خاصَّة، خوفاً من خلف ابن مبارك القصير.

وكان الوالي يومئذٍ بنزوى الشَّيخ عبدالله بن محمَّد بن بشير بن مدّاد[1]، فاجتمعوا في العقر، وغلقت أبوابها للمشورة، ومعهم محمَّد، يوماً وليلة، وهم يسألون محمَّداً القيام، وهو يأبى.

◆ [الإمام محمَّد بن ناصر الغافري (١١٣٧-١١٤٠هـ/١٧٢٤-١٧٢٨م)]:

ثُمَّ رضي محمَّد بعدما أخذ عليهم المواثيق على طاعته، فعقدوا له الإمامة ليلة السَّبت عند الفجر، لسبع ليالٍ خلون من المحرم سنة سبع وثلاثين ومائة وألف، وضربت مدافع الحصن والقلعة، وفشا الخبر

---

(١) عبدالله بن محمد بن بشير بن مداد: هو الشيخ الفقيه الوالي عبدالله بن محمد بن بشير بن محمد بن عمر بن أحمد بن مداد المدادي الناعبي العقري النزوي، من فقهاء النصف الأول من القرن الثاني عشر، فهو إلى سنة (١١٣٨هـ/١٧٢٦م) على قيد الحياة. وبمكتبة وزارة التراث والثقافة كتاب «خزانة العباد» برقم (٢٠٨٠) تأليف العالم الفقيه أحمد بن مداد، منسوخ للشيخ عبدالله بن محمد بن بشير، الناسخ خلف بن خنجر بن سعيد بن غفيلة الضنكي، وفي آخره كلام نفيس في الخلاف بين أبي سعيد الكدمي، وابن بركة البهلوي في قصة الإمام الصلت بن مالك، وموسى بن موسى، وراشد بن النظر. انظر: البطاشي، سيف بن حمود بن حامد: إتحاف الأعيان، ج٣، ص٣٧٣-٣٧٤.

بعُمان: أنّ الإمام محمَّد بن ناصر، وصلَّى يوم الجمعة صلاة الجمعة بنزوى، ثُمَّ سار إلى يبرين، فأقام بها.

فهجم مانع بن خميس العزيزي على حصن الغبّي، فأخذه، فمضى محمَّد إليه، فأخرجه منه.

وهجم مهنَّا بن عدي بن مهنَّا اليعربي، ومعه رجال من بني ريام على غالة البرّكة، فمضى إليهم محمَّد بمن معه من الرِّجال، فسلَّموا له الأمر بعد الحرب، فرجع إلى يبرين.

وأفسد الطُّرق رجل من أعراب آل وهيبة يقال له: الخرق[١]، فلمَّا طلبه محمَّد مضى إلى خلف بن [مبارك][٢]، إلى مسقط، فأقام معه، فأغار محمَّد على أصحاب الخرق، فأسر منهم عدَّة رجال، فحبسهم في يبرين، وذبح بهائمهم.

فلمَّا علم الخرق بذلك، أتى إلى محمَّد مذعناً، وسأله أن يفك أصحابه من الحبس، فسمح له بذلك، بعد أن أخذ العهد منه ومن أصحابه على كفّ أكفِّهم عن الاعتداء.

ثُمَّ حشد محمَّدٌ جيشاً كبيراً، فمضى به إلى سمايل، وانحدر إليها من

---

(١) «وكان البدو قد أفسدوا جميع الطرق من عُمان، ينهبون، ويقتلون، فلا يقدر أحد أن يسافر إلى مكان إلّا في حماية كثيرة، وخاصة آل وهيبة، هم الذين أفسدوا الطرق، وكان لهم رئيس يسمونه (بوخرق) فحشرهم بجميع أهلهم وإبلهم وغنمهم، ولم يقدروا على مخالفته، وأمرهم بالنزول حوالي يبرين، وذلك قهراً منه لهم، حتى ماتت إبلهم وغنمهم». انظر التفاصيل في: بن رزيق، حميد بن محمد: الصحيفة القحطانية، ج٥، ص٢٧٥.

(٢) «ناصر» في النسخة (ب).

وادي العق، فأقام بقومه بهصّاص، فواجهته النَّزارية [٢٨٣-أ] كافَّة، وامتنع أهل علَّاية سمايل عن مواجهته، وأداء الطَّاعة له.

فمضى إليهم في ليلة مظلمة ببعض عسكره، فأقعدهم دون حجرة آل سعد، ومضى هو وعبد له نوبيّ، يسمَّى بخيت، فتسوروا عليهم الحجّرة، وهم بها لا يشعرون، فقال لحارس الحجّرة: عن من تحرس؟

قال: عن محمَّد بن ناصر.

فقال له: أنا محمَّد، أيقظ أصحابك وناصحهم عن المخالفة.

فصاح الحارس صيحة شديدة، فأيقظ من بالحجّرة نائماً من شدَّة صيحته، ودخل أصحاب محمَّد الحجّرة، فبقي أمير الحجّرة متحصناً في غرفته، فأحاط بها قوم محمَّد، فقتلوه، وقتل من قوم محمَّد عبده بخيت المذكور، وانهزم أصحاب الحجّرة بعدما قتل أميرهم [سعد][1]، فأمر محمَّد بهدمها.

وفي رواية أخرى، إن الحجّرة الَّتي تسور عليها محمَّد وعبده بخيت هي حجرة البكريِّن، فقتل أميرها بكراً، وأمر محمَّد بهدمها، وهدم حجرة آل سعد، فهدمتا، فواجهته أهل العلَّاية كافَّة، فوقع الصّلح بينهم على أداء الزَّكاة، فسلَّموها له، وواجهته بنو رواحة، فعاهدوه على الطَّاعة.

فلمَّا قضى وطره من أهل سمايل، هبط بالقوم إلى السيّب، فأقام بها أيَّاماً، فواجهته المعاول، فمضى بعد ذلك على طريق السَّاحل، فأغار على آل سعد، فعقر عليهم جملة من الركاب، وهم يظنُّون الَّذي أغار عليهم خلف بن [مبارك][2]، فجعلوا يقولون: ارفق يا خلف بعصبتك وقومك.

---

(١) «سعيد» في النسخة (ب).

(٢) «ناصر» في النسخة (ب).

فلمَّا قضى وطره من الغارة، أقام بالحرادي، ووقعت قبل غارته هذه بين خلف بن [مبارك][1] القصير، وبين المعاول القابضين حصن بركة من قبله، منافرة، فأرادوا أن يقبضوا الحصن محمَّد بن ناصر، لمَّا علموا به مقيماً بالحرادي، ومحمَّد لم يشعر من ذلك شيئاً، فارتفع من الحرادي ورجع إلى سمايل في رواية.

وفي رواية أخرى، ارتفع من الحرادي إلى الحزم، فمكث بها أيَّاماً قلائل.

ثُمَّ مضى إلى الظَّاهرة فمكث في الغبّي أيَّاماً يسيرة.

ثُمَّ مضى إلى ينقل، فلمَّا وصلها، حصر حصنها حصراً شديداً، فطال حصاره له بعدم الطَّاعة من أهله وأهل [٢٨٤-أ] البلد، فأتاه رجل منهم، يسمَّى عصاماً، وكان بيته متَّصلة جدرانه بجدران الحصن [١٨١-ب]، فقال له: إن هذا الحصار لا يجديك شيئاً.

فقال: وما الشَّيء الَّذي يجديني على دخول الحصن؟

فأخبره عن صفة بيته، وقال له: إنّي لآتيك في اللَّيلة السَّاعة الثَّالثة من هذه اللَّيلة، فأدخلك بيتي على حين غفلة من أهل الحصن، فإذا دخلتم بيتي، ونقبتم جدار الحصن المطابق جدار بيتي سهل عليكم الدخول على الحصن، فأجابه محمَّد على ذلك.

فلمَّا أتاه ليلة الميعاد، مضى محمَّد وبعض أصحابه معه، فأدخلهم عصام بيته، فنقبوا جدار الحصن المطابق بيته، فما شعر أصحاب الحصن إلَّا والسَّيف يعمل فيهم، فقتل من قتل منهم، وسلَّم الباقون له الأمر، فقبض الحصن محمَّد وقومه.

---

(١) «ناصر» في النسخة (ب).

وواجهته أهل ينقل المقتربين من الحصن والمبتعدين، وسلُّموا إليه الأمر، فأعطاهم الأمان، فأقام محمَّد بينقل أيَّاماً كثيرة، ولم يبقَ له منازع من أهل الظَّاهرة وأهل الجوف وأرض عُمان قاطبة، فأذعن الكلُّ له، إلَّا خلف بن مبارك القصير، ومن حاله حاله.

فحشد حينئذٍ محمَّد كل من أطاعه، وأتاه من أهل طاعته، حضراً وأعراباً، كما أراد، وكتب إلى بني ياس، ومن حاله حالهم من الأعراب، وإلى بني نعيم، وبني قتب[1]، ومن حاله حالهم، فاجتمعت معه جنود كثيرة.

فمضى بهم إلى صحار، ومعه سيف بن سلطان، وكافَّة اليعاربة، فلمَّا وصلها، سلمت له صحار الأمر، فعسكر بقومه في حلَّة الشِّيعة، وواجهته كافَّة أهل البلدان، الَّتي هي من أعمال صحار، ولم يبقَ له محارب إلَّا أهل حصن صحار، وهم العمور، وأظهر العدل للرّعيّة.

فلمَّا رأوا أهل الحصن كثرة جنوده، وميلولة الرّعيّة إليه، وإظهار عدله لهم ضعفت قوَّتهم، وكادوا أن يسلِّموا له الحصن.

وكان رجل من أكابر الوحاشا وشيوخهم، [ويسمَّى][2] ربيعة بن أحمد الوحشي، قبل أن يأتي محمَّد إلى صحار اعتدت [٢٨٥-أ] عليه آل

---

(١) بنو قتب: قبيلة قحطانية، يتصل نسبها إلى قتبان بن ردمان بن الأملوك بن ردمان بن مالك بن عمرو بن الغوث بن حيدان بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع ابن حمير الأكبر بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود النبي عليه الصلاة والسلام، والمفرد: القتيبي. انظر: الخروصي، سليمان بن خلف بن محمد: ملامح من التاريخ العُماني، ص٢٥٦.

(٢) سقطت من النسخة (ب).

عزيز[١]، [فأخرجوه من معقله، وكلّ ماله اغتصبه منه آل عزيز][٢]، فلمَّا علم بمحمَّد قد أحاط بصحار، أتى إليه ببعض خاصَّته، فقال له محمَّد: امضِ إلى جماعتك العمور، وناصحهم بالخروج من الحصن، قبل أن يدخل عليهم قومي عنوة.

فقال له محمَّد: إني ما أتيت من ضنك إليك إلَّا لأثبطهم عن حربك، وأخبرهم عن كثرة قومك وشدَّة عزمك، وما حملني على هذا إلَّا إحسانك الَّذي سبق إليَّ منك، فالآن أريد لهم الأمان على ما معهم من السِّلاح.

فقال محمَّد: لهم منّي ذلك.

فلمَّا مضى إليهم قال: شبّوا عليه نار الحرب، فإنَّ عدَّته وعدده شيء يسير، فلمَّا حمّسهم على القتال، وحرّضهم عليه، ركض بعضهم على قوم محمَّد، وهو أمام القوم، فنهض إليهم قوم محمَّد، فولّوا منهزمين، وقتل منهم رجال عدَّة، وأسر ربيعة وقُيِّد، فأتوا به إلى محمَّد مقيَّداً مأسوراً، فقام محمَّد بفكِّه من الأسر والقيد، وقال له: إن شئت حصنك، يعني حصن [صحار][٣]، فامضِ إليه، وكن مع أصحابك على ما كنتم عليه، وما ملتم إليه، وإن شئت أن ترحل إلى ضنك، ولا رغبة لك في الإقدام، فارحل إليها بسلام.

---

(١) آل عزيز: قبيلة قحطانية، يتصل نسبها إلى عزيز بن الحداء بن مراد بن مالك بن أدد ابن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب ابن يعرب بن قحطان بن هود النبي عليه الصلاة والسلام. المفرد: العزيزي. انظر: الخروصي، سليمان بن خلف بن محمد: ملامح من التاريخ العُماني، ص٢٧١.

(٢) سقطت من النسخة (ب).

(٣) سقطت من النسختين (أ) و(ب) وما أثبتناه في النص استدراك من: بن رزيق، حميد ابن محمد: الصحيفة القحطانية، ج٥، ص٢٧٦.

فاختار ربيعة الرجوع إلى ضنك، إذ هي منزلته الَّتي لا يحبّ عليها منزلاً، وداره الَّتي ما قلبه عنها سلا، فشيَّعه إعزازاً منه إليه، لمَّا صار ذليلاً بين يديه ببعض الرِّجال وبعض الخيل.

وهذه الرِّواية هي أصحُّ من رواية قوم زعموا أن ربيعة لمَّا خيّره محمَّد بالدخول إلى الحصن والرجوع إلى ضنك اختار الرجوع إلى الحصن، فمضى إليه، وامتزج بأصحابه الَّذين هم في الحصن، فهذا شيء لا يسوغ في الذَّوق، أنه بعدما حصلت له السَّلامة من محمَّد والإقالة من القتل طلب الرجوع ثانية إلى الحصن، وهو قد شهد بأس محمَّد وإقدامه وكثرة أعلامه وأقوامه.

فقد أخبرني غير واحد ممّن شهدوا حرب صحار، واشتملوا على محمَّد وخلف من يمن، ونزار، ومن شهد بعينه ليس كمن سمعها من غيره بأذنه، فالَّذين [١٨٢-ب] رأوا هذه الحرب الكائنة بصحار، هكذا ممّا رووه لي من الأخبار.

وعن الشَّيخين معروف بن سالم [٢٨٦-أ] الصَّايغي، وخاطر بن حميد البدَّاعي، وهما من رجال ذلك الزَّمان، وثقاته في الحديث، أن محمَّد بن ناصر لمَّا عزم على حرب صحار، مضى من الغبّي إلى يبرين، فأنفذ كتبه إلى الحضر والأعراب الَّذين هم في طاعته، فاجتمعت معه ألوف من الحضر والأعراب، فمضى بهم إلى صحار، وقدم أمامه ربيعة بن أحمد الوحشي ليناصح جماعته القابضين في الحصن ليهبطوا معه، فلمَّا وصلهم أغراهم على الحرب، وقال لهم، كونوا على ما كنتم عليه.

فلمَّا دخل محمَّد بن ناصر صحار التقاه بنو هناة، والعمور القابضون بالحصن وأمامهم ربيعة بن أحمد الوحشي، فوقعت بينهم الحرب، فقتل من الفريقين من قتل، وجرح من جرح، فكانت الدَّائرة على أصحاب

[الحصن][١]، ومن سلم منهم من القتل رجع إلى الحصن، وأتى ربيعة بن أحمد الوحشي مأسوراً مقيَّداً وبه جراح إلى محمَّد بن ناصر، فقال له محمَّد بعدما أمر بفكِّ قيده: إن أردت المسير إلى الحصن فسر إليه، وإن أردت أن تقيم معنا فلك الأمان منَّا، وإن أردت أن تسير إلى ضنك سيَّرناك إليها، فاختار المسير إلى ضنك، وكان محمَّد مقامه في بيت محمود بن محمَّد العجمي، وقومه أكثر مقامهم بالجامع وسائر البيوت المقتربة من الجامع إلى النخيل الخارجة من السُّور.

فلمَّا اختار ربيعة بن أحمد المسير إلى ضنك، سيَّره إليها بأهل ركاب وخيل، وأمر على اثني عشر ألفاً عيوناً إلى الشَّرق، لمَّا بلغه أن خلف بن مبارك القصير جمع بني هناءة من الرُّستاق ومسقط، واشتملت عليه أعراب السَّاحل، وأنه معسكر بصحم[٢].

وكان محمَّد قد خلصت إليه صحار ورعاياها، وما شذّ عن طاعته غير الحصن، وقد أقام فيها العدل، وعنده من بني ياس، وبني نعيم، وبني قتب خلق كثير.

فلمَّا علم خلف بن مبارك، ألا طاقة له على قتاله، قبل رجوع بدو الشَّمال عنه، قال لرجل عجمي زرّاع من أهل صحار [٢٨٧-أ]، اخرب بعض زرعك بيدك، وامضِ إلى محمَّد بن ناصر، وقل له: إن الأعراب

(١) سقطت من النسخة (ب).

(٢) صحم: ثغر من ثغور صحار، و باب شرقي لها، و هي راجعة إلى صحار ولاية و هناية، ولا يزال علمها بن العلم الصحاري، ووليده، و هي من ثغور الظاهرة أيضاً نحو الساحل. و إليها تنصب القبائل الظاهرية، من علوي و كلباني وأعوانهم وأهل عصبيتهم. انظر: السيابي، سالم بن حمود بن شامس: العنوان عن تاريخ عُمان، ص١٣٣-١٣٤.

الَّذين معك خرّبوا زرعي، فإذا قال لك: أتعرف منهم أحداً، فقل: نعم، رجلين من بني ياس، ورجلين من بني نعيم، ورجلين من بني قتب، فإنك إن فعلت ذلك رفعت منزلتك بعد انفصال القوم من صحار، وأنفذ له بعض الدَّراهم، لاصطناعه هذه الحيلة، ففعل كما أمره به، فخرّب بعض زرعه بيده، وأتى إلى محمَّد شاكياً، فقال: أيها الإمام إن بني ياس، وبني نعيم، وبني قتب قد خرّبوا زرعي.

- فقال له: أتعرف منهم أحداً؟
- قال: نعم.
- فقبض ستة رجال منهم، كل اثنين من طائفة منهم.
- فقال له محمَّد: قوّم ثمَّن ما خرّب عليك من الزرع.
- فقال: لا يقنعني عن الإنصاف مال.

فسألهم محمَّد، فقالوا: لا علم لنا بذلك.

فبذل للزّارع المدَّعي عليهم أنهم خرّبوا زرعه، خمسمائة محمَّدية فضَّة.

فقال: لا أريد إلَّا الإنصاف.

فأمر بإحضار شيوخهم، فقال: مَنْ مِنْ أصحابكم خرّب زرع هذا الزّارع؟

فقالوا له: إنما هو مفترٍ كذَّاب، لا تصدِّق قوله، فدعواه باطلة، فنحن وأصحابنا نحلف بالله، أن ما أحد منا خرّب زرعه أو زرع غيره.

فأمر محمَّد بصلب شيوخهم وبضربهم، فصُلبوا وضُربوا، وهم يستغيثون، فلم يغثهم إلى أن قال له المدَّعي عليهم: الآن قد طابت نفسي بغير غرامة.

ففكهم من الصلب.

فلمَّا جنّ اللَّيل، انصرفوا عن محمَّد بغير إذن منه إلى منازلهم، فأصبح مكانهم لا أحد به.

ومضى الزَّارع إلى خلف، فأخبره الخبر.

فأمر قومه بالركضة على محمَّد وقومه، ولم يبقَ عند محمَّد من القوم إلَّا الحضر، فأتى العيون إلى محمَّد وأخبروه بقدومه عليه بمن معه من القوم، فحرَّك محمَّد رأسه، وقال: إن هذه الساعة ليس لنا خيرها [١٨٣-ب]، ولا لهم.

فلمَّا التقى الجمعان وقع بينهما قتال شديد، فقتل خلف دون الحصن، وانكسر أصحابه، فكرّ محمَّد بمن معه من القوم الواقفين أمام باب الحصن [٢٨٨-أ]، فضُرِبَ من الحصن برصاصة تفق في صدره، فحمله أصحابه إلى بيت محمود العجمي. فمات في حال وصولهم به لبيت محمود، فلحفوه(١) وأخفوا الخبر عن سائر القوم.

فلمَّا جنّ اللَّيل دفنوه، وعفَّوا قبره(٢)، فأقام قومه بعد دفنه ثلاثة أيَّام، ولم يعلم بموته من قومه غير الخاصَّة، ولم يعلم أصحاب الحصن أن محمَّداً قد قتل، ولم يعلم أصحاب محمَّد بقتل خلف.

فكتب أهل الحصن إلى محمَّد يريدون منه الأمان بتسليم الحصن إليه، وبعثوا الكتاب بيد امرأة من أهل الحلَّة المقتربة من الحصن.

ومضت امرأة من أهل حلَّة الشِّيعة إلى الحصن تخبر من بالحصن أن

---

(١) فلحفوه: أي غطّوه باللحاف.

(٢) عفّوا قبره: أي أخفوا أثره.

محمَّداً قد مات، فالتقت المرأتان بالطَّريق، فأخبرت كل واحد منهما صاحبتها الخبر.

ورجعت المرأة الحاملة للكتاب بالكتاب لأهل الحصن، وأخبرتهم بوفاة محمَّد، فقالوا لها: وكذلك مات خلف، فدفناه في الحصن، فرجعت إلى قوم محمَّد وأخبرتهم بوفاة خلف ودفنه في الحصن.

فشدّوا الرحال على دوابهم راجعين إلى أوطانهم، ولم يبقَ مكانهم إلَّا سيف بن سلطان ومن معه من اليعاربة.

فإن سيف بن سلطان كان ملازماً لمحمَّد، لا ينفصل عنه، في سلمه وحربه، فمضى سيف إلى الحصن بمن معه، ففتحوا له الباب، وقالوا له: الحصن حصنك، ونحن في طاعتك، فقبضه منهم، وترك فيه خاصَّته.

◆ [الإمام سيف بن سلطان الثَّاني -البيعة الثالثة- (١١٤٠-١١٥١هـ/١٧٢٨-١٧٣٨م)]:

ثُمَّ إنَّ سيف بن سلطان مضى إلى الرُّستاق، فخلصت له، ومضى إلى نزوى على طريق وادي بني غافر، فصحبوه إلى نزوى، فنصبه الشَّيخ القاضي ناصر بن سليمان بن مدَّاد النَّاعبي[1] إماماً يوم الجمعة بعد [زوال

(١) ناصر بن سليمان بن مداد الناعبي: هو العالم، الفقيه، القاضي، ناصر بن سليمان بن محمد بن مداد بن أحمد بن مداد بن عبدالله ين مداد المدادي الناعبي النزوي العقري، من علماء القرن الثاني عشر الهجري، من قضاة الإمام سلطان بن سيف ابن سلطان بن سيف اليعربي، وكان مرجع الفتوى في زمانه، وللإمام سلطان (رحمه الله) أسئلة كثيرة، أجاب عليها الشيخ، منها سؤاله عن أهل المنصورة، وكنج، والبحرين، وغيرها. انظر: البطاشي، سيف بن حمود بن حامد: إتحاف الأعيان، ج٣، ص٥٠٣-٥٠٤.

الشَّمس][1] في أول يوم من رمضان سنة الأربعين والمائة والألف، وقيل: يوم الجمعة [بعد زوال الشَّمس][2] في شهر رمضان سنة الأربعين والمائة والألف، وهو الأصحّ.

◆ **[سيف بن سلطان الثَّاني وبلعرب بن حمير اليعربي]:**

فلمَّا سمع بذلك بلعرب بن حمير اليعربي[3]، سخط على أهل نزوى خاصَّة، وكان هو يومئذٍ [٢٨٩- أ] بالبزيلي من الظَّاهرة، فنصبه أهل الظَّاهرة إماماً.

وأما سيف بن سلطان لمَّا انفصل من نزوى، مضى إلى نخل، وكان الوالي بها يومئذٍ [جساس][4] بن عمير بن راشد الحراصي من قبل محمَّد ابن ناصر الغافري.

فلمَّا مات محمَّد بن ناصر أبى أن يقبضه أحداً من اليعاربة وغيرهم، فأرسل سيف بن سلطان إليه بالمواجهة، فأبى، فهبط سيف بمن معه إلى وادي المعاول، فأطاعوه وأذعنوا له، فبعث خاله سيف بن ناصر[5] إلى مسقط فقبضها من بني هناءة.

---

(١) سقطت من النسخة (ب).

(٢) سقطت من النسخة (ب).

(٣) بلعرب بن حمير بن سلطان بن سيف بن سلطان بن مالك بن بلعرب بن سلطان بن مالك بن أبي العرب بن سلطان بن مالك بن أبي العرب بن محمد بن سيف بن سلطان بن حمير بن مزاحم بن يعرب بن محمد بن يعرب بن مالك اليعربي. انظر: ابن رزيق، حميد بن محمد: الصحيفة القحطانية، ج٥، ص٢٧٧.

(٤) سقطت من النسخة (ب).

(٥) سيف بن ناصر: سيف بن ناصر الشكيلي، قائد، خال الإمام سيف بن سلطان (الثاني) عاش في القرن الحادي عشر الهجري، أرسله الإمام سيف بن سلطان (الثاني) إلى مسقط، واستولى عليها، وهو من أصحاب محمد بن ناصر، قتل في المعركة التي دارت بين محمد بن ناصر وبني علي. انظر: دليل أعلام عُمان، ص٨٧.

ومضى بلعرب بن حمير إلى نزوى، فأطاعه منهم فريق، وعصاه فريق، ومضى بقومه لحرب بني رواحة، فاستنكفوا عنه، فجعل يقطع نخلهم وأشجارهم، ويدمر أنهارهم، وقتل منهم رجالاً. لميلهم عنه إلى سيف بن سلطان، وبعث سيف بن سلطان أخاه بلعرب بن سلطان(١) برجال كثيرة نصرة منه لبني رواحة.

فوقع بينهم حرب شديدة، فانكسر بلعرب بن سلطان، وأذعنت بنو رواحة لبلعرب بن حمير، فمضى عنهم إلى بلاد سيت، فحصرها أيَّاماً، ثُمَّ فتحها بعدما قطع نخليهم وأشجارهم، ودمَّر أنهارهم، فمضى عنهم، بعد ما أذعنوا له إلى يبرين، وبها يومئذٍ بنو هناءة من قبل سيف بن سلطان، فحصر حصنها، ثُمَّ أطاعوه، فخرجوا من الحصن بما بأيديهم من السِّلاح وآلة الحرب، وذهبوا إلى بلدانهم.

فلمَّا علم سيف بن سلطان، أن عُمان قد تنفضت عليه، بعث رسولاً من رسله إلى مكران، فجاء إليه بقوم كثيرة من البلوش، أكثر سلاحهم التَّفق، وانضاف إليهم أقوام كثيرة من أعراب السَّاحل، وأمرهم بالمسير إلى أرض الجوف الَّتي تسمِّيها العامَّة الجو، فالتقاهم بلعرب بن حمير بقومه، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فوقعت الهزيمة على قوم سيف بن سلطان، وكان أميرهم يومئذٍ بلعرب بن سلطان [١٨٤-ب]، شقيق سيف بن سلطان [٢٩٠-أ]، ووقع في البلوش قتل عظيم، ومات أكثرهم عطشاً، وما بقي منهم إلَّا القليل.

فلمَّا بلغ سيف بن سلطان ما جرى على أخيه بلعرب والبلوش من

---

(١) بلعرب بن سلطان: هو بلعرب بن سلطان أخو الإمام سيف بن سلطان (الثاني) وهو غير الإمام بلعرب بن سلطان الذي توفي في حصن جبرين عام ١٦٩٢م.

الانكسار والقتل، جعل يكاتب العجم لينصروه على أهل عُمان، فأجابوه على حربها وخرابها.

فبعث إليه شاه العجم[١] مع رسول إليه حصاناً شديد الركض، وما قدر أن يثبت على ظهره من فرسان العجم، وقال الشَّاه لرسوله الَّذي بعثه لسيف بن سلطان: قل لسيف بن سلطان إنَّ شاه العجم يقول لك: إذا قدرت أن تثبت على ظهر هذا الحصان عند ركضه بك يمددك بما تريد من قومه، وإذا لم تقدر فلا ترتجي منه نجدة ولا عصبة، مع كلام كثير.

وإنما الشَّاه يريد أن يختبر بذلك سيف بن سلطان، هل هو ملك شجاع، فارس، أم غير ذلك؟

فلمَّا وصله الرسول والحصان، وقال له رسول العجم ما قال له الشَّاه أن يقول له، وكان سيف يومئذٍ بمسقط، نظر إلى وجه الحصان، فعرفه أنه شديد الركض، وقد عجزت عن ركوبه فرسان العجم، وأنه يمتحنه به، فأمر واحداً من فرسانه أن يقوده له، وخرج هو ومعه خلق كثير.

فلمَّا بلغوا إلى أول العقبة من وادي الكبير من بلدة مسقط، أمر ألَّا يقف أحد على شفير الوادي[٢] قبل أن يركِّضه ثلاثة أشواط.

فلمَّا استوى على ظهره ضرب رقبته بالدرّة ثلاث ضربات، ففرّ به الحصان راكضاً، وهو يضربه ضرباً عنيفاً، فلمَّا بلغ به طوي الرَّولة، أراد

---

(١) شاه العجم: هو الشاه نادر الذي حكم بلاد فارس بين عامي (١٧٣٦-١٧٤٧م) وشكل قوّة بحرية كبيرة للسيطرة على شواطئ الخليج العربي وتحويله إلى بحيرة فارسية. وعندما طلب منه الإمام سيف بن سلطان (الثاني) المساعدة ضدّ خصومه في الداخل، أرسل حملة عسكرية ضخمة إلى عُمان، وبقيت فيها حتى تمكن الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي من طردها عام ١٧٤١م.

(٢) شفير الوادي: حافته من أعلاه.

أن يوقف فما قدر عليه، فصاح بأعلى صوته، اعقروا الحصان، فما قدر أحد [أن](١) يقف على شفير الوادي خشية من الأحجار الَّتي تقذفها حوافره.

فلمَّا بلغ به باب المثاعيب، اقتحم الحصان به السُّور، فوقع سيف قائماً على قدميه في رأس السُّور المنصوب عليه الباب، وأما الحصان فتكسرت قوائمه، واندقَّت رقبته، فمات من ساعته.

فتعجب رسول العجم من ثقافة سيف [٢٩١-أ] وفراسته، وتعجب مثله سائر النَّاس، فتأسَّف سيف على موت الحصان أسفاً شديداً.

فلمَّا رجع رسول شاه العجم إليه، وأخبره الخبر كلَّه كتب إلى سيف ابن سلطان قبل أن ينفذ له الجيش كتاباً جميلاً يعده فيه بالنصر والعصبة على كلِّ من خالفه من أهل عُمان.

◆ [الإمام سيف بن سلطان (الثَّاني) ووالي صحار أحمد بن سعيد البو سعيدي]:

وكان سيف عند وصول كتاب الشَّاه إليه، مشتغلاً بالحروب الَّتي بينه وبين بلعرب بن حمير. وقد عدم إليه، مع تلك الحروب الصَّديق الَّذي يفرِّج عنه الكروب، فقال له رجل من خاصَّته: لا أرى لك اليوم للمساعدة رجلاً حازماً، تقرُّ به عينك، إلَّا أحمد بن سعيد السَّعيدي، فإنَّه هو في الرأي الحميد وفي الشَّجاعة غاية، فقال: ومن لي به.؟ فقال له: [أنا](٢) إن شاء الله، لآتيك به.

فكان من التَّوفيق المقرَّر للتَّصديق، أن الإمام سيف بن سلطان قد

---

(١) سقطت من النسخة (أ).

(٢) سقطت من النسخة (ب).

أزمع للمسير من بلدة مسقط إلى الرُّستاق، فلمَّا صار في روي، صادفه مقبلاً على ناقة شريفة، وكان الإمام سيف بن سلطان لم يره قبل ذلك اليوم، فقال له بعض قومه: إن أحمد بن سعيد السَّعيدي الَّذي تسمع [به][1] هو هذا.

فنزل الإمام سيف عن صهوة [جواده][2] إلى الأرض، ونزل قومه من على ظهور دوابِّهم معه. ونزل أحمد بن سعيد من على ظهر ناقته إلى الأرض، فتصافحا باليدين مصافحة المحبِّ للحبيب، فأخذ الإمام سيف بيد أحمد بن سعيد، فجلسا ناحية عن القوم، وقال له:

أين تريد يا أحمد؟

فقال: إلى بلدك المطرح، لأقضي منها بعض الوطر[3].

فقال له الإمام سيف بن سلطان: امضِ إليها، وإذا سمعت برجوعي من الرُّستاق إلى مسقط، فائتني بمسقط.

فقال له أحمد بن سعيد: سمعاً وطاعةً.

فلمَّا رجع الإمام سيف، وسمع به أحمد بن سعيد، أنه رجع إليها [٢٩٢-أ]، وفد عليه، فأكرم محلَّه، ثُمَّ بعثه إلى أرض [١٨٥-ب] الحسا، لقضاء بعض الوطر، فمضى إليها، وأتاه لمَّا رجع بكل ما أراد أن يأتيه به، فشكر صنيعه.

ولم يزل يترقى معه من مرتبة إلى مرتبة، فلمَّا رآه أهلاً للولاية، ولّاه مدينة صحار وأعمالها.

---

(١) سقطت من النسخة (ب).

(٢) «خيله» في النسخة (ب).

(٣) الوطر: الغاية والهدف.

فأظهر العدل والإنصاف بين الرّعيّة، وفشا إحسانه وكرمه إليهم، فأحبُّوه حبّاً شديداً، وأتته قبائل الشّمال والظّاهرة أفواجاً أفواجاً، وفرادى وأزواجاً، فأكرمهم وأحسن إليهم، وألان الجانب للغنيِّ والفقير، والبصير والضَّرير، وأظهر البشاشة للكبير والصَّغير، وبالغ في إكرامهم.

وقصدته شيوخ الجبور من الحفري[1] والحرادي وحي عاصم[2] فرفع منزلتهم، وأحسن إليهم، وسرى صيته في البلاد، وأذعنت له النَّاس بالانقياد، وأظهر العدل فأثنت عليه الألسنة.

فلمَّا بلغ صنيعه ذلك إلى الإمام سيف بن سلطان، قال لبعض خاصَّته: والله ما فعل أحمد بن سعيد هذا إلَّا لينفِّر النَّاس عنّي، ليجعلهم إليه، وأنَّه يحاول بهذا الشَّأن ليصير ما صار إليّ إليه، فإن لم أعزلهُ من ولاية صحار ليشقيني ويذرني بسلب ما ملكت يدي بعد الواجبة عبرة لأولي الأبصار.

فبعث إليه كتاباً يدعوه فيه بقدومه عليه سريعاً.

فلمَّا بلغه الكتاب، وفهم ما فيه من الخطاب، ركب ناقته إليه، ولم يصحبه من خاصَّته إلَّا رجل واحد من مواليه، يسمَّى مسعداً.

وكان الإمام سيف بن سلطان يومئذٍ بمسقط، وقد أمر الخاصَّة من عبيده، فقال لهم: إذا أتى أحمد بن سعيد إلى مسقط امسكوه، واحبسوه في الحصن الشَّرقي من مسقط.

وكان بيت الإمام سيف بن سلطان البيت الَّذي صار بعده لداود بن خليل المارديني.

---

(١) الحفري: قرية من قرى كدينة بركا الباطنة في سلطنة عُمان.

(٢) حي عاصم: من أحياء مدينة بركا في سلطنة عُمان.

فلمّا وصل أحمد بن سعيد وخادمه مسعد قرية روي، سلكا طريق عقبة الوادي الكبير، فانحدرا من الوادي، حتّى بلغا إلى بئر الزبادية من مسقط، فأناخا [٢٩٣-أ] ناقتيهما، فحمل أحمد بن سعيد سيفه، وقال لخادمه مسعد: كن مع الناقتين حتّى أرجع إليك.

ومضى عنه، حتّى إذا بلغ حذاء جدّي رزيق بن بخيت بن سعيد بن غسّان، وكان جدّي قد خرج من بيته يريد فرضة مسقط، وكان هو يومئذٍ المتقدم عند الإمام سيف بن سلطان على كتابة الدّفتر الحسابيّ، وبيده قلمه، وقد أسرّ إليه الإمام سيف بن سلطان عمّا في قلبه من قبل أحمد بن سعيد.

وكانت بين جدّي رزيق وبين أحمد بن سعيد مكاتبات ومراسلات.

فلمّا تصافحا هو وأحمد بن سعيد، قال له جدي:

أين تريد يا أحمد؟

قال: إلى الإمام سيف، لقد وصلني منه كتاب يدعوني بالوصول إليه والقدوم عليه سريعاً، فلا أدري بمراده هذا.

فقال له جدي: ارجع سريعاً إلى صحار، قبل أن يعلم بوصولك إلى مسقط، أو يراك أحد من عبيده، فإنَّه يريد أن يصنع بك كيت وكيت.

فلمّا سمع أحمد منه ذلك، قال: لعله يريد أن يعزلني من ولاية صحار.

فقال له جدّي: أجل. . . ويريد أيضاً قتلك، فارجع إلى صحار، فإنّي لك من النّاصحين، فإنَّ النَّفس تأبى العطب، وتقلى الشَّجب[1]، فهذا ما عندي لك من قبل الإمام سيف بن سلطان، والسَّلام.

---

(١) الشجب: تبغض الحاجة أو الهمّ والهلاك.

فلمَّا سمع أحمد عنه ذلك رجع مسرعاً إلى الزبادية، وركب هو وخادمه مسعد ناقتيهما، وسلكتا بهما طريق الوادي.

فلمَّا انحدرا من رأس العقبة، ضربا ناقتيهما بالسِّياط، فمرَّتا كريح البساط.

فبلغني عنهما أنّهما قد وصلا إلى مدينة صحار في اليوم الثَّاني عند طلوع الشَّمس.

وقد أخبر بعض الأنام الإمام سيف بن سلطان بوصول أحمد بن سعيد إلى مسقط في اليوم الَّذي رجع فيه إلى صحار، فبعث إلى عبيده الَّذين أمرهم [٢٩٤-أ] بقبضه، فلمَّا أتوه، سألهم عنه، فقالوا: يا مولانا ما رأيناه، ولا علمنا أنه وصل إلى مسقط قبل أن تخبرنا عنه، فقال لهم: انسابوا إليه انسياب الصّلال[1] وائتوني به.

فتفرق عبيده في البلد شرقاً وغرباً، فلم يجدوه، ولم يروه، فرجعوا إلى مولاهم سيف بن سلطان، [١٨٦-ب] فقالوا: ما وجدناه، ولا نعلم إلى أين توجّه.

فأمر بصلبهم وجلدهم، فصُلبوا وجلدُوا، حتَّى أخبره بعض النَّاس الَّذين رأوه هو وجدّي رزيق يتحادثان في الوادي، فبعث في طلبه ركبان الركاب والخيل، فما وقفوا على أثر له، ولا سمعوا عنه خبراً.

فلمَّا رجعت إليه البواعث، وقالوا: لقد فاتنا، فما وجدناه، أرسل إلى جدَّي رزيق.

فلمَّا أتاه، قال له: ما حملك على الَّذي فعلت؟ فإنك أنت الَّذي نفرَّت أحمد ابن سعيد، بنجواك إليه، فأين توجه بعد ما ناجيته، وما الَّذي

(١) الصّلال: نوع من الثعابين.

قلت له، وقال لك لمَّا تناجيتما؟ فقد صح عندي أنّك رأيته وناجيته، ونفَّرته عني، فإنِّي قد أسررت إليك عمّا في قلبي إليه، فأذعت سرّي وعصيت أمري.

فجعل جدِّي يعتذر إليه، ويكثر في قوله إليه: ما رأيته ولا ناجيته، ولا أفضيت لك سرَّاً، ولا عصيت لك أمراً، فإن من رفع هذا الخبر عنّي غير صادق، سكّن غضبك، وارجع عن سورتك[1]، فإنَّك منسوب إلى الحلم لا إلى الظّلم.

فقال: ليس ما قلته صحيحاً، وأغلظ عليه الكلام، ثُمَّ أمر عليه بالحبس والقيد، فحُبِسَ، وقُيِّدَ، ومكث جدِّي في الحبس والقيد ثلاثة أشهر، ثُمَّ أطلقه.

وبعث سيف بن سلطان إلى أحمد بن سعيد يدعوه بالوصول إليه سريعاً، فأتاه جوابه يعتذر فيه عن الوصول إليه لِعُلَلٍ عائقة ذكرها في كتابه.

فلمَّا أيقن الإمام سيف بن سلطان بنفوره واستنكافه عنه، كتب له كتاباً يتهدَّده فيه، ومن جملة ما تهدَّده فيه، إن لم تصلنا فنحن لنصل إليك.

ثُمَّ أمر بتجهيز أربعة مراكب من مراكبه الكبار، وشحنهنَّ بالرِّجال وآلة الحرب، فلمَّا [٢٩٥-أ] طرحت أناجرها على بحر صحار باقتراب من البرّ الَّذي عليه الحصن، أرسل إلى أحمد بن سعيد بوصوله إليه.

فلمَّا بلغه الرسول والكتاب، ركب أحمد بن سعيد في قارب صغير، سريع السَّير، وكان الإمام سيف قد أوقف عبيده على جوانب المركب الَّذي هو فيه، فلمَّا اقترب قاربه من المركب، أشار بعض عبيد الإمام إليه بالرّجوع، فرجع أحمد بقاربه سريعاً إلى البرّ، فصاح عبيد الإمام للإمام،

(١) ارجع من سورتك: أي ارجع عن حدّتك.

أنّه قد رجع أحمد إلى البرّ، فقال: قفوا مكانكم لعله قد نسي شيئاً، ويريد أن يأتيني به.

فوقفوا كما أمر في ذلك اليوم، من طلوع الشَّمس إلى غروبها، على جوانب المركب، فما رجع أحمد بن سعيد.

ومكث الإمام سيف يرتقبه، حتَّى مضت على ذلك أيَّاماً كثيرة، وكلما بعث إليه كتاباً بالوصول إليه لا يردّ عليه جواباً.

فلمَّا علم أكابر الجبور الَّذين بالحفري، والحرادي، وحيّ عاصم من نواحي بركة بمكث الإمام سيف بن سلطان في سفائنه على بحر صحار، ركبوا سفائنهم إليه، فلمَّا وصلوا [إليه][1] قالوا: أيها الإمام، ما مرادك بواليك أحمد بن سعيد؟

فقال لهم: لا شيء، إلَّا وصوله إليّ.

فقالوا له: كيف يصل إليك وقد أوحشته بكتبك وسفائنك؟ فما ينبغي منك هذا له، إذ هو قد صار واليك النَّاصح لك، ولو لم يوحشه أحد عنك لمَّا رجع في اليوم الَّذي وصل فيه إلى مسقط مذعوراً إلى صحار، ولو لم يكن لك ناصحاً ومطيعاً، لمَّا أتى في قاربه إليك، ولو لم يوحشه أحد من أصحابك ما رجع بقاربه إلى البرّ، وأنت بحمد الله رجل حليم، وتعلم أن النَّفس تأبى العطب، وإنَّما الرّأي السّديد أن نمضي إليه ونخبره عنك، لنستمع منه الجواب إليك، فإن رأيناه مستوحشاً منك بوصولك إليه أتيناك عنه بما يؤنس قلبك [٢٩٦-أ] منه، فأجابهم إلى ذلك.

فلمَّا وصلوا إليه، عاتبوه من قبل الإمام سيف بن سلطان، فقال لهم: إني لست بمستنكف عن طاعته، ولكن النَّفس تأبى العطب، ولو كان يمكن

---

(١) سقطت من النسخة (ب).

أن أفشي أسرار الَّذين أخبروني عنه، عن الشَّأن الَّذي عزم عليه من قبلي لأخبرتكم عنه، ولكن ذلك لا يمكن إذاعته، ولا يحسن إلَّا كتمه.

وما برح أكابر الجبور يسعون بالصّلح بينهما [١٨٧-ب] حتَّى اتَّفق الصّلح بينهما على يدهم، أن يبعث أحمد بن سعيد ولده هلال بن أحمد بن سعيد إلى الإمام سيف بن سلطان، [ويمضي][١]، فيمكث حيث يمكث الإمام سيف بن سلطان، ويمضي حيث يمضي معه، ليطمئن بذلك قلب الإمام سيف بن سلطان من قبل أحمد بن سعيد.

وكان هلال بن أحمد المذكور هو أكبر أولاد أحمد بن سعيد سنًّا، وأفهمهم علماً، فأتوه به إلى مركبه، فأحسن إليه، وطابت نفسه على أحمد ابن سعيد، فرجع بمراكبه إلى مسقط.

وما برح هلال بن أحمد معه، حتَّى وصلته كتب أمراء شاه العجم، أنهم وصلوا بجيوشهم إلى فكّان، [ففسح له ليمضي إلى أبيه أحمد بن سعيد، فمضى إليه.

وكان وصول أمراء شاه العجم بجيوشهم إلى فكّان][٢]، آخر ليلة الخميس إلى اثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ذي الحجّة سنة مائة وتسع وأربعين سنة بعد الألف، قيل: وكان وصولهم على فكّان في آخر ليلة الخميس من شهر الحجّ سنة ألف ومائة وتسع وأربعين سنة، فمضوا إلى الصّير ومضى سيف بن سلطان إليهم على سفنه، فأوحش عُمان بكثرتهم إيحاشاً شديداً.

وكتب بعض أفاضل عُمان إلى سيف بن سلطان، ولم يذكر اسمه له:

---

(١) سقطت من النسخة (ب).

(٢) سقطت من النسخة (ب).

﴿...إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[١] ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾[٢].

[٢٩٧-أ] تحية وافرة هنيئة، باطنة، وظاهرة، إلى السيّد الهمام الممجد القمقام[٣]، الإمام بن الإمام، رفيع الشّأن، سيف بن سلطان اليعربي، سلّمه الله.

أما بعد، لقد صدرت أحاديث بإسناد عن أصحابنا بناحية الشّمال، فشقَّ على المسلمين، علينا وعليكم من يمين وشمال، وقلوبهم لأجلها وجلة، وأنفسهم منها معوَّلة، بأن بعض العجم وصلوا بمن معهم من سفهاء قومهم إلى فكّان، فزخرفت لهم نفوسهم، ما زخرفت، وزيَّن لهم الشّيطان أعمالهم، حتَّى همّوا بما لم ينالوا، فما ربحت تجارتهم، لما جلبتهم أمانيهم إلى سوق المنيَّة، ولعلَّ بعضهم وصل إلى بعض عُمان، ونزل من نزل منهم بناحية فكّان، بما عندهم من أمتعة وخيل وسائر الحيوان، الّتي لا تقدر على لفظ المعاني والبيان، الله المستعان على ما تصنعون.

فهده مصيبة علينا وعليكم، ما أعظمها، ورزيَّة ما أشأمها، فإن ظفروا طغوا، نعوذ بالله من كل شيطان رجيم، متجبِّر متكبِّر، لا يؤمن بيوم الحساب، وإن تكاثروا عليكم ليسومونكم سوء العذاب، يذبحون أبناءكم، ويستحيون نساءكم، وفي المثل: إن امرأ أوغَرْتَ صدره لا تأمن مكره وكيده وغدره، فسبحان الله، أأنت نائم أم يقظان؟، أم استولى على قلبك الشّيطان؟ أم لك حجة على المسلمين؟ أم سلطان أنّى لك أن تتولى قوماً

(١) سورة الرعد، الآية: ١١.

(٢) سورة الحج، الآية: ٤٦.

(٣) القمقام: السيّد.

غضب الله عليهم، وتبعث كتبك رسلاً قاصدة منك إليهم، وتدعوهم إلى حضرتك، وترجوهم لنصرتك، إنها لأكبر العبر لمن اعتبر، الله أكبر!.

[٢٩٨-أ] أجهلت، أم علمت فغفلت بما حل منهم في جزيرة البحرين من قتل رجالهم، وأخذ سفنهم قسراً، وما صنع بكبيرهم وأميرهم سلطان محراب، ومن معه عن عجم وزعّاب، وسائر الحضر والأعراب مثل جرثومتهم محمَّد بن عبدالله البحراني، إذ هو عزّهم وناموسهم، وكم غيره تصطفونهم، ولم يعطوا الحق من أنفسهم، ومالكم كيف تحكمون، فبئس الرَّأي الَّذي رأيتم، والأمر الَّذي حاولتم، وعليه عوَّلتم، والله لو كانت القلوب لها أبواب وفتحت، لوجدتم نيران العداوة ولظاها يخرج من خياشيمهم، فتعانوا على البرّ والتَّقوى.

هذا ما عندنا من محض الوداد والنّصح والاجتهاد، والله بصير بالعباد، فمن نكث فإنَّما ينكث على نفسه، ومن أوفى بما عاهد عليه الله وأصلح، فأجره على الله، والسَّلام.

وقيل: إن الإمام سيف بن سلطان لمَّا مضى إلى العجم، أصاب مراكبه الطّوفان، فلاذ المركب الَّذي هو فيه بفكّان، ورجع الباقي إلى مسقط، فهبط منه إلى البرّ، فلمَّا علم بذلك أحمد بن سعيد مضى إليه على سفن صغار، فأخذه على حين غفلة من أهله، فمضى سيف [١٨٨-ب] بن سلطان على طريق البرّ على العجم، فانضاف إليهم، وهم يومئذٍ بالصّير، وقيل: وصل إليهم بمراكبه كافَّة إلى الصّير، فأقام معهم.

ولمَّا علم بذلك بلعرب بن حمير اليعربي حشد من عُمان والظَّاهرة، فاجتمع معه جيش كثير، وكان خروجه من نزوى إليهم أول شهر المحرم سنة الألف والمائة والتسع والأربعين، فالتقى الجمعان بموضع يسمَّى السّميني، من الظَّاهرة، فوقعت بينهم حرب شديدة.

وقيل: كان خروجه إليهم أول شهر المحرم سنة الخمسين والمائة والألف، فانكشف قوم بلعرب، ولم يرجع من سلَّم من قومه إلى وطنه بدابّةٍ ولا سلاح، ومات [٢٩٩-أ] أكثرهم عطشاً، وربما قتل بعضهم بعضاً مع الكشف والانكسار.

فدخل سيف بن سلطان توام الجو بعسكره العجم، فأذعنت له وانقادت له الظَّاهرة بأسرها قسراً، ودخل قومه بلدة عبري فوقع في أهلها قتل عظيم، وسلب كل ما فيها، وقتلت أطفالهم، وأصابوا الذُّلّ والهوان. حتَّى قيل: إن العجم جعلوا يربطون الأطفال بالحبال، فيدخلونهم تحت قناطر الأنهار، وهم يستغيثون فلم يغاثوا، وباعوا النِّساء الحرائر بيع العبيد، فحملوهنَّ إلى شيراز، وبُعْنَ فيها كما تباع البهائم.

ثُمَّ رجعوا إلى الصّير، ولم يجعلوا لسيف حظاً، فانفصل عنهم إلى بهلا بمن معه من القوم، فصالحه أهلها، واستولى على حصنها سالم بن خميس العبري[١]، ومضى إلى طيمساء[٢]، فهرب أكثر القوم القائمين

(١) سالم بن خميس العبري: هو الشيخ، العالم، الفقيه، والوالي، سالم بن خميس بن عمر العبري، من فقهاء القرن الثاني عشر الهجري، وكان من ولاة بعض أئمة اليعاربة - الإمام سيف بن سلطان (الثاني) ولّاه على بهلا أيام حروب العجم في عُمان، وله أجوبة في الفقه، وله وصيّة توجد بمكتبة السيد محمد بن أحمد بن سعود البوسعيدي، مجموع رقم (١٥٥٤). من مؤلفاته كتاب «فواكه البستان»، وله أجوبة في الأثر، وله منثورة تحتوي على مسائل كثيرة في الفقه، أكثرها من جوابات الشيخ سعيد بن بشير الصبحي والشيخ ناصر بن خميس الحمراشدي، والشيخ صالح بن سعيد الزاملي، وغيرهم. ولا يعرف تاريخ وفاته. انظر: البطاشي، سيف بن حمود بن حامد: إتحاف الأعيان، ج٣، ص٢٠٥-٢٠٦.

(٢) طيمساء: قرية من قرى المنطقة الداخلية في سلطنة عُمان، قريبة من مدينة نزوى.

بحصن نزوى، وبلعرب كاد أن يهرب مثلهم من الحصن خوفاً من سيف بن سلطان وجنوده من عدم النّاصر له، إلّا أن سيفاً لم يقصد نزوى، فمضى إلى منح، فصالحته، ومرّ على إزكي، فأذعن له أهلها، وهبط إلى سمايل، فأناخ بالعدوّ، وجعل يكاتب قبائل سمايل لمواجهته، فتأهّبوا لمواجهته لمّا وصلهم كتابه، فمضى عنهم قبل أن يصلوا إليه إلى مسقط.

فلمّا وصل إليها مكث بها، ووقع الخلف بين الوالي الّذي تركه سيف بن سلطان بالغبّي، وبين بني غافر، فلمّا علم أهل بهلا بذلك، أدخلوا بلعرب بن حمير الحصن، وجاءت زيادة قوم للعجم من شيراز، مع أصحابهم الّذين بالصّير، فقصدوا بهم عُمان، فلمّا وصلوا إلى الظّاهرة صالحهم أهلها، فمضوا إلى بهلا، فكان وصولهم إليها يوم الثّالث والعشرين من ذي القعدّة، فاستولوا على جميع ما فيها، وهرب من هرب من أصحابها، فقبضوا الحصن، وتركوا فيه فئة منهم، ومضوا إلى نزوى أول شهر الحجّ.

فهرب بلعرب بن حمير منها إلى وادي بني غافر، وثبت بنو حراص[1] من قبله في قلعة [٣٠٠-أ] نزوى، وصالح أهل نزوى العجم، فلمّا تمكنوا فيها، وضعوا عليهم الخراج، وعذّبوهم بأنواع العذاب، وقتلوا الرّجال والنّساء، الكبار والصّغار، وحملوا من أرادوا من النّساء إلى شيراز، وفعلوا في نزوى الأفعال القبيحة، حتّى قيل: إنّهم قتلوا من أهل نزوى عشرة آلاف من النّساء والأطفال، ولم يسلم من أهلها إلّا من قدر على الهرب.

---

(١) بنو حرّاص: قبيلة عدنانية، يتصل نسبها إلى وائل بن قاسط بن هنب بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان. والمفرد: الحراصي. انظر: الخروصي، سليمان بن خلف بن محمد: ملامح من التاريخ العُماني، ص٢٨٠.

وأما قلعتها فما قدروا عليها، وكذلك حصنها، فخرجوا من نزوى يوم ستة عشر من الحجّ، فمرّوا على إزكي، فصالحوهم، وأدّوا لهم الخراج، فأقاموا فيها يوماً وليلة، ومضوا قاصدين إلى الباطنة، ثُمَّ انعطفوا إلى مسقط، فوصلوها يوم أربع وعشرين من شهر الحجّ، فاحتووا على البلد وما فيها، ولم يبقَ شاذٌ عن طاعتهم، غير الحصنين الشَّرقي، والغربي فحاصروهما إلى يوم الخامس من صفر سنة إحدى وخمسين ومائة وألف، ثُمَّ خرجوا من مسقط، ومضوا إلى بركة.

وكان سيف بن سلطان قبل أن يصلوا إلى مسقط هرب على مراكبه إلى بركة، فقبض المعاول حصنها، ومضى إلى بلدة الطوّ، فتلقاه أهلها بالكرامة، وصحبوه إلى نخل، ثُمَّ سار إلى الظَّاهرة فالتقيا هو وبلعرب بن حمير بوادي بني غافر، وآل نظر بني غافر[1] أن يخلعوا بلعرب من الإمامة، ويردُّوها على سيف بن سلطان حذر الفرقة، ورغبة لإطفاء النَّائرة ليجتمعا على أعدائهما العجم. فجعلوا الإمامة لسيف بن سلطان...

ووقع حرب بين [١٨٩-ب] المعاول والعجم المنفصلين من مسقط إلى بركة، فما قدر العجم على أخذ الحصن، فأقاموا في الحفري، وفي برج المزرع من بركة.

وأما العجم الَّذين ببهلا، فإنَّهم لمَّا أبطأت عليهم الأخبار من أصحابهم، بعثوا منهم مائة فارس ليأتوا لهم بخبر أصحابهم [٣٠١-أ] المنفصلين عنهم إلى

(١) بنو غافر: قبيلة عدنانية، يتصل نسبها إلى غافر، ثم إلى سامة بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر (وهو قريش) بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. والمفرد: الغافري. انظر: الخروصي، سليمان بن خلف بن محمد: ملامح من التاريخ العُماني، ص٢٧٣.

مسقط، فمرّوا على سمايل أول نهار يوم ثامن من صفر، فالتقاهم أهلها، وعندهم حمير بن منير(١) ومن معه [في الحصن من قبل بلعرب بن حمير، فهجموا على العجم، فقتلوا أكثرهم. ثُمَّ سار حمير بن منير بمن معه من](٢) العسكر من أهل إزكي وبني ريام إلى بهلا، فدخلوها يوم واحد وعشرين من صفر، فاستولوا عليها، وتحصن العجم بحصنها، فحاصروهم.

وخرج من العجم قوم لقتال العرب، فقتل أكثرهم، وبقي معه القليل في الحصن حتَّى جاء سيف بن سلطان، ومن معه من القوم إلى بهلا، فأخرجهم من الحصن بسلاحهم وأمتعتهم، ودوابهم، وأمر أن يصاحبهم مبارك بن سعيد الغافري(٣) إلى صحار، وكان أكثر أصحابهم يومئذٍ

---

(١) حمير بن منير: حمير بن منير بن سليمان الريامي الإزكوي. وقد وردت ترجمته سابقاً.

(٢) سقطت من النسخة (ب).

(٣) مبارك بن سعيد الغافري: هو الشيخ، الفقيه، مبارك بن سعيد بن بدر بن محمد بن ذخر بن ساري بن صبيح بن غانم الغافري، من فقهاء القرن الثاني عشر الهجري، من بلد «سني» بوادي بني غافر، من أعمال الرستاق، من مؤلفاته كتاب «صراط الهداية» وهو موجود بمكتبة السيد محمد بن أحمد بن سعود البوسعيدي، ويشتمل على مائة وسبعة أبواب، أولها في طلب العلم، وآخرها منثور في الأثر الغريب، وقد فرغ من تأليفه يوم الاثنين ١٢ جمادي الآخرة سنة (١١٢٩هـ/ ١٧١٧م) وفي ذلك يقول:

تـمَّ بـحـمـدِ اللهِ تـصـنـيـفُـنـا ... مِنْ فضلِ خَالِقِنا قدْ تمَّ تأليفا

صراطُ الهدايةِ سميناه يا سندي ... لمنْ أرادَ الهدى قدْ كانَ تعريفا

فمن جواباتِ أهلِ الفضلِ سادتنا ... فتابعيهم تنلْ عزّا وتشريفا

مباركُ بن سعيدٍ فهو صنّفهُ ... الغافريُّ رجا في الخلد توفيقا

وبمكتبة وزارة التراث والثقافة نسخة من الجزء السابع من كتاب المصنف بخط الشيخ مبارك، دوّن فيها تاريخ النسخ يوم السبت ١١ ذي الحجة ١١٤٦هـ/ ١٦ أيار/ مايو ١٧٣٤م. فهو في تلك السنة على قيد الحياة. انظر: البطاشي، سيف بن حمود ابن حامد: إتحاف الأعيان، ج٣، ص٤٢٤-٤٢٥.

محاصرين صحار، ولكنَّهم مبتعدون عن الحصن، فركض على القوم الَّذين صحبوا مبارك بن سعيد الغافري أحمد بن سعيد السَّعيدي، فقتل أكثرهم، وأسر من سلم منهم من القتل، فحبسهم في الحصن، فماتوا في الحبس كافَّة.

وأمَّا القوم الَّذين خرجوا من مسقط، ومضوا إلى بركة [فقد][1] رجعوا إلى الصّير، ورجع منهم أناس إلى بلدانهم، وذلك بعد ما سار إليهم سيف بن سلطان بجيش عظيم من البرّ، وسيَّر عليهم مراكب في البحر، فلمَّا وصل إلى قرية ختّ، وهي بالقرب من الصّير جاءه خبر أنَّ مركبه في المسمَّى «الملك» قد احترق وغرق من فيه، يوم الجمعة وتسع عشرة ليلة مضت من شوَّال سنة إحدى وخمسين ومائة وألف، فرجع إلى عُمان، وبقي العجم في الصّير [بعضهم][2]، وبعضهم محاصرون حصن صحار. ودانت لسيف بن سلطان حصون عُمان، وأدّت له الرّعيّة الطَّاعة، وحطّ الخراج عنهم.

◆ [الإمام سلطان بن مرشد[3] اليعربي (١١٥١-١١٥٢هـ/ ١٧٣٩-١٧٤٠م)]:

فاجتمع من شاء الله من مشايخ العلم من بهلا، ونزوى، وإزكي،

---

(١) إضافة يقتضيها السياق.

(٢) سقطت من النسخة (أ).

(٣) سلطان بن مرشد: الإمام سلطان بن مرشد بن عدي بن حامد بن مرشد بن مالك بن بلعرب بن محمد بن يعرب بن سلطان بن حمير بن مزاحم بن يعرب بن محمد بن يعرب بن مالك اليعربي. انظر: ابن رزيق، حميد بن محمد: الصحيفة القحطانية، ج٥، ص٢٨٤.

ورؤساء بني غافر، من أهل الظَّاهرة، ووادي سمايل، ومشايخ المعاول على عقد [٣٠٢-أ] الإمامة لسلطان بن مرشد اليعربي.

فعقد له بجامع قرية نخل سنة إحدى وخمسين ومائة وألف، فاستقام على الحق والعدل، وخلصت له الحصون من نخل، وسمايل، وإزكي، ونزوى، وبهلا، والشَّرقية، وسالمته القبائل من الفريقين.

وسار بنفسه في جيش إلى الرُّستاق، وهي يومئذٍ في حكم سيف بن سلطان، فلمَّا سمع به سيف جمع قوماً من الرُّستاق وغيرها، ولبث عند ثقاب فلج المسير يترقَّب الإمام سلطان بن مرشد ليحاربه. فلمَّا رأى ألَّا طاقة له بهزم قومه، انهزم ليلاً عن أصحابه، وترك بعض آلة الحرب من تمر وغيره معهم.

فلمَّا وصل الإمام سلطان بن مرشد صباح يوم الجمعة من شهر شعبان من هذه السَّنة، إلى الرُّستاق لم يجد بها سيف بن سلطان، فالتقاه أهل الرُّستاق بالبشاشة والطَّاعة، ورأوه أهلاً للإمامة، فآزروه، وأطاعوه، ولم يبقَ غير الحصن شاذّاً عن طاعته، فحاصره سبعين يوماً، ثُمَّ فتحه، وكان سيف بن سلطان قد ترك فيه عبيده ووالدته وبعض عياله، وسار هو إلى مسقط، فجمع قوماً منها ومن المطرح، والسيِّب، فمضى بهم إلى بركة.

فبعث إليه الإمام سلطان بن مرشد قوماً لقتاله، وأمّر على الجيش سيف بن مهنَّا اليعربي، فالتقاهم سيف بن سلطان بقومه، فوقع بينهم حرب عظيمة، فانهزم أصحاب سيف بن سلطان، وأخذهم السَّيف، فلم ينجُ منهم إلَّا من طلب الأمان على نفسه، ومن هرب في السَّباسب[١].

(١) السَّباسب: جمع سبسب، وهي المفازة من الأرض المستوية البعيدة.

وأما سيف بن سلطان، فانهزم إلى مسقط وجاءته نجدة من أعراب الظَّاهرة، يبلغ عددهم خمسمائة رجل، فلمَّا وصلوا إلى الحزم، مضى إليهم من مسقط، فجمع بعض أعراب الباطنة، فلمَّا اجتمع القوم معه في الحزم، وقعت بينهم فتنة، فقتل بعضهم بعضاً، [٣٠٣-أ] فمضى من جمعه من أعراب الباطنة وسلم من القتل إلى منازلهم، وبقي من سلم من القتل من أعراب الظَّاهرة معه في الحزم، فأراد أن يمضي بهم إلى [١٩٠-ب] الرُّستاق، فلم يجد إلى ذلك سبيلاً، فارتفعت عنه أعراب الظَّاهرة، ورجع هو إلى مسقط.

وأمَّا الإمام سلطان بن مرشد، فقد ترك بحصن الرُّستاق والياً من قبله سيف بن مهنَّا[1]، وحشد قوماً من الرُّستاق، ومرّ على نخل، فحشد منها ومن رعاياها، وسار إلى بدبد، فحشد رجال وادي سمايل، ورجال إزكي وأعمالها، ومضى بالجيش إلى مسقط يوم الخميس وثاني يوم من شهر الحجّ من السَّنة، ففتحها.

فهرب سيف بن سلطان بمركبه المسمَّى «الفلك»، وتحصَّن باقي أصحابه في سائر مراكبه، ثُمَّ هبطوا منها بأمان من الإمام سلطان بن مرشد، فبعث مركباً من المراكب الَّتي هبط عنها أصحاب سيف لطلب

(١) سيف بن مهنا: هو سيف بن مهنا اليعربي، أمير، والٍ، قائد، عاش في القرن الثاني عشر الهجري، وهو ابن الإمام مهنا بن سلطان وأخو الإمام سلطان بن مرشد اليعربي لأمه، ولّاه حصن الرستاق بعد فتحه، ثم بعثه على رأس جيش لقتال سيف بن سلطان (الثاني) فهزمه، وعاد، فولّاه مسقط، فقتل أثناء دفاعه عنها ضدّ الفرس الذين استقدمهم سيف بن سلطان (الثاني) لمناصرته. انظر: دليل أعلام عُمان، ص٨٧. و انظر: ناصر، محمد صالح، و الشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٢٣٢.

سيف، وأمّر عليه نجاد بن سالم[١]، فأصاب المركب الطّوفان دون فكّان، فرجع نجاد بن سالم إلى الإمام سلطان بن مرشد، وقد انكسرت من المركب المذكور دقاله[٢]، وأما سيف بن سلطان، قيل: إن مركبه انكسر دون فكّان، وقيل: هبط منه سيف إلى فكّان، فأخذه أحمد بن سعيد، وقيل: مضى به سيف إلى الصّير، فامتزج بالعجم، والله أعلم.

واختلفت الرِّوايات في القوم الَّذين أغاروا على أودية المعاول، ومضت طائفة منهم إلى قريَّات وطائفة إلى المطرح، وهم الَّذين أنفذهم أصحابهم من الصّير على طريق الظَّاهرة، فلمَّا بلغوا إلى سمايل انحدروا من نجد السيابيين[٣]، فكان منهم ما كان، وأحد يقول: إن سيف بن

---

(١) نجاد بن سالم: هو الشيخ، الفقيه، الوالي، نجاد بن سالم بن نجاد بن سالم بن غسان، بن مجنب بن غسان بن محمد بن سعيد بن مانع بن علي الغساني الغافري، من فقهاء النصف الأول من القرن الثاني عشر، ومن الولاة أيام دولة اليعاربة، ومنها: ولايته على قرية ضنك، وكان مع الإمام سلطان بن مرشد ومن أنصاره المجاهدين معه أيام استيلاء العجم على مسقط، وهروب سيف بن سلطان (الثاني) منها بمركبه، فقد أمر الإمام سلطان بن مرشد الشيخ نجاد بن سالم أن يلحقه بمن معه من الرجال، فلم يدركه، وفاته إلى الصير. لم يكن الشيخ نجاد على وفاق مع الإمام بلعرب بن حمير في فترة إمامته الأخيرة، فحقد عليه، وأرسل له أحد من بني عمه وأقاربه من بني غافر، فساروا به إلى بلدانهم، وقبضوا عليه، وجاؤوا به إلى نزوى، حيث سجنه الإمام بلعرب بن حمير في القلعة، وضيق عليه حتى مات. انظر: البطاشي، سيف بن حمود بن حامد: إتحاف الأعيان، ج٣، ص٥١٦-٥٢٣.

(٢) الدقالة: الدقالة بالفتح، سهم السفينة.

(٣) نجد السيابين: الهضبة التي يسكنها السيابيون. والسيابيون قبيلة عدنانية، يتصل نسبها إلى شهاب بن النويرة بن عمرو بن الحارث بن زهير بن أبي نويرة بن ربيعة بن مرّة ابن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن غنيم بن تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان. والمفرد: =

سلطان، لمَّا وصل العجم إلى مركبه إلى الصّير، وشكا إليهم ما جرى عليه من الإمام سلطان بن مرشد، وأهل عُمان، قالوا: نحن قوم أرسلنا الشَّاه [٣٠٤-أ] إليك نصرة، فامضِ بنا حيث شئت.

فقال: إنَّما الرأي السَّديد، الحميد أن نمضي إلى صحار، لأخذ حصنها من أحمد بن سعيد، فإن خلص لنا حصنها فهو مني هبة لكم لا رجعة فيه، ففرح العجم بذلك، وقالوا: أنت نعم الصَّاحب والمحبّ النّاصح لنا، لقد وفَّيت بعهدك، لا عدمناك لنا ذخراً.

فمضى، ومضوا معه إلى صحار، فلمَّا أتوها، أحاطوا بها برًّا وبحراً، وحصروا أهلها حصراً شديداً، وقطعوا عنهم المادَّة، وبعثوا منهم قوماً كثيرين من مسقط لفتح حصنيها وإرجاعهما من الإمام سلطان بن مرشد إلى سيف بن سلطان.

وكان القابض يومئذٍ لحصني مسقط وسائر مقابضها من قبل سلطان ابن مرشد، سيف بن مهنَّا اليعربي، والقابض لحصن المطرح سيف بن حمير اليعربي، فتعاهد سيف بن مهنَّا وسيف بن حمير على حرب العجم.

فلمَّا بلغ العجم إلى سيح الحرمل(١)، ركض عليهم سيف بن حمير ومن معه من أهل المطرح، ومسقط، فكشفهم، وردَّهم على أدبارهم إلى روي، فلبثوا بروي بقيّة ذلك اليوم، ثُمَّ هجموا على المطرح في اليوم الثَّاني، فالتقاهم سيف بن حمير ومعه بعض الرِّجال، فتكاثروا عليه، فقتل هو وأصحابه كافَّة بعدما قتل من العجم فرساناً عدَّة.

= السيابي. انظر: الخروصي، سليمان بن خلف بن محمد: ملامح من التاريخ العُماني، ص٢٧٥.

(١) سيح الحرمل: مكان في روي في منطقة مسقط في سلطنة عُمان.

وكانت هذه الوقعة بينهم في ربوة سيح الحرمل، فعلى مصارع سيف ابن حمير ومن معه في تلك الرَّبوة حصيات بيض، وتسمى تلك الرَّبوة، مصرع الشُّهداء.

وأمَّا الرجم المقابلات لبيت الفلج، فهنَّ رجم قتلى العجم.

ثُمَّ رجع من سلم من العجم إلى بركة، فعسكروا فيها، ومضى منهم فرسان كثيرون إلى قريَّات على خيل سباق، فقتلوا منها خلقاً كثيراً، وحملوا منها نساءً وصبياناً أسرى، فأرسلوهم إلى شيراز، ومن جملة الَّذين أخذوهم أسارى [٣٠٥-أ] ولدان لجدي رزيق بن بخيّت، وهما أخوا أبي محمَّد بن رزيق.

ومضت طائفة منهم لأودية المعاول فبلغوا إلى مسلمات[١]، فقتل من المعاول رجال، وقتل من العجم رجال قليلو العدد.

وأما قوم العجم الَّذين قتلوا سيف بن حمير في ربوة سيح الحرمل، [فقد][٢] أتتهم زيادة قوم من أصحابهم المعسكرين بصحار، فركضوا على مسقط، فلمَّا وصلوا إليها نصبوا سلالمهم على الحصنين الشَّرقي والغربي [١٩١-ب]، فجعل من فيهما يضربونهم بالتُّفق، والمدافع، فانكسرت بهم السَّلالم مرتين. ولم يتقهقروا عن الرَّكضة، فأخذوهما قسراً، وملكوا حصن المطرح وسائر معاقلها على أصحّ الرِّوايات، وأحد يزعم أن العجم انكسروا ثانية، ولم يملكوا حصنيها، ولا حصن المطرح، بل ركضوا عليهما، فانكسروا، ومضوا إلى صحار، وهذه رواية ضعيفة لا برهان لها، فإنَّني بما سمعت من المشايخ أهل ذلك العصر، أنهم ملكوها، وملكوا

(١) مسلمات: قرية مشهورة من قرى وادي المعاول في منطقة الرستاق في سلطنة عُمان.

(٢) إضافة يقتضيها السياق.

حصن المطرح، فمن المنازع لهم عن أخذهما في ذلك الزَّمان، وقد أدركوا ما حاولوا من عُمان.

وأمَّا العجم المعسكرون بصحار فإنهم حصروها حصراً شديداً، وقطعوا المواد عن المتحصِّنين بالحصن والسُّور، حتَّى بلغ العشر الصَّحنات اللواتي تسمِّيها العامَّة القاشع بخمسين فلساً، وما برح العجم القابضون بمسقط تمدّهم أصحابهم بالميرة[1] من صحار على سفن، وأتتهم زيادة قوم من شيراز إلى أصحابهم العجم، فانتظموا في سلك أصحابهم المحاصرين لحصن صحار، فكان على أصحّ الرِّوايات أن المحاصرين لحصن صحار ستون ألفاً، وفي كل يوم يخرج عليهم أحمد بن سعيد بمن عنده من الرّعيّة فيبلغ مراده منهم من القتل.

وقد استوحش سيف بن سلطان من العجم لمَّا استولوا على مسقط، ولم يردوا مقابضها إليه، وأخذه النَّدم من كلِّ مكان، فصارت يداه [٣٠٦-أ] صفراً من ملك عُمان، ومن نصرة العجم، فمضى عنهم من صحار خفية إلى الحزم، وقال لبعض خاصَّته: «هذا قصري وقبري، فأنا في كلِّ عين بغيض، وحظّي من الملك دونه خفض الحضيض».

وكان مدة حصار العجم لحصن صحار تسعة أشهر، ومعسكرهم الَّذي في البرّ، يضرب الحصن، والسُّور في كل ثلاثة آلاف ضربة برصاص المدافع، فلا تسمع الآذان [إلَّا][2] أصوات المدافع كأصوات الرعود.

فلمَّا علم الإمام سلطان بن مرشد استئصال العجم لمسقط والمطرح،

---

(١) الميرة: هي الزاد والطعام.

(٢) إضافة يقتضيها السياق.

وبشدَّة حصرهم إلى صحار وحصنها، جمع من الرُستاق والظَّاهرة، ووادي بني غافر أقواماً كثيرة، فلمَّا وصلوا إليه، مضى بهم من الرُّستاق إلى صحار، فلمَّا بلغ بهم الخابورة[١] انفضوا عنه، وما بقي معه إلَّا مائتا رجل، وفيهم من جماعته ثلاثون رجلاً، فكره أن يرجع بهم، فدلف بهم إلى صحار، فلمَّا كانوا بالقرب من صحم، صادفتهم كتيبة من العجم على خيل سباق، فوقع بينهم القتال، فانكشف العجم عنهم، فاتبعوهم حتَّى انضافوا إلى أصحابهم المحاصرين للحصن، فركض الإمام سلطان بن مرشد ومن معه عليهم، فوقع بينهم قتال شديد، فقتل من العجم قائدهم المسمَّى كلب علي، ومعه مائة رجل، وقُتل من أصحاب الإمام اليعاربة كافَّة، وقتل من سائر قوم الإمام خمسون رجلاً، وتفرَّق عنه من بقي من صحبه، فدخل هو الحصن، وبه جراحات، فلبث على قيد الحياة ثلاثة أيَّام في الحصن، ثُمَّ توفي.

فلمَّا بلغ سيف بن سلطان موت الإمام سلطان بن مرشد وجماعته، استرسل عليه البطن، فما لبث إلَّا أيَّاماً قلائل إلى أن مات، فقبر في حصن الحزم.

ولم تزل الحرب قائمة على ساق بين أحمد بن سعيد والعجم، وهو يخرج عليهم كما ذكرنا أولاً، فيبلغ مراده منهم بالقتل.

فلمَّا رأت العجم [٣٠٧-أ] تجلد أحمد بن سعيد على الحرب، وصبره على الطَّعن والضَّرب، وبلغهم موت سيف بن سلطان، انفلّت

---

(١) الخابورة: وهي البلد المهم الذي هو مرجع الحواسنة، وسوقهم الرابح، و فيها قبائل عديدة، وهي ثغر الظاهرة، وناهيك مركزاً استراتيجياً، بالنظر إلى مناهج القبائل الظاهرية حلاً وارتحالاً في الأيام التي نحن فيها. انظر: السيابي، سالم بن حمود ابن شامس: العنوان عن تاريخ عُمان، ص١٣٣.

عزائمهم، وضعفت قوتهم، فصالح خانهم[١] أحمد بن سعيد على ارتحالهم من صحار، وحمل ما أدعوه في معسكرهم من المدافع وآلة الحرب، والزَّاد.

فلمَّا أجابهم على ذلك، واجهه أميرهم الخان في الحصن، ومعه عشرة رجال من أبطاله، فقدَّم لهم الطَّعام، فلمَّا أكلوا وشربوا، قال أميرهم الخان:

يا أحمد، كما وسعت لنا في حمل آلة الحرب كافَّة، وسّع لأصحابنا الَّذين هم بمسقط أن يحملوا ما بقي معهم من آلة الحرب، وغيرها من مسقط إلى بندر العباس[٢].

فقال له أحمد: إن شاء الله.

ولم يزد على ذلك.

فلمَّا خرج الخان ومن معه من الحصن، لم يمكث هو [١٩٢-ب] ومن معه بعد ذلك إلَّا يومين، فركبوا سفائنهم، ومضوا إلى بندر العباس، ثُمَّ ارتفعوا إلى شيراز.

وبعدما مضى العجم عن صحار، مضى أحمد بن سعيد إلى بركة، ومعه من القوم ألفان، فلمَّا وصلها، استخلص حصنها بغير حرب، فأقام ببركة أيَّاماً، ثُمَّ رجع إلى صحار، فكتب أحمد لواليه الَّذي تركه ببركة، وهو خلفان بن محمَّد البوسعيدي، والمعروف بالمحل، أن ينصب قبابين

(١) خان الفرس آنذاك هو قائد قوات الاحتلال الفارسية في عُمان، تقي خان.

(٢) بندر العباس: ميناء على الشاطئ الفارسي من الخليج العربي، بناها الشاه عباس الصفوي بعد تدمير مدينة هرمز سنة ١٦٢٢م، حيث نقلت حجارتها من مدينة هرمز القديمة، وسميت نسبة إليه «بندر عباس».

في بركة لوزن الأمتعة الَّتي تجلب من الهند، وتباع بالوزن، كما كان ذلك أيَّام سيف بن سلطان بمسقط.

ففعل كما أمره به، فاستقامت سوق شريفة ببركة، ومضت إليها الخشب[(١)] الَّتي كانت تمضي إلى مسقط، وكثر فيها التّجار، وأتتها وفود عُمان، والظَّاهرة للبيع والشِّراء، وحمل ما يحتاجون إليه من الأمتعة بالشِّراء، وانقطعت المادَّة عن العجم القابضين بلدة مسقط، والمطرح، وضجروا بمقامهم في مسقط بانقطاع المادَّة وارتحال أصحابهم من صحار، واشتمل عليهم الخوف لمَّا بلغهم أن سيف بن سلطان قد مات. [٣٠٨-أ] فبعثوا رسولاً منهم إلى الحزم أن يأتيهم رجل من اليعاربة، وهو أقربهم نسباً إلى سيف بن سلطان، يسمَّى ماجد بن سلطان[(٢)].

فلمَّا وصل إليهم، قالوا له: امضِ إلى شيراز، وائتنا بكتاب من الشَّاه بتخليص المعاقل الَّتي في أيدينا لك، ونحن لنكتب له كتاباً من قبلك بما يسرّك.

فأجابهم إلى ذلك، فمضى على سفينة من مسقط إلى بندر العباس، ثُمَّ ارتفع إلى شيراز، فلمَّا واجه الشَّاه، وأعطاه الكتاب الَّذي كتبه له

---

(١) الخشب: يقصد بها السفن.

(٢) ماجد بن سلطان: من أكابر عُمان، عاش في القرن الثاني عشر الهجري، من أقارب سيف بن سلطان (الثاني) وقد أرسل ماجد من قبل أهل الحزم إلى العجم الذين وصلوا بعد موت سيف بن سلطان (الثاني)، فأرسلوه بدورهم إلى شيراز ليقابل الشاه نادر، ويجدد العهد الذي بينه وبين سيف بن سلطان (الثاني). انظر: دليل أعلام عُمان، ص١٤١. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٣٦٠.

أصحابه القابضون لمعاقل مسقط، والمطرح، أقامه في دار الضِّيافة ثلاثة أيَّام، ثُمَّ كتب له بتخليص ما في أيدي أصحابه من المعاقل له.

فلمَّا رجع، مرّ بالسّفينة على صحار، ومضى إلى أحمد بن سعيد، وأخبره الخبر كله.

وقيل: لمَّا انفصل من بندر العباس، يريد مسقط، أصابه الطّوفان في البحر، فقذف الموج السّفينة الَّتي ركبها إلى صحار، فلمَّا هبط إلى البرّ، عرفه بعض أصحاب أحمد بن سعيد، فأتوا به إليه، فجعل أحمد يسأله عن الَّذي أتى به من قبل شاه العجم، فأخبره الخبر كله.

فقبض منه خط شاه العجم الَّذي كتبه لأصحابه بتخليص المعاقل له، وهو الأصل عندي، فأمر أحمد بن سعيد على خميس بن سالم البوسعيدي أن يمضي بكتاب شاه العجم إلى مسقط، ويقبض مقابض مسقط، والمطرح من أصحاب شاه العجم.

◆ [الإمام بلعرب بن حمير وانتقال السلطة في عُمان من اليعاربة إلى والي صحار أحمد بن سعيد البوسعيدي عام (١١٥٤هـ/١٧٤١م)].

فمضى خميس ومعه أربعمائة رجل، فلمَّا وصلهم، وألقى إليهم الكتاب، ظنّوا أنّه رجل من جماعة ماجد بن سلطان، وقد بعثه ماجد عليهم، فسلَّموا له المعاقل كلها، فترك خميس بها أصحابه الَّذين أتى بهم من صحار.

فكان انتقال ملك اليعاربة إلى أحمد بن سعيد سنة الأربع والخمسين والمائة والألف، وكتب خميس بن سالم إلى أحمد بن سعيد بقبض المعاقل من العجم، وأنها صارت [٣٠٩-أ] في يده.

فلمَّا قرأ الخط أحمد بن سعيد، مضى إلى بركة، فلمَّا وصلها، كتب إلى خميس بن سالم، أن يأتيه بالعجم إلى بركة، فلمَّا وصل بهم، ضربوا خيامهم بالقرحة، وصُنعت لهم ضيافة كثيرة الفواكه.

أخبرني أبي محمَّد بن رزيق، عن أبيه رزيق، والشَّيخ معروف بن سالم الصَّايغي، والشَّيخ خاطر بن حميد البداعي، والشَّيخ محسن العجمي القصَّاب[1]، وقد دخل كلامهم بعضه في بعض، بالاتِّفاق.

قالوا: لمَّا رجع العجم من مسقط في صحبة خميس بن سالم البوسعيدي إلى بركة، وفيها يومئذٍ أحمد بن سعيد ضربوا خيامهم في القرحة، فما يمرُّ أحد على حلَّة من الحلل الَّتي في بركة إلَّا رأى فيها قدوراً تفور بالطَّعام، ضيافة للعجم من أحمد بن سعيد، ولا يمر أحد بحلّاو[2] بسوق بركة، إلَّا رآه يصنع بأمر أحمد حلوى للعجم، ولا يمر واحد على زارع إلَّا رآه يجز زرعه بأمر أحمد بن سعيد لخيول العجم، وما بات أحد يقول: إن لي فلساً على أحمد بن سعيد، فضلاً عن الدَّراهم.

قالوا: وكلام النَّاس على حدّة، والله إن العجم لا يستحقون هذا، ولكن يستحقون أن تُضرَب أعناقهم بالسّيوف.

قالوا: وبعد ما خيّم العجم ببركة ثلاثة أيَّام، خرجت موائد كثيرة [١٩٣-ب] في خوان رحبة إلى خيام العجم، ودخل أكابرهم الحصن مع

(١) محسن القصاب العجمي: شيخ، مؤرخ، عاش في القرن الثاني عشر الهجري، أرّخ للأحداث التي جرت في عصره، وأخذ المؤرخ العُماني الشهير حميد بن محمد بن رزيق عنه وعن أبيه أيضاً. انظر: دليل أعلام عُمان، ص١٤٣. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٣٦٩.

(٢) الحلّاو: هو من يصنع الحلوى العُمانية الشهيرة.

رسول أحمد بن سعيد، وعدد من دخل الحصن من أكابرهم خمسون رجلاً، فما كان بعد دخولهم الحصن إلّا بقدر ساعة من النّهار إلّا وضرب طبل من الحصن، ومعه نادٍ ينادي: «ألا من له في العجم وترٌ وثأرٌ، فليأخذه من العجم».

قالوا: فما استتمَّ كلامه إلّا والصّائح على العجم من كل مكان، فخرج الصّغير عليهم خلف الكبير من أهل بركة، ومن انضاف إليهم من أهل سائر البلدان، فوضعوا فيهم السّيف، وفشا فيهم القتل، وما بقي منهم إلّا مائتا رجل يصيحون: «الأمان، الأمان يا أحمد».

[٣١٠-أ] فلمّا بلغ كلامهم أحمد نادى المنادي من الحصن، ارفعوا عنهم السّيف، قالوا: فرفع عنهم السّيف كما أمر.

قالوا: وأما أكابرهم الّذين دخلوا الحصن، فقد قتلوا جميعاً.

قالوا: ثُمَّ إنَّ أحمد بن سعيد، أمر على أهل سفن بركة أن يعبروا من بقي من العجم إلى بندر العباس، فلمّا بلغوا بهم حذاء جبل السوداي(١)، حرق أهل السُّفنِ السُّفنَ، وسبحوا إلى البرّ، فهلك العجم كافّة بالغرق.

قالوا: ثُمَّ إنَّ أحمد بن سعيد أمر على خميس بن سالم برجوعه إلى مسقط، وأن يصحبه كلّ من كان يسكن مسقط، والمطرح، وهرب من العجم إلى بركة، وكان أهل مسقط والمطرح، وأهل وادي حطاط، قد هربوا كافّة من العجم، فاستأهلوا ببركة.

فلمّا مضى خميس بهم، ووصل إلى مسقط، لم يعرف أهلها

---

(١) جبل السوادي: جبل يقع مقابل مدينة بركة من جهة البحر، في منطقة سهل الباطنة في سلطنة عُمان.

السَّاكنون حللها الخارجة من السُّور حدود بيوتهم من الخراب بمرابط خيل العجم، وكثرة روثها[١]، فاقتتلوا قتالاً شديداً مع المغالطة، فكان عدد قتلاهم ستين رجلاً.

ثُمَّ إنَّ خميس بن سالم قسَّم بينهم المكانات الَّتي اشتجروا فيها، وبارأ في الدَّم بينهم، فصارت مسقط، والمطرح في عمار بعد خراب.

ثُمَّ مضى أحمد بن سعيد إلى الرُّستاق، ففتح حصنها، ومضى إلى سمايل فاستخلصها بغير حرب، ومضى إلى إزكي، فأذعنت له، وقبض حصنها بغير نزاع، ثُمَّ مضى إلى نزوى، فسلَّمت له الأمر، ثُمَّ مضى إلى بهلا، فأطاعته، فقبض حصنها.

وأتاه محمَّد بن سليمان بن عدي اليعربي[٢] من سمد الشّان، وكان محمَّد والياً للإمام سلطان بن مرشد اليعربي، أيَّام حياته، فسلَّم له الحصن قبل السؤال، فقال له بعدما قبض الحصن منه: امضِ إلى نخل، فقد جعلت حصنها إليك، وتعاهدا ألَّا يخون أحدهما صاحبه ما دام في قيد الحياة.

---

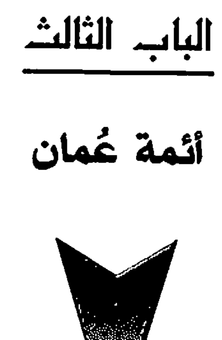
(١) الروث: براز الحيوانات.

(٢) محمد بن سليمان بن عدي بن سلطان بن عدي اليعربي: والٍ، عاش في القرن الثاني عشر الهجري، ابن عم الإمام سلطان بن مرشد بن عدي، و أحد ولاته و قواده، شارك مع الإمام سلطان بن مرشد في حربه ضدَّ العجم المحاصرين لصحار سنة ١١٥٦هـ، فكان من الناجين، كان والياً على سمد الشأن أيام الإمام سلطان بن سيف الثاني. عندما قام الإمام أحمد بن سعيد بايعه بالإمامة، و سلمه سمد الشأن بغير حرب، مما جعل الإمام ينصبه على نخل، ساءت العلاقات بينهما، حيث اتهم الإمام الوالي محمد بالمؤامرة ضدّه، فوقعت بينهما معارك عظيمة، ثم اصطلحت الحال بينهما بعد ذلك. انظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٤٠٤-٤٠٥.

فمضى محمَّد بن سليمان إلى نخل، وقبض حصنها، كما أمره أحمد ابن سعيد، فهذا سبب انتقال مملكة اليعاربة إلى الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي.

الباب الثالث

أئمة عُمان





تابع أئمة عمان

◆ الإمام أحمد بن سعيد بن أحمد بن محمَّد السَّعيدي الأزدي العُماني الاستقامي [١١٥٣-١١٩٧هـ/١٧٤١-١٧٨٣م]

[٣١١-أ] قال مصنِّف هذا الكتاب الفقير، السَّائل ربَّه عنه وعن المسلمين، رفع كلّ ضير وضيق، سليل بن رزيق: أخبرني غير واحد من المشايخ المسنَّة، أن أحمد بن سعيد لمَّا آل إليه أمر عُمان كلّه، وعوّل أهلها عليه، اجتمع أكابر الرُّستاق وسائر أكابر عُمان، فاتَّفقوا على عقد الإمامة لأبي هلال، وهو الإمام المعظَّم الفاضل الممجَّد الأمجد، أحمد بن سعيد ابن أحمد بن محمَّد السَّعيدي الأزدي العُماني الاستقامي، الإباضي المذهب.

أخبرني غير واحد من المشايخ المسنَّة الَّذين شهدوا عصره عن الأسرار الَّتي سرت إليه قبل أن ينتهي الأمر إليه، وتعول النَّاس عليه، أنَّه مضى ذات يوم من أدم عُمان إلى الغبّي من أرض السرّ المعروفة بالظَّاهرة، فوافاها يوم عيد، وقد تناظر أهلها، أعرابها وحضرها بعد الصَّلاة والخطبة في الاستباق بكرائم النِّياق.

فلمَّا أراد أن يركِّض ناقته ويجرِّيها في الميدان الَّذي أجروا فيه إبلهم، أمسكت بزمام ناقته امرأة من أعراب الظَّاهرة، وقالت له:

يا إمام عُمان، لا يجمل بك أن تراكض بناقتك إبل هؤلاء القوم، فإنَّهم رعاياك، وأنت إمامهم، وإمام عُمان قاطبة.

فنزل من علي ظهر ناقته إلى الأرض، فقال لها:

أخبريني أيتها الأعرابية، ممن أنت من العرب؟

- قالت: من بني زفيت.
- فقال: كأنك تتهكمين بي لقولك إنّي إمام عُمان.
- فقالت: لا والله، وإنَّ هذا [١٩٤-ب] الشَّأن الَّذي ذكرته لك لصائر إليك عمّا قريب، على رغم أنف كلّ حاسد.
- فقال لها: وما اسمك، وأين دارك؟
- فقالت: أما اسمي فمبشرة، وأما داري فتنعم، وأنا زفيتيَّة النَّسب.

فامسك عن الاستباق [٣١٢-أ]، وكتم كلامها عن الخاصَّة والعامَّة.

ومن الأسرار الَّتي سرت إليه قبل أن ينتهي الأمر إليه وتعول النَّاس عليه، أنَّه لمَّا رجع من الغبّي إلى أدم، رأى ذات ليلة في المنام، أن الشَّمس قد طلعت من كمّ قميصه، فكتم الأمر، ولم يبده لأحد.

ومن الأسرار الَّتي سرت إليه قبل أن ينتهي الأمر إليه وتعوّل النَّاس عليه، أنَّه مضى ذات مرّة من أدم إلى منح، فسمع صوتاً، ولم يرَ شخصه، وهو يقول: أهلاً بإمام عُمان، فالتفت يميناً وشمالاً، فلم يره، فكتم أمره، ولم يبده لأحد.

ومن الأسرار الَّتي سرت إليه قبل أن ينتهي الأمر إليه، أنَّه مضى ذات يوم من عُمان يريد بلدة سمايل، فجنّ عليه اللَّيل حذاء نجد السَّحاماة، وهو راكب

على ناقته، فرأى شخصاً منتصباً أمامه في الطَّريق، فابتدأ أحمد بن سعيد ذلك الشَّخص بالسَّلام، فكان من رده عليه، وعليك السَّلام يا إمام عُمان، فاقتحم إلى الأرض من ظهر ناقته ليعرف ذلك الشَّخص، فما وجد له عياناً.

ومن مكارم أخلاقه أنَّه لمَّا انتهى الأمر إليه، أكرم جدّي رزيق [بن بخيت لأجل نصيحته له إكراماً لا يحصى][1]، فهو ترك جدّي على قلم الحساب في الفرضة كما تركه عليه سيف بن سلطان أيَّام دولته، فلمَّا توفي جدّي، ترك والدي مكانه، وكان خط العهد الَّذي كتبه إلى جدّي هكذا:

بسم الله الرحمن الرحيم، من إمام المسلمين أحمد بن سعيد إلى كافَّة أولادي خصوصاً، وإلى النَّاس عموماً، أما بعد، لتتركوا بعدي رزيق ابن بخيت ومن تناسل منه مثل ما تركته في الفرضة على قلم الحساب، وتمّموا له الفريضة كما تمَّمتها له، وهي مرقومة في دفتر السرّكار[2]، وأحسنوا إليهم مثلي فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الَّذين يبدلونه، إن الله سميع عليم.

[٣١٣-أ] تاريخ الكتاب يوم الثامن والعشرين من شهر ربيع الأول سنة الستين والمائة والألف.

فلمَّا توفي جدّي رزيق أمر والدي أن يكون مكانه، فقام مكانه، وبقي هذا الكتاب معي بعد والدي إلى أيَّام دولة سلطان بن الإمام أحمد بن سعيد، ثُمَّ أصابت بيتي نار، سنة الستَّ عشرة والمائتين والألف، فاحترق الصّندوق الَّذي تركته فيه، واحترق مع احتراق ذلك الصّندوق، وأكلّت هذه النَّار جملة من أثاث البيت.

---

(١) «إكراماً إلى أن مات هذا الإمام الكريم» في النسخة (ب).

(٢) السرّكار: أمين السرّ.

ومن مكارم أخلاق هذا الإمام، أن المرأة الَّتي بشّرته بالإمامة قبل أن تنتهي إليه سأل عنها، فقيل له: إنها ماتت، فأنفذ لأهلها مالاً جزيلاً، وجعل لهم جراية تكفيهم إلى أن مات.

ومن مكارم أخلاقه، أنَّه أكرم عبيد سلطان بن سيف الَّذين أشاروا إليه بالرجوع، لمَّا أتى على قاربه لمواجهة سيف بن سلطان، فرجع، ولم يواجهه بعد ذلك إلى أن مات سيف بن سلطان.

ومن مكارم أخلاقه أنَّه أكرم الجبور، لمَّا أفضى الأمر إليه لأجل ميلولتهم إليه، وانحرافهم عن سيف بن سلطان، إكراماً لا يحصى، وصاهرهم.

ومن مكارم أخلاقه، أنَّه مضى ذات يوم إلى نزوى، قبل أن ينتهي الأمر إليه، فأضافه الشَّيخ صالح بن صباحيه، فلمَّا انتهى الأمر إليه أكرمه إكراماً بليغاً، وجعله هو المقدم على أهل حلل الوادي من نزوى.

ومن مكارم أخلاقه، أنَّه أكرم المرأة الَّتي اختفى في بيتها بينقل، ومضى عنها لمَّا أخبرته بمسير بلعرب بن حمير لفرق، إكراماً لا يحصى.

ومن مكارم أخلاقه، أنَّه مضى قبل أن ينتهي الأمر إليه من عُمان يريد سمايل لبعض الوطر، فلمَّا كان حذاء وادي حلفين لوَّحته الشَّمس فتظلَّل بظلِّ دوحة كبيرة، ثُمَّ مضى بعد دلوك[1] الشَّمس [٣١٤-أ] إلى سمايل، فلمَّا انتهى الأمر إليه، مضى ذات سنة من الرُّستاق [١٩٥-ب] يريد نزوى، ومعه قوم كثير من أحرار وعبيد على ركاب وخيل، فلمَّا كان بحلفين، التفت يميناً وشمالاً، فلم يرَ تلك الدَّوحة، فقال في نفسه: لعلها ماتت، ثُمَّ تتبع أثرها على ناقته، فرأى أصلها قد جفّ وللشَّمس لعاب من

---

(١) دلوك الشمس: أي بعد زوال الشمس.

الحرّ، فنزل من ظهر ناقته إلى الأرض، ونزل الرّكب معه، فأمر أن يفرش له حذاء أصل تلك الشّجرة الّتي جفّ أصلها، فأقال[١] بالقوم في ذلك الحرّ الشّديد، فتعجب الركب منه.

فلمّا وصل من نزوى سأله بعض قضاته الّذين صحبوه عن سبب مكثه مع أصل تلك الشّجرة الّتي جفّ أصلها، فأخبره عن تظلّله بغصونها أيّام اخضرارها، وقبل أن يفضي إليه الأمر الّذي انتهى إليه، فقال له ذلك القاضي: أتكرم من لا يعقل، وقد مات؟ فقال له: إنما الحرُّ الّذي لا ينسى الإحسان، فمن نسي الإحسان فليس بحرّ، فينبغي للحرّ ألّا ينسى إحسان النّاطق والصّامت، فقال له القاضي: حسبي، فإنّها لحكمة لا ينبغي أن ينساها الحرّ الأديب.

ومن عدله وإنصافه، أنّه ترك أيّام دولته على حصن الرُّستاق رجلاً من بني سعيد أميراً على عساكر الحصن، فغضب ذلك الأمير ذات يوم على رجل قصّاب من أهل الرُّستاق، فسحب اللّحم الّذي أودعه الوضم[٢]، على التُّراب، ثُمَّ مرّغه في رماد هرّاس[٣]، وكان السّبب لذلك، أنّه كان ذلك الأمير يصبر ذلك القصّاب في أداء ثمن اللّحم الّذي يأخذه منه إلى يومين، ثُمَّ يسلّم له ثمن ما أخذه من اللّحم، فأخلف ذلك الأمير العادة، وجعل يماطل بدفع الدّراهم، حتّى صارت عليه لذلك القصّاب، وقد أخذ منه لحماً كثيراً، حتّى بلغ ثمنه خمسمائة محمّدية[٤]، فلمّا كان منه ذلك،

---

(١) فأقال: القيلولة هي الاستراحة بعد وقت الظهيرة.

(٢) الوضم: ما يُحفظ به اللحم عن الأرض من خشب أو حصير.

(٣) هرّاس: الهرّاس هو صانع الهريسة.

(٤) محمدّيّة: عملة نقدية كانت متداولة في عُمان آنذاك.

جعل القصَّاب يرد رسله الَّذين يبعثهم إليه لأخذ اللَّحم منه، فغضب عليه، وصنع بلحمه كما ذكرنا.

فلمَّا صنع به ذلك، مضى القصَّاب إلى مولاه الشَّيخ [٣١٥-أ] سليمان بن ناصر الشَّقصي، وكان هو الكبير يومئذٍ على أهل الرُّستاق كافَّة، يغضبون إذا غضب، ويرضون إذا رضي، فشكا إليه ما جرى عليه.

فقال: كم صارت لك عليه من الدَّراهم؟

فقال: خمسمائة محمَّدية.

فأنفذهنّ إليه، وقال له: امضِ إلى بيتك، واصنع ما كنت تصنع من القصَّابة، فإذا أتتك رسله لا تردهم، واطو الخبر عن الخاصَّة والعامَّة.

فمضى عنه وفعل كما أمره به مولاه الشَّيخ سليمان بن ناصر.

وكان الشَّيخ سليمان بن ناصر إذا مضى يوم الجمعة إلى صلاة الجمعة، مشى أهل الرُّستاق خلفه إلى مسجد البيَّاضة، الَّذي هو في كبد حصن الرُّستاق، وفيه يجتمع النَّاس لصلاة الجمعة.

فلمَّا كان يوم الجمعة، تماسك الشَّيخ عن المسير للصَّلاة، وتماسك أهل الرُّستاق بتماسكه، فلمَّا كان وقت الصَّلاة، هبط الإمام أحمد بن سعيد من الحصن إلى المسجد، فلم يرَ إلَّا عسكره من أهل الرُّستاق، فسألهم عن الشَّيخ سليمان بن ناصر وسائر أهل الرُّستاق، فقالوا: ما وصل منهم اليوم أحد إلى المسجد.

فلمَّا صلَّى الإمام بمن معه من العسكر وأهل السّوق، أمر بالشدّ على الرِّكاب والخيل، فشدت، وسار بهم حتَّى وصل إلى الشَّيخ سليمان بن ناصر، فلمَّا تصافحا باليدين أخذ الإمام بيد الشَّيخ، وجلسا ناحية عن

القوم، فقال له الإمام: لقد أوحشت النَّاس أيها الشَّيخ بتخلفك عن الصَّلاة مع وجود صحّتك، فما عندك من الشَّأن؟ أخبرني.

فأخبره عن صنيع أمير عسكر حصنه بالقصَّاب.

- فقال له: وهل عندك شيء غير هذا؟
- فقال: لا، وإن هذا لشأن عظيم، فما عذرك بهذا الإهمال عن رعيتك؟

وهل يسعنا أن نصلّي خلف إمام أهمل حق رعيَّته، فصاروا يظلمون ويهضمون، ومن يظلمهم ويهضمهم [٣١٦-أ] هو أمير على عسكر حصنه.

- فقال له الإمام: ما علمت بهذا الشَّأن إلّا الآن.
- فقال له: لو كنت متفقداً لأمور رعيتك لمَّا جرى عليهم مثل هذا.
- فقال له الإمام: طب نفساً، وقرّ عيناً، ففي غد إن شاء الله [١٩٦-ب] ليأتيك الخبر عما تقرّ به عينك، وتطيب به نفسك.

ثُمَّ مضى الإمام عنه بمن معه إلى الحصن، وانصرف الشَّيخ إلى بيته.

فلمَّا كان اليوم الثَّاني، بعث الإمام إلى أمير عسكر الحصن، فلمَّا أتاه أظهر عليه الغضب، وقطب عليه الحاجب، وقال له: يا خبيث، ما الَّذي فعلت بالرجل القصَّاب؟ فتلجلج لسانه، وكاد أن يموت من الفزع، فأمر عليه بالقيّد والخشبة، فقيّد وخشّب، وألزمه بتسليم ما عليه من الحق للقصَّاب، فبعث إلى أهله بتسليمهنّ.

فلمَّا حضرت الدَّراهم بين يدي الإمام، بعث إلى القصَّاب، فلمَّا أتاه، قال له: كم لك مع الَّذي صنع بلحمك ما صنع؟

- فقال خمسمائة محمَّدية.
- فقال له الإمام: هاكهنّ.

فلمَّا أخذهنّ، أثنى على الإمام، ومضى من ساعته إلى مولاه الشَّيخ سليمان بن ناصر فأخبره الخبر كلّه، ودفع الدَّراهم إلى مولاه، إذ كان أقرضه إياها، لمَّا أتاه شاكياً من أمير عسكر الحصن.

فلمَّا كان يوم الجمعة الثَّانية، مضى الشَّيخ إلى الإمام لصلاة الجمعة، ومضى أهل الرُّستاق معه، فلمَّا قضيت الصَّلاة، قال الشَّيخ للإمام: الآن قد طابت نفسي على أمير عسكر الحصن، فحسبه ما أتاه، فتفضل بإطلاقه من القيّد والحبس.

فقال له الإمام: هيهات أن أطلقه، حتَّى تمضي عليه سنة من يومنا هذا، فمكث في القيّد والحبس سنة، ثُمَّ أطلقه الإمام، وعزله عن الإمارة والتقدمة على العسكر، فبقي في الرُّستاق حاله كحال الَّذين لا يكترث بهم.

[٣١٧-أ] أخبرني غير واحد عن صحَّة هذا الخبر.

وأخبرني غير واحد عن حسن أخلاق هذا الإمام، أنَّه إذا أراد أن يمضي من الرُّستاق إلى مسقط، أمر أن تخدم له حلوى كثيرة، فتوضع في غلافات كثيرة، فتحمل على جمل، فإذا وصل إلى نعُمان بركة أتته صبيان الفقراء والمساكين من حدّ حي عاصم إلى الحفري، فيأمر أن يُعطى كلّ واحد غلافات من الحلوى، فإذا أخذوا ذلك، قال: انصرفوا، بارك الله فيكم، فينصرفون، وهم يثنون عليه، ثُمَّ يقيم في نعُمان يومين فيأتيه الرَّعيَّة للتسّليم عليه من حدّ السَّيب إلى المصنعة، فيقبل عليهم ببشاشة وطلاقة وجه، ويسألهم عن حوائجهم، فيقضيها لهم، وينصفهم من ظالمهم.

ثُمَّ يمضي إلى مسقط، فإذا بلغ إلى روي، مكث فيها، فلا يمضي إلى المطرح، إلَّا في اليوم الثَّاني عند طلوع الشَّمس.

فإذا مضى منها إلى المطرح، اصطفت الرَّعيَّة، الفقراء والمساكين،

من أول سيح الحرمل إلى أول جبال المطرح، ويأمر عسكره برفق المسير لتسلِّم عليه الرَّعيَّة، ويردُّ عليهم السَّلام، فإذا وصل إلى المطرح، مكث في بيت الدكَّة، فيأتيه من يأتيه من أعيان الرَّعيَّة أهل المطرح بنو حسن[1]، ثُمَّ تتبعهم اللواتيا، ثُمَّ تتبعهم بنو زرّاف، فإذا سلمت عليه رعيَّة المطرح قاطبة، مضى إلى مسقط على الماشوّات والرَّأيات منشورة عليه، فإذا وصل إلى مسقط ودخل الجزيرة، ترادف ضرب المدافع من الصِّيرتين والمراكب والحصنين، فيبرز للنَّاس في أعلى الجزيرة فتأتيه الرَّعيَّة أفواجاً أفواجاً على ترتيب، فيسلمون عليه، فيرد عليهم السَّلام، ثُمَّ يسألهم عن حوائجهم فيقضيها لهم، ثُمَّ يدخل بيته في الجزيرة، ويبعث بعد يومين إلى الوكلاء [٣١٨-أ] والواليين خميس بن سالم، وخلفان بن محمَّد، فيقول لهم: هذه السَّنة لنا أم علينا من المدخول بعد المخروج، فيخبرونه عن ذلك.

وكان هذا الإمام واسع الصَّدر، كثير الكرم، كثير التَّواضع لله، ليّن الجانب للفقراء والمساكين، مستمعاً لكلامهم.

قال المصنِّف لهذا الكتاب، الفقير السَّائل ربّه دفع كلّ ضير وضيق، سليل بن رزيق: لقد بلغني عن أحد المدَّعين قسط القياس، أراد أن يحيل بوهمه استقامة قولي للانعكاس، لمَّا ذكرت في سيرة الإمام الحميد

---

(١) بنو حسن: قبيلة قحطانية، يتصل نسبها إلى حسن بن شمس بن وائل بن الغوث بن قطن ابن عمرو بن الهميسع، بن خمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود النبي عليه الصلاة والسلام. وهذه القبيلة معروفة باللهجة المحلية بني بوحسن، وديارهم جعلان بني بوحسن، وهم غير قبيلة بني حسن الساكنة وادي بوشر، فالقبيلة الثانية من قبائل طيء، فكلاهما من القبائل القحطانية. والمفرد: الحسني. انظر: الخروصي، سليمان بن خلف بن محمد: ملامح من التاريخ العُماني، ص٢٥٩.

الأزدي أحمد بن سعيد، وقلت: كان من مكارم أخلاقه، إذا انفصل من الرُّستاق، ووصل إلى نعُمان بركة يطعم أولاد الفقراء الحلوى، ويرون رأفته بهم، كالمنّ والسَّلوى، قال: ليته لم [١٩٧-ب] يذكر ذلك، وإن كان الأمر كذلك، ولم يدرِ أنّي لمَّا ذكرت ذلك الشَّأن ليتخلَّق بخلقه فضلاء الأنام، من كان منهم إماماً وغير إمام، فأنا الآن لا بدّ أن أذكر ما يحسن صنيعه لكلّ ذي جناب رفيع، ومحتد غير وضيع، فأقول: لو لم تكن مكارم الأخلاق أوسم من كلّ وسيم لمَّا قال الله تعالى في كتابه الكريم لخير خلقه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[١] ألم يعلم هذا الناقد الَّذي يريد نقده عليَّ من الواجبة وهو من معرفة النَّقد في كليّة سالبة، قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ﴾[٢] أي كَلَحَ وأعرض بوجهه، ﴿أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾[٣] وهو ابن أم مكتوم، واسمه عبدالله بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهري[٤]، من بني عامر بن لؤي[٥]، وذلك أنَّه أتى رسول الله

(١) سورة القلم، الآية: ٤.

(٢) سورة عبس، الآية: ١.

(٣) سورة عبس، الآية: ٢.

(٤) عبدالله بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهري: يقال إنه ابن أم مكتوم. قال البغوي في مجمعه: حدثني الزعفراني، حدثنا حجاج، قال: قال ابن جريج: أخبرني عبد الكريم أنه سمع مقسماً يحدث عن ابن عباس، قال عبدالله بن شريح بن مالك بن ربيعة، وهو ابن أم مكتوم، ويقال عمرو بن أم مكتوم. وقد أورد ابن حجر ترجمته أيضاً باسم عمرو بن أم مكتوم. انظر: بن حجر، أحمد بن علي بن محمد: الإصابة في تمييز الصحابة، ج٢، ص٥٢٣.

(٥) عامر بن لؤدي: عامر بن لؤي بن غالب، من قريش، من العدنانية، جدّ جاهلي، من نسله عمرو بن ود العامري، وكثيرون. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص٢٥٤.

(ﷺ)، وهو يناجي عتبة بن ربيعة[1] وأبا جهل بن هشام[2]، والعبَّاس بن عبد المطَّلب، وأبيّ بن خلف، وأخاه أميَّة[3] [٣١٩-أ] يدعوهم إلى الله (عزّ وجل)، ويرجو إسلامهم، فقال بن أم مكتوم، (رضي الله عنه): يا رسول الله،

---

(١) عتبة بن ربيعة: عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، أبو الوليد، كبير قريش، وأحد سادتها في الجاهلية، نشا يتيماً في حجر حرب بن أمية، وأول ما عرف عنه توسطه للصلح في حرب الفجّار بين هوازن وكنانة، ورضي الفريقان بحكمه، وانفضت الحرب على يده. أدرك الإسلام وطغى ولم يسلم، وشهد بدراً مع المشركين، وكان ضخم الجثّة، عظيم الهامة، طلب خوذة يلبسها يوم بدر، فلم يجد ما يسع هامته، فاعتجر على رأسه بثوب له، وقاتل قتالاً شديداً، فأحاط به علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه، والحمزة وعبيدة بن الحارث، فقتلوه. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٤، ص٢٠٠.

(٢) أبو جهل بن هشام: عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي، أشد الناس عداوة للنبي (ﷺ)، في صدر الإسلام، وأحد سادات قريش ودهاتها في الجاهلية، أدرك الإسلام، وكان يقال له «أبو الحكم» فدعاه المسلمون أبا جهل. سأله الأخنس ابن شريق الثقفي، وكانا قد استمعا شيئاً من القرآن، ما رأيك يا أبا الحكم في ما سمعت من محمد؟ فقال: ماذا سمعت! تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تحاذينا على الركب، وكنّا كفرسي رهان، قالوا منّا نبيّ يأيته الوحي من السماء، فمتى ندرك هذه... والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدقه. واستمر على عناده، يثير الناس على النبي (ﷺ) وأصحابه، لا يفتر عن الكيد لهم، والعمل على إيذائهم، حتى كانت وقعة بدر الكبرى، فشهدها مع المشركين، وكان من قتلاها. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٥، ص٨٧.

(٣) أمية بن خلف: أمية بن خلف بن وهب، من بني لؤي، أحد جبابرة قريش في الجاهلية، ومن ساداتهم، أدرك الإسلام ولم يسلم، وهو الذي عذّب بلالاً الحبشي في بداية ظهور الإسلام، أسره عبد الرحمن بن عوف يوم بدر، فرآه بلال، فصاح بالناس يحرّضهم على قتله، فقتلوه سنة (٢هـ/ ٦٢٤م). انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ص٢٢.

اقرئني وعلِّمني مما علَّمك الله (عزّ وجلّ)، وجعل يناديه ولا يدري أنَّه مقبل على غيره حتَّى ظهرت الكراهية في وجه رسول الله (ﷺ)، لقطعه كلامه، وقال في نفسه: ليقول هؤلاء، إنّما أتباعه العميان والعبيد، والسَّفلة، فعبس بوجهه وأعرض عنه، وأقبل على القوم يكلِّمهم، فأنزل الله، (عزّ وجلَّ) هذه الآيات، فكان رسول الله (ﷺ)، بعد ذلك يكرمه، وإذا رآه، قال: «مرحباً بمن عاتبني فيه ربي»، ويقول: «هل لك من حاجة»؟ واستخلفه على المدينة مرتين في غزوتين غزاهما.

ولمَّا وفد نصارى نجران ستين راكباً، وفيهم أربعة عشر من أشرافهم، ثلاثة نفر يؤول أمرهم إليهم، وهم العاقب ويسمَّى عبد المسيح، والثَّاني اسمه السيد، والثَّالث الأيهم يدعون أنهم على الحق، وأن دينهم هو الدّين الصَّحيح، فأخبر الله تعالى نبيه (ﷺ) عن شأنهم قبل أن يصلوا إليه، فلمَّا وصلوا، وقالوا: نحن على الحق وديننا الدّين الصَّحيح، أنزل الله (عز وجل): ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنْۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [(١)]، أي من بعد ما قصصت عليك من خبرهم ﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [(٢)].

فلمَّا قال لهم رسول الله (ﷺ)، ذلك، قالوا: يا أبا القاسم، دعنا ننظر في أمرنا، ثُمَّ نأتيك بما تريد، فلمَّا انصرفوا عنه خلوا بالعاقب، وكان ذا رأيهم، فقالوا: يا عبد المسيح، ما ترى؟. فقال: والله يا معشر النَّصارى لقد عرفتم [٣٢٠-أ] أن محمَّداً النَّبي مرسل، وقد جاءكم بالفصل من خبر

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦١.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٦١.

صاحبكم، [وعلمتم ما لا يعلمه قوم عن نبي قط][(١)]، فبقي كبيرهم، ولا ثبت صغيرهم، وإنَّه للاستئصال منكم إن قطعتم، فإذا أبيتم إلَّا إلف دينكم، والإقامة إلَّا على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم، يعني عيسى (عليه السلام)، فوادعوا الرجل، ثُمَّ انصرفوا إلى بلادكم.

فأتوا رسول الله (ﷺ)، فقالوا: يا أبا القاسم، قد رأينا ألَّا نلاعنك، وأن نتركك على دينك، ونرجع إلى ديننا، ولكن أبعث لنا رجلاً من أصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها من أموالنا، فإنكم عندنا رضى.

فقال رسول الله (ﷺ): «ائتوني العشيَّة أبعث معكم القوي الأمين»، يعني أبا عبيدة.

قال عمر (رضي الله عنه): ما أحببت الإمارة قط إياها إلَّا يومئذٍ، رجاء أن أكون صاحبها، فرحلت إلى الظّهر مجهزاً، فلمَّا صلَّى بنا رسول الله (ﷺ)، نظر عن يمينه ويساره، فجعلت أتطاول إليه ليراني، فلم يزل يلتمس ببصره، حتَّى رأى [١٩٨-ب] أبا عبيدة بن الجراح، فدعاه، فقال: اخرج معهم، واقضِ بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه.

قال عمر: فذهب أبو عبيدة.

فلو كان الأمر كما زعم هذا النَّاقد، أن ذكر الولدان لا يليق مع ذكر الأئمَّة، لمَّا قال رسول الله (ﷺ): ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾[(٢)]، الآية. أبعد ما لاق ذكرهم مع النَّبي (ﷺ)، أما يليق ذكرهم مع إمام من أئمَّة المسلمين؟!.

---

(١) وردت في الأصل «وعلمتم ما لا عن قوم نبياً قط» وهي مضطربة وقد ضبطت في النص من قبل المحققين لإتمام المعنى.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٦١.

ثُمَّ لو كان ذكر الأطعمة غير سائغ مع ذكر الأئمَّة لما قال رسول الله (ﷺ): «فضل عائشة على نساء المسلمين كفضل الثَّريد على سائر الطَّعام»(١).

ومن حديث رسول الله (ﷺ): «أبلغوني حاجة ذي الحاجة فإنَّه من أبلغ سلطاناً حاجة [٣٢١-أ] من لا يستطيع إبلاغها ثبت الله قدمه يوم القيامة»(٢).

ومن مكارم أخلاقه (ﷺ)، كان إذا صافح أحداً لم ينزع يده، حتَّى ينزع الآخر يده، ومن سأله حاجة لا يردَّه.

ومن حديثه (ﷺ): «أول ما يوضع في الميزان الخلق الحسن، ولا حسن كحسن الخلق»(٣).

وعن الربيع بن حبيب، عن أبي هريرة (رضي الله عنه)، قال، قال رسول الله (ﷺ): «إن التواضع للعبد لا يزيده إلَّا رفعة، فتواضعوا يرفعكم الله، وإنَّ الصدقة لا تزيد المال إلَّا كثرة، فتصدقوا يرحمكم الله»(٤).

وكان أبو بكر (رضي الله عنه)، أزهد النَّاس وأكثرهم تواضعاً في أخلاقه، يلبس الشَّملة والعباءة، ودخل يوماً في أسواق المدينة على كتفه جلد شاة، ففزعت عشيرته لذلك، وقالوا له: فضحتنا بين المهاجرين والأنصار والعرب، قال: أوددتم أن أكون جبَّاراً في الإسلام، لا والله، لا تكون طاعة العبد إلَّا التواضع لله، والزهد في هذه الدُّنيا الفانية.

وكان عمر (رضي الله عنه)، أيَّام خلافته يلبس جبَّة الصّوف المرقَّعة الأديم، ويجعل القربة في عنقه مع هيبته الَّتي رزقها، وقد ثبت عنه (رضي الله عنه)، أنَّه

---

(١) انظر ابن بشكوال، خلف بن عبد الملك: الآثار المروية في فضل الأطعمة السرية، الحديث رقم ٢٤.

(٢) انظر: السخاوي، محمد بن عبد الرحمن: المقاصد الحسنة، الحديث رقم ١١.

(٣) انظر: القضاعي: محمد بن سلامة: مسند الشهاب، الحديث رقم ٢٢.

(٤) انظر: الفراهيدي، الربيع بن حبيب: مسند الربيع بن حبيب، الحديث رقم ٧٩٤.

خرج ذات ليلة مطيرة يعسُّ وحده، فسمع صوت امرأة في أواخر بيوت المدينة، تقول: أنا في هذا المكان الخالي من النَّاس، وحيدة، وقد وثب على الطَّلْقُ، ولا معي قابلة، واشتد عليَّ البرّد، فانقطعت حيلتي، فلمَّا سمع عمر مقالها، لم يثبت أن رجع إلى بيته، فأيقظ بعض نسائه، وأمر أن يخرجن معه، فخرجن وهو يقود دابّة له، قد وضع على ظهرها حلسها[1] فلمَّا وصل إليها أمر النّسوة أن يركِّبنها على ظهر تلك الدّابّة الَّتي قادها إليها، ففعلن، حتَّى أتين بها إلى بيت عمر، (ﷺ)، فأمر نساءه بإحضار قابلة مولدة، فأتين بها، [٣٢٢-أ] فولدتها، وفعلت بها كما تفعل القوابل في واضعة الولد، وأكرم عمر (ﷺ) مثواها، حتَّى أتاها أهلها، فحملوها معهم بعدما أعطاها، وأعطاهم من بيت المال ما استحقوه من العطاء منه.

وهذه الأحوال كلّها من مكارم الأخلاق ومحاسنها، فليت النَّاقد بصير، ولو كان غير بصير لما قال: ما كان ينبغي له أن يذكر ما جاء به الإمام على الولدان من الحلوى، فكلامه هذا كلّام من لا يحبُّ مكارم الأخلاق، ومن لا يحبُّ ذكر مكارم الأخلاق، ما له من خلاق بصنيعة الأخلاق، ومن كان [في، فهو في][2].

ولله درّ أبي الطَّيِّب، حيث قال:

لولا العقولُ لكانَ أدنى ضيغمٍ[3] أدنى إلى شرفٍ من الإنسانِ[4]

(١) الحلس: الحلس بالكسر كساء يوضع على ظهر الدابة، تحت البردغة.

(٢) هكذا وردت في الأصل ولعل المؤلف أراد من خلالها استخدام رمز يفهمه المقصود.

(٣) الضَّيغم: الأسد.

(٤) هذا البيت الرابع من قصيدة للمتنبي يمدح فيها سيف الدولة الحمداني عند منصرفه من بلد الروم سنة خمس وأربعين وثلاثمائة، وأنشده إياها بأمد، ومطلعها:

الرأيُ قبلَ شَجَاعةِ الشُّجعانِ هـو أوّلٌ وهـيَ الـمَـحَـلُّ الـثَّـانـي

انظر القصيدة كاملة في: شرح ديوان المتنبي، وضعه عبد الرحمن البرقوقي، ج٣-٤، ص٣٠٧-٣١٧.

فأي شيء كمكارم الأخلاق والتواضع لله الخلّاق، ورأفة الحاكم بالرَّعيَّة، وإنصافه [١٩٩-ب] بينهم بالسويّة، رحم الله أبا بكر الصدّيق، فإنَّه لمَّا بويع بالخلافة، رقى المنبر، وقال بعدما بسمل[١] وحمدل[٢]: فإني ولِّيت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوِّموني، الصّدق أمانة، والكذب خيانة، الضَّعيف منكم قويّ عندي، حتَّى أفرغ عليه حقه إن شاء الله تعالى.

ومن أدعية زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب في الاستعاذة من المكاره وسيء الأخلاق ومكارم الأفعال قوله: «اللّهم إنّي أعوذ بك من هيجان الحرص، وسورة الغضب، وغلبة الحسد، وضعف الصَّبر، وقلَّة القناعة، وشكاسة الخلق، وإلحاح الشَّهوة، وملكة الحميَّة، ومتابعة الهوى، ومخالفة الحقِّ، وسِنَةِ الغفلة، وتعاطي الكلّفة، وإيثار الباطل، والإصرار على المآثم، واستصغار المعصية، واستكبار الطَّاعة، ومباهاة المكثرين، والإزدراء بالمقلِّين، وسوء الولاية لمن تحت أيدينا، وترك الشّكر لمن اصطنع العارفة عندنا، وأن نعضد ظالماً [٣٢٣-أ]، أو نخذل ملهوفاً، أو نروم ما ليس لنا بحقّ، أو نقول في العلم بغير علم، ونعوذ بك أن ننطوي على غشِّ أحد، أو نُعجب بأعمالنا، و نمتدَّ في آمالنا، ونعوذ بك من سوء السّريرة، واحتقار الصَّغيرة، و أن يستحوذ علينا الشَّيطان، أو ينكبنا الزَّمان، أو يتهضمنا السّلطان، ونعوذ بك من تناول الإسراف، ومن فقدان الكفاف، ونعوذ بك من شماتة الأعداء، ومن الفقر إلى الأكفَّاء، ومن معيشة في شدَّة، وميتة على غير عدَّة، ونعوذ بك من الحسرة العظمى، والمصيبة الكبرى، وأشقى الشَّقاء وسوء المآب، وحرمان الثَّواب، وحلول العقاب، اللهم صلِّ على محمَّد

(١) بَسْمَلَ: أي قال: «بسم الله الرحمن الرحيم».
(٢) حَمْدَلَ: أي قال: «الحمد لله ربّ العالمين».

وآله، وأعذني من كلّ ذلك برحمتك، وجميع المؤمنين والمؤمنات يا أرحم الراحمين»[١].

وذكر المسعودي في «مروج الذَّهب» عن سياسة معاوية بن أبي سفيان بن حرب وتفقده في رعاياه وحسن أخلاقه لهم، واحتفاله بهم قال:

كان من أخلاق معاوية، يؤذن في اليوم واللَّيلة خمس مرات، كان إذا صلَّى الفجر، جلس للقاصِّ حتَّى يفرغ من قصصه، ثُمَّ يأمر، فينادون بمصحف، فيقرأ جزءاً، ثُمَّ يدخل إلى منزله، فيأمر وينهى، ثُمَّ يصلّي أربع ركعات، ثُمَّ يخرج إلى مجلسه فيأذن لخاصَّته، فيحدِّثهم، ويحدِّثونه، ويدخل عليه وزراؤه، فيكلِّمونه بما يريدون من يومهم إلى العشاء، ثُمَّ يأذن بالغداء الأصغر، وهو من فضلة عشاء الليل، من جدي، بارد أو فروخ، أو ما يشبهه، ثُمَّ يتحدث طويلاً، ثُمَّ يدخل إلى منزله، فيقول: يا غلام، اخرج الكرسي، فيخرج إلى المسجد فيسند ظهره إلى المقصورة وتقوم الأحراس، فيقدم عليه الضَّعيف والأعرابي، والصبيّ والمرأة، ومن لا له أحد، فيقول: أظلمت، فإذا قال عُدي [٣٢٤-أ] عليّ، فيقول: ابعثوا معه، ويقول الثَّاني، صنع بي، فيقول: انظروا في أمره، حتَّى لم يبقَ أحد دخل، فجلس على السَّرير، ثُمَّ يقول: آذنوا للنَّاس على قدر منازلهم، ولا يشغلني أحد عن ردّ السَّلام، فيقال، كيف أصبح أمير المؤمنين، أطال الله بقاءه، فيقول: بنعمة من الله.

فإذا استووا، قال: يا هؤلاء، إنَّما سميتم أشرافاً لأنكم شرفتم من دونكم بهذا المجلس، ارفعوا لنا حاجة من لا يصل إلينا، فيقول: رجل: استشهد فلان، فيقول: اقسموا لولده، ويقول آخر: غاب فلان عن أهله، فيقول: تعاهدوهم، وأعطوهم، واقضوا حوائجهم، اخدموهم.

---

(١) انظر: بن أبي طالب: علي بن الحسين: الصحيفة السجادية، الدعاء الثامن.

ثُمَّ يؤتى بالغداء [٢٠٠-ب]، ويحضر الكاتب، فيقوم عند رأسه، ويقدم الرَّجل، فيقول: اجلس على المائدة فيجلس، فيمد يده فيأكل لقمتين أو ثلاثاً، والكاتب يقرأ كتابه، فيأمر فيه بأمره، فيقول، يا عبدالله، أعقب، فيقوم، ويتقدَّم آخر حتَّى يأتي على أصحاب الحوائج كلّهم، وربما قدم عليه من أصحاب الحوائج أربعون أو نحوهم على قدر الغداء، ويقال للنَّاس: أجيزوا، فينصرفون.

ويدخل منزله، فلا يطمع فيه طامع حتَّى يُنادى بالظّهر، فيصلي أربع ركعات، ثُمَّ يجلس فينادي لخاصَّة الخاصَّة، وإن كان الوقت شتاء، أتاهم بزاد الحاج من الأخصَّة[1] اليابسة والخشكانج، والأقراص المعجونة بالسُّكر واللَّبن من دقيق السّمد والكعك المسمَّن والفواكه اليابسة، وإن كان بالصيف أتاهم بالفواكه الرَّطبة، ويدخل عليه وزراؤه، فيؤامرهم فيما يحتاجون إليه بقية يومهم، ويجلس إلى العصر.

[ثُمَّ يخرج فيصلّي العصر][2]، ثُمَّ يدخل منزله، فلا يطمع فيه طامع، حتَّى إذا كان آخر وقت العصر، خرج، فجلس على سريره، ويؤذن للنَّاس على قدر منازلهم، ويؤتى بالعشاء، فيفرغ منه مقدار ما ينادى بالمغرب، ولا يُدعى [٣٢٥-أ] بأصحاب الحوائج.

ثُمَّ ينادى بالعشاء، وينادى بالمغرب، فيخرج، فيصلي ثلاث ركعات، ويقرأ في كلّ ركعة خمسين آية، يجهر تارة، ويخافت أخرى، ثُمَّ يدخل منزله، فلا يطمع فيه طامع، حتَّى ينادي بالعشاء الآخرة، فيخرج، فيصلي، ثُمَّ يؤذن للخاصّة وخاصة الخاصة والوزراء والحاشية، فيؤامره الوزراء، فيما أرادوا صدراً من ليلتهم، ويسمر ثلث اللَّيل في أخبار

---

(١) الأخصّة: المعمول من التمر والسمسن.

(٢) سقطت من النسخة (ب).

العرب وأيَّامها، والعجم وملوكهم وسياستها لرعيَّتها، وغير ذلك من أخبار الملوك السالفة.

ثُمَّ تأتيه الطرف الغريبة من عند نسائه من الحلوى وغيرها من المآكلّ اللَّطيفة، ثمَّ يدخل، فينام ثلث الليل، ثُمَّ يقوم، فيقعد، فيحضر الدَّفاتر فيها سير الملوك وأخبارها والحروب والمكائد، فيقرأ ذلك عليه غلمان له مرتبون، وقد وكِّلوا بحفظها وقراءتها، فما يسمعه كلّ ليلة، جمل من الأخبار والسير والآثار، وأنواع السياسية.

ثُمَّ يخرج، فيصلي الصّبح، فيفعل ما وصفناه في كلّ يوم وليلة. هكذا قال المسعودي في «مروج الذَّهب».

وما ذكرت هذا كلّه إلَّا تنبيهاً للنَّاقد الَّذي نقف علي ذكر الحلوى في سيرة الإمام الحميد أحمد بن سعيد، قال: كان لا ينبغي أن يذكرها، وأنا ما ذكرتها إلَّا ليطلع من لا معرفته واهية بأوهام على مكارم أخلاق الإمام.

فالآن فليتفضل الناقف فيقرأ ما ذكره المسعودي في «مروج الذَّهب» من سيرة معاوية بن أبي سفيان بن حرب ليأكلّ من حلوى روايته، فعسى أن يقف عن التنقيف، ويرجع إلى الكلام النوراني عن الكلام الكثيف.

ولعمري، إن الإمام الحميد أحمد بن سعيد، لقد حاز قصب السَّبق في مكارم الأخلاق توفيقاً من ربِّه الخلاق [٣٢٦-أ] فهو قد ساوى من علو شأنه، وقوَّة سلطانه بين الغني والفقير، والبصير والضَّرير، ورعا رعيته بإحسانه، وأقرّ عينهم بمكين مكانه، فهو في الكرم آية، وفي الشَّجاعة غاية، لولاه لصارت عُمان وأهلها في حكم العجم، وأضحوا هم الملوك، وأهل عُمان لهم كسائر الخدم، فجرّع أكثرهم كأس الحمام، لمَّا أحاطوا بصحار، وكانوا ستين ألفاً أو يزيدون في المقدار، صالحوه لمَّا رأوا عزيمته أحدّ من حدّ السيف، ورجعوا إلى بلادهم أذلّة من بعد العزازة، وأخرج

من كان منهم بمسقط، فأتوه إلى بركة وهم صاغرون، وكان ما كان عليهم، إذ هم بذلك جدّيرون.

فمن ذا مثل الإمام الحميد أحمد بن سعيد في الكرم والشَّجاعة [٢٠١-ب] من ملوك عُمان الماضيين، فمن قالوا مثلاً: قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين، وما يمر علي نقد ونقف، أنَّى لك من النقد والتنقيف في شأن ما شأن، ولم يرَ لك حليف، فهم في ذا الوهم براعة ولا برهان، أليس السكوت عن السفسطة أولى؟. فقل: نعم، فهو الأولى، أولاً، فإن المنصف من رجع إلى الصَّواب، وطوى السفسطة طيَّ الكتاب للكتَّاب، أسأل الله لي وللمسلمين صون اللِّسان، عن الكلام المكلّم للجنان[1]، الخارج من الجدِّ إلى الهزل عند أهل المعاني والبيان، أقول لكلّ أوّاه[2]، ما توفيقي إلَّا بالله، وهذه خاتمة الكلام، والسَّلام.

ولمَّا خلصت بيعة الإمامة للإمام الحميد أحمد بن سعيد من أهل عُمان، وانقادوا له طوعاً بأزمَّة الإذعان، وما أحد عنه من أهل الإنصاف تخلَّى، لمَّا رأوه للإمامة أهلاً، أمر بالمعروف، ونهى عن المنكر، وأظهر العدل والإنصاف، فولى على مسقط خلفان بن محمَّد بن عبدالله البوسعيدي [٣٢٧-أ] لقبض العشور[3]، والخراج[4] الجائز، والصَّدقات، وإنفاذ حكم قلمه، لقبض الدَّراهم من الوكلاء الَّذين أقعدهم الإمام أحمد على الفرضة[5].

---

(١) المكلّم للجنان: الجارح للقلب.

(٢) الأوّاه: الرحيم الرقيق.

(٣) العشور: ضريبة العشر على الأموال.

(٤) الخراج: الأتاوة.

(٥) الفرضة: ضريبة المال على البضائع (الجمرك).

وولى خميس بن سالم البوسعيدي على عسكر مسقط والمطرح.

وولى حسن الصرهنج[1] على مراكب السَّلطنة.

وجعل القاضي الَّذي يقضي بين النَّاس بمسقط الشَّيخ العالم محمَّد ابن عامر بن عريق المعولي[2]، السَّاكن حلَّة المطلع، الَّتي هي أكبر بلدان المعاول.

وأجلس جدّي رزيق بن بخيت بن سعيد بن غسَّان في الفرضة لقلم الحساب.

ورتَّب قواعد السَّلطنة أحسن ترتيب، وهذَّبها بأبلغ تهذيب، واشترى ألف عبد زنجيٍّ، وألف عبد نوبيٍّ، فأسكنهم كافَّة معه، في حصن الرُّستاق، وأضاف إليهم ألفا من العساكر الأحرار، وكلّ واحد من هؤلاء الأحرار والعبيد اشترى له دابّة كريمة من الإبل، والخيل، ليسعى عليها حيث يسعى هو من عُمان.

---

(١) حسن الصرهنج: قائد بحري، عاش في القرن الثاني عشرالميلادي، ولّاه الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي على سفن الدولة العُمانية. انظر: دليل أعلام عُمان، ص٥١.

(٢) محمد بن عامر بن عريق المعولي: هو الشيخ العالم الفقيه، القاضي محمد بن عامر ابن راشد بن سعيد بن عبدالله بن راشد بن محمد بن خميس بن محمد بن علي المعولي الأفوي، نسبة إلى بلد «أفي» بوادي المعاول، من علماء القرن الثاني عشر الهجري. كان من فقهاء زمانه، وبرع في علم الميراث، وألّف فيه كتابه «المهذب وعين الأدب»، وكتاب «التهذيب في اللغة»، وكتاب «قصص وأخبار جرت في عُمان». وكان الشيخ محمد من العاقدين على الإمام أحمد بن سعيد بحصن الرستاق، وكان قاضياً له، يصطحبه في رحلاته غالباً، وله أسئلة في الفقه. كانت وفاته في ١٣ ذي الحجة سنة (١١٩٠هـ/١٧٧٧م)، ودفن بالوادي الكبير شرقي الوادي من مسقط (رحمه الله). انظر: البطاشي، سيف بن حمود بن حامد: إتحاف الأعيان، ج٣، ص٤٥٧-٤٦١.

وكان إذا مضى من مكان إلى مكان بعيد، تنتشر في موكبه أربعة أعلام، منهنّ علمان رأساهما من ذهب، وعلمان رأساهما من فضَّة، ولا يمضي من مكان إلى مكان، إلَّا ومعه من القضاة وأهل العلم رجال مشاهير، ومن أهل الجلاد أبطال جماهير.

أخبرني غير واحد ممن شهد ذلك العصر الشَّريف، أنَّ الإمام أحمد ابن سعيد لا يمكث في مسقط إذا أتاها إلَّا اثني عشر يوماً، فإذا مضى عليه فيها عشرة أيَّام، مضى إلى الحصن الغربي، فيتفقد فيه آلة الحرب، والماء، والطَّعام، ثُمَّ يمضي على الحصن الشَّرقي، فيمرّ على الفرضة، فإذا بلغ إلى الباب الشَّرقي منها نادى مناديه، أيها التّجار، كلّ مالكم من المتاع اليوم في الفرضة لا عشور عليه، فيرفع عنهم العشور في ذلك اليوم، ولو أنهم طرحوا من المتاع ما يبلغ عشوره لكوكاً، فضلاً عن المثين.

أخبرني غير واحد عن هذا، وسألت والدي [٣٢٨-أ]، محمَّداً عن هذا الخبر، أصحيح هو؟ قال: نعم، وهكذا كانت عادة الإمام أحمد بن سعيد إلى أن مات.

وسألت والدي محمَّداً، عن محصول فرضة مسقط أيَّام دولة الإمام أحمد بن سعيد، فقال لي: من خمسة اللّكوك إلى ثلاثة اللّكوك خالصات من جميع المخروج، وسألته عن جملة عسكر الإمام أحمد، فقال لي: عددهم كثير يكاد لا يحصى.

وسألته عن عدد عساكره الَّذين بالرُّستاق، فقال لي: كذلك يكاد لا يحصى عددهم، ومثلهم عسكره الَّذين هم بصحار.

وكان حدّ مملكته من أقصى جعلان إلى توام، وقصدته شعراء كثيرون من أهل عُمان وغيرهم، فأحسن إليهم، وأجازهم، ورفع محلّتهم.

وكان الشَّاعر المشهور في زمانه، وأشعر شعراء أهل عُمان على الإطلاق الشَّيخ الفصيح راشد بن سعيد بن بلحسن العبسي(١) الأعمى الضَّرير، قد مدح الإمام أحمد بعدة قصائد، فمن مدحه له القصيدة القافيَّة الَّتي مطلعها شعراً:

متى جنَّ بي ليلي، وبانَ شروقُ ... أجد سكرَ حبّ لستُ منهُ أفيقُ(٢)

[٢٠٢-ب] وهي قصيدة شريفة، تبلغ الثلاثة والثلاثين بيتاً.

ومن مدحه له شعراً:

يا أحمدَ النَّاسِ اسماً ... وأعدلَ النَّاسِ حكماً
وأكبرَ النَّاس عقلاً ... وأكثرَ النَّاس حلماً
وأوسعَ النَّاس جوداً ... وأغزرَ النَّاسِ فهماً
يا أحمدَ بن سعيدٍ ... ذو عندهُ المجدُ نما
خيرُ الأئمَّة طراً ... ذو صار للبخلِ خصما

---

(١) راشد بن سعيد بن بلحسن العبسي: أديب، شاعر، عاش في القرن الثاني عشر الهجري، من بلدة سيما، من أعمال إزكي، كان ضرير البصر، وقد عاصر الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي، له مجموعة من القصائد المتفرقة والمتناثرة، وهي مدونة في كثير من المخطوطات العُمانية، لا سيما الصحيفة العُدنانية، ولا يستبعد أن يكون له ديوان شعر لفصاحته وبلاغته. قال عنه ابن رزيق: «وكان الشاعر المشهور في زمانه - أي الإمام أحمد بن سعيد - وأشعر من شعراء أهل عُمان على الإطلاق». انظر: السعدي، فهد بن علي بن هاشل: معجم شعراء الإباضية، ص١٠٤.

(٢) متى جنَّ بي ليلٌ وبانَ شروقُ ... أجد سكر حبّ لستُ منه أفيقُ
لذكري من عايشتهُ الليلُ أسوداً ... ووجهاً يحاكي البدرَ ثمَّ يفوقُ
لغانيةٍ تحكي الغصونَ تثنياً ... وتخجلُ نشرَ المسكِ وهو سحيقُ =

نهنيكم خير شهر خير الشّهور يسما[١]

ومدحه أيضاً بقصيدة دالية، ومطلعها شعراً:

[٣٢٩-أ] ليالينا بوصلِ الحيّ عودي فإنَّ بوصلهم يخضّرُ عودي[٢]

ومدحه أيضاً بقصيدة رائية، ومطلعها شعراً:

لنا برضاكُمُ نضرةٌ وسرورُ وطولُ بقاكم جنَّةٌ وحريرُ[٣]

= عرفنا بها دينَ الصبابةِ كلّهُ وبانَ لنا معناهُ وهو دقيقُ

انظر القصيدة كاملة في: بن رزيق، حميد بن محمد: الصحيفة القحطانية، ج٥، ص٣١٢-٣١٤.

(١) انظر القصيدة كاملة في: بن رزيق، حميد بن محمد: الصحيفة القحطانية، ج٥، ص٣١٤. وانظر أيضاً: الخصيبي، محمد بن راشد بن عزيز: شقائق النعُمان على سموط الجمان، ج١، ص١١٤.

(٢) ليالينا بوصلِ الحيّ عودي فإنَّ بوصلهم يخضرُّ عودي
ويا ذاتَ الخلاخلِ بدّلينا زمانَ الوصلِ من زمنِ الصدودِ
إذا واصلتني يوماً وأحيا الحيا روضاتِ أربعنا بجودِ
فتجني الأيدي ورداً من غصونٍ وتجني العينُ ورداً من خدودِ

انظر القصيدة كاملة في: بن رزيق، حميد بن محمد: الصحيفة القحطانية، ج٥، ص٣١٤-٣١٥.

(٣) لنا برضاكمْ نصرةٌ وسرورُ وطولُ بقاكمُ جنّةٌ وحريرُ
مزخرفةٌ من حسنكمْ وجمالكمْ وكوثرها للغانياتِ ثغورُ
ورضوانها تخميشكم وخلودها بقاكم ورغمَ الحاسدينَ قصورُ
صلونا فطيبُ العيشِ والبشرِ والهنا يواصلنا من وصلكمْ ويزورُ
فلم نرَ شمساً قبلكم في غياهبِ ولا بدر تمّ في النّهارِ ينورُ

انظر القصيدة كاملة في: بن رزيق، حميد بن محمد: الصحيفة القحطانية، ج٥، ص٣١٥-٣١٧.

ولمَّا تخلص من الغزل إلى المدح، قال شعراً:

إذا خَذَلَ الدَّهرُ امرءاً طالب العلا فليسَ لهُ إلَّا الإمامَ نصيرُ

وأما القصيدة القافية لمَّا تخلّص من غزلها إلى المدح، قال:

إذا شئتَ سيراً للهدايةِ والتُّقى فما لهما غيرُ الإمامِ طريقُ

يقودُ بفتياهُ العماةَ إلى الهُدى وسحبُ المنايا للعداةِ بروقُ

فتى يلحقُ الإملاكَ ما هو طالبٌ وليسَ لذي ملك إليهِ لحوقُ(١)

ومدحه بقصيدة نونيّة، ومطلعها شعراً:

سفرت لي في ليلة وسط شهر فتحاكا بدرُ السَّما والجبينُ

فبدا بالسَّماء بدرٌ منيرٌ وبدا للفتاة وجهُ حسينُ

وكستنا ثوبَ الجهالة لما أشركتها والبدر منها العيونُ

فتولَّت وأظهرت لي من خوف أتاها ما يظهر المغبونُ

ثُمَّ جاءت بكامل الحسن ليلا قد عرا اللَّيل فيه نقص مبينُ(٢)

ولمَّا تخلص من الغزل إلى المدح، قال شعراً:

ثُمَّ قالت: أبشرْ بوصلي إذا جا دك من أحمد سحابٌ هتونُ

فإذا ما دخلتَ منه جنانا فإنَّا في الجنان حورٌ عينُ(٣)

---

(١) انظر القصيدة كاملة في: بن رزيق، حميد بن محمد: الصحيفة القحطانية، ج٥، ص٣١٣.

(٢) انظر القصيدة كاملة في: بن رزيق، حميد بن محمد: الصحيفة القحطانية، ج٥، ص٣١٩-٣٢٠.

(٣) انظر: بن رزيق، حميد بن محمد: الصحيفة القحطانية، ج٥، ص٣١٩.

ولمَّا انتظم سلك عُمان للإمام الحميد أحمد بن سعيد، غاظ النِّزارية شأنه ومكنته ومكانته، فمضى أكابر اليعاقيب إلى بلعرب بن حمير اليعربي، وهو يومئذٍ ببلدة البزيلي من الظَّاهرة، فقالوا له: لِمَ تركت هذا الأمر لغيركم، وهو لكم؟ فإنك قد جالدت عليه سيف بن سلطان اليعربي، والإمام سلطان بن مرشد اليعربي، وهما أقرب النَّاس إليك نسباً، فما أغمدت السَّيف عنهما [٣٣٠-أ]، فخشيت بأسك أهل عُمان، وانقادوا إليك بإذعان، فلِمَ أصبحت اليوم بعد العزِّ ذليلاً؟ وأكثروا عليه في هذا الإبرام الكلام.

- فقال لهم: والله ما تماسكت عن القيام لهذا المرام إلَّا لقلَّة المال وعدم النَّاصر.
- فقالوا له: قم لهذا الشَّأن، وعلينا لك الرِّجال والمال، حتَّى يصير إليكم ما ذهب [عنكم][1].
- فقال: أمهلوني في القيام إلى بعض الأيَّام.

فما برحوا يترددون عليه وهو يماطلهم، حتَّى وقعت بين الإمام أحمد ابن سعيد وأهل الصِّير ملحمة عظيمة [٢٠٣-ب] بالبثنة.

وذلك أن أهل الصِّير أجمعوا على حرب الإمام أحمد بن سعيد، فحشدوا خلقاً كثيراً، وأرادوا أن يهجموا على صحار، فالتقاهم الإمام أحمد بن سعيد بمن معه من الجند، فكانت الملحمة بينهم بالبثنة، فقتل من الفريقين خلق كثير.

ثُمَّ رجع أهل الصِّير إلى الصِّير، ورجع عسكر الإمام إلى صحار، فأحث ناقته، فلمَّا بلغ إلى أطراف بلدة ينقل، نزل عن ظهر ناقته، فجعل يقودها،

---

(١) سقطت من النسخة (ب).

فرأى امرأة عجوزاً تمشي أمامه، فأوقفها، فلمَّا وقفت، قال لها: أيتها العجوز، ممن أنت من العرب، فقالت: أنا من أهل ينقل، مات عني أهلي قاطبة وغشيني الفقر، فاعتزلت عن النَّاس، وثبَّطني الحياء عن السؤال.

■ فقال لها: ألك بيت؟

■ قالت: نعم.. ولكنه بيت حقير.

فقال لها: أخفيني فيه، ولا تذيعي خبري، فأنا أحمد بن سعيد، وأنفذ لها شيئاً من الدَّراهم، واختفى في بيتها، وسرّح ناقته بما عليها من الفراش، ولم يأخذ إلَّا سلاحه، ومن خرجها إلَّا الدَّراهم، ومراد الإمام بذلك الاختفاء لينظر، هل أحد بقي من أهل عُمان له أرب في الإمامة، أو أحد من الجماهير تسمو همته إلى اصطلام معاقله برجال مشاهير، لا مراده غير ذلك.

فلمَّا رأى أهل ينقل مطيَّته، عرفوها، وقالوا: لا شك أن هذه النَّاقة ناقة الإمام أحمد بن سعيد [٣٣١-أ]، والفرش الَّذي عليها فرشه.

فمضت أكابر ينقل بها إلى صحار، فقالوا لمن في الحصن: إنا وجدنا هذه النَّاقة، وعليها هذا الفراش، تتردَّد في ينقل، فما شككنا أنها ناقة الإمام أحمد بن سعيد، فأين هو؟

قالوا: لا علم لنا به.

وقبض أهل الحصن منهم النَّاقة، وما عليها، ورجعوا هم إلى ينقل.

وفشا الخبر بعُمان، أن الإمام أحمد قد قتل، فتزلزلت عُمان لفقده زلزالاً شديداً، ونجم نفاق أعدائه حتَّى استوى على سوقه.

فعند ذلك مضت أكابر اليعاقيب، وأكابر بني غافر، وبنو نعيم، وبنو قتب إلى بلعرب بن حمير اليعربي، وقالوا له: اغتنم الفرصة، فإنَّ الإمام

أحمد بن سعيد قد قتل بالبثنة، فانهض مشمِّراً لهذا الشَّأن الَّذي ذكرناه لك أولاً، فنحن من خلفك وأمامك بالمال والرِّجال.

فأجابهم بلعرب بن حمير على ذلك، وادَّعى الإمامة له. فاجتمع معه خلق كثير.

فبلغني أن الَّذين اجتمعوا معه عشرون ألفاً، وأنفذ كتبه ٬على كافَّة النِّزارية وحلفائهم من أهل عُمان، ومضى هو ومن معه من رجال الظَّاهرة إلى عُمان، فعسكر بهم في فرق نزوى، وكتب إلى نزارية سمايل، أن يحيطوا بحصنها، ويحصروه، وبعث لهم آلة الحرب، فتزلزلت عُمان، وتفاقم ذعر أهلها.

وكان الإمام أحمد بن سعيد قد أمر المرأة العجوز الَّتي اختفى في بيتها أن تسمعه ما تسمع من الأخبار على التفصيل، فأتته ذات يوم، فقالت: سمعت أهل ينقل يقولون إنَّ بلعرب بن حمير اليعربي ادَّعى الإمامة، فانقادت النِّزارية إليه كافَّة، ومضى بقومه إلى عُمان، فعسكر بهم بفرق نزوى.

فعند ذلك مضى الإمام أحمد بن سعيد راجلاً إلى صحار، فدخل الحصن ليلاً، وكتب بالحال إلى عبدالله بن [أحمد][1] البوسيعيدي[2]، وهو [٣٣٢-أ] يومئذٍ واليه على سمد الشَّان، أن يحشد الهناويَّة قاطبة من

(١) «محمد» في النسختين (أ) و(ب) والصحيح «أحمد».

(٢) عبدالله بن أحمد البوسعيدي: هو الشيخ الرضي، الفقيه، عبدالله بن أحمد بن خلف البوسعيدي السمدي، من فقهاء القرن الثاني عشر الهجري، كان إلى سنة (١١٩٥هـ/ ١٧٨١م) على قيد الحياة أيام الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي، نسخت له بعض الكتب في تلك السنة والناسخ هو سالم بن هاشل المحليوي. انظر: البطاشي، سيف ابن حمود بن حامد: إتحاف الأعيان، ج٣، ص٣٥٨.

الشَّرقية، وجعلان وبدّية، وأن يأتيه بهم إلى فرق، ووقّت له الوقت الَّذي يريد أن يأتيه فيه إلى فرق.

لمَّا وصلته رجال ينقل، والظَّواهر، سار بهم يريد وادي سمايل، وحشد من أعراب الباطنة خلقاً كثيراً، فلمَّا بلغ إلى أطراف بدبد[1] وجد السيابيِّين، ومن اشتمل عليهم قد قبضوا عليه الطَّريق، واختفوا له بالمكامن، فركض عليهم، فهزمهم، وقتل منهم خلقاً كثيراً.

ولمَّا بلغ إلى مضمار سمايل وجد قوماً من النِّزارية، قد كمنوا له بالمضمار، فركض عليهم، فهزمهم، وقتل منهم رجالاً عدَّة.

فلمَّا دخل وادي بني رواحة حشدهم، فمضوا معه إلى فرق، فالتقيا، هو وعبدالله بن محمَّد السَّعيدي واليه الَّذي ولَّاه على سمد الشَّان، وعلى بديَّة[2]، وجعلان، ومع عبدالله بن محمَّد أقوام لا يحصي [٢٠٤-ب]

---

(١) بدبد: مدينة بدبد هي الباب الأول للداخل على وادي سمائل، والموقف الثاني للنازل إلى الساحل. من المراكزالمهمة بهذا الوادي، فهي مفتاح وادي سمائل وقفله، ولها مقام في النظر الرئيسي، مركز استراتيجي منيع لهذا الوادي، ولمعقلها في أنظار أهل الزعامة شأن رفيع لا يستهان به مهما كان. ثغر من ثغور عُمان، يسيطر على حوزة واسعة ذات شأن من بلدة الخوض، آخر بلدة في وادي سمائل من جهة الباطنة إلى ديار الرحبيين من آل همدان، وتضم أهم بلاد السيابيين وتوابعها، وقسماً من ديار آل ذبيان في الجانب الغربي، وأهم شأنها كونها الثغر والبلعوم لعُمان الشرقية إلى عبري غرباً، فهي تسيطر على طرق المواصلات لهذه الديار. انظر السيابي، سالم بن حمود بن شامس: العنوان عن تاريخ عُمان، ص٨٩-٩٢.

(٢) بديّة: اسم مقاطعة معروفة متعددة البلدان، كانت قاعدتها المنترب، فبدية اسم متناول لجميع بلدان هذه المقاطعة، وقد صارت بدية مركزاً حكومياً من عهد غير بعيد المدى في التاريخ، ومن بلدانها: الجاحس، والشاحك، والغبّي، والحوية، وفلج المطاوعة، والظاهر بلدة الإمام السالمي (رحمه الله) وكل هذه البلدان رائقة =

عددهم غير الله، وكان يومئذٍ بلعرب بن حمير اليعربي معسكراً بها، فوقع بينهم حرب، فانكشف جند بلعرب، وقتل بلعرب، وأكابر اليعاقيب، وما سلم من قوم بلعرب إلّا القليل، وأيّد الله الإمام أحمد بالنّصر والظّفر، فما بقي له بعُمان عدو محارب، وعاقب من خرج عليه مع بلعرب بن حمير، ثُمّ عفا عنهم.

وأحاط العجم بالبصرة سنة السّبعين والمائة والألف، فحصروها حصراً شديداً، وهزموا أهلها، فبلغ هزيمهم إلى بغداد، ونصب العجم سلسلة طويلة من حديد على الشّطّ، فجعل من سالم العجم من أهل البصرة يكاتب الإمام أحمد بن سعيد سرّاً بالنّجدة[1].

فلمّا تواترت كتبهم إليه جهز الإمام عشرة مراكب كباراً من مراكب السّلطنة، ومن الخشب الصّغار كثيراً، فكان عدد قومه الّذين بعثهم لحرب العجم [٣٣٣-أ] عشرة آلاف.

فلمّا بلغوا إلى شطّ البصرة، ورأوا السّلسلة منصوبة عليه، دفعوا عليها مركبه المسمّى «الرحماني»، فنطح السّلسلة، فقطعها، وهبط العرب على العجم، فوضعوا فيهم السيف، فكشفوا العجم كشفاً فظيعاً، وذادوهم

= زاهية فيحاء، تقع في مرتفع عن أرض حبلان، في رمال سيالة متنقلة، طيبة الهواء، نقية الروح، جافة بهجة، وهي الباب الداخل على شرقية عُمان. انظر: السيابي، سالم بن حمود بن شامس: العنوان عن تاريخ عُمان، ص١٠٤-١٠٥.

(١) اختلف المؤرخون حول الجهة التي طلبت المساعدة من إمام عُمان، فقد أشار بعضهم إلى والي بغداد، وأشار البعض الآخر إلى متسلّم البصرة، في حين أشار طرف ثالث إلى أهل البصرة وبالذات قبائل المنتفق. غير أن الرأي الثالث هو الأكثر دقة، وذلك أنه عندما وصلت النجدة العُمانية إلى البصرة استقبلها ثامر بن عبدالله السعدون، شيخ قبائل المنتفق قائلاً: «يا خوي - أي القائد العُماني - نحن سقماء، وأنتم حكماء، داوونا، والمعافي هو الله». انظر: عُمان في التاريخ، ص٤٤٣-٤٤٤.

من البصرة، واستقر أهل البصرة بالبصرة، ورجع أصحاب الإمام على الخشب الآتين عليها إلى مسقط.

فلمّا علم بذلك ملك الروم[١] سيّره صنيع الإمام بالعجم، وتعصبه لرعيته، أهل البصرة، فأمر السّلطان على واليه الّذي بالبصرة أن يدفع إلى الإمام الخراج الّذي تقرر إلى أيّام دولة السيِّد سلطان بن الإمام أحمد، وإلى أيّام دولة ولده سعيد بن سلطان بن الإمام.

وأفسد بعض الكوليّة الطّريق الّذي يفضي من أعمال منجرور إلى منجرور[٢]، ومنجرور يومئذٍ في حكم الّتيفو، ملك النّوّاب[٣]، فانقطع الأرزّ عن مسقط، فبعث الإمام أحمد بن سعيد رجلاً من أكابر الحرث في مركبه «الرحماني» إلى منجرور، فلمّا وصلها، سُرّ به أهل البلد سروراً كثيراً، وأكرمه والي البلد الّذي من قبل سلطان النّوّاب، ومركز سلطان النّوّاب، المسمّى الّتيفو يومئذٍ بدلهي[٤] من الهند.

---

(١) ملك الروم: يُقصد بملك الروم هنا السلطان العثماني مصطفى الثالث، وتقديراً منه لتعاون الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي الصادق في الدفاع عن البصرة، والأثر الطيب الذي تركه لدى سكان البصرة وحكّامها، تقرر أن تُمنح عُمان مكافأة سنوية من خزانة البصرة، وقد استمرت هذه المكافأة منذ عهد الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي، وحتى عهد السلطان سعيد بن سلطان البوسعيدي. انظر: عُمان في التاريخ، ص٤٤٥.

(٢) منجرور: الصحيح مانجالور: وهي مدينة وميناء في سلطنة ميسور الهندية. انظر: قاسم، جمال زكريا: دولة البوسعيد في عُمان وشرق إفريقيا، ص٦٩.

(٣) التيفو ملك النواب: والصحيح «تيبو صاحب» الذي كان يحكم في ميسور بالنيابة عن أبيه حيدر علي، حتى سقطت بيد الإنجليز، وقتل تيبو صاحب عام ١٧٩٩م. انظر: قاسم، جمال زكريا: دولة البوسعيد في عُمان وشرق إفريقيا، ص٦٩.

(٤) دلهي: مقاطعة بشمالي الهند، وعاصمتها دلهي، كانت عاصمة الدولة المغولية سنة ١٦٣٨م، ثم أصبحت عاصمة الهند عام ١٩١٢م، وأعقبتها نيودلهي المجاورة عام ١٩٣١م.

فقال الرجل الحارثي لوالي البلدة: على أي شيء قطعتم الأرزّ عنا؟

فأخبره عن صنيع الكوليَّة الَّذي أفسد الطَّريق.

فقال له: أريد دليلاً إلى المكان الَّذي كمن فيه.

فلمَّا أعطاه الدليل، مضى الحارثي بمن معه من القوم إليه، فلمَّا التقى الفئتان وقع بينهم حرب شديدة، فقتل أمير الكوليَّة، وقتل من أصحابه معه خلق كثير، وانهزم من سلم منهم من القتل.

فانفتح الطَّريق، وانبعث الأرزّ من البلدان الَّتي تجلب الأرزّ إلى منجرور، فأهدى الوالي وأهل البلد إلى الحارثي هدايا كثيرة، فشحن مركبه من أرزّ وغيره [٣٣٤-أ] للإمام، وله شيئاً كثيراً بغير ثمن.

فلمَّا وصل الخبر إلى ملك النّوّاب، بعث رسولاً إلى الإمام أحمد بن سعيد بهدايا كثيرة.

فلمَّا وصل رسوله بالهدايا إلى مسقط، مضى إلى الرُّستاق، فأكرمه الإمام ومن معه إكراماً جزيلاً، فطلب ذلك الرَّسول لملك النّوّاب من الإمام مكاناً برقعة مسقط الداخلية ليبني فيه بيتاً لملك النّوّاب، فأجابه إلى ذلك، فبنى هذا البيت الَّذي يسمَّى بيت النّوّاب من الرقعة الداخليَّة من مسقط، وعاهد عن سلطانه الإمام على العصبة له على من عصاه بالمال والرِّجال.

وسألت الشَّيخ معروف بن سالم الصَّايغي النَّخلي، والشَّيخ خاطر بن حميد البدَّاعي النَّخلي، وغيرهما ممن شهد ذلك العصر عن السَّبب الباعث لحرب الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي لمحمَّد بن سليمان بن محمَّد بن عدي اليعربي، والي نخل، بعد أن تعاهدا ألَّا يخون أحدهما صاحبه.

قالاً: إنَّما السَّبب الباعث لذلك، أن محمَّد بن سليمان اليعربي قد

جعل سيف بن سلطان صاحب العقرية الَّذي هو من أولاد مرشد نائباً عنه إذا مضى من نخل إلى وادي بني خروص، أو إلى جبل بني ريام لبعض الأرب.

[٢٠٥-ب] وكان ولدا الإمام أحمد بن سعيد، سيف، وسلطان مستنكفين عن طاعة والدهما الإمام أحمد بن سعيد، يحاولان انقياد الرَّعيَّة إليهما دونه، فأرادا أن يقبضا عليه حصن بركة، فمكثا في حصن نعُمان بركة، وبعثا إلى سيف بن سلطان اليعربي نائب محمَّد بن سليمان بن عدي اليعربي، وكان محمَّد بن سليمان يومئذٍ بوادي بني خروص[1]، أن يبعث لهما مائة رجل من أهل نخل.

فلمَّا وصله كتابهما في ذلك، لم يشاور محمَّد بن سليمان، فبعث إليهما مائة رجل من أهل نخل كما أرادا، وجعل المقدَّم عليهم خنجر بن مسعود صاحب العتيك، فلمَّا أتوهما تسوّرا ليلاً على حصن بركة، فخلص لهما الحصن [٣٣٥-أ]، ورفعا السَّيف عن واليه والعسكر الَّذين تركهم فيه والدهما أحمد.

وكان الإمام أحمد بن سعيد يومئذٍ بالرُّستاق، فلمَّا بلغه الخبر، هبط عليهما من الرُّستاق، ومعه جمع كثير، فأحاط بالحصن، وجعل يضربه بالمدافع، حتَّى تركه دكّاً، فأقاما هما ومن معهما في ذلك الدَّك، وما قدر

(١) وادي بني خروص: أحد أودية منطقة الرستاق، وبنو خروص قبيلة أزدية قحطانية يتصل نسبها إلى خروص بن شاري بن اليحمد بن عبدالله بن عثمان بن نصر بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ابن هود النبي عليه الصلاة والسلام. والمفرد: خروصي. انظر: الخروصي، سليمان ابن خلف بن محمد: ملامح من التاريخ العُماني، ص٢٤٢-٢٤٣.

أحد أن يصل إليهم [بسر][١]، إذ كان يضربهم بالتّفق متواصلاً متراسلاً، لا يفتر ساعة واحدة.

ثُمَّ سعى قضاة الرُّستاق بين الإمام وولديه سيف، وسلطان بالصّلح، فاصطلحوا على خروجهما ومن معهما من الحصن المدكوك، فخرجا، وخرج أهل نخل معهما، فمضيا هما إلى أبيهما الإمام، ومضى أهل نخل إلى نخل، وطلبا هما الإقالة من أبيهما، فأقالهما وعفا عنهما، وأضمر الإمام الحرب لمحمَّد بن سليمان لظنّه أنَّه نكث العهد الَّذي بينهما، فأنجد ولديه سيف، وسلطان برجاله أهل نخل على الحصن، ومحمَّد بن سليمان غير راضٍ بهذا الشَّأن وغير حاضر بنخل، لمَّا بعث نائبه سيف بن سلطان رعيَّة أهل نخل إلى سيف وسلطان ابني الإمام أحمد.

ولمَّا علم محمَّد بن سليمان بخروج أهل نخل إلى سيف، وسلطان رجع إلى نخل، فظل يعنف سيف بن سلطان ويلومه، وخشي أن يمضي إلى بركة، ويأتي إلى الإمام أحمد، فيعتذر إليه والحرب يومئذٍ قائمةً على ساق بينه وبين ولديه ببركة.

ولمَّا رجع الإمام إلى الرُّستاق جعل محمَّد بن سليمان يكاتبه ويعتذر إليه، ويشرح له صورة الحال، فلم يقبل الإمام اعتذاره.

وبعث الإمام كتبه إلى السَّند، فأتته جملة من رجال الزدجال، وحشد من الرُّستاق ومن سائر عُمان، فاجتمعت معه أقوام كثيرة، فمضى بالجيش إلى نخل، فدخلها، وجعل يضرب الحصن بالمدافع والقنابل، وكان معسكر الزدجال، بيت الشّريحة الَّذي هو لبني [٣٣٦-أ] عزان، ومعسكر سائر القوم إلى حضين، وكان الشَّيخ عبدالله بن صالح الرواحي وشيوخ

---

(١) سقطت من النسخة (ب).

رجال المعاول غير راضين بحرب نخل، إذ عندهم يقين أن محمَّد بن سليمان ما أحدث حدثاً يجب به الحرب عليه.

فلمَّا طال الحصار، خرج الشَّيخ عبدالله بن صالح الرواحي بجماعته بني رواحة إلى بلده، وخرجت شيوخ المعاول بقومهم إلى بلدانهم، بغير إذن من الإمام، وكان الإمام يومئذٍ بالرُّستاق، وما بقي من قومه بنخل إلَّا الزدجال وسائر القوم، فجعلوا يقطعون النَّخل والشَّجر ليلاً ونهاراً، فما أبقوا بنخل من النَّخل والشَّجر إلَّا قليلاً.

فمضى محمَّد بن حمير اليعربي إلى الظَّاهرة يستنجد النِّزارية من قبل محمَّد بن سليمان نصرة لنخل، فأظهروا الفشل والكسل له، فتركهم، ومضى إلى أعرابهم، بني نعيم، وكان الشَّيخ يومئذٍ شامس بن محمَّد بن بيات الشَّامسي النعيمي.

فلمَّا وصله، وطلب منه النَّجدة، أجابه إلى ذلك، فمضى معه محمَّد بن حمير، ومعه من بني نعيم وقتب ألف رجل [٢٠٦-ب]، فلمَّا وصلوا إلى يبرين، حمل كلّ واحد من القوم على ناقته عدلين[١] محشوَّين تبناً، فلمَّا دخلوا في وادي بني رواحة، ظن بنو رواحة أنهم حملوا في عدولهم بسراً[٢] يابساً، مغلياً بالنَّار، يريدون بيعه بمسقط.

فلمَّا انحدروا من وادي بني رواحة، نفضوا ما في عدولهم من التّبن، فألقوه في التُّراب، وأحثُّوا نياقهم إلى الغارة، فدخلوا المطرح من عقبة المراخ على حين غفلة من أهلها، فنهبوا سوقها وبيوتها، وحملوا من المال شيئاً كثيراً، ورجعوا يريدون منازلهم.

---

(١) عدلين: العدل هو الكيس، وهو نصف الحمل.

(٢) البسر: هو التمر قبل إرطابه، يُغلى على النار، ثم يجري إيباسه.

فلمَّا كانوا بصفر الآجال، ارتفعوا إلى نخل، فخرج عليهم المعاول، فانكشفوا عنهم، فلمَّا دخلوا نخل لم يجدوا فيها واحداً من قوم الإمام أحمد بن سعيد.

وسبب خروج الزدجال وسائر أهل الرُّستاق الَّذين هم قوم الإمام، لمَّا خرج الشَّيخ عبدالله بن صالح الرواحي بقومه، وخرج شيوخ [٣٣٧-أ] المعاول بقومهم كما ذكرنا، ولم يبقَ بنخل غير الزدجال، وبعض أهل الرُّستاق، وكثر ضررهم في البلاد بقطع الشَّجر والنَّخل، أتى رجال من وادي بني غافر، ورجال من أهل الحزم نجدة لمحمَّد بن سليمان.

فلمَّا وصلوا إلى نخل، ركض بهم محمَّد بن سليمان ومن معه من الرِّجال على أهل الرُّستاق، والزدجال، فلمَّا أحاط بهم، طلبوا الأمان ليخرجهم من بيت الشريجة والبرّوج بما في أيديهم من السِّلاح، فأجابهم إلى ذلك، فخرجوا من نخل.

ثُمَّ وقع الصّلح بين الإمام أحمد ومحمَّد بن سليمان، وتعاهدا ثانية لا يخون أحدهما صاحبه، فثبت بينهما الصّلح.

وأما شامس بن محمَّد النعيمي، فإنَّه لمَّا خرج من نخل، مضى إلى الإمام أحمد بن سعيد، فواجهه في الرُّستاق، واستقاله[١] من الغارة الَّتي أغار بها على المطرح، فأقاله الإمام شفقة منه لأهل عُمان عن اضطراب عُمان بالمخاوف واختلاف كلّمتهم، وإيحاش سبل عُمان بكمون أعرابها في السُّبل لنهب الرَّعيَّة والمتردّدين في السبيل لطلب الرِّزق، ولحقن دماء الرَّعيَّة من الأعراب المعتدين، لا لغير ذلك.

---

(١) استقاله: أي طلب منه أن يعفيه من الغارة.

ثُمَّ لمَّا تحقق عند الإمام استنكاف[1] اليعاربة أهل الحزم[2] عنه، وكان كبيرهم يومئذٍ بعد زهران بن سيف، أخوه مالك حشد عليهم أهل الرُّستاق وغيرهم، فأحاطوا بالحصن، وجعل يضربه بالمدافع، فلم يعمل رصاصهنّ فيه بشيءٍ لقساوة جصّه وحجره.

فلمَّا طال الحصار، وعلم محاصروه أنَّ ضرب المدفع لم يجدهم بشيء، وقد استولى عليهم الضجر، وغلب عليهم اليأس، رجع من رجع منهم بغير إذن من الإمام، والإمام يومئذٍ بالرُّستاق.

فلمَّا بلغ ذلك مالك بن سيف مضى إلى بني نعيم، فاستنجد شامس ابن محمَّد النعيمي على محاصري الحصن، فمضى شامس معه، وعنده من بني نعيم وقتب خلق كثير، فلمَّا وصلوا إلى الحزم، ركضوا على المحدقين [٣٣٨-أ] بالحصن من قوم الإمام، فكشفوهم.

فمضى أهل الرُّستاق إلى الرُّستاق، ورجع سائر النَّاس، كلّ فريق إلى داره، ثُمَّ وقع بعد ذلك الصّلح بين الإمام وأهل الحزم على أنَّه بعد ذلك لا يحرك واحد منهم ساكناً على صاحبه.

ووفد الشَّيخ عبدالله بن صالح الرواحي إلى الإمام أحمد بن سعيد لإزالة جفائه وسخطه عليه، لمَّا رجع من حرب نخل إلى داره بغير إذن من الإمام، فأمر الإمام بقيّده وحبسه في الحصن الشَّرقي، فقيّد وحبس

---

(١) استنكاف: الاستنكاف هو الاستكبار.

(٢) حصن الحزم: بناه الإمام سلطان بن سيف (الثاني) وأنفق عليه الكثير من الأموال، وسمي بهذا الاسم نسبة إلى القرية التي بني فيها، ويعود تاريخ بنائه إلى عام (١١٢٠هـ/١٧٠٨م)، وقد بني من الحجارة والجص، وعندما توفي الإمام سلطان ابن سيف (الثاني) سنة (١١٣١هـ/١٧١٨م) دفن بداخله. انظر: عُمان في التاريخ، ص٢٧٢.

في الحصن الشَّرقي، زماناً طويلاً، فلمَّا طال عليه الحبس، أكثر دفع دراهمه ودنانيره لعسكر الحصن، ففكوا عنه القيّد، وزعموا أنَّه انفصل عنهم بغير دراية وعلم منهم، فلمَّا بلغ إلى داره، امتنع عن مواجهة الإمام خوفاً منه.

ثُمَّ إنَّ الإمام مضى ذات يوم إلى عُمان، فلمَّا بلغ إلى إزكي أتاه الشَّيخ عبدالله بن صالح ببعض رجاله، واستعفاهُ وطلب منه الإقالة، واستشفعت الإمام له القضاة والأكابر فتشفعهم، وعفا عنه.

وقد اختصرت الكلام في حبس الإمام للشيخ [٢٠٧-ب] عبدالله بن صالح وخروج الشَّيخ عبدالله من الحصن ومسامحة الإمام له، لمَّا وفد عليه بعض رجاله إلى إزكي، واستشفاع القضاة والأكابر له خوف الإطالة.

ووفد سيف وسلطان ابنا الإمام أحمد بن سعيد على مسقط بغير إذن من أبيهما، فطلع سيف [على][1] الحصن الشَّرقي، ودخل سلطان الحصن الغربي، فاحتويا عليهما، وأخرجا من فيهما، ومعهما الشَّيخ جبر بن محمَّد الجبري، وبعض الرِّجال، فواجهتهما التّجار وأكابر مسقط.

فلمَّا علم بصنيعهما أبوهما الإمام أحمد بن سعيد، هبط عليهما من الرُّستاق، ومعه جمع كبير، فلمَّا دخل مسقط، وأراد أن يضربهما بالمدافع، دخل قضاة الرُّستاق بينهما بالصّلح، فاتّفق الصّلح [٣٣٩-أ] بينهم بمواجهتهما لأبيهما الإمام، وإذعانهما إليه، وليمكث سيف مع أبيه الإمام حيثما مكث، ويسير معه حيث يسير، وللحصنين هما القابضان، فتمّ الصّلح بينهم على ذلك.

فلمَّا مضت على ذلك العهد بينهم سنة، مضى الإمام إلى نزوى،

---

(١) إضافة يقتضيها السياق.

ومضى ولده سيف معه، فلمَّا رجع الإمام من نزوى، ووصل إلى بدبد قيّد ولده سيفاً، وحمله معه إلى مسقط.

ولمَّا همّ الإمام بحرب الحصنين، دخل أكابر الرُّستاق، وأكابر تجار مسقط في الصّلح بينهم على أن يسلمَّا لأبيهما الحصن الغربي ويبقى الحصن الشَّرقي عندهما، وعلى أن يطلب الإمام ابنه سيفاً من القيّد، ولا ليمضي إلى أبيه إلَّا إذا شاء أن يمضي إليه.

فتمّ الصّلح بينهم على ذلك، فقبض الإمام الحصن الغربي، وبقي الحصن الشَّرقي معهما، ثُمَّ رجع الإمام إلى الرُّستاق، ورجعا هما إلى حصن نُعمان بركة.

ثُمَّ بعد سنة من هذا الصّلح الَّذي تمّ بينهما وبين أبيهما الإمام، مضى أخوهما سعيد بن أحمد إلى بلدة حبرا[1]، وكان له فيها نخل كثير، فلمَّا علم به أخواه سيف، وسلطان، مضيا إليه من نعُمان بركة، فمكثا معه يومين.

ولمَّا أرادا الانصراف عنه إلى نعُمان طلبا منه الصحبة إلى نُعمان للضِّيافة، فصحبهما، فلمَّا أتوا إلى نعُمان قيّداه، وحملاه معهما في سفينة إلى مسقط، فتحصنا بالحصن الشَّرقي منها.

فلمَّا علم الإمام بذلك، حشد من الرُّستاق وغيرها خلقاً كثيراً، فلمَّا دخل مسقط أقام في الجزيرة، وجعل يكاتبهما بإطلاق ولده، أخيهما سعيد، فأبيا، فأقام الحرب عليهما، وأمر على العسكر الَّذين بالحصن الغربي أن يضربوا الحصن الشَّرقي بالمدافع، ونصب عليه البوم، وأمر على أهل مراكبه أن تضربه المراكب من الجانب الشَّرقي، فتراسل الضرب

---

(١) حبرا: قرية في وادي المعاول.

على الحصن الشَّرقي من البرّ والبحر، وتراسل الضرب [٣٤٠-أ] منه على الحصن الغربي والبوم والمراكب، واشتدت الحرب بينهم، وما انقطع المدد عن سيف وسلطان من بلدة طيوي وصور، وتأتي خشبهم إليهما بالتّمور والأغنام وثمار الأشجار.

فلمَّا طالت الحرب بينهم، هرب أكثر أهل مسقط إلى يتي، وقريَّات وغيرهما خوفاً من الرَّصاص الَّذي تقذفه المدافع، وانهدم الجانب الغربي من الحصن الشَّرقي بضرب المدافع المتراسل عليه، فركض بعض قوم الإمام عليه، فلمَّا وصلوا إلى أول درج الحصن ضربهم أهل الحصن بالتّفق، فانكسروا، وقتل منهم بعض الرِّجال.

ومضى الشَّيخ جبر بن محمَّد الجبري إلى الصِّير، فحشد من جلفار خلقاً كثيراً، أميرهم الشَّيخ صقر بن رحمة الهولي، فلمَّا وافوا الرُّستاق أحاطوا بها وزلزلوها زلزالاً شديداً.

وكان من أولاد منح خادم للإمام أحمد بن سعيد قد تحصَّن عند سيف وسلطان بالحصن الشَّرقي، ووكلّاه، سيف وسلطان، بالحرس على أخيهما سعيد، فأتاه ذات ليلة مظلمة مطيرة، فقال له: هل أحملك إلى أبيك الإمام أحمد، فقال: نعم، فعقد بن منح حبلاً طويلاً على مدفع من مدافع الحصن وحمله على ظهره [٢٠٨-ب]، وهبط به.

فلمَّا كان بينهما وبين الأرض بقدر [أربعة][١] أذرع، نبذ بن منح الحبل، فوقعا على الأرض، فمضى به إلى أبيه الإمام، فقرع باب الجزيرة، وأخبر البوَّاب، أنَّه أتى سعيد بن الإمام.

فمضى البوَّاب إلى غرفة الإمام، فقرع عليه حلقة باب الغرفة،

(١) سقطت من النسخة (أ).

وأخبره الخبر، فأسرع الإمام إليهما المشي، فحدثه ولده بصنيع بن منح به، فشكر الإمام سعيه، وخلع عليه.

فلمَّا لاح الصَّباح، افتقد سيف، وسلطان أخاهما [سعيداً][1]، فرأيا الحبل معقوداً على المدفع، فقالا: لا شك أن بن منح قد هرب به إلى أبينا.

وما رقَّت عزيمتهما بخروج أخيهما سعيد ومصيره إلى أبيهم، فشدَّدا الحرب، فأرسل إليهما أبوهما أن يخرجا من الحصن بأمان، فأبيا حتَّى جاءهما من جاء، فأخبرهما أن بن رحمة الهولي [١٤٣-أ] قد هجم على الرُّستاق، فأحاط بها، ومعه من القوم ثلاثون ألفاً، وقد اجتمع عنده من أعراب الشَّمال، وتوام خلق كثير، فخشيا مع ذلك قوة عليهم، وانتزاع الملك عنهم إلى عدوهم، فركنا للصّلح بينهما وبين أبيهما الإمام، فأرسلا إليه بالصّلح، فأجابهما إلى ذلك، فخرجا من الحصن بمن معهما، وواجها أباهما في الجزيرة، فخلع عليهما، وأحسن إلى من تحصَّن معهما.

فلمَّا بلغ بن رحمة صلح الإمام وولديه سيف وسلطان، وأنهما صارا معه، ارتفع مع القوم.

ورجع الإمام إلى الرُّستاق، ورجع سيف وسلطان إلى حصن نُعمان.

وأخبرني غير واحد من الَّذين أصدّقهم ويصدّقهم غيري في الرِّوايات لمجانبتهم الغوايات، أن سيف وسلطان ابني الإمام أحمد قد بعثا إلى تجار مسقط، لمَّا قبضا أخاهما سعيداً، وتركاه معهما في القيّد في الحصن الشَّرقي بالأمان من قبلهما إليهم، وإلى ما ملكت أيديهم من المال، فحمل

(١) سقطت من النسخة (أ).

التّجار صناديقهم الّتي أودعوها ذهبهم وفضتهم كافّة، وقالوا لهما: هذه أمانة منّا إليكما، فاصنعا بالأمانة ما شئتما.

فلمّا تمّ الصّلح بينهما وبين والدهما الإمام، ما هبطا من الحصن، إلّا بعد ما قبض منهما كلّ مؤتمن أمانته.

قالوا: وما وجد المؤتمنون في الأمانة خيانة، فلّله درّ سيف وسلطان، فإنهما في تلك الحال المتواتر بالزلزال لن يغيروا من الأمانة والأمان وزن مثقال.

وأخبرني الشّيخ خميس بن سالم الهاشمي[1]، قال: لمّا اشتدّت الحرب بين الإمام أحمد بن سعيد وولديه سيف وسلطان، قال: وكانت بيني وبين سيف بن الإمام صحبة ومكاتبات ومراسلات، فمضيت من الرُّستاق إلى مسقط، فلمّا وصلتها، مضيت إلى الإمام أحمد بن سعيد، فرأيته بارزاً في الجزيرة، فجلست معه بقدر نصف ساعة، ثُمَّ استأذنته في الوصول إلى ولديه سيف وسلطان في الحصن الشّرقي، قال: فأذن لي، فلمّا دخلت عليهما [٣٤٢-أ]، وجدتهما في حال حائل من تواتر ضرب المدافع، وتراسل الرّمي عليهم من البرّ والبحر، قال: فلمّا رآني سيف حرك، قبل أن أصافحه رأسه، فلمّا صافحتهما وجلست معهما، قال لي سيف: يا خميس لقد وصلتنا ونحن بهذه الحال في المنزل الخالي من المال، فما عذر من يعدّ كريماً إذا رآه صاحبه، ولم يرَ منه تكريماً، قال،

---

(١) خميس بن سالم الهاشمي: شيخ، عاش في القرن الثاني عشر الهجري، كان من أهل العلم والورع، ومن خاصة الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي، واتخذه السيد سالم بن سلطان البوسعيدي من أهل المشورة والرأي. انظر: دليل أعلام عُمان، ص٥٩. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص١٣٣.

فقلت له: والله ما أتيتكما زائراً طمعاً في البيضاء والصفراء منكما، لا سيما وأنتما في هذه الحالة الحائلة، بالتنكيد والحصر الشَّديد، ولكني أتيتكما لأنظر إلى وجهكما الكريم، إذ كان تقدُّ قدمي مما يروى عنكما، مما أصابكما من الخطر العظيم، فأردت أن أعرف حقيقة ما زان وشان من الشَّأن، فالحمد لله على صحة ذاتكما الَّتي تسرّ الودود، وتسوء الحسود، فما عذري لو قعدت عن وصولي إليكما في داري من غير عذر في مذهب الوفاء، ونوالكما الضَّافي [٢٠٩-ب] علي سلفا، فما عفا، فو الله إنَّ المحبّ الصَّادق المودَّة لأهل المودة لزوَّار، في الحال الخضر، وفي حال الأوار[١]، ثُمَّ تمثلت بيتي الشَّاعر:

زُرْ مَنْ هويتَ لو شطّتْ[٢] بِكَ الدَّارُ وحالَ بينكما حُجُبٌ وأستارُ

لا يمنعنّكَ حُجُبٌ عَنْ زيارتهمْ إنَّ المحبَّ لمنْ يهواهُ زوّارُ

قال: فجلست معهما ذلك اليوم من الضُّحى إلى العصر، فلمَّا أردت الانصراف عنهما، تبعني سيف بن الإمام، فعمد إلى سير خنجره، فقطع عنه ست حلقات من ذهب، وقال لي: خذ يا خميس اليسير، وسامح محبك عن التَّقصير.

قال، فقلت: والله لو لم يسخطك الردّ لرددتهنّ إليك، ومضيت عنك مسلِّماً عليك، إذ ليس في مثل هذا الوقت يطلب النُّوال لمَّا فيه من الزِّلزال واستحالة الحال بعدم المال، فقال: اقتصر على خاتمة الكلام وارجع إلى دارك بسلام.

قال الشَّيخ خميس: فلمَّا انفصلت عنهما، اتصلت بالإمام،

---

(١) الأوار: العطش.

(٢) شطت: ابتعدت.

فأوضحت له الصّورة، وتلوت عليه السّورة، فتبسم الإمام، وقال: هكذا من سجايا الجدّ والمجدَ.

ثُمّ [٣٤٣-أ] تمثل ببيتي أبي تمام شعراً:

طلبُ المجد يورثُ المرءَ خبلاً وهموماً تُقضقضُ[1] الحيزوما[2]

فتراهُ وهو السَّقيمُ صحيحاً[3] وتراهُ وهو الصَّحيحُ سقيما[4]

وأمَّا وقعة الغبّي الَّتي بين الإمام، وناصر بن محمَّد بن ناصر الغافري[5]، فهي قبل حرب الإمام وحرب ولديه سيف، وسلطان بمسقط بعشر سنين، وبين وقعة الإمام، وبلعرب بن حمير بفرق عشر سنين.

---

(١) الحيزوم: هو الصدر وما استدر بالبطن والظهر.

(٢) انظر القصيدة في: ديوان أبي تمام (الديوان الكامل) شرح وتعليق الدكتور شاهين عطية، دار صعب، بيروت، ٢٥٧-٢٦٠.

(٣) تُقضقضُ: أي تفرّق وتكسر.

(٤) وفي الديوان: «شجياً» انظر: المصدر نفسه، ص٢٥٩.

(٥) ناصر بن محمد بن ناصر الغافري: هو ابن الإمام محمد بن ناصر الغافري، يعدُّ داهية زمانه، ولّاه الأئمة اليعاربة إمارة البحرين، وظلّ فيها ردحاً من الزمن، وازدهرت في زمانه، ثم رجع إلى عُمان في عهد الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي، وتزعّم في عهده الظاهرة، فكان له فيها نفوذ الحاكم المطلق، مطاعاً في قبائلها، وبنى آنذاك حصن «العينين» الشهير، الأمر الذي دعاه أن يقود حملة تمرّد ضدّ الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي، لكن الإمام كان له بالمرصاد، ووقعت بينهما صدامات عنفية، وكانت المواجهات في منطقة «سيح الطيب» أعنفها، حيث خسرت الحكومة خلالها الكثير من رجالها، لكن لم تطل المدّة حتى انهزمت فلول المتمردين، وقتل ناصر بن محمد بن ناصر الغافري. انظر: دليل أعلام عُمان، ص١٦٠. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٤٧٧-٤٧٨.

وسبب حرب الإمام أحمد بن سعيد، وناصر بن محمَّد الغافري، أن محمَّد بن ناصر، كان رجلاً يعدّ من دهاة العرب، صاحب أموال جزيلة، ورثها من آبائه، وملك مالاً كثيراً من البحرين، لمَّا ولّاه الإمام سلطان بن سيف جزيرة البحرين، لمَّا افتتحها الإمام سلطان بن سيف من العجم.

فلمَّا مات الإمام سلطان بن سيف، ووقع النِّزاع بين اليعاربة، هجم العجم على البحرين بجيش عظيم، فوقعت الحرب بينهم، وبين ناصر بن محمَّد زماناً طويلاً.

فأرسل العجم إلى ناصر، أن يسلم لهم القلعة المسمَّاة عرادا[1] على ما يطلب منهم من المال، وقالوا له: أنت عامل من عمال الإمام سلطان ابن سيف، وسلطان بن سيف قد مات، وعدمت النَّصرة من أولاده وسائر اليعاربة، فخذ ما شئت من المال وارجع إلى وطنك.

فلم يصغِ ناصر إلى كلامهم.

فلمَّا طال عليه بعد ذلك الحصار وعدم من اليعاربة له الانتصار، جنح إلى السّلم، فصالحهم على تسليم القلعة، وعلى ما بيده من المال الَّذي جناه من جزيرة البحرين، وعلى دفع محشي عنب من ذهب، أي على صورة شجرة العنب من ذهب، فبذلوا له ذلك، فترك البحرين، وأتى إلى عُمان، فنزل في الصِّير، ثُمَّ هبط إلى الظَّاهرة، فلمَّا بلغ إلى الغبّي، واجهته أكابر نزارية الظَّاهرة كلّها، وصار هو الرَّئيس عليهم، فطلب منهم أن يبني بيتاً في العينين[2] على منبع أنهارها، فما سمحوا له بذلك، فسكت عنهم

---

(١) قلعة عرادا: أو قلعة عراد، قلعة مشهورة في البحرين، بناها الإمام سلطان بن سيف (الثاني) بعدما حرر البحرين من السيطرة الفارسية، وألحقها بالدولة العُمانية. انظر: عُمان في التاريخ، ص٣٩١.

(٢) العينين: قرية من قرى منطقة الظاهرة، في سلطنة عُمان.

إلى أن انقرضت [٣٤٤-أ] دولة اليعاربة، وصار زمام عُمان بيد الإمام الحميد أحمد بن سعيد، وما بقي له منازع من اليعاربة بعد قتله لبلعرب بن حمير، فصاهر الإمامُ ناصرَ بن محمَّد، وامتزج به امتزاجاً كلّيًّا، وأظهر له الطّاعة والإذعان.

فلمَّا رأى الإمام قد أقبل عليه بكلّيّة الإحسان، قال له: على أي شيء تركت حصن الغبّي بيد غيرك، وأنت إمام عُمان كلّها؟

فقال له الإمام: إني لا أحب الفتنة بيني وبين أهل الظّاهرة، لا سيما لمّا صرت أنت صهري، وقد قدَّموك عليهم، فصرت أنت الرَّئيس عليهم.

فقال له: هذا شأن لا أحبه لك، والَّذي أحبه لك أن تقبض حصن الغبّي، فإذا [٢١٠-ب] قبضته لم يبقَ لك عدو يظهر عداوته لك من أهل الظّاهرة، فأرسل معي من شئت من الولاة، لأقبضه حصن الغبّي.

فأرسل الإمام معه محمَّد بن عمير البوسيعيدي، فقبضه محمَّد بن ناصر حصن الغبّي، وقال محمَّد بن ناصر للوالي محمَّد بن عمير: لا تستعمل التقيَّة لأهل الظّاهرة كلّهم، وأنا معك بالرِّجال والمال.

فلمَّا اصطنع محمَّد بن عمير الإنصاف بين أهل الظّاهرة، شكا جبابرة الظّاهرة أمره إلى محمَّد بن ناصر، فقال لهم محمَّد: والله ما صنع فيكم الوالي إلَّا العدل والإنصاف، فأنتم أهل بغي لا تحبون العدل والإنصاف، وكلّ من صار لكم محبًّا، صرتم له أعداء، أردت أن أبني بيتاً في العينين بمالي لا بأموالكم، وفي أرضي، لا في أرضكم ليكون معقلاً لعزّكم، فأبيتم، وأنا حالي حال الإمام أحمد بن سعيد، فمن أطاعه منكم فهو محبّ لي، ومن عصاه فأنا عدوّ له.

ولم يزل ناصر بن محمد يكثر مسيره إلى الإمام، ويخبره عن جبابرة الظّاهرة، ويشير إليه بقيد من يريد له منهم القيد.

فلمَّا ضعفوا، سمحوا له ببنيان البيت بالعينين، فلمَّا أكمل بنيانه وسكنه، مضى إلى الإمام أحمد بن سعيد ومعه بقية من يحذرهم، [٣٤٥-أ] وقال للإمام: ما بقي لكم خصم في الظَّاهرة غير هؤلاء القوم الَّذين معي، وعدّد له أسماءهم، فاحبسهم وقيّدهم، ولا تفسح لهم من الحبس، فإذا هلكوا انقادت لك الظَّاهرة بأسرها.

فأطاعه الإمام في ذلك، وفعل بهم كما أمره أن يفعل بهم.

فلمَّا رجع عن الإمام، ووصل إلى دفع الأودية قال للمبايحة: إن الإمام أحمد لا يحب إلَّا هلاكنا والنفس تأبى العطب، فإنَّه ما احتشمني لمَّا أتيته ببقيَّة المحبّين، فلان، وفلان، فقيّدهم، وهربت أنا ومن معي على حين غفلة منه وقومه.

والآن قد عزمت على حربه، فإن كان حالكم حالي، فابنوا بروج واديكم وشنّوا الغارات على الرُّستاق، فأنا معكم بالرِّجال والمال، ولقد كفانا ما أتانا منه.

فأجابوه على الاستنكاف عن الإمام، وجعلوا يبنون بروج واديهم ليلاً ونهاراً حتَّى أتموها.

ولمَّا رجع إلى الغبّي، قال لهم ما قال لأهل دفع الأودية.

فلمَّا أجابوه على حرب الإمام، كتب إلى ابن رحمة بوصوله إليه ببعض قومه، وأخبره في كتابه له الخبر كلّه، فلمَّا أتاه ابن رحمة الهولي، ومعه خمسمائة رجل من قومه، أمر أهل الغبّي بالاستنكاف عن الوالي، وحربه إذا أبى أن يسلم الحصن، فاجتمعوا معه في العينين على المشورة لحرب الوالي، وخروجه من الحصن.

فلمَّا بلغ الوالي اجتماعهم بالعينين، مضى إليهم، فوجدهم محدقين بناصر بن محمَّد متشوكين بالسلاح، فقال لناصر: ما الَّذي عزمت عليه

أنت وجماعتك بهذا الاجتماع؟ فقال له محمَّد: لقد عزمت أنا والجماعة على حربك، إذا أبيت الخروج من الحصن وتسليمه إليَّ، فمن أنذر أعذر، فقال: أريد منكم المهلة إلى ثلاثة أيَّام، إما سلمت لكم الحصن، بعد الثلاثة أيَّام، وإما بادرتكم بالحرب.

فقالوا له على حدَّة[1]: لك منا ذلك.

فلمَّا رجع عنهم الوالي ورأى ألَّا طاقة له بحربهم، سلَّم الحصن من يومه إلى ناصر بن محمَّد.

فلمَّا قبضه ناصر بن محمَّد، مضى الوالي إلى الإمام بمن معه من العسكر [٣٤٦-أ]، فأخبره الخبر كلّه، فأمر على ولده هلال أن يمضي إلى دفع الأودية ويهدم بروج المنايحة كلّها، ويهدم بعدهنَّ حصن القرطي، الَّذي هو لبني شكيل[2]، وأنفذ معه عساكر كثيرة، وكتب إلى محمَّد بن سليمان اليعربي والي نخل، أن يبعث له رجالاً من أهل نخل، أميرهم محمَّد بن حمير اليعربي.

وفرق الإمام كتبه إلى قبائل عُمان، والشَّرقية، وجعلان، وكتب إلى أمراء البلوش أهل مكران، والزدجال.

فأما [٢١١-ب] هلال بن الإمام فإنَّه لمَّا مضى بمن معه من القوم إلى دفع الأودية، هدم بروج المنايحة كلّها، فلمَّا بلغ إلى [القرطي][3]

---

(١) على حدّة: جميعاً وبصوت واحد.

(٢) بنو شكيل: قبيلة عدنانية، يتصل نسبها إلى عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، والمفرد: الشكيلي. انظر: الخروصي، سليمان بن خلف بن محمد: ملامح من التاريخ العُماني، ص٢٧٧.

(٣) سقطت من النسخة (ب)

طلب المواجهة من القابضين [على][١] الحصن، فأبوا، فأرسل إليهم محمَّد بن حمير اليعربي بالأمان، إذا خرجوا من الحصن، فجعل محمَّد يناصحهم بالخروج، فلمَّا أجابوه، وأتى بهم إلى هلال بن الإمام، وثب عليهم بعض قوم هلال، فقتلهم جميعاً، وكان عدد الآتي بهم محمَّد بن حمير الَّذين قتلهم قوم هلال، اثني عشر رجلاً، يسمون أولاد فرخ الريح، وهم كلّهم بنو شكيل، وخاصَّة الخاصَّة لناصر بن محمَّد بن ناصر الغافري، فحمَّل بنو غافر قتلهم على محمَّد بن حمير، وقالوا: لولاه ما قتلت أصحابنا، فأسرّوا العداوة على اليعاربة، وما برد حرّ قلوبهم، حتَّى قتلوا سيف بن مالك بن سيف اليعربي، في القرطي أيَّام حرب المبايحة وبني كلبان[٢] في القرطي.

ولمَّا قضى هلال بن الإمام وطره من المبايحة وأهل القرطي، وهدم حصن القرطي، رجع إلى أبيه الإمام، فوجده بصحار، وقد اجتمع معه جيش عظيم، من حد نزوى إلى الشَّرقية كلّها إلى جعلان، أعراباً وحضراً، يمنيَّة ونزاريَّة، ولم يختلف عليه أحد من الفريقين.

فمضى بهم من صحار إلى ينقل، فلمَّا أراد أن يمضي بهم من السَّليف إلى الغبّي، وكان ذلك الوقت في شدَّة حدم القيظ، أشار عليه بعض القبائل بالمهلة عن الرَّكضة حتَّى يستريح القوم، إذا كان أكثرهم مشاة، فأبى.

---

(١) سقطت من النسخة (ب).

(٢) بنو كلبان: قبيلة عدنانية، يتصل نسبها إلى كُليب بن ربيعة، المعروف بكليب وائل، الذي يضرب به المثل في العزّ والمنعة، فيقال: أعزُّ من كليب وائل، ثم إلى تغلب ابن وائل بن قاسط بن هنب بن أقصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار ابن معد بن عدنان. والمرفد: الكلباني. انظر: الخروصي، سليمان بن خلف بن محمد: ملامح من التاريخ العُماني، ص٢٨٢.

فلمَّا مضى بهم، التقى الجمعان بسيح الطيب، فانكشف جيش الإمام، ولم يثبت على القتال من قومه [٣٤٧-أ] غير الزدجال، والبلوش، وآل وهيبة، فقتلوا جميعاً، ومات أكثر القوم عطشاً وحَيْداً عن الطَّريق.

ومضى هو وولده هلال لا ثالث لهما على طريق نجد الحديد إلى نزوى، وسلم من قوم الإمام من دخل الغبّي، فأمر ناصر بن محمَّد برفع السَّيف عنهم وإكرامهم، ثُمَّ سرّح كلّ واحد منهم إلى داره.

ثُمَّ وقع بعد ذلك الصّلح بين الإمام وصهره ناصر بن محمَّد، وتعاهدا ألَّا يخون أحدهما صاحبه، فتمّ الصّلح بينهما حتَّى مات ناصر بن محمَّد، وجدَّد أكابر الظَّاهرة العهد بين الإمام وسيف بن ناصر بن محمَّد.

وكان الإمام أحمد رجلاً كريماً، لا يصغي لقول الواشي بأحبَّته، ولا يحاسب وكيلاً من وكلائه، فإذا قال له وكيل من وكلائه: أخرجت كذا وعليك من الخرج كذا، أنفذ له ما يقول، إذ قال له عليك كذا.

وكان للإمام رجلٌ وكيلاً من أهل الرُّستاق، أحسب أنَّه من أولاد الهليّ، فأتاه ذات يوم، وقال له: أخرجت على بيتك ألف محمَّدية فضيَّة، وكان اليوم الَّذي كلّمه فيه بذلك اليوم الثَّامن من شهر الحجّ سنة السَّبعين والمائة والألف.

فقال لبعض عبيده: امضِ إلى البيت، وقل لهم: يعطوك كيساً من الأكياس المكتوب على ظهرها ألف محمَّدية فضَّة، فمضى الخادم إلى البيت، وأتى بكيس فيه ألف مشخص ذهباً، فلمَّا فتحه الوكيل ورأى فيه المشاخيص الذَّهبية، مضى إلى الإمام، وقال له: إن العبد الَّذي بعثته إلى البيت غلط، فأتى بهذا الكيس إليَّ، وقال: وما فيه من المال؟ قال: ألف مشخص، قال: فهو لك، رزق من الله، فاشكر الله على ما أعطاك، فأحرز الوكيل الكيس، وأثنى على الإمام.

ومن كرم الإمام أحمد بن سعيد أنَّه لمَّا وكَّل ربيعة بن أحمد الرواحي على أموال نُعمان بركة، وكان ربيعة يومئذٍ رجلاً فقيراً، فلمَّا مضى عليه في الوكالة سنتان جعل يشتري الأموال من بركة، والطوّ، ونخل، فأخبر الإمام عنه بذلك جملة من النَّاس، فلمَّا [٣٤٨-أ] أتى الإمام من الرُّستاق إلى نُعمان يريد الوصول إلى مسقط، قال لربيعة: أصحيح ما يقوله النَّاس، أنك اشتريت من هذه الوكالة أموالاً من بلدة بركة، وبلدة الطوّ، ونخل؟ قال: أيها الإمام لقد ظفرت على كنز، فاشتريت به هذه الأموال، قال: ففي أيِّ موضع ظفرت به؟. قال: في المكان الَّذي أنت الآن به قاعد، فتبسم الإمام، وعرف رمزه، فقال له: ذلك رزق من الله إليك، فاشكر الله واحمده على ما أعطاك.

وبالجملة، إنَّ أخبار [٢١٢-ب] الإمام أحمد بن سعيد وسيمة، وأخلاقه كريمة، وهمَّته عظيمة.

وكانت وفاته في حصن الرُّستاق ليلة الخميس من شهر ذي القعدَّة سنة ثمان وثمانين سنة ومائة وألف.

وترك من الأولاد الذكور سبعة نفر، وهم: هلال، وسعيد، وقيس، وسيف، وسلطان، وطالب، ومحمَّد، ومن الإناث ثلاثاً: ما وددت ذكرهن للزوم الأدب.

ودفن غربي حصن الرُّستاق، وبنى على قبره ولده سعيد قبَّة محكمة البناء، وقبره مزار إلى هذه الغاية سنة الإحدى والتسعين والمائتين والألف.

فلمَّا مات الإمام أحمد، اجتمع أهل الرُّستاق وغيرهم من أهل عُمان، فعقدوا الإمامة على ولده سعيد بن أحمد، وكان مرادهم أن يعقدوها على أخيه هلال بن الإمام أحمد، إذ هو أكبر الأولاد سناً وأغزرهم علماً، ولكنه استولى على عينيه الماء، فذهب ببصرهما، فمضى إلى أرض

السند، لطلب الدواء من الأطباء والحكماء، فمكث بأرض السّند أيّاماً قلائل، ثُمَّ مات فيها، وقبره مشهور بديول[١]، وعليه قبّة محكمة البناء.

◆ **[الإمام سعيد بن أحمد بن سعيد البوسعيدي (١١٩٧-١٢٠٣هـ/١٧٨٣-١٧٨٩م)]:**

الإمام سعيد بن الإمام أحمد بن سعيد بن أحمد بن محمَّد البوسعيدي اليمني الأزدي، كان الإمام سعيد هذا شجاعاً، شهيراً، فصيح اللِّسان، ناظماً للشّعر، عارفاً بمعانيه، وبيانه، مميَّزاً بين [٣٤٩-أ] الشّعر البذيء والشّعر الحسن، وإذا تحدث لا يملّ حديثه، إذ أكثره حكم، وخلصت له بعد أبيه الإمام أحمد بن سعيد حصون عُمان قاطبة، إلَّا حصن الحزم، وحصن نخل، ويبرين، فولى على صحار أخاه قيس بن الإمام أحمد، وأظهر الإمام سعيد العدل للرَّعيَّة، وغزا بعد البيعة أرض السرِّ[٢] مراراً، فقتل منها رجالاً عدَّة من بني غافر، وغزا الحمراء[٣]، فقتل شيخ العبريّن[٤]، وهابته أهل عُمان هيبة عظيمة، وسلك طريقة أبيه أحمد في سكونه الرُّستاق، وولى على مسقط محمَّد بن خلفان الوكيل[٥].

---

(١) ديول: والصحيح «الديو» مدينة مشهورة في بلاد الهند.

(٢) أرض السرّ: إحدى المناطق العُمانية.

(٣) الحمراء: قرية قرب بهلا، في المنطقة الداخلية، تسمى «حمراء العبريين».

(٤) العبريّون: قبيلة أزدية قحطانية، يتصل نسبها إلى عبرة بن زهران بن كعب بن الحارث ابن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر الأزدي. والمفرد: العبري. انظر: دليل أعلام عُمان، ص٢٤٧.

(٥) محمد بن خلفان الوكيل: محمد بن خلفان البوسعيدي، والٍ، عرف بالوكيل، عاش في أواخر القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر الهجري، ولي مسقط من قبل الإمام سعيد بن أحمد بن سعيد البوسعيدي. انظر: دليل أعلام عُمان، ص١٤٥. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٣٨٩.

ومضى ذات سنة إلى نزوى، ومكث فيها أيَّاماً يسيرة، وذلك أنَّه بلغه عن أهل نزوى، أنهم يكاتبون الشَّيخ، العالم، أبا نبهان، جاعد بن خميس ابن مبارك بن يحيى بن عبدالله بن ناصر بن محمَّد بن يحيى بن زيد بن منصور بن الخليل بن شاذان بن الصَّلت بن مالك الخليلي الخروصي اليحمدي الغسَّاني الأزدي القحطاني، وأنهم قد كرهوا سيرته، وتحدَّثوا عنه بأحاديث غير صالحة، وكان منهم ذلك صحيحاً، وتحدث أهل عُمان بذلك الحديث عامة.

وكان من جملة ما كتبه أكابر نزوى للشيخ أبي نبهان جاعد بن خميس، أن سعيد بن الإمام أحمد بن سعيد قد سلك طريقته الأولى، لمَّا ولاه أبوه الإمام أيَّام دولته على نزوى، وزاد على فظيع ذلك الصنيع فيها، وفي سائر عُمان نظائره.

ومعنى قولهم هذا أن الإمام أحمد لمَّا ولى ولده سعيداً أيَّام دولته على نزوى، أراد سعيد أن يحدث قعد صبغ النيل فيها، فأمر ببناء فرضة نيل لنيّال قعده صبغ الثِّياب بالنيل في تلك الفرضة الَّتي بناها، ومنع الآخرين عن الصَّبغ بالنيل، إلَّا برضاء من أتم له القعد.

وكان يومئذٍ القدوة بنزوى الشَّيخ العالم سعيد الصَّايغي، فمضت أكابر نزوى إليه، وأخبروه الخبر، فمضى الشَّيخ سعيد ومعه أكابر نزوى إلى السّوق، فرأوا المستقعد [٣٥٠-أ] قد نصب أواني نيله، فأرسل إليه الشَّيخ سعيد، فلمَّا أتاه، قال له: أقلع عن أوانيك، وإلا كسرتهنّ، فقلعهن، ومضى إلى سعيد بن الإمام.

وكان سعيد يومئذٍ بقلعة نزوى، فأخبره الخبر، فسخط سعيد على أهل نزوى، ومضى إلى أبيه الإمام، فوجده بالرُّستاق، فشكا إليه من أهل نزوى عدم الطَّاعة له، ولم يخبره عمّا أحدثه من قبل قعده لفرضة النيل.

فقال له الإمام: إني لأظن أنك أحدثت بنزوى حدثاً غير جائز، فخالفك أهلها فيه.

فلمَّا وصلت كتبُ أكابر أهل نزوى إلى الإمام عمّا صنعه ولده سعيد من الحدث من قبل قعده لفرضة النيل على نيال واحد، ومنعه للآخرين، قال له: لا تمضِ إلى نزوى، فإنك لا تصلح أن تكون والياً عليها، ولا على غيرها من بلدان عُمان.

فولى الإمام على نزوى رجلاً غيره، فأحسن السّيرة في أهلها.

فمضى الشَّيخ العالم، جاعد بن خميس[1] إلى نزوى ومعه ناس قليلون من جماعته، ليأخذ صحة الخبر على ما عوَّلوا عليه من الأمر، من ألسنتهم.

فأدخلوا الشَّيخ جاعد بن خميس ومن معه حجرة العقر[2] ليلاً،

---

(١) جاعد بن خميس: جاعد بن خميس بن يحيى الخروصي، أبو نبهان، الملقب بـ«الشيخ الرئيس» عالم محقق، وفقيه مدقق، ورئيس في قومه، عاش في النصف الثاني من القرن الثاني عشر، والنصف الأول من القرن الثالث عشر الهجريين، من قرية العليا، من وادي بني خروص، أخذ العلم عن الشيخ ناصر بن سليمان الخليلي وغيره من العلماء. وقد اجتهد في طلب العلم، حتى صار ممن يشار إليه بالبنان، فكان مرجع عصره ووحيد دهره. وقد تلقى العلم عنه كثيرون، منهم: ابنه الشيخ ناصر بن أبي نبهان، وحفيد أخيه منصور بن محمد بن خميس، وغيرهم من العلماء. ترك العديد من المؤلفات التي تربو على عشرين كتاباً في مختلف الفنون، منها: «مقاليد التنزيل»، و«إيضاح البيان فيما يحل ويحرّم من الحيوان» و«الدقاق لأعناق أهل النفاق». وله كثير من الأشعار، ويذكر أن ابنه خميس جمعها في ديوان سمّاه «نفائس العقبان الجامع لأشعار أبي نبهان». وأكثر شعره كان في السلوكيات والأذكار والروحانيات، وتوفي سنة (١٢٣٧هـ/ ١٨٢٢م). انظر: السعدي، فهد بن علي بن هاشل: معجم شعراء الإباضية، ج١، ص٤٠.

(٢) حجرة العقر: حيّ من أحياء مدينة نزوى في المنطقة الداخلية من عُمان.

والإمام سعيد في قلعة نزوى، لم يشعر بدخول الشَّيخ جاعد وجماعته الحجرة.

ثُمَّ انفلّت عزيمة أهل نزوى بعد أن أدخلوا الشَّيخ جاعد وجماعته الحجرة، ولام بعضهم بعضاً، وكثر نجواهم، وقال بعضهم لبعض: إنَّما الرَّأي الصَّائب أن نخرج الشَّيخ وجماعته من الحجرة قبل أن يعلم به الإمام أنَّه في الحجرة.

فبينما هم على ذلك، إذ أتت الشَّيخ جاعد بن خميس امرأة عجوز، تسمى عامرية من بني عبيدان، فأخبرته عمّا عزم عليه أهل نزوى من قبله، وأشارت عليه بالخروج من الحجرة قبل أن يعلم به الإمام سعيد، وقالت له: أخشى عليك منه، إذ أنت لا عندك كثرة رجال، وصرت في الحجرة كالأسير، وأهل نزوى بعدما كانوا إليك، صاروا عليك.

وكان الشَّيخ جاعد قد استراب من أهل حجرة العقر كثرة نجواهم لبعضهم بعضاً، وتمويههم له بالحديث، قبل أن تأتيه المرأة المذكورة.

[٣٥١-أ] وسعى رجل من أهل حجرة العقر إلى الإمام سعيد في تلك اللَّيلة، وهو قد بات في القلعة، فأخبره بدخول الشَّيخ الحجرة، وأن أهل نزوى قد انقلبوا عنه، ومالوا إلى الشَّيخ.

فلمَّا سمع منه هذا الكلام، هبط من القلعة بحبل إلى الأرض، وركب ناقته من ليلته، ولم يخبر أحداً بشأنه، فمضى إلى الشَّرقية، وجمع منها خلقاً كثيراً من الأعراب والحضر.

وأمَّا الشَّيخ جاعد لمَّا ترادف عليه الارتياب من أهل حجرة العقر، خرج منها من ليلته، وقصد داره العليا[1].

(١) العليا: قرية من قرى وادي بني خروص في منطقة الرستاق في سلطنة عُمان.

وأتى الإمام سعيد بجيشه من الشَّرقية إلى نزوى، فأخبره أهل العقر بدخول الشَّيخ الحجرة بغير إذن منهم، فأخرجوه منها كرهاً، واعتذروا إليه بذلك.

وكان الإمام قد غلب عليه الغضب، فركض بجيشه على سمد الكندي، فهزم أهلها، وأخذ جيشه ما وجده في حجرة سمد الكندي من المال، فلم يذروا فيها من آنية، وسلاح، وتمر، وسكر وغير ذلك إلَّا أخذوه، وبلغ هزيمهم إلى الجبل الأخضر.

ثُمَّ إنَّ أهل سمد الكندي[1] أتوا إلى الإمام سعيد، واعتذروا إليه، وقالوا: ما علمنا بدخول الشَّيخ جاعد بن خميس حجرة العقر إلَّا بعدما أخرجه منها أهلها، وأدوا له الطَّاعة، وأذعنوا إليه، فرضي عنهم وسامحهم عما مضى، فرجعوا إلى حللهم، ومكاناتهم، فعمَّروها بعد الحرب.

ولمَّا وقع الصّلح بين الإمام سعيد وأهل سمد الكندي، تكلّم العبَّادي في الشَّيخ العالم جاعد بن خميس ينسبه في كلامه إلى التعدي بدخوله حجرة العقر، لمَّا توهَّم دخوله للعقر بغير إذن من أهلها، حتَّى قال: لو كنت حاضراً فيها وقدرت على قتله لقتلته.

فبلغ كلامه إلى الشَّيخ، فلم يكترث به، وقال: السّكوت أولى عمّن أطاع الحاكم الوهمي، وخالف الحاكم العقليّ، ومن النَّاس من يشتري لهْوَ الحديث ليضلّ عن سبيل الله بغير علم.

ولمَّا برع الشَّيخ العالم ابنه أبو محمَّد في العلوم، وخلصت المودَّة والصحبة بيني وبينه، أمرني أن أنظم قصيدة في قول العبَّادي لأبيه، وفيما

---

(١) سمد الكندي: أو سمد الكنود، حيّ من أحياء مدينة نزوى في المنطقة الداخلية في سلطنة عُمان.

يزعم الأقارب والأباعد في ذلك الشَّأن [٣٥٢-أ] شرعاً، فنظمت له قصيدة حائية طويلة حاوية لتلك القضيَّة البسيطة، وشرحها الشَّيخ أبو محمَّد شرحاً وافراً طويلاً بسيطاً، حتَّى كاد أن يضيق السِّفر[١] بشرح القصيدة المذكورة، ومطلعها.

سَنَا الحقِّ لا يخفى من البرقِ ألمحُ وأنواعُ مرآةٍ من النّوءِ[٢] أملحُ[٣]

[٢١٤-ب] وقبلي لقد نظم الشَّيخ الفصيح راشد بن سعيد الضرير الرواحي العبسي قصيدة في مدح الشَّيخ العالم جاعد بن خميس، ويعتذر له فيها لدخوله حجرة العقر، ومطلع قصيدته:

أسنا الأحبّة أنتِ يا أسماءُ وأشمُّ أنفِ أنفكِ الشَّمّاءُ[٤]

---

(١) السِّفر: هو الكتاب.

(٢) النوء: النجم إذا مال للغروب.

(٣) سنا الحقِ لايخفى من البرقِ المحُ وأنواعُ مرآةٍ من النوء أملحُ
ألا يأبى أفدي مفيدي مقالةً لصدرِ المعنّى شرحها الرحبُ يشرحُ
فمن لي به أدعوهُ موليَّ ومنَّةً عليّ من الشيمِ الشناخيبِ أرجحُ
ولا سيما إن فصلَ القولِ مطلقاً وقيدهُ معنى من الشمسِ أوضحُ

انظر القصيدة كاملة في: بن رزيق، حميد بن محمد: سبائك اللجين، مخطوط، في مكتبة وزارة التراث والثقافة، ص١٣٣-١٣٦.

(٤) أسنا الأحبة أنتِ يا أسماءُ وأشمُ أنف أنفك الشّمّاءُ
بُرّي بصبّ في البلابل مُبتلى بهوى الكواعبِ والكعابِ بلاءُ
تَعَبي بتذكار التي آتيتها من مهجتي ما تشتهي وتشاءُ
ثبتت تعيثُ تثبتاً بأثيثها ويحثّ عن مثواي ثم ثراءُ
جالت جياد جمالها في مهجتي ومجالهنَّ الجزعُ والجرعاءُ

انظر القصيدة كاملة في: الخصيبي، محمد بن راشد بن عزيز، شقائق النعُمان على سموط الجمان، ج١، ص١٥١-١٥٢.

وربما كان سخط الإمام سعيد على أهل سمد الكندي، فأصابهم ما أصابهم منه لأجل منعهم إليه لقعد الصَّبغ بالنّيل، وحدثه لبناء فرضة النّيل بنزوى أيَّام دولة أبيه الإمام أحمد بن سعيد، كما ذكرنا أولاً، والله أعلم.

ثُمَّ إنَّ الإمام سعيد أحدث أحداثاً بعُمان غير صالحة، من إهماله الرَّعيَّة وغير ذلك من الأمور البذيئة، فمقتته أهل عُمان كافَّة، وتشاور أكابر أهلها في عقد الإمامة لأخيه قيس بن الإمام أحمد بن سعيد، فاتفقوا على ذلك، واجتمعوا بالمصنعة، ومعهم قيس بن الإمام، وأخوته سيف، وسلطان، وطالب، ومحمَّد أولاد الإمام أحمد بن سعيد.

ثُمَّ ارتفعوا إلى الرُّستاق، فعسكروا بقصرى، وبعثوا إلى الإمام سعيد ليأتيهم، فأبى عن الوصول، وبعث لهم بالضِّيافة، فلمَّا رفعت عنهم الخواني، جعل يضربهم بالمدافع من الحصن، فخرجوا من الرُّستاق، وتفرق ذلك الجمع، وكلّ رجع إلى بلاده.

ثُمَّ إنَّ أهل عُمان اجتمعوا في السَّنة الثَّانية لعقد الإمامة لقيس بن الإمام، فمضوا به إلى نخل، ولها المالك يومئذٍ محمَّد بن سليمان بن عدي اليعربي، فبعث لهم محمَّد ولدوابهم الطَّعام، ولمَّا طلبوا منه المواجهة أبى، فخرجوا من نخل، ورجع كلّ واحد منهم إلى وطنه.

ولمَّا رأى [٣٥٣-أ] حَمَدْ أهل عُمان قد مقتوا أباه، وكرهوا أسرته، ولم يقلع أبوه عن الأحداث الَّتي لا تسوغ للمسلمين من أهل الورع في الدِّين، أسرّ في نفسه استئصال مقابض عُمان الَّتي هي بيد أبيه إليه من غير حرب، بل بحيلة لطيفة، لا يشمئز منها أبوه، ولم يبدِ ذلك الشَّأن الَّذي عزم عليه لأحد.

وكان حمد داهية من دواهي العرب، لا يظهر سرّه المصون على حرب، إلَّا لخاصَّة الخاصَّة في بعض الأحوال، لا في الكلِّيات، فجعل

يكرم أهل عُمان، ويتوسل به من أراد أن يصنع به أبوه شأناً لا يجوز في الشَّرع، ويعزل أباه عن سيرته البذيئة، ويقرب أهل العلم والورع، فأحبته أهل عُمان حباً شديداً، وزاد بغضهم على أبيه، وربما أتته رجال من أكابر أهل عُمان سرًّا فقالوا له: لو احتلت هذا الملك والسّلطان الَّذي بيد أبيك إليك انقادت إليك أهل عُمان طوعاً بغير شماسة(١)، وكلّ من أتاه من أهل عُمان بمثل هذا القول، فجوابه له: هذا الشَّأن لا يمكن، فالتمسه من غيري، ولا تخاطبني بهذا القول الَّذي تنفر منه المسامع، فإنما أهل عُمان أكثرهم أهل مين وغدر، ثُمَّ ينفذ لمن يسأله ذلك نوافله(٢).

وما زال حمد يترقب النهزة لمَّا بيد أبيه من السّلطان إليه، حتَّى تفاقم الحرب بين أهل اليمن والنِّزار، أهل إزكي، واستطال بينهم الشَّر، فأشار حمد إلى أبيه بالوصول إليهم لإطفاء النَّائرة، فأجابه أبوه إلى ذلك.

فجمع أبوه من أهل الرُّستاق وغيرهم خلقاً كثيراً، فمضى إلى إزكي، ومعه ولداه حمد، وأحمد، فلمَّا بلغوا إلى نجد السحاماة، مضى بمن معه من الرِّجال إلى الشَّرقية، فجمع منها خلقاً كثيراً من الأعراب والحضر، وأكثر القوم أعراب، فلمَّا دلف بهم إلى إزكي ركض النِّزار على قومه، فوقعت بينهم ملحمة شديدة، وكانت الدائرة على النزار، فقتل منهم خلق كثير.

ثُمَّ بعد ذلك وقع الصّلح بين اليمن، والنِّزار على يد الإمام سعيد، فلمَّا [٣٥٤-أ] أراد الإمام سعيد الانصراف من إزكي إلى الرُّستاق، قال له ولده حمد: يا أبتِ، لقد [٢١٥-ب] علمنا بشأن إزكي، وما وقع فيها، فما خبر مسقط؟ فإنك تقول: قد وليت عليها محمَّد بن خلفان بن محمَّد

---

(١) بغير شماسة: أي بغير رفض وامتناع.

(٢) نوافله: جمع نافلة، وهي الهبات.

البوسعيدي الوكيل، وبلغني أن محمَّداً قد أخرج العسكر الَّذين تركتهم في الحصن الشَّرقي، والحصن الغربي، فترك بالحصن الشَّرقي من قبله صبيح الضوياني، وترك بالحصن الغربيّ من قبله مسعود بن أحمد البارحي، فإن كنت تظن أنَّه والٍ لك، فالأمر بخلاف ذلك.

فقال له أبوه سعيد: ما أظن محمَّد بن خلفان لمَّا أخرج العسكر الأولين وأدخل الآخرين إلَّا لأمر فيه صلاح لنا، وما يراه الحاضر لا يراه الغائب، وإنّي لا أشكُّ في محمَّد بن خلفان بشيء يسوءنا منه، وما هو في الحقيقة إلَّا عامل من عمالنا.

فقال له ولده حمد: إن كان الأمر كما ذكرت، ابعث إليه رسولاً بكتاب يكون بخط يدك، أن يرسل إليكم بما يكفي جمعنا من الدَّراهم والأرزّ، فقد اجتمع معنا خلق كثير، فإن أرسل إليك كما كتبت، فاعلم أنَّه وإليك وعاملك الأمين، وإن أبى فاعلم أنَّه ليس بوالٍ ولا عامل أمين، وإنَّما هو لكما ذكرته لك.

فأجابه والده سعيد على ذلك.

وكتب حمد لمحمَّد بن خلفان في غير حضرة أبيه سعيد، وبعث إليه رسولاً قبل أن يبعث إليه أبوه رسوله، فكان معنى ما كتبه حمد لمحمَّد بن خلفان: لا ترسل لأبي شيئاً، فإنَّه قد حصّل مطلوبه من إزكي، وما فسح للقوم الَّذين معه، إذ يريد أن يهجم بهم عليك ليخرجك مما أنت فيه، فإنَّ النَّاس قد أوحشوه بك، لمَّا بدَّلت العساكر، وشريت جملة من العبيد، وأكثرت إحسانك لصبيح الضوياني، لمَّا تركته في الحصن الشَّرقي، وأمرته إذا أراد أن يمضي إليه أو يمضي في سكك مسقط، فليكن في صهوة حصان، وأمامه وخلفه العساكر يمشون، ثُمَّ أكثرت [٣٥٥-أ] إحسانك إلى مسعود البارحي لمَّا تركته في الحصن الغربي لا يتعمّمن إلَّا بالشَّالات

الكشميريَّات[١]، فلا شكّ إذا بعثت إليه بما أراده منك أن يصلك بخيله، وجنوده، فيعزلك من الولاية، إذا سلمت منه من القتل.

وكانت تلك مكيدة من حمد، وحيلة منه يريد بها أن يصل الأمر إليه لا لأبيه، فبلغ رسوله وكتابه قبل أن يصل رسول أبيه سعيد وكتابه إليه، فلمَّا قرأ محمَّد كتاب حمد، ظنَّه له قد أخلص المودة، وأنَّه له ناصح أمين.

ولمَّا ورد عليه رسول الإمام سعيد وكتابه قال للرسول: ارجع إلى الإمام سعيد وقل له: يقول لك محمَّد بن خلفان: ما عنده لك شيء، فهذا جواب خطه مني.

فلمَّا رجع الرَّسول إلى الإمام سعيد، وأخبره بما قال له محمَّد بن خلفان تفصيلاً وجملة، أخذ بيد ولده حمد فناجاه في ناحية عن النَّاس، فقال له: لقد صدقت يا ولدي فيما نطقت به من قبل محمَّد بن خلفان، فإنَّه أبى بإرسال ما أردته منه، وذكر له ما قال محمَّد بن خلفان لرسوله.

فقال له ولده حمد: يا أبتِ، ما قلت لك من قبله إلَّا حقاً، فإنَّ لي بمسقط رجالاً يكاتبونني عن صنيعه كافَّة فإنك قد صرفت همتك إلى إزكي، وصرفتها عن مسقط، فلا تظنَّ أنَّ مسقط إليك.

فقال له: يا ولدي، ما الرَّأي الأشدّ من قبله، فقال له: أرسل ولدك أخي أحمد ليناصحه، وتعرف حقيقة لشأنه، لنطَّلع على أخباره الخفيَّة علينا، ثُمَّ يرجع إلينا بالجواب منه لنا، ولسنا بمنصرفين من إزكي إلى الرُّستاق ولا لغيرها، حتَّى يرجع إلينا ولدك أحمد.

فلمَّا أراد سعيد أن يبعث ولده أحمد إلى محمَّد بن خلفان، كتب

---

(١) الشالات الكشميريات: نوع من الشالات المصنوعة من الصوف في كشمير، ممتاز الجودة.

حمد إليه في غير حضرة أحد، ومعنى كتابه إليه، إذ أتاك أحمد أخي احبسه وقيّده، قبل أن يحبسك ويقيّدك، فإذا فعلت به [٣٥٦-أ] ذلك، قطعت طمعه منك وطمعه من مسقط. وأنفذ كتابه إلى محمَّد بن خلفان قبل أن يصل إليه أحمد.

فلمَّا وصله أحمد حبسه، وقيّده في غرفة الجزيرة، وهرب أصحابه إلى إزكي، فلمَّا أتوها، أخبروا الإمام سعيداً بما جرى على ولده أحمد من محمَّد بن خلفان.

فتغيَّر وجهه، وقال لولده حمد: هذا عاقبة رأيك الَّذي زعمت أنَّه هو الرَّأي السَّديد، فإنَّ أخاك أحمد [٢١٦-ب] حبسه وقيّده محمَّد في غرفة الجزيرة، فما هي إلَّا رزيّة عظيمة.

فقال له ولده حمد: يا أبتِ، الرَّأي أن نمضي إلى مسقط ومعنا مائة رجل لا زيادة، فنمكث في روي[١]، ثُمَّ أنا لأمضي إلى محمَّد بن خلفان، فأخلص أخي من حبسه، وآتيك به إن شاء الله تعالى.

فقال له أبوه سعيد: يا حمد، أما تكفي الأولى عن الأخرى، فإنَّ أخاك صار في الشَّبك، أتريد أن تصير في ذلك الشَّبك؟.

فقال له: يا أبتِ، ذر الوساوس، وطاوعني في هذا الأمر، وجعل يكثر لأبيه من نظائر هذا الكلام، فأجابه إلى ذلك.

فبعث حمد رسولاً بكتاب إلى محمَّد يقول فيه: إذا وصلك كتابي هذا، احشد أهل مسقط والمطرح، وخدَّامك، وعسكرك، وأقم بهم في سيح الحرمل، فإذا بلغك عنا أنَّنا وصلنا إلى روي، ابعث لنا رسولاً ومعه

---

(١) روي: قرية في منطقة مسقط، تبعد عن مدينة مطرح ميلين ونصف، وتقع في وادٍ خاص بها، وهو فرع من وادي العدى. وهي اليوم حيّ خاص من أحياء مدينة مسقط.

كتاب منك لوالدي سعيد، إن كنت تريد إطلاق ولدك، فيأتيني ولدك حمد، وله الأمان منّي، وامكث أنت ومن معك في روي، فإذا قدمت علينا فتراً[١] من روي، قدمنا عليك بخيلنا، ورجلنا، والسَّلام.

فلمَّا بلغ محمَّداً رسول حمد وكتابه، حشد أهل مسقط والمطرح، الجندي وغير الجندي، وسائر عسكره وعبيده، فاجتمع [٣٥٧-أ] معه من الخيل والعسكر والخدَّام وسائر النَّاس خلق كثير، فعسكر بهم في سيح الحرمل.

فلمَّا وصل الإمام سعيد وولده حمد، ومن معهما إلى روي، أخبرهم العوام القابضون للسدِّ، وساكنو البلد عن كثرة الرِّجال والخيل الَّذين جمعهم محمَّد بن خلفان، وأنَّه مقيم بهم في سيح الحرمل.

فمكث الإمام سعيد ومن معه بقرية روي، ومضى حمد إلى محمد ابن خلفان، فلمَّا وافاه، تصافحا باليدين، وأظهر محمَّد لحمد البشاشة وطلاقة الوجه، وقال له: لا عدمتك يا حمد، فإنَّ أباك قد عزم على الأمر الَّذي ذكرته لي في كتبك.

فقال له حمد: ما أخبرتك عنه إلَّا بصواب، فالآن تفضَّل بإطلاق أخي أحمد، فإنَّا لنرجع إلى الرُّستاق بعد وصوله إلينا، وكن أنت مكانك لا ينازعك فيه منازع، وإنِّي لآتيك بعد وصولنا إلى الرُّستاق إن شاء الله عن قريب، لإطفاء النائرة، وصلح الحال بينك وبين أبي، فأجابه محمد إلى ذلك، وفسح لأحمد.

فلمَّا وصلا إلى أبيهما، رجعوا إلى الرُّستاق، ورجع محمَّد بن خلفان

---

(١) الفتر: أقل من الشبر، وهو مقياس الفرجة بين الإبهام والسبابة.

إلى مسقط، وقد يئس الإمام سعيد من مسقط، وما شكَّ أنها صارت إلى محمَّد بن خلفان.

فلمَّا مضت بعض الأيَّام، قال حمد لأبيه الإمام سعيد: يا أبتِ، ألك حيلة في إخراج محمَّد بن خلفان من الولاية، وفي قبض معاقل مسقط والمطرح منه بغير حرب؟

فقال له: لا، وكيف يكون ذلك؟ وقد صارت لمحمَّد بن خلفان همم عالية، وقوى شديدة، ومال لا يحصي عدده غير الله، فالاحتيال عليه متعذر.

فقال حمد: أرأيت إن عملت فيه الحيلة، وبلغت بها المطلوب منه، وصار ما في يده في يدي، أتعاهدني، أن تتركه لي وتضيف لي ما ملكت [٣٥٨-أ] يمينك من حصون عُمان كافَّة، إلَّا حصن الرُّستاق، ولك مني الطَّاعة والامتثال فيما يرضاه الله تعالى؟

فقال له: نعم، وكيف لا أعاهدك على ذلك، وكلّ ما صار إليك صار إلي؟

فقال له: إني لأمضي إلى مسقط، فإن أتاك كتابي مع الرَّسول الَّذي أبعثه إليك أسرع الوثبة إلى مسقط بمن معك من العسكر.

فقال له أبوه: لله درّك، سمعاً وطاعة لك، فانفصل عنه ومعه مائة رجل، وأخذ من أبيه جملة من الدَّنانير.

فلمَّا وصل إلى مسقط، أجلس أصحابه حذاء الجزيرة، ومضى هو إلى بيت الوكيل خلفان بن محمَّد، وكان محمَّد بن خلفان مسكنه في ذلك البيت.

فلمَّا كان بالغرفة الَّتي يجلس فيها محمَّد بالنَّاس، خرج إليه خلفان وابنه محمَّد، فتصافحوا باليدين، وقدَّم له الطَّعام، فلمَّا فرغ من الأكلّ قال

حمد لخلفان بن محمَّد: أيها الوالد الحليم، لقد أتيت لكما لصلح الشَّأن، وإطفاء النَّائرة بين والدي وولدك محمَّد، فليدفع ولدكم محمَّد إلى أبي سعيد في كلّ [٢١٧-ب] سنة كذا وكذا من المال، ولمحمَّد ما قبضت يده من المعاقل، لا ينازعه فيها أحد.

فقالا له: ولك ذلك منَّا إليه، وطلب منهما رخصة في المقام له بمسقط إلى ثلاثة أيَّام، فقالا له: إن البلاد بلادك، فأقم بها ما شئت.

فطلب منهما أن يخليا له ولمن معه جانباً من البيت المسمَّى بيت النوّاب، فقالا: سمعاً وطاعة، فأخليا له ولمن معه جانباً من بيت النوّاب، وسيقت إليه ولقومه الفرش الخطيرة النَّضيرة والطَّعام، فجلس هو ومن معه في بيت النوّاب.

فلمَّا عسعس ليل نهار ثاني يوم الَّذي وصل فيه، حَمَلَ معه نصف ما أتى به من الدَّنانير، ومضى إلى الحصن الشَّرقي، ومعه من صحبه خمسون رجلاً، فلمَّا بلغوا على بابه الأوَّل، نادى حمد، صبيح الضوياني، أمير عسكر الحصن [٣٥٩-أ]، فأتاه، فأدخله هو ومن معه الحصن.

فقال حمد: يا صبيح، إنك كفرت بالنِّعمة الَّتي خوَّلك بها أبي أيَّام مقامك معه بالرُّستاق، فصرت لنا بعد ما أنعمنا عليك عدوَّاً أزرق، ما حملك على هذا يا صبيح؟ فإن أبي يقرؤك السَّلام الجزيل، وأعطاني هذه الدَّنانير لك، وأمرني أن أقعد معك في الحصن بمن معي من الرِّجال، حتَّى يأتي هو ومن معه إلى مسقط، وأمرني أن تعصي محمَّد بن خلفان، فإنَّه عامل من عمالنا، فبغى علينا، فلا تطعه في كلّ شأن من أمور السَّلطنة، فإذا أتى إلى الحصن، أو أتى أحد من قبله بأمره، امنعه من الدخول، فإن عزم أن يدخل عليك قسراً، اضربه بالتّفق والمدفع، فأجابه صبيح إلى ذلك.

فلمَّا علم حمد أن صبيحاً مال إليه كلّ الميل، ومال عن محمَّد كلّ الميل، هبط هو بنفسه من الحصن وترك أصحابه الَّذين دخلوا معه في الحصن، فأتى على أصحابه الباقين في بيت النّوّاب، وقال لهم: هبّوا، فقاموا ومضوا معه إلى الحصن الغربي، وكان القابض فيه من قبل محمَّد ابن خلفان، مسعود بن أحمد البارحي، وكان بينه وبين حمد قبل أن يصل حمد على مسقط مكاتبات وبواعث، فقال حمد لبوَّاب الحصن: افتح الباب، فإنَّني أنا حمد بن الإمام سعيد بن الإمام أحمد بن سعيد، فمضى البوَّاب إلى مسعود، فأخبره الخبر [٣٦٠-أ].

فقال له: افتح له ولصحبه الباب، فإنَّ الحصن حصنه، ونحن رعايا لأبيه، وما محمَّد بن خلفان إلَّا عامل من عمالهما.

فلمَّا صار هو وأصحابه في كبد الحصن، قال حمد لمسعود: إنَّ أبي يقرئك السَّلام الجزيل، وأعطاني هذه الدَّنانير لك، وأمرني بقعود من معي من الرِّجال معك، وبمنعك لمحمَّد بن خلفان دخول الحصن، وبترك مسيرك إليه، فإن أتاك هو، أو أتاك أحد من قبله يريد دخول الحصن، اضربه بالتّفق والمدفع، فقال له مسعود: سمعاً وطاعة لكما.

فلمَّا رأى حمد مسعوداً صار إليه، لمحمَّد عليه، ترك أصحابه الخمسين الرجل معه، وخرج هو بنفسِهِ يريد الحصن الشَّرقي.

وإنما هذا الشَّأن كلّه قد تمّ لحمد في ليلة ذلك النَّهار الَّذي وصل فيه لمسقط.

وكان ماجد بن خلفان بن محمَّد في تلك اللَّيلة الَّتي أخذ حمد فيها الحصنين، قد خرج من بيته ناحية الجزيرة، يريد أن يمضي إلى أبيه خلفان، ليحذِّر أخاه محمَّد بن خلفان من حمد.

فرأى ماجد حمداً حذاء الكارخانة قد أقبل من الحصن الغربي،

واضعاً رداءه على رأسه كيلا يعرفه أحد، وهو يمشي سريعاً، فأخذه الشَّك فيه، فتارة يقول في نفسه: هذا حمد، وتارة يقول: غيره، فأتبعه حتَّى دخل الحصن الشَّرقي، فلمَّا دخله أيقن أنَّه حمد، فرجع مسرعاً إلى بيت أبيه، فقرع الباب، فخرج إليه أبوه خلفان بن محمَّد، ومحمَّد بن خلفان، فأخبرهما بما شهد، وقال لهما: لا شك أن الرجل الَّذي شهدته هو حمد بن سعيد، فقال له أخوه محمَّد: دع عنك هذا الكلام، فإنَّ [حمداً][1] صاحبي، وأسراره عندي، وهو لي صديق [٢١٨-ب] صادق، ثلِّج صدرك وخالف الوسواس.

فقال له ماجد: يا أخي، إن كنت في شكٍّ من قولي، امضِ معي إلى بيت النّوّاب، فإن رأيته هو ومن معه فيه، فوقوع الغلط منّي، وإن لم تجده ولم تجد أصحابه في بيت النّوّاب، فاعلم أنّي مصيب في قولي هذا، فأجابه أخوه محمَّد إلى ذلك.

فسارا ومعهما مائة عبد وحرّ، فلمَّا وصلوا إلى [٣٦١-أ] بيت النّوّاب، لم يروا فيه غير الفراش والخواني، فعند ذلك أيقن محمَّد أنَّه خدعه حمد، وأن مقدماته كلّها له حيل، وقد بلغ بحيلته ما أراد فيه.

فلمَّا طلعت الشَّمس، جمع محمَّد عبيده ومن ومعه من العسكر، ومضى بهم إلى الحصن الشَّرقي، فلمَّا اقتربوا منه، تراسل عليهم ضرب التّفق، فرجعوا إلى الحصن الغربي، فلمَّا كانوا حذاء الكارخانة جعل أصحاب حمد ومسعود يضربونهم بالتّفق، فرجعوا.

وآيس محمَّد بن خلفان من مسقط ومعاقلها، فقعد في بيته.

وأمَّا حمد فإنَّه لمَّا رجع من الحصن الغربي إلى الحصن الشَّرقي،

---

(١) سقطت من النسخة (ب).

كتب إلى أبيه سعيد بالحال أن يأتيه إذا وصله كتابه سريعاً، وأنفذ الكتاب له في اللَّيلة الَّتي قبض فيها الحصنين، فلمَّا بلغ رسول حمد وكتابه إلى أبيه، حشد أبوه من الرُّستاق وغيرها رجالاً كثيراً، فأسرع الوثبة بهم إلى مسقط.

فلمَّا دخلها [أقام](١) بالجزيرة، وأرسل إلى ولده حمد ليأتي إليه، فلمَّا بلغه رسول أبيه، أمر بضرب مدافع الحصن كافَّة، وبنشر أعلامه، فتراسل ضرب المدافع من الحصنين والصِّيرتين والخشب.

فلمَّا وصل حمد إلى أبيه تصافحا باليدين، فأخبره حمد الخبر كلّه، وواجهتهما التّجار وأكابر مسقط، والمطرح، وأتى خلفان بن محمَّد وأولاده كافَّة، فسلَّموا على الإمام سعيد وولده حمد، فردا عليهما السَّلام بإيناس، فلمَّا استقر بهم الجلوس، قال حمد لمحمَّد بن خلفان:

قد عزلناك عن الولاية، وسامحناك عما سبق منك من الإساءة والاجتراء علينا، فلك الأمان منا.

ثُمَّ تعاهدوا ألَّا يخون أحدهم صاحبه.

فمضى محمَّد بن خلفان وإخوته خَلْفَ أبيهم خلفان إلى بيته، وبعث حمد إلى سليمان بن خلفان بن محمَّد، فلمَّا أتاه ولاه على مسقط مكان أخيه.

ومكث [٣٦٢-أ] الإمام سعيد ابن الإمام بعد ذلك بمسقط ثلاثة أيَّام، ثُمَّ مضى إلى الرُّستاق، فاتخذها له منزلاً ومقاماً، فكان إذا مضى إلى عُمان قضى وطره، ورجع إليها، والأمر والنَّهي بيد ولده حمد.

فهذه قصة انتقال المملكة العُمانية من الإمام سعيد إلى ولده حمد ابن الإمام سعيد ابن الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي.

---

(١) سقطت من النسخة (أ).

◆ [الإمام حمد بن سعيد البوسعيدي (١٢٠٣-١٢٠٦هـ/١٧٨٩-١٧٩٢م)]:

فلمَّا أخذ حمد مسقط من محمَّد بن خلفان، وسلَّم له أبوه سعيد حصون عُمان الَّتي ملكها كافَّة، واجهته أكابر عُمان كافَّة، فأحسن إليهم، وأظهر العدل بعُمان، فهابته قبائلها هيبة عظيمة، ورزقه الله النَّصر والظَّفر، فحيث توجه فتح الله إليه، فقرَّب أهل العلم والورع، وأزال البغي والجور بعدله.

فكان من جملة خاصَّته من أهل العلم والورع الشَّيخ القاضي مبارك ابن عبدالله النزوي، والشَّيخ سليمان بن ناصر المهللي(١)، والشَّيخ أحمد ابن ناصر الحرّاصي(٢)، والشَّيخ خميس بن سالم الهاشمي، والشَّيخ فضل ابن فضل اليحمدي، والشَّيخ محمَّد العاني(٣)، وغيرهم من أهل العلم والورع.

---

(١) سليمان بن ناصر المهللي: عالم، عاش في القرن الثاني عشر الهجري، كان من خاصة الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي: انظر: دليل أعلام عُمان، ص٨٤. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٢٢١.

(٢) أحمد بن ناصر الحراصي: شيخ، عاش في القرن الثاني عشر الهجري، كان من أهل العلم والورع، وكان من خاصة السيد حمد بن سعيد بن الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي. انظر: دليل أعلام عُمان، ص٢١٩. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٦٢.

(٣) محمد العاني: محمد بن العاني، عالم فقيه، عاش في القرن الثاني عشر الهجري، أحد فطاحل العلماء بعُمان في عهد الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي، كان من أهل الرأي والمشورة لدى الإمام، فساعده في نشر الخير والعدل في ربوع عُمان. انظر: دليل أعلام عُمان، ص١٤٧.

واتَّخذ مسقط له مسكناً، فهو لا يفارقها إلَّا إذا مضى عنها إلى عُمان لقضاء أوطاره.

ولمَّا اشتدّت الحرب بين المعاول وأهل نخل من قبل هدم أهل نخل لحجرة الجناة الَّتي لأولاد [٢١٩-ب] المهلل، أعان حمد المعاول على حرب أهل نخل بالمال والرِّجال.

ثُمَّ رأى الصَّلاح في إصلاح شأنهم، فصالح بينهم، واستفتى أهل العلم في حربه لنخل، وزعم أن حربه لهم لرأي رآه استحقوا به الحرب، فلم يلزموه الضَّمان، فتاب عمَّا كان منه.

أخبرني غير واحد من النَّاس أن حمد بن الإمام سعيد حشد أيَّام حربه لنخل من أعراب جعلان، وهم بنو حسن وحلفاؤهم، وأضاف إليهم أعراب السَّاحل وأهل الرُّستاق وغيرهم من الحضر [٣٦٣-أ]، فركض بهم على نخل، ومعهم رجال المعاول، فانكشف جيشه.

فلمَّا رجع إلى بركة، بعث إلى مشايخ الجبور[١]، والحكمان[٢]،

---

(١) الجبور: قبيلة عدنانية، يتصل نسبها إلى محمد بن ناصر بن محمد بن محمد بن سيف بن ناصر بن ناصر بن ناصر بن قطن بن قطن بن قطن بن علي بن هلال، ثم إلى عامر بن صعصعة. وبعض النسابة ينسب الجبور إلى عقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي، والله أعلم، وعلى كلا النسبين القبيلة عدنانية. المفرد: الجبيري. انظر: الخروصي، سليمان بن خلف بن محمد: ملامح من التاريخ العُماني، ص٢٧٩.

(٢) الحكمان: قبيلة عدنانية، تصل نسبها إلى الحكمان، ثم إلى سعد العشيرة بن مالك ابن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب ابن قحطان بن هود النبي عليه الصلاة والسلام. والمفرد: الحكماني. انظر: الخروصي، سليمان بن خلف بن محمد: ملامح من التاريخ العُماني، ص٢٦٧.

والنوافل[١]، فلمَّا أتوه، قال لهم: ائتوني بوالي نخل، وكان واليها يومئذٍ مهنًّا بن محمَّد بن سليمان اليعربي[٢]، فكتبوا إلى مهنًّا، فمضى مهنًّا إلى الطَّو ببعض الرِّجال من أهل نخل، يريد بركة، فلمَّا كان بعقبة الطَّو، رأى مشايخ الجبور، والحكمان، والنوافل خلقاً كثيراً، فمضوا به إلى بركة، فلمَّا واجه حمداً بهم تمم الصّلح بينهما.

فضرب الطَّبل في حصن بركة بالأمان على أهل نخل، وقال حمد لمهنًّا: ارجع إلى نخل، فإنِّي لآتيك، إن شاء الله، عن قريب لإصلاح الشَّأن بينك وبين جيرانك المعاول.

فرجع مهنًّا إلى نخل من يومه الَّذي وصل فيه إلى حمد.

فلمَّا أتى حمد إلى نخل، أقام هو ومن معه بصبارة حبشي، وبعث

---

(١) النوافل: قبيلة عدنانية، يتصل نسبها إلى نوفل بن ربيعة بن الحارث بن ربيعة بن الدعام بن مالك بن همدان بن مالك بن زيد بن الأوسلة بن زيد بن ربيعة بن الخيار بن مالك ابن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود النبي عليه الصلاة والسلام. والمفرد: النوفلي. انظر: الخروصي، سليمان بن خلف بن محمد: ملامح من التاريخ العُماني، ص٢٦٣.

(٢) مهنا بن محمد بن سليمان اليعربي: والٍ، عاش في أواخر القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر الهجريين، ولّاه الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي على نخل، وكان ممن كاتبهم السيد سلطان للتشاور في الأمر بعد مقتل أصحابه في حروبه، وأشار مهنا على سلطان أن يكتب إلى أهل عُمان من حدّ جعلان إلى صحار لأجل المشورة، فرجع هو ومهنا إلى بركة، وكتب سلطان إلى أكابر عُمان عامة، وإلى أكابر بني سعيد خاصة، كان يتسم بالكرم والورع وحب العلماء والصالحين، مات مقتولاً على يد مالك بن سيف بن سلطان اليعربي. انظر: دليل أعلام عُمان، ص١٥٤-١٥٥. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٤٦٠.

إلى المعاول، وبني المهلل، فلمَّا أتوه، صالح بينهم وبين أهل نخل، وصنع مهنَّا إلى حمد ومن معه من القوم ضيافة عظيمة، ورجع كلّ منهم إلى منزله.

[ثُمَّ بعد الصّلح بيومين، مضى][1] حمد ليلاً من بركة، إلى نخل ولم يصحبه أحد، ولم يخبر بمسيره إليها إلَّا رجلاً واحداً من خاصَّته، فأتى نخل قبل الفجر، وحبس ناقته حذاء مسجد جازي، وحمل سلاحه، وقعد على عتبة باب الحصن، ولم يشعر به حارس من حرَّاس الحصن، ولا حارس من حرَّاس برج عاقوم.

فلمَّا كان وقت الفجر، خرج عبد من عبيد مهنَّا، يسمَّى الذَّهب، يريد قضاء بعض الوطر من البلد، فرأى حمد على عتبة باب الحصن، فقال له: من الرجل؟ فقال حمد: ارجع إلى الحصن، وأخبر مهنَّا أني قاعد على عتبة باب الحصن، فلمَّا رجع الخادم وجد مولاه مهنَّا في غرفة الصَّلاة من الحصن، يقرأ القرآن العظيم، فأخبره عن حمد، فأسرع مهنَّا الوثبة إليه.

فلمَّا وصله، أخذ بيده فأدخله الحصن، وجعلا يتدارسان القرآن العظيم، فلمَّا وجبت الصَّلاة صلَّيا جميعاً، ثُمَّ هبطا إلى صبارة حبشي [٣٦٤-أ]، فلمَّا بزغت الشَّمس، صاح حارس برج عاقوم، القوم، القوم، فبعث إليه مهنَّا أن يسكت، فسكت.

فكان أول من وصل من أصحاب حمد إلى نخل القضاة والمطوَّعون، ثُمَّ توالت القوم، حضراً وأعراباً، فكان عددهم فوق الألف، فصنع لهم مهنَّا ضيافة فوق الضِّيافة الأولى، ومكث حمد ومن معه في نخل إلى وقت العصر.

---

(١) سقطت من النسخة (ب).

فلمَّا أراد الرجوع إلى بركة، أخذ بيد مهنًا، فجلسا ناحية عن القوم، فابتدأه مهنًا بالكلام، فقال له:

ما هذا الرَّأي الَّذي رأيته، أتيت إلى نخل ليلاً بغير صاحب، ولم تخبرني قبل أن تصل، تريد أن تصل، والدَّم الَّذي منَّا ومن جيراننا المعاول لم يجفّ، فلو رآك أحد من أهل نخل ولم يعرفك ربّما يحدث منه فيك حدث غير صالح، فضلاً أن يراك جملة من أهل البلد ولا يعرفوك.

فقال له حمد: يا مهنًا، أنت لمَّا واجهتني في بركة، وأحسنت الظَّن بي، كيف أنا لا أحسن الظَّن بك، وصلتك لتعلم حسن ظنِّي بلك، وصبري إليك من غير مكدَّر.

فقال له مهنًا: جزاك الله خيراً.

ثُمَّ رجع حمد ومن معه إلى بركة، وخلصت المودَّة والصُّحبة [٢٢٠-ب] بينهما، حتَّى توفي حمد.

ولمَّا خلص لحمد السّلطان، بنى بالحصن الغربي برجاً مقابلاً للمكلَّا[1]، وأودعه مدافع كباراً، وبنى قلعة بقرية روي، وبنى قلعة مثمنة بحصن بركة، وأودع فيها أكبر المدافع، وأخذ الجزية من أهل الذّمة، وأمر بصنع فلك في زنجبار، فصُنع وأجاد صانعه في عظمه وصنعته المحكمة، فسمي «الرحماني»، وأقرّ والدي محمَّداً على فرضة مسقط، وفرض له الأمر فيها، وبعث إلى الشَّيخ سالم بن محمَّد الدَّرمكي الإزكي، وكان الشَّيخ سالم يومئذٍ ببلدة إزكي، فأقعده ببلدة بركة، وفوَّض له الكتابة بين المسلمين، والأحكام الشَّرعية، وأقرّ الشَّيخ فضل بن سيف اليحمدي ببلدة مسقط للكتابة بين المسلمين والأحكام الشَّرعية.

---

(١) المكلّا: اسم موضع في مدينة مسقط، توجد فيه قاعدة سلطان بن أحمد.

وما صنعه في الشَّيخ سالم بن محمَّد[1] [٣٦٥-أ] من الإحسان، فهو غاية يضرب بها المثل، وذلك أنَّه لمَّا أقرّ الشَّيخ سالم ببركة للأحكام والكتابة بين المسلمين، أمر أن يُبنى له بيت خارجاً من السّور، فلمَّا كمل بنيان البيت، أفعمه بالأرزّ والتَّمر والسّكر والصَّناديق والأواني وغير ذلك بغير علم من الشَّيخ سالم، ولم يخبر البنَّائين ولا غيرهم لمن هو.

فأرسل إلى أهل الشَّيخ بوصولهم إلى بركة كافَّة، وظنوا الانبعاث لهم من سالم بن محمَّد، وغلب على ظنّهم الوهم، أن سالمًا مريض، وقال للّذين بعثهم: إذا سألكم أهل الشَّيخ سالم، فقولوا لهم: إن حمداً أمرنا بوصولكم إلى سالم وهو ببلدة بركة، وقال لمن أقرّهم بالبيت، وإذا وصل أهل الشَّيخ سالم بن محمَّد، فقولوا لهم: هذا بيت الشَّيخ سالم، امكثوا فيه، فنحن نمضي إلى الشَّيخ سالم فنخبره بوصولكم، فإن البيت وما فيه هو للشيخ سالم.

---

(١) سالم بن محمد: سالم بن محمد بن سالم بن محمد الدَّرمكي، أبو الأحوال، قاضٍ، كاتب، وأديب، ناظم للشعر، عاش في النصف الثاني من القرن الثاني وأول القرن الثالث عشر الهجريين، من بلدة اليمن من أعمال إزكي، عاش في أسرة صالحة عرفت بالعلم والصلاح، وتولى القضاء للسيّد حمد بن سعيد، ثم للسيّد سلطان بن أحمد، وبعد لابنه سعيد بن سلطان. وللشيخ الدرمكي ديوان شعر يقع في مجلدين، وقد أرسله إلى بلده الأول إزكي، ومكث هو في مسقط، فلما دخلت الوهابية حجرة اليمن من إزكي نهبوا ما وجدوا فيها من المال، وأخرجوا الكتب، وجعلوها أكداساً، وشبّوا عليها النار، فاحترقت، ومن جملتها ديوان الدرمكي، فلم يبقَ من شعره إلّا مسودات بأيدي الناس، جمعت في ديوان باسمه. وقد جاء أغلب شعر الدرمكي مجموعة من المقطوعات الشعرية، وله قصائد بديعة، ولم يقتصر شعره على الأغراض الأدبية من مديح ورثاء، بل له كذلك أراجيز في علم الشريعة. انظر: السعدي، فهد بن علي بن هاشل: معجم شعراء الإباضية، ج١، ص١٤٤-١٤٥.

فلمَّا أخبر حمد بوصول أهل الشَّيخ سالم للبيت بعث لسالم، فلمَّا أتاه، قال له: أنت منذ أقمت في بركة ما خرجت للنزهة، أفتمضي معي، فمضى معه، ومضى مع حمد من خدامه وعسكره وسائر النَّاس خلق كثير، فلمَّا كانوا حذاء ذلك البيت، قال حمد لسالم، أدخل البيت، فإن كلّ ما فيه هو لك، ورجع حمد.

ودخل الشَّيخ سالم البيت، فرأى أهله، ورأى ما أودعه له فيه حمد من المال شيئاً، كاد أن يطير من الفرح من غير جناح، فحمد الله وأثنى عليه، وشكر على حمد شكراً بليغاً، فنظم له في الحال هذه القصيدة، وقد أحببت أن أثبّتها كلّها لحسن ألفاظه الَّتي أودعها فيها، فللّه درّه من قاضٍ لبيب، وشاعر أديب، يجب أن يثني عليه كلُّ قاضٍ لبيب وشاعر أديب، قوله شعراً:

[٣٦٦-أ] ما بينَ بابي عينْ سعنة واليمن ... سوقٌ تباعُ بها القلوبُ بلا ثمنْ

تجروا بما احتكروا بِهِ وتحكموا ... فجوابُ من يستامُ منهمُ لا ولنْ

المسكُ من أبدانهم والعود من ... أردانهم[١] والزَّعفران من الوجنْ[٢]

وشذا[٣] القرنفل هاجَ من أنفاسهم ... سحراً وماءُ الوردِ من عرقِ البدنْ

حازوا جمالاً لا يُقالُ لهُ كما ... لكن بهم شحٌّ عليّ به كمنْ

ومورّدُ الوجناتِ سنّ لي الجفا ... منهُ فأحرمَ مقلتي طيب الوسنْ[٤]

شاكي السِّلاحَ فمنْ بسيفِ لحاظه ... ضربَ الحشا وبرمح قامته طعنْ

---

(١) الأردان: أصل الكمّ من القميص.

(٢) الوجن: هو ما ارتفع من الخدّين.

(٣) الشذا: الرائحة الطيبة.

(٤) الوسنْ: النعاس.

جنَّ الحليمُ لهُ وقدْ سفرتْ ذكاً[١] من وجههِ والفرعُ منهُ الليلُ جنْ
صنمٌ عليهِ الخلقُ أثنوا كلّهمْ لولا التقى لعبدتُ ذلكمُ الوثنْ
كمْ رمتْ منهُ إربةً فدعوتهُ رغباً فما أذنَ الغداة ولا أذنْ
[٢٢١-ب] ولو أنَّني عانقته وهناً فمن شرهي ومن شوقي إليهِ القلبُ حنْ
ولو أنَّه أمسى يمنيّني بما أهوى لمَّا أهدى الفؤادُ ولا هدنْ
ولو أن روحي في الدنوِّ بروحهِ مُزجَ الوداد لمَّا به القلب اطمأنْ
يا شقوة القلبِ الَّذي بالطَّلْ لا يُروى ولا بالوبلْ[٢] جاحمه سكنْ
لا زلتُ مقتصراً عليهِ كما غدا مولاي مقتصراً على الفعل الحسنْ
حمدَ الَّذي حُمِدَتْ جميعُ خلاله فحلّت به للخلقِ أخلاق الزمنْ
ذو منزل من زارهُ سلاه عنْ ذكر المعاهد والحنينَ إلى الوطنْ
يسخو ولم يفتح لهُ راجٍ فماً ويرى إذا هو ما سخا جوداً كمنْ
لثراهُ لم يكُ كالياً عنا ولا إن جادَ كالَ لنا نَداهُ ولا وزنْ
للنَّاس ظاهرُهُ وباطنهُ صفا وأطاعَ في السرّ الإله وفي العلنْ
ومطهّرُ الأثواب إلَّا أنَّهُ قد صار ذا العرض النقيِّ من الدَّرنْ[٣]
وإذا به لاذ امرؤ منْ حادثٍ فمن المحالُ بأنْ يُضامُ ويمتهنْ
وكسا الزَّمان بحلمهِ وبأسهِ أدباً فلم تعل الوهادُ على القننْ
وسديدُ رأي لا يحرِّكُ فتنةً سكنتْ وإن حرّكنه الفتن اطمأن

---

(١) ذكاً: الشمس.
(٢) الوبل: المطر الشديد.
(٣) الدّرن: القذر.

[٣٦٧-أ] ماسلّ صارمَهُ على ضدّ سوى ... للنَّصلِ منهُ في حشاشتهِ جَفَنْ
وقرى السِّباع ببأسهِ أشلاؤهم ... يوم الوغى إذ ما لها أحد دفنْ
بالجدِّ قد بلغ المعالي ناشئاً ... ما قبله قد شبَّ غصن فاهتجنْ
كم قد شرى مثلي بمحضِ ودادهِ ... لربوه منهُ فلم يلقَ الغبنْ
ولكمْ لهُ مننٌ عليَّ عجزت عن ... شُكرٍ أعرّضهُ على تلك المننْ
فترى الثراء لديَّ منهُ ملازماً ... والعُسر عن كفّي وعن داري ظعنْ
أنا بلبلُ الشّعراءِ لمَّا لي حنا ... عود النَّدى غرَّدتُ في تلك الفننْ
ومؤذنٌ لنوالهِ للنَّاس كي ... من أمرهِ تُقضى الفرائضُ والسُّنَنْ
فأتيتُ فيه قصائداً تزكو به ... أصلاً وفرعاً لا لخضراء الدمنْ
أكسوهُ من أثوابها حُللاً بها ... خجلاً تكادُ بفضلها تخفى عدنْ
يرنو على الغيد[1] الخرائد[2] حسنُها ... فغدت تخرّ لها القصائد للذقنْ
فاستجلها بعد الهنيدةِ تلقها ... بكراً لها كم زاهد طبٌّ ركنْ
رقّت لذي الأصل المُنقَّى أصله ... فرعاً فما في أصلها أحد طعنْ
فليسعُ حيث أرادّ إنَّ زمانهُ ... سلس القيادِ لهُ وفي يدهِ الرّسنْ
وليبقَ محروساً ويملوا لي ندى ... ما بينَ بابي عين سعنة واليمن[3]

ولمَّا نمت هيبة حمد وسطوته، استوحش منه عمّه سيف بن الإمام

---

(١) الغيد: الحِسان.

(٢) الخرائد: الفتاة البكر التي لم تمس.

(٣) انظر القصيدة في: ديوان الدرمكي، ص٣٠٨-٣١٠. وانظر أيضاً: بن رزيق، حميد ابن محمد: الصحيفة القحطانية، ج٥، ص٥٨-٦٠.

أحمد، لمقدمات جرت بين سيف، وأخيه سعيد ابن الإمام، أيَّام حياة والدهما الإمام أحمد، تركت ذكرهن للاختصار.

فمضى سيف إلى لاموه من أرض الزنج[1]، فتبعه حمد، فلمَّا بلغ إلى لاموه من أرض الزنج وجد عمه سيف ابن الإمام ميتاً، فرجع حمد إلى عُمان، فوقعت بينه وبين عمه سلطان منافرة لأجل إدراكه سيفاً إلى لاموه، فألف [٢٢٢-ب] سلطان النِّزارية، أهل وادي سمايل، فعاهدوه على حرب كلّ عدوّ له، فركض سلطان بهم على حصن سمائل، وهو يومئذٍ في حكم حمد، فدخلوه من جانب [٢٦٨-أ] السّوق، فلمَّا كانوا في وسطه جعل يضربهم البرّج المربّع منه، فخرجوا منه.

وركض سرحان بن سليمان الجابري على حجرة عوامر سيجا[2]، فاستأصلها وهدمها، فغضب حمد على بني جابر، واشتدَّت عداوته على عمه سلطان، فحشد عليهم جيشاً كثيراً، فلمَّا بلغ بهم سمايل، ثبَّطته خاصَّته عن حرب سيجا، وقالوا له: إن منبع مائها في الحجرة فإن أحالوه عن البلد، لم يجد من يحاربهم ماء.

ثُمَّ إنَّ أرض سيجا لا يقدر أحد أن يمشي عليها، إذا أرسلوا الفلج عليها من الانخماص، وأكثروا عليه من نظائر هذا الكلام، فتماسك حمد عن حربها، وحرب سائر بلدان بني جابر لميلولة سلطان إليهم، ففسح للجيش، ومضى هو ومن بقي معه إلى مسقط، فأقام بها أيَّاماً قلائل.

ثُمَّ مضى إلى الرُّستاق زائراً أباه سعيداً، فلمَّا علم سلطان به في الرُّستاق غزا مطرح ببني جابر، وسائر نزارية أهل سمايل، فدخلوها من

---

(١) أرض الزنج: شرق إفريقيا.

(٢) سيجا: قرية في المنطقة الداخلية من سلطنة عُمان.

عقبة المراخ، فنهبوا سوقها وبيوتها، وحملوا من المال ما قدروا على حمله، ثُمَّ رجعوا، فأقام به سلطان بدار سيت، فلمَّا بلغ الصريخ إلى مسقط، جمع سليمان بن خلفان بن محمَّد عساكر مسقط ورعيتها، وكان هو يومئذٍ الوالي عليها من قبل حمد بن سعيد، فاجتمع معه عالم كثير.

فلمَّا بلغ بهم آخر العقبة المشرفة على دار سيت والفلج، ركض عليهم سليمان بمن معه من أهل سمايل، فانكشف عسكر مسقط، ووقع فيهم قتل ذريع، وجراح جمَّة، فاتبع سلطان ومن معه هزيمتهم إلى جبروه[١]، ثُمَّ رجع، فأقام بدار سيت[٢] والفلج[٣] يومين، فلم يقدر سليمان بن خلفان على حرب سلطان.

ثُمَّ ارتفع سلطان بمن معه إلى سمايل، وضاق حمد بسلطان ذرعاً، فلم يقدر على حربه، ثُمَّ وقعت هدنة بينه وبين سلطان، وتماسك كلّ واحد منهما عن حرب صاحبه، فغزا حمد وادي السَّحتن[٤]، فهزم [٣٦٩-أ] عداه، وهدم بروجهم، فأذعنوا له قسراً.

ثُمَّ رجع إلى مسقط، فلبث فيها أيَّاماً يسيرة، ثُمَّ مضى إلى بركة فأقام بها أيَّاماً قلائل.

ثُمَّ مضى ببعض العسكر إلى نزوى، فلمَّا وصلها طفق يجمع العساكر من الشَّرقية وأعراب الباطنة، والخاصَّة من إزكي، وأعمالها، ولم يخبر

---

(١) جبروة: حيّ من أحياء مدينة مطرح.

(٢) دار سيت: حي من أحياء مدينة مسقط.

(٣) الفلج: حي من أحياء مدينة مسقط.

(٤) وادي السحتن: واد به بلدان للعبريين، وأخرى لبني غافر، ومن هم لفيفهم، يعرفهم كل أحد، فيه قرى متعددة، ومزارع معروفة. انظر: السيابي، سالم بن حمود بن شامس: العنوان عن تاريخ عُمان، ص٢١.

أحداً بمراده، إلَّا بني كلبان، ووقّت لهم الوقت لدخولهم معه على بهلا، فلمَّا كثرت جيوشه مضى بهم على بهلا، فدخلها، وكان حصنها يومئذٍ لراشد بن مالك العبري، صاحب العراقي، وبينه وبين بني كلبان معاداة، وهم أشاروا لحمد على حرب بهلا، فدخلها هو وهم في ليلة واحدة قبل الفجر بغير علمٍ من راشد بن مالك، وليس مع راشد بن مالك في الحصن من العسكر، إلّا بعض الرِّجال.

فلمَّا وقع الصِّياح في البلد، ركض راشد بعدما صلَّى الفجر على برج السّور الَّذي قبضه بعض بني كلبان، فأحرقهم بالبارود، فلم يسلم منهم أحد، ولم يزل يركض على قوم حمد معسكراً، معسكراً، حتَّى كاد أن يخرجهم من البلد بأولئك الرِّجال القليلين الَّذين معه، قيل: إنَّه لم يكن معه من الرِّجال الَّذين يركض بهم على القوم إلَّا سبعة أنفس.

أخبرني غير واحد بهذا الخبر، وما سمعت فيه اختلافاً قط، وقتل راشد [٢٢٣-ب] بعد أن ركض على القوم سبع مرات، وقتل معه رجل واحد يعرف بالشَّمّار.

ولمَّا قبض حمد الحصن، ولَّى عليه بني هناة، ورجع بمن معه من القوم يريد مسقط، فلمَّا بلغ إلى بركة الطلح حاربه برج من بروجها، وهو مبني على الطَّريق، ولم يكن بذلك البرّج إلَّا رجل واحد من بني ريام، فكان لا يخطئ رمي رصاص تفقه، فقتل من القوم جملة، ولم يقدر واحد أن يركض عليه.

فلمَّا فرغ ما عنده من الرَّصاص، جعل يقطع سلاسل سكينه ويرمي ما يقطعه من سلسلة سكينه في فم تفقه، حتَّى فرغت سلسلته، ثُمَّ هبط من البرّج وبيده سيف يماني [٣٧٠-أ]، وليس معه درقة[١]، فقتل رجلين، ثُمَّ قُتل.

---

(١) الدرقة: ترس من جلد يلبسه المحارب.

وكان حمد مع عظم هيبته الَّتي سرت بعُمان وغيرها، إذا ذكر عمَّه سلطان يقول: ما أظن أحداً من الملوك أهل القوَّة والبأس إلَّا دون سلطان في القوَّة والبأس، وإذا ذكر سلطان حمداً، قال: لا لحمد نظير في الهيبة والبأس.

أخبرني الشَّيخ القاضي سعيد بن أحمد بن سعيد اليحمدي، قال: لا زلت ملازماً للشيخ فضل بن سيف اليحمدي، ولا زال فضل بن سيف ملازماً للسيد حمد ابن الإمام سعيد، فمضيا ذات يوم مع حمد من مسقط إلى بركة، فوصلنا إليه وقت المغرب، ووصل سلطان إلى نعُمان قبل وصولنا، وأخبر حمد به.

فلمَّا أذّن المؤذّن لصلاة الفجر، مضى فضل إلى الحصن، ومضيت معه، فرأينا حمداً في غرفة الصَّلاة، فقال بعدما صلينا سُنَّة الفجر لفضل بن سيف: صلِّ بنا الفرض، فلمَّا فرغنا من الصَّلاة والدُّعاء، قال: اقرأوا ما تيسر من القرآن، واعتزل عنا في جانب من جوانب الغرفة، فألحف رأسه بإزاره، وجعلنا أنا وفضل ندرس القرآن، فلمَّا بزغت الشَّمس مضى فضل إليه، وقال: إن الشَّمس بزغت، هلّم إلى صلاة الضُّحى، فقال: قرّبوا الإبريق والطّست، فقرّبناه، فلمَّا توضأ، قال لفضل: صلِّ بنا، فصلَّى فضل بنا، فلمَّا فرغنا من الدُّعاء، قال فضل: أسألك بالله، ما هذا الفكر الَّذي سبحت فيه، فقال: «إن شئت أن أخبرك أخرج ابن عمك هذا عنَّا»، فقال: لا تخف من قبله إذاعة سرّ، فإني جرَّبته بعد ما أدَّبته، وهذَّبته، فوجدته أهلاً لأمانة الأسرار، فقال: أتفكر في ثلاثة أحوال، لا طيب عيش لي إلّا بحصولها، وحصولهن كالشَّيء المتعذر، الأولى: ممباسة، فإن حصنها قوي، وحلفاء بني مزروع الونيكة، وهم قوم لا يحصى عددهم إلَّا الله. الثَّانية: بلدة ممباي، فهي بلدة كثيرة العدَّة والعديد.

فقال له فضل بن سيف: قد علمتنا بالحالَّتين، فما الثَّالث؟

فمكث طويلاً، ثُمَّ قال: الثَّالثة أعظم شأناً من الحالتين.

- فقال فضل: وما هي؟
- فقال: الرجل الواصل إلى نعُمان قبل وصولنا إلى بركة.
- فقال: ذلك عمُّك سلطان، وما معه فيما بلغنا إلَّا اثنا عشر رجلاً.
- قال: هو أعظم من أمر ممباسة وبلدة ممباي شأناً عندي، ثُمَّ سكت ساعة، وأمر على بعض عبيده أن يسرج على خيله كافَّة، وأن يتفرق هو وصحبه في البلد، فيأتوا إليه بكلّ أعرابي معه ناقة وجمل.
- قال: فاجتمع في ساعة واحدة معه جملة من الفرسان، وأهل الركاب، فركب، وركبنا معه، وسار بالقوم يريد عمه سلطان بنُعمان للضِّيافة.

فلمَّا كنا حذاء النارجيل الصِّغار، أقبل علينا سلطان، ومعه اثنا عشر رجلاً.

فلمَّا اقترب منا نزل من على ظهر ناقته إلى الأرض، ونزل أصحابه معه، وجعل يمشي ويقود زمام ناقته بيده، وسيفه ودرقته على كتفه، فابتدأه حمد بتبليغ السَّلام، ولم ينزل من ظهر حصانه، فقال: يا عمّ، تفضل أنت ومن معك للضِّيافة، فإنّي قد أتيتك لها.

فقال له سلطان: أنت ومن معك تفضل بالوصول إلى نُعمان لأجل القيلولة، [٢٢٤-ب] فإن حصنك الَّذي بنُعمان أقرب من حصنك الَّذي عليه السّور.

قال سعيد بن أحمد: فرجع حمد، ورجعنا معه إلى نُعمان، فأقلنا معه، وصنع لحمد ومن معه ضيافة جميلة، ومكثنا معه إلى وقت صلاة

الظّهر، ثُمَّ رجع حمد ورجعنا وشيَّعنا سلطان الي النَّارجيل الصغار، ثُمَّ رجع إلى حصن نعُمان.

قال: فلمَّا سأل فضل بن سيف في اليوم الثَّاني بعدما صلَّينا الضحى، وقال له: أيحسن هذا الشَّأن عندك، وأنت حليم؟

فقال: وما هو يا فضل.

قال: واجهك عمّك سلطان وهو يمشي ويقود زمام ناقته تعظيماً منه لك، وأنت لم تنزل من ظهر خيلك، ولست أنت بصاحب كبر ولا خيلاء، فينبغي منك أن تصنع ذلك به، لأنه هو والدك [٣٧٢-أ]، وأنت ابنه، فإن العمّ بمنزلة الوالد لولد الأخ.

فقال له يا فضل: والله إنّي لفي ظهر خيلي وعمّي راجل، ونفسي ما تحدّثني بالسَّلامة، فقال: كيف يكون ذلك والخيل والرِّكاب أمامك، وخلفك كالسَّحاب وعلى ظهورهنَّ رجال كالبروق؟

فقال: والله لو سلّ عمّي سلطان سيفه النجم لبلغ هزيمهم إلى مكان بعيد.

وأمَّا السيِّد سلطان، لمَّا أكثر عليه آل وهيبة بقولهم: ليس حمد لك بكفء تترك الملك في يده، وأنت قادر على نزعه منه، فنحن لنرصده إذا مضى من بركة يريد مسقط، فنبيته ونهجم على أصحابه ليلاً، وبحول الله لنفرقهم عنه يميناً وشمالاً، حتَّى نقبض حمداً بيدك وتقيّده وتخلّص به مسقط، فقال لهم سلطان: هذا أمر لا يمكن، فحمد لا يخلص قبضه لي ولا لكم، فذروا القول الَّذي لا فائدة منه.

وما برحوا يكررون عليه ذلك حتَّى رجع ذات يوم من بركة يريد مسقط، وسلطان يومئذٍ في سمايل، ومعه من آل وهيبة مائة رجل، وقد جعلوا عيوناً منهم على حمد.

فرجعت العيون إليهم، فقالوا له: إن حمداً قد مضى من بركة، يريد مسقط، فمبيته هذه اللَّيلة في روي، فانهضوا سلطان من سمايل.

فدخل حمد روي، وبات هو ومن معه نحو بئر الصرهنج[1] من روي، ودخل إثره سلطان، وآل وهيبة، فباتوا نحو القلعة الَّتي بناها حمد، وحمد ومن معه لم يشعروا بشيء من ذلك.

فلمَّا كان وقت السّحر أيقظ آل وهيبة سلطاناً، وقالوا له: قد سيَّرنا[2] القوم، فوجدناهم رقوداً، فإنك لا ترى في حمد فرصة كهذه الفرصة.

فجعل يماطلهم بالقيام حتَّى لاح الصّبح، فلمَّا صلَّى حمد الفجر، وصلَّى سلطان الفجر، أخبر حمد عن سلطان وقومه، وبعث رجلاً من أصحابه إلى سلطان أن يأتيه به، فرأى ذلك الرجل سلطاناً مقبلاً بنفسه، فأحثّ الرجل مسيره إلى حمد راجعاً، فأخبره عن سلطان [٣٧٣-أ] أنَّه مقبل إليه بنفسه، فقال لبعض خدَّامه: احمل الإبريق وامضِ أمامي، ولا تحمل سلاحاً.

فلمَّا كانا بأول سيح الحرمل توضأ حمد، فصلَّى لله ركعتين، فلمَّا فرغ من صلاته، قال له: قل لمولاك سلطان، أن يأتي إليَّ، فلمَّا مضى الخادم رأى سلطان واقفاً ينتظر فراغ حمد من الصَّلاة، فقال له بعدما قبّل يديه وسلَّم عليه: يقول مولاي ولدك حمد. امضِ إليه.

فمضى سلطان إليه، فتصافحا باليدين، ولم يكن مع حمد من السِّلاح إلَّا خنجره، فابتدأ حمد سلطان بالكلام، فقال له: يا عمّ، إنّي لأعلم بالَّذي عزمت عليه، ومن أغراك به، فإنك لا تجد فيَّ فرصة مثل هذه الفرصة، فاقضِ ما أنت قاض.

---

(١) بئر الصرهنج: اسم مكان في روي.

(٢) سيَّرنا: أي جبرناهم وعرفنا حالهم.

فجعل سلطان يعتذر إليه، ويقول: يا ولدي، ما أتيتك إلَّا لخير، فذر الوسواس، وأحسن الظَّن بي، فينبغي منك، لا تسمع فيَّ كلام الواشي مثل ما أنا لا أسمع [٢٢٥-ب] فيك كلام الوشاة، فإنَّما الَّذي صار في يدك أحسبه في يدي ولا أحسدك عليه.

ثُمَّ تحادثا طويلاً، ورجعا إلى المعسكر، وأمر حمد بالمسير إلى مسقط، فشيّعه سلطان ومن معه إلى مطرح، وخلع حمد عليه وعلى أصحابه، وأجزل له العطاء. فرجع سلطان إلى سمائل ومضى حمد إلى مسقط.

ولمَّا استولى حمد على عُمان، اشتدّ المحل[1] على عُمان فوق المحل الَّذي قبل أن يخلع الملك عليه أبوه سعيد، فمات أكثر نخلها وشجرها، وهرب من المحل أكثر أهل عُمان إلى أرض الباطنة ومسقط، وبلغ دلو الماء بالمطرح بعشرة فلوس، إذ إن أهل الآبار حموا الماء وذادوا النَّاس عنه، فجعلوا يبايعونهم الماء، والدلو بعشرة فلوس، كما ذكرنا.

ولمَّا شكوا ذلك إلى حمد خرج بالنَّاس إلى الاستسقاء، فصلَّى بالنَّاس أول يوم بالوادي الكبير، وفي اليوم الثَّاني بوادي الأوسط، وفي اليوم الثَّالث بالوادي الصَّغير منها.

فلمَّا صلَّى بالنَّاس ونصبوا في الدعاء، لاحت سحابة في السَّماء، فبرقت [٣٧٤-أ] وأرعدت، واكتست السَّماء بالسَّحاب، فانهلّ المطر من أفوه السحاب كانهلال أفواه القُرَبِ بالماء.

فركب حمد فرسه، فأحثَّها، فما بلغ إلى الجزيرة إلَّا ومياه الأودية

---

(١) المحل: الجدب والقحط.

قد بلغت البحر، وعمّ الخصب عُمان، ورجع أكثر من نفي من أهلها إليها، ورخصت الأسعار، وكثرت الأثمار.

ولمَّا مضت على حمد منذ حاول الملك إلى أن أدركه سبع سنين، ومكث فيه بعد ما أدركه ثلاث سنين أمر بجمع عساكر كثيرة من عُمان، ولم يخبر أحداً بمراده، وأمر بإقامة الجيش في بركة، وهو يومئذٍ بمسقط، فلمَّا تمّ جمعه في بركة توهم أهل الحزم أنَّه يريد بذلك الجيش حربهم، وظن قيس بن الإمام أنَّه يريد به حرب صحار، وتوهم آخرون أنَّه يريد به حرب أبيه ليخرجه من حصن الرُّستاق، وتوهم آخرون أنَّه يريد أن يحارب بهم ممباسة إلى غير ذلك.

فلمَّا أراد أن يمضي من مسقط إلى بركة عند جمعه، وبلغ إلى سيح الحرمل بمن معه من الرِّجال اشتكى الحمى، فلم يقدر على المسير، فرجع إلى مسقط، فاشتدَّت عليه، وظهر بجسده جدري كثير، فكتب إلى أبيه سعيد بوصوله إلى مسقط، فلمَّا وصل وجد ولده حمداً في ألم شديد من الجدري، واحترق المركب «الرحماني» في ليلة اليوم الَّذي وصل فيه أبوه، فلمَّا تملكت النَّار بالمركب وكثر الصِّياح انتبه حمد من سكنته، فسأل أهل بيته عن الصائح، فأخبروه باحتراق المركب «الرحماني»، فتأوه ثُمَّ قال: إني لأعلم بمن أحرقه، فإذا شفاني الله تعالى من هذا الجدري لتسمعون بصنيعي بمن أحرقه وعاش بعد ذلك ثلاثة أيَّام، ثُمَّ توفي في الجزيرة ليلة الجمعة، وثامن يوم من شهر رجب سنة الست والمائتين والألف، ودفن وقت الضُّحى في ظهر الوادي الأوسط من بلدة مسقط أعلى قبري الشَّيخين مسعود الشَّقصي، والشَّيخ الصّبحي.

وقد رثته شعراء عصره بمراثٍ كثيرة، منهم الشَّيخ القاضي الفصيح أبو الأحول، سالم بن محمَّد الدَّرمكي، ومطلع قصيدته الرائية، قوله شعراً:

[٣٧٥-أ] لمّا قضى حمدُ لم يبكهِ البشرُ حتّى بكاهُ الحصى والنّخلُ والشّجرُ[١]

ورثاه أيضاً بقصيدة ميميّة، مطلعها، قوله شعراً:

جبلُ الجبالِ الرّاسياتِ تهدّما فاسكبْ عليهِ منْ مدامعكَ الدّما[٢]

ورثاه منهم الشّيخ سليمان بن أحمد المفضّلي بقصيدة، مطلعها شعراً:

سطتْ الهمومُ وصالتْ الأتراحُ ونأى السّرورُ وشطتْ الأفراحُ

فالأرضُ حالكةُ الأديمِ فما بها شمسٌ ولا قمرُ ولا مصباحُ[٣]

[٢٢٦-ب] ورثاه الشّيخ القاضي عبد الرحمن بن محمّد البطاشي[٤] بقصيدة، مطلعها شعراً:

---

(١) انظر القصيدة كاملة في: ديوان الدرمكي، ص٢٩٩-٣٠٠.

(٢) انظر البيت في: بن رزيق، حميد بن محمد: الصحيفة القحطانية، ج٥، ص٦٦.

(٣) انظر البيتين في: الخصيبي، محمد بن راشد بن عزيز: شقائق النعُمان على سموط الجمان، ج٢، ص٢٣٠.

(٤) عبد الرحمن بن محمد البطاشي: عبد الرحمن بن محمد بن بلعرب بن محمد البطاشي، فقيه، قاضٍ، وناظم للشعر، عاش في القرن الثاني عشر وأول القرن الثالث عشر الهجريين، أصله من بلدة قيقا من وادي سمائل، وقد نزل والده بلدة الأنصب من بوشر، وقد انتقل الشيخ عبد الرحمن إلى قرية إحدى من وادي الطائيين، واستقرّ بها، وكان أبوه محمد بن بلعرب من رجال العلم والمعرفة، فلعلّ الشيخ عبد الرحمن أخذ شيئاً من والده. تولى القضاء للإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي، وله فيه مدائح، وخلّف مكتبة ضخمة، ذهب الكثير منها، وله يدٌ في علم الطب، انظر: السعدي، فهد بن علي بن هاشل: معجم شعراء الإباضية، ج١، ص٢٣٥-٢٣٦.

أرى أمّ ذُفرٍ تمزجُ القند[١] بالصَّبرِ فكمْ دردبيسُ[٢] جلّ قلَّ لهُ صبري[٣]

ورثاه أبوه سعيد بن الإمام بأبيات أولهنّ، قوله شعراً:

وافى حمامُكَ يا حبيبي بالعجلْ نارٌ توقّدُ في الضمير وتَشْتعلْ[٤]

ولمَّا كان اليوم الخامس من بعد اليوم الَّذي مات فيه حمد، صنع الإمام سعيد ضيافة كبيرة لأكابر مسقط وتجَّارها في الحصن الشَّرقي لإظهار السرور ومواراة الحزن.

ثُمَّ جعل على مسقط مكان ولده حمد، ولده أحمد بن سعيد، وولي على بركة علي بن هلال بن الإمام أحمد بن سعيد، ومضى هو إلى الرُّستاق، فأهمل الملك والرَّعيَّة، وتقلَّص مع البواعث، فكان سبب انتقال مملكته إلى سلطان لأجل ما ذكرناه.

---

(١) القند: سائل يجمد على قصب السكر.

(٢) الدردبيس: الرجل الداهية.

(٣) انظر البيت في: الخصيبي، محمد بن راشد بن عزيز: شقائق النعُمان على سموط الجمان، ج١، ص١٦٢. وقد تصرّف فيه بإصلاحه الخلل في الوزن.

(٤) وافى حمامكَ يا حبيبي بالعجلْ نارٌ تلهّبُ في ضميري تشتعلْ
يا منْ لهُ شرفٌ وفضلٌ في الورى أمسى وحيداً مفرداً دونَ الأهلْ
اللهُ أكبرُ من مُصابٍ عَمَّنا همًّا وغمًّا لا يبيدُ ولا يفلْ
حمدٌ حوىَ المجدَ الأثيل تغيَّرت أيامهُ قد كانَ يُضربُ بالمثلْ
صبراً لأولادِ الإمامِ ومنْ لهم من إخوةٍ وأقاربٍ فيما نزلْ
لا غروَ هذا قد أتى خيرَ الورى لم تمنعِ الأموالَ عنهُ ولا الدولْ

انظر: الخصيبي، محمد بن راشد بن عزيز: شقائق النعُمان على سموط الجمان، ج٢، ص٢٢٩.

وعاش سعيد زماناً طويلاً، ومات أيَّام دولة السيِّد الهمام سعيد بن سلطان بن الإمام ببلدة الرُّستاق.

◈ [السيّد سلطان بن أحمد البوسعيدي (١٢٠٦-١٢١٧هـ/ ١٧٩٢-١٨٠٤م)]:

سلطان بن الإمام أحمد بن سعيد بن أحمد البوسعيدي اليمني الأزدي العُماني الإباضي الاستقامي المذهب. كان سلطان رجلاً طويل القامة، جميل الصّورة، شجاعاً، نجيداً، بطلاً صنديداً، لا يعبأ بكثرة أعدائه، إذا كان في قليل من أهل خاصَّته، فضلاً عن الكثير، منصفاً من الظَّالم للمظلوم.

فلمَّا مات حمد، وفد سلطان على عليّ بن هلال بن الإمام أحمد بن سعيد في بركة، وكان علي بن هلال هو الوالي يومئذٍ على بركة من قبل الإمام سعيد بن أحمد [٣٧٦-أ]، كما ذكرنا أولاً، فلمَّا تواجها، قال سلطان لعلي: يا علي، أصلح الشَّأن بيني وبين أخي سعيد، فإن الإحن الماضية كانت بيننا من قبل حمد، وحمد توفاه الله تعالى، فأطفئ النَّائرة بيني وبين أخي سعيد، على أن يجعلني أخي سعيد سيفاً لدولته، فأحارب كلّ من عصاه من أهل عُمان، وأن يجعل لي نصيباً يسيراً من مدخول مسقط، امضِ أنت إليه مذ اليوم، وأصلح الشَّأن بيني وبينه، فأنا منذ السَّاعة لأرجع إلى سمايل، فإذا رجعت أنت من الرُّستاق إلى بركة أبعث لي رسولاً عن وصولك، كي آتيك لتمام الصّلح، والعهد بيني وبين أخي سعيد على يدك، فأجابه علي إلى ذلك، واستحسن قوله.

فمضى سلطان عنه، ومكث بالرَّسيل(١)، وجعل عيوناً على عليّ بن

---

(١) الرَّسيل: قرية قرب مدينة السِّيب في سلطنة عُمان.

هلال، وقال لهم: إذا ارتفع علي من بئر النّصف إلى الرُّستاق أسرعوا الرجوع إلي، فإنَّني مقيم بالرَّسيل، فلمَّا أتوه، وأخبروه أنَّه ارتفع من بئر النّصف إلى الرُّستاق ركب هو وأصحابه نياقهم، فما هبطوا من ظهرها، إلَّا أمام حصن بركة.

فكان من محض حظّ سلطان أن خرج رجل من أصحاب الحصن، يريد أن يمضي إلى السّوق ليقضي بعض الوطر، فألقاه سلطان إلى صحبه، فقتلوه، ودخل هو باب الحصن قبل أصحابه، فأراد البوَّاب أن يدافعه فطعنه سلطان بخنجره، فقتله، فدخل صحبه خلفه، وكان عدد صحبه اثني عشر رجلاً، منهم خميس بن راشد الهناوي، ومصبّح بن غريب القريني، ومحمَّد بن حمد الوهيبي[1]، وسالم بن ثاني الجابري، فركض سلطان بهم على العسكر القابضين بروج الحصن، فطلبوا منه الأمان، فأمنهم، وأخرجهم من الحصن، واستولى عليه.

وبعث رسولاً إلى الجو، فأتاه منها مائة رجل، وبقيت قلعة الحصن بيد بني رواحة، فأرسل إليهم أن يخرجوا منها، فأبوا، فبعث إلى الشَّيخ ربيعة بن أحمد الرواحي، وكان مسكنه الجنينة من بركة.

فلمَّا أتاه قال له: ناصح جماعتك بني رواحة، [٣٧٧-أ] وقل لهم يخرجون من القلعة بأمان، ويحملون منها ما قدروا على حمله من آلة الحرب.

---

(١) محمد بن حمد الوهيبي: محارب، عاش في أواخر القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر الهجريين، كان أحد رجال السيّد سلطان بن أحمد في معاركه للاستيلاء على الحكم في عُمان، خرج مع السيّد وعشرة رجال آخرين للاستيلاء على حصن بركة، فانتزعوه من يد علي بن هلال. انظر: دليل أعلام عُمان، ص١٤٥. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٣٨٥.

فمضى إليهم، فأبوا، ثُمَّ أطاعوه، فنزلوا من القلعة، وحملوا ما قدروا على حمله من آلة الحرب، وأتاه الجبور، فأعانوه بالتَّمر والأرزّ، وواجهته الأعراب والحضر [٢٢٧-ب]، وسائر رعيَّة بركة من حدّ السَّيب[1] إلى البلة[2]، وبعث كتبه إلى رجال المعاول، وأهل نخل، وأهل سمايل النِّزارية خاصَّة، وذكر لهم في كتبه أن الميعاد بينه وبينهم بالقرم[3]، وأمرهم بسرعة السَّير، ومضى هو ومن معه يريد مسقط ومسيره بهم مسير وئيد، فلمَّا بلغ إلى القرم، التف معه خلق كثير من المعاول، وأهل نخل، وسمايل، ففسح لأعراب الباطنة الَّذين أتوه بغير أمره.

وأمَّا علي بن هلال، فإنَّه لمَّا وصل إلى الرُّستاق، وأخبر سعيد بن أحمد عمّا جاء به عن سلطان، فما استتم كلامه، إلَّا ورسول ورد من أهل المصنعة بكتاب إلى سعيد، فأشعره الرَّسول والكتاب، أن سلطان قد هجم على حصن بركة، فاستولى عليه، وأنه قد مضى برجال كثيرة يريد بلدة مسقط، فلام سعيد علي بن هلال على وفدته عليه، وتركه لحصن بركة، ثُمَّ قال:

امضِ من ساعتك هذه على طريق المصنعة، واركب منها سفينة إلى

---

(١) السِّيب: ثغر مسقط في الجانب الغربي، وثغر وادي سمائل والشرقية، كما هي ثغر الأودية الأخرى للقاصد إلى العاصمة مسقط. فهي محور هذه البلاد، وقطبها الذي تدور عليه، وقد اتخذها أئمة عُمان القدماء رباطاً مهماً وموقعه منها المعروف الآن بالخريس، وهي التي تسمى دما سابقاً، وقد أفنى الدهر على دما المذكورة، ورمى بها في الحضيض الأسفل وأبقاها بلا مسمى. والسيب من أبهج بلاد الباطنة، ومن أول الباطنة في الشرق. انظر: السيابي، سالم بن حمود بن شامس: العنوان عن تاريخ عُمان، ص٨٢-٨٤.

(٢) البلة: قرية من قرى سهل الباطنة في سلطنة عُمان.

(٣) القرم: قرية قرب مسقط، وهي اليوم حيّ من أحياء مدينة مسقط.

مسقط، وكن مساعداً لولدي أحمد فيها، وشُبّا نار الحرب على سلطان ومن يحاربكما، وإياكما والجبن، فإنَّه من سجايا اللئام، لا من سجايا الكرام، وأكثر عليه من نظائر هذا الكلام.

فامتثل عليٌّ أمره، ومضى إلى المصنعة، وركب منها سفينة إلى مسقط، فوصلها في اليوم الَّذي وصل سلطان فيه إلى القرم.

فكتب سلطان إلى تجَّار مسقط وأكابرها بالمكث فيها وبالأمان لهم منه على أنفسهم، وأموالهم.

وبعث مع جملة تلك الخطوط كتاباً إلى والدي محمَّد بن رزيق، ورسوله بالكتاب إلى أبي رجل من بني رواحة يسمَّى سعيد بن مصبّح، أبو مصبّح، وتميم، وفحوى خطابه في كتابه، إذا وصلك كتابي [٣٧٨-أ] هذا أخبر كافَّة أهل مسقط بالأمان منِّي على أنفسهم وأموالهم، فإنّي ما قدمت على مسقط لأنهب أموال الرَّعيَّة، ولكنَّ قدومي عليها لأمر لا يخفى عليكم، يعني لأخذ حصنها وسائر معاقلها.

فلمَّا قرأ أبي الكتاب، مضى به إلى أحمد ابن الإمام سعيد، وعلي بن هلال، فرآهما بارزين بالجزيرة، فأراهما الكتاب، ثُمَّ قال لهما: ما عندكما من الرَّأي؟

فقالا: إن سلطان لا يقدر أن يصل إلى مسقط، فدونها سيوف وتفاق ومدافع، ولسنا ممن يخاف توعده، فنحن إن شاء الله لنجالده بالسّيوف دون عقبة وادي الكبير جلاداً، يسمع به الدَّاني والنَّائي، وأكثروا من نظائر هذا الكلام.

فرجع عنهما أبي، ومضى إلى التّجار وأكابر مسقط، وأخبرهم عما كتبه سلطان إليهم من قبله، ما قاله أحمد وعلي.

فقالوا: كذلك قد وصلتنا كتبه بالأمان والاطمئنان، وفي غالب ظننا

أن سلطان ليدخل مسقط، ويبلغ منها مراده، وأن أحمد وعلي لا يمنعانه عنها، إذ لا نرى معهما كثرة عساكر، فكلام أحمد وعلي هراء، لا تحته ولا فوقه فائدة.

وكان جواب أكابر مسقط مثل جوابهم.

فلمَّا كان ليل ذلك النَّهار، اجتمع أكابر مسقط عند أبي، فأشار أبي إليهم أنْ يرفعوا أصواتهم ويصيحوا، القوم، القوم، صيحةً على حدة، ليعلم الحقيقة من أحمد وعلي بن هلال، وقال لهم: إن خرجا بمن معهما من العسكر مع الصَّيحة، فاعلموا أنهم ليجالدونه، وإن مكثا في السّور بمن معهما، ولم يكن منهما إلَّا ضرب التّفق من السّور على الحلل الخارجة منه، فاعلموا أنَّه لا قدرة لهما ومن معهما على الخروج.

فلمَّا فعلوا ما أمرهم به أبي، تراسل منهم ضرب التّفق من السّور على الحلل الخارجة عنه، فأيقنت الرَّعيَّة حينئذٍ بجبنهما، فما مضت بعد تلك السَّاعة إلَّا بقدر ساعة، إلَّا وسلطان ومن معه من القوم مقبلون من الوادي وسيوفهم مسلولة وسلطان يمشي أمامهم. وشعارهم هذه الآية الشريفة: [٣٧٩-أ] ﴿جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا﴾[1].

فلمَّا كانوا بنواحي بيت أبي، خرج أبي إلى سلطان [٢٢٨-ب]، فصافحه، وسلَّم عليه، وأخبره أنَّه قرأ كتابه، كما أمر على التّجار وأكابر مسقط، فقرَّت عيونهم بأمانه، وأثلجت صدورهم باحتفاله بهم، فسرّ سلطان ذلك.

ثُمَّ قال سلطان لأبي: أما أحد من أهل مسقط ادَّخر تمراً، فيبايعنا ما

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨١.

يسدّ مخمصة القوم، فإنَّه قد أضرَّ بهم الجوع، فأخرج أبي لهم خمسين جراباً من التَّمر.

فلمَّا أكلوا، واستراحوا قليلاً، أمر سلطان عليهم بالركضة على باب الكبير[١]، فلمَّا ركضوا عليه، جعل أصحاب أحمد يضربونهم بالتّفق من السّور، فانكسروا عنهم، وقتل منهم ستة رجال، ثُمَّ ركضوا عليهم ثانية، فانكسروا، ثُمَّ قتل منهم ثلاثة رجال.

فلمَّا لاح الفجر الصَّادق، أتى علي بن عبدالله شيخ بني وهيب إلى سلطان، وكان هو القابض يومئذٍ بالباب الصَّغير من قبل أحمد بن الإمام سعيد بن الإمام أحمد، فقال لسلطان بعدما سلم عليه: لمَ لمْ تأتِ أنت ومن معك من القوم إلى الباب الصَّغير، فأدخلكم منه.

فمضى معه سلطان ومن معه من القوم، فسلك بهم عقبة ميابين، وانحدر بهم من أسفل عقبة سداب، وسلك بهم الطَّريق المفضي إلى الباب الصَّغير.

فلمَّا بلغوا إلى الباب، أمر علي بن عبدالله شيخ بني وهيب المذكور أصحابه أن يفتحوا الباب، ففتحوه، ولمَّا دخل سلطان ومن معه من القوم، شتم سلطان علي بن عبدالله، وقال له: قبّحك الله يا خائن، أغرب عني، فما أنا بتاركك في الباب.

فلمَّا طرده وطرد أصحابه معه، أجلس بالباب مكانه سرحان بن سليمان الجابري، ومع سرحان من جماعته بني جابر مائة رجل.

ومضى سلطان ببقيَّة القوم، فركض بهم على الجزيرة [٣٨٠-أ] فدخلها من الباب الصَّغير الشَّرقي منها، وهو الباب المقابل دكان محمَّد

(١) باب الكبير: اسم أحد أبواب مسقط.

ابن حبيب الرمحي الصايغ، وقد كان عبد الغفور الصايغ مولى الحرث، فهزم من فيها، وجعل أصحابه يضربون أهل الحصن الغربي بالتّفق، والحصن الغربي يضربهم بالمدافع والتّفق.

وركض محمَّد بن خلفان بن محمَّد بمن معه على أهل عقبة كلّبوة، وريام فهزمهم منهما، وكانوا هم من جملة عسكر أحمد وعلي بن هلال.

وأجلس محمَّد بن خلفان أصحابه مكانهم، وكان محمَّد بن خلفان يومئذٍ من أصحاب سلطان بن الإمام، فتحصن أحمد بن سعيد بالحصن الشَّرقي، وتحصَّن علي بن هلال بالحصن الغربي، وقبض سلطان سائر معاقل مسقط، فواجهته[1] التّجار وأكابر مسقط في الجزيرة.

ومضى أبي إلى سداب[2]، فاشترى بأمر سلطان للعسكر ألف جراب تمراً، وجلس بالفرضة بأمر سلطان يقضي العسكر التَّمر والأرزّ والبارود والرَّصاص. وانهزم أكثر أهل مسقط إلى يتي، وقريات خوفاً من رصاص المدافع من الحصنين.

وخلصت المراكب والصِّيرتان لسلطان، وكان محمَّد بن خلفان يومئذٍ عضداً وكفًّا لسلطان، فأعانه بالمال ومن معه من الرِّجال.

وكتب سلطان إلى أخيه قيس بن الإمام أحمد، إني قد دخلت مسقط لأخلصها لك، فإذا أتاك كتابي، امضٍ بمن معك من القوم وعسكر بهم في القاسم، وأشغل أخي وأخاك سعيداً عن الوثبة لمسقط.

فلمَّا بلغه الكتاب، حشد قيس أقواماً كثيرة، فمضى بهم إلى القاسم، فعسكر بهم هناك.

---

(١) فواجهته: يُقصد بذلك قابلته التجار واستقبلوه.

(٢) سداب: قرية على ساحل خليج عُمان، قرب مسقط.

وكتب قيس إلى أخيه سعيد، أن سلطان ما دخل مسقط إلَّا بأمري، فكن أنت مكانك بالرُّستاق [٣٨١-أ]، وذر سلطان وولدك أحمد في شأنهما، فإنك إذا مضيت إلى مسقط، فسأمضي أنا إلى الرُّستاق، ومن أنذر أعذر، والسَّلام.

فلمَّا بلغ كتابه إلى أخيه سعيد، تماسك بالرُّستاق، ومكث معسكراً بالقاسم، وركض محمَّد بن سليمان العدوي على بيت أولاد بيمة، لينهب ما فيه من المال، وكان هو القابض الحصن الشَّرقي من قبل سعيد بن الإمام، وولده أحمد بن سعيد.

فلمَّا بلغ الصَّريخ إلى سلطان، وهو يومئذٍ بالجزيرة وثب سريعاً ببعض قومه على محمَّد بن سليمان العدوي، وصحبه، فلمَّا رأوه مقبلاً عليهم [٢٢٩-ب] هربوا، وهرب معهم محمَّد بن سليمان، فما ظفر سلطان من صحب محمَّد بن سليمان إلَّا برجلين، فقتلا.

وجعل سلطان يتبع محمَّد بن سليمان وصحبه، حتَّى لاذوا بالحصن الشَّرقي، وقد طعن محمَّد بن سليمان مع انهزامه مسعود بن محمَّد بن سعيد بن عبيدان برمح في أنفه، وأخرج سنانه من عنقه، وضرب من أصحاب سلطان رجلاً ظاهري النَّسب برصاصة تفق من الحصن الشَّرقي في فخذه، فخرجت من الجانب الثَّاني، فمات ذلك الظَّاهري في ليلة ذلك اليوم.

وأما مسعود بن عبيدان، فشفاه الله تعالى، فعاش بعدما مات سلطان زمناً طويلاً.

ثُمَّ وقع الصّلح بين سلطان وأخيه سعيد على أن الحصن الشَّرقي لسعيد بن الإمام، والحصن الغربي يقبضه محمَّد بن خلفان بن محمَّد الوكيل بينهما، فإن نقض أحدهما الصّلح ليقبضه الثَّاني منهما، الَّذي لم

ينقضه، ولقيس بن الإمام حصن المطرح وسائر بروجها ومحصولها، ومحصول مسقط بيد سلطان ليصرفه على العسكر، وعلى ما يحتاج إليه الحصن الشَّرقي من الآلة [٣٨٢-أ] وعلى ما تحتاج المراكب إليه، وأن يكون الوالي على مسقط محمَّد ابن خلفان، ومقام سلطان بالجزيرة إذا كان مقيماً بمسقط، فتمّ الصّلح بينهم على ذلك، ومضى على ذلك الصّلح بعض الزَّمان.

فخرج أحمد بن الإمام سعيد من الحصن الشرقي وقبضه محمد بن عبدالله الشقصي بأمر سعيد بن الإمام، وخرج علي بن هلال، من الحصن الغربي، فقبضه محمَّد بن خلفان، وقبض قيس حصن مطرح، فترك فيه الحدَّان، فلمَّا استقرت النَّاس واطمأنت، وهدأت الفتن، أقبل سلطان من بركة إلى مسقط كعاداته الأولى، فلمَّا واجهه محمَّد بن عبدالله الشَّقصي القابض على الحصن الشَّرقي من قبل الإمام سعيد بن أحمد، وأراد الانصراف إلى الحصن الشَّرقي قال له سلطان: إذا أردت حياتك سلمّ الحصن لي، وأظهر عليه الغضب، فقال له: دعني أمضي إليه لأخرج أصحابي منه، فقال له سلطان: هيهات هيهات.

ثُمَّ أمر سلطان به أن يكتف، فكتف، وقال له: سلطان امضِ معي، فمضى معه، فلمَّا بلغوا إلى بيت الشَّيخ محمَّد بن غلوم، أوقفه أصحاب سلطان بأمر سلطان، فجعل ينادي أصحابه بالخروج من الحصن، فخرجوا، منه فقبضه سلطان، وترك فيه موالي الجبور، والأمير عليهم محيسن بن سعيد الزهيبي مولى الجبور.

وكتب سلطان إلى قيس: إني قد أخذت الحصن الشَّرقي من مسقط لك، فاكفف أخي وأخاك سعيداً، إذا أراد أن يبسط كفَّه إلى مسقط.

ففرح قيس بذلك.

وبقي محمَّد بن خلفان في ظاهر الأمر أنَّه والٍ لسلطان، وفي الباطن غير ذلك، وكلاهما يحاول ما بيد صاحبه ليصير إليه.

فجعل محمَّد يبني الحصن الغربي، ويضاعف له المدافع، ويزيده من البارود [٣٨٣-أ]، والرَّصاص، وآلة الحرب.

وبعث إلى خصيف بن مطر الهنائي، فأتاه بمائة رجل من بني عمّه بني هناءة، فخلع عليه وعلى أصحابه، وأحسن إليهم، وأقامهم بالحصن الغربي، وجعل الأمير عليهم خصيف بن مطر المذكور.

واشترى محمَّد بن خلفان من العبيد الزنوج والنوبان جملة، فألبسهم الثِّياب الفاخرة، وأعطاهم السّيوف والخناجر الثَّمنية.

فاستراب سلطان منه، ولم يظهر له وحشة، وأسرّ ما رآه في نفسه، ولم يبده لأحد، فمضى سلطان ذات يوم من مسقط إلى بركة، فأقام أيَّاماً قلائل، ومعه من رجال آل وهيبة مائة أعرابي، أميرهم محمَّد بن حمد الوهيبي، فلمَّا أراد أن يمضي إلى مسقط ركب سفينة إليها، ومعه آل وهيبة المذكورون، وبدر بن أخيه سيف بن الإمام.

فلمَّا وصلها دخل الحصن الشَّرقي من الباب الشَّرقي المشرف على بحر مغبّ[1]، وتكلّم بعض النَّاس [٢٣٠-ب] على أن به داء الجدري، ونما الكلام بذلك في البلاد.

فلمَّا سمع محمَّد بن خلفان أن سلطان بالحصن الشَّرقي وبه جدري، مضى محمَّد ومعه أبوه خلفان، وعلي بن خلفان يريدون أن يعودوا سلطان.

فلمَّا كانوا حذاء الجزيرة، بادرهم ماجد بن خلفان بن محمَّد، فأخذ بيد أخيه محمَّد بن خلفان، فناصحه ناحية عن المسير إلى سلطان، وقال

---

(١) بحر مغبّ: يطلق على جزء من البحر، مقابل شاطئ مسقط.

له: أطعني يا محمَّد، فما بسلطان جدري، ولا سائر الأسقام، كما تكلّم النَّاس، وإنَّما هي حيلة وغيلة، صنعها ليأخذ الحصن منك، وقد علمت بصنيعه بالشَّقصي، ومنذ ليالٍ قريبة العهد سرى من بركة إلى مسقط، وهو ومحمَّد بن خلفان المحل، فَكَمَنَا قبل الفجر في عتبة باب الحصن الغربي، فلمَّا أحسّ بهم الحارس، رماهما بصخرة عظيمة [٣٨٤-أ]، فلم تصبهما، فرجعا إلى بركة، وقد أخبرك حارس الحصن بذلك، فلم يصغِ محمَّد له.

فلمَّا دخلوا الحصن الشَّرقي، وجدوا سلطان بارزاً بمن معه من القوم البدو، والحضر، والعبيد، وهو صحيح الجسم، ما به علَّة، فأوجس منه محمَّد خيفة.

فلمَّا أرادوا الخروج، قال لهم سلطان: أما أنت أيها الوالد خلفان فمرخَّص في الخروج، وأما ولداك محمَّد، وعلي فلا رخصة لهما.

فقال له محمَّد بن خلفان: وما تريد بذلك؟

فقال: الحصن الغربي.

ثُمَّ أشار سلطان إلى محمَّد بن خلفان المحل، بقبض محمَّد بن خلفان، فقبضه، ومضى به على المحبس الَّذي في الحصن.

فهبط خلفان بن محمَّد مذعوراً، وهو يقول لمن يصادفه في الطَّريق جهراً قُبض محمَّد، قبض محمَّد، مرتين، وبقي علي بن خلفان طلقاً غير محبوس.

ثُمَّ طابت نفس سلطان عليه، ففسح له، فهبط من الحصن، ومضى إلى بيته.

ولمَّا سمع ماجد بن خلفان بحبس أخيه محمَّد، ركض هو وخصيف ابن مطر الهنائي على سوق مسقط، فحملوا بعض ما فيه من السَّمن، والخَّل، وحب البرّ إلى الحصن، ونشروا علم الحرب، فتزلزلت حينئذٍ

مسقط بالخوف، وأغلق التّجار أبواب بيوتهم، وأبواب دكاكينهم، ووضعوا عليها الأقفال، وبلغت القلوب الحناجر بالذّعر والخوف.

وبعث سلطان إلى أبي محمَّد بن رزيق رسولاً، فلمَّا أتاه أمره أن يأمر الأساتيد[1] البنائين أن يهدموا كلّ ما بناه محمَّد بن خلفان بمسقط، وترك فيه آلة الحرب، وغيرها، يعني البيوت الَّتي تسمى باللغة الاصطلاحية البخاخير، وأمره أن يأمر على أهل المراكب أن يضربوا الحصن الغربي بالمدافع حتَّى يهدموه، وهو مع ذلك قد غلب عليه الغضب على محمَّد بن خلفان.

فهبط أبي وجعل على بخاخير محمَّد بن خلفان [٣٨٥-أ] الأقفال المحكمة، ثُمَّ رجع والدي إلى سلطان، فقال له: يا مولانا، أحلم، فإنك سيد كريم حليم، إني التمست كي أرى لمحمَّد بن خلفان بيوتاً أو بخاخير في دفاتر السَّلطنة، فما وجدت له شيئاً، فإن البيوت، والبخاخير الَّتي حواها كلّها بيت مال، وبيت المال الآن أنت أولى به، فما هو إلَّا والٍ من ولاتك، وما ملكت يداه فهو لك كافَّة، أتريدني أن أخرّب بيوتك، فتكون كمن حكى الله عنهم في كتابه العزيز: ﴿...يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ﴾[2].

وأما حرب المراكب للحصن فهو شيء لا فائدة فيه، إذا الحصن أعلى والمراكب أسفل منه، فإذا رميته بالمدافع لم تعمل فيه شيء، وإذا رماها بمدافعه جعلها قطعاً.

فاستحسن سلطان كلامه، وقال له: صحيح ما قلت.

---

(١) الأساتيد: عمال البناء، باللغة الدارجة في سلطنة عُمان.

(٢) سورة الحشر، الآية: ٢.

فقال أبي: هذه مفاتيح البخاخير الَّتي زعمت أنها لمحمَّد بن خلفان.

فقال: دعها معك، وأنت مرخص إذا أردت الهبوط من الحصن، فقال له: دعني أدخل على محمَّد في محبسه، فأناصحه في تخليص الحصن لك، فعسى أن يمكن منه ذلك، فأجاب سلطان والدي إلى ذلك.

وكان أبي قد حمل دواة له، فلمَّا أراد أن يدخل عليه، قال سلطان: يا محمَّد، ناصح محمَّداً قبل اللَّتيا [٢٣١-ب] والَّتي، فلمَّا دخل عليه أبي رآه في الحبس طلقاً لا مقيّداً، فجعل يناصحه في تخليص الحصن لسلطان، فلمَّا أكثر عليه أبي النَّصيحة، قال: ذره يصنع بي ما شاء، فقال له أبي: لا فائدة لك في مثل هذا الكلام، فإنَّ إخراجك من الحبس بغير تسليم الحصن محال، فأجابه إلى ذلك.

فكتب محمَّد بن خلفان إلى خصيف بن مطر الهنائي بتخليص الحصن لسلطان، فلمَّا مضى أبي إليه أعطاه الكتاب، وناصحه في الخروج من الحصن، فأبى، وقال: إن الحصون لا تخلّص بمداد وقرطاس.

فلمَّا رأى أبي منه العتوَّ والإباء، خرج من عنده إلى خلفان بن محمَّد، وأخبره الخبر كلّه، فمضى خلفان إلى الحصن، وأخرج [٣٨٦-أ] منه ولده ماجداً، وأغلظ على خصيف بن مطر الكلام، وخصيف يقول: إذا أراد حصنه فليأتيني بنفسه، وقبل أن يأتني بنفسه، فخروجي من الحصن متعذّر.

فخرج خلفان بن محمَّد، وطال المقام في هذا المجال بين سلطان وخصيف، ثُمَّ اتفق الصّلح على يد الشَّيخ ماجد بن سعيد البرواني[1] على أن يأخذ خصيف بن مطر ما يريد من آلة الحرب والتَّمر والأرزّ.

---

(١) ماجد بن سعيد البرواني الحارثي: شيخ عاش في أواخر القرن الثاني عشر وأوائل =

فخرج خصيف بعدما أخذ منه ما أراد، فقبض سلطان الحصن الغربي، وفسح لمحمَّد بن خلفان من الحبس، فمضى محمَّد بن خلفان إلى بيت الفلج، ومكث فيه، وترك فيه خصيف بن مطر ومعه خمسون رجلاً من جماعته بني هناءة.

وولّي سلطان على مسقط خلفان بن ناصر البوسعيدي، وأمر عليه ليلة اليوم الَّذي ولاه فيه، وخلص له فيه الحصن الغربي، بحرب حصن المطرح، وكان يومئذٍ في حكم أخيه قيس بن الإمام، كما ذكرنا، فمضى إليه خلفان بن ناصر، وأرصد عليه الكوامر من حدّ سور اللَّواتيا[1] إلى سوق الحلوى، وجعل في الضيت الَّذي هو خلف المطرح مقابل الحصن كميناً وأرصاداً ومدافع.

فما انتصف اللَّيل، إلَّا وأصوات المدافع كالرعود، وكان قيس قد جعل في حصن المطرح من قبله الحدَّان، فما برح ضرب المدافع على الحصن متواتراً ليلاً ونهاراً.

ثُمَّ خرج الحدَّان بعد اثني عشر يوماً، فقبضه سلطان، ثُمَّ أمر سلطان خلفان بن ناصر بحرب بيت الفلج، فأوقع عليه الكوامر والأرصاد، وجعل يضربه بالمدافع، فلم تعمل فيه شيئاً، فتارةً يرتفع عنه رصاصها، وطوراً ينخفض.

ثُمَّ اتفق الصّلح بعد ذلك أن يدفع محمَّد بن خلفان لسلطان ما

= القرن الثالث عشر الهجريين، أحد قادة الإمام أحمد بن سعيد، أرسله الإمام في إحدى حملاته ضدَّ الفرس، كان صاحب رأي سديد، شاوره سلطان بن أحمد البوسعيدي بعد مقتل أصحابه في حربه مع الوهابيين. انظر: دليل أعلام عُمان، ص١٤١. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٣٦٠.

(١) سور اللواتيا: محلّة اللواتيا بمطرح، وهي الآن حيّ من أحياء مدينة مسقط.

على بروج البيت وسوره من المدافع، فرضي محمَّد بذلك، فسحبت المدافع الَّتي على بروجه والسّور إلى المطرح، وانطفأت ثائرة الحرب بينهما.

ثُمَّ إنَّ سلطان أمر على خلفان بن ناصر ببنيان قلعة على شفير طوي [٣٨٧-أ] الزّاوية على رأس الجبل النعشي المقابل للزّاوية برجاً مربعاً، وعلى رأس الجبل الَّذي هو على بيت أبي محمَّد بن رزيق برجاً غير مربع، فكمل بنيان الثَّلاثة المعاقل في ستة أشهر.

ثُمَّ جعل محمَّد بن خلفان يكاتب قيس ابن الإمام على حرب سلطان، وكتب إليه في بعض كتبه الَّتي يدعوه فيها لحرب أخيهما سلطان بيت شعر نظمه، فقال:

شمّر أخي واجمعْ جيوشاً للعدا   حاشاكَ سكن الذُّلِّ أن ترضى بهِ

فتعاهد محمَّد بن خلفان، وقيس، وسعيد على حرب سلطان، فجمع قيس من الظَّاهرة والباطنة خلقاً كثيراً، وفيهم قوم يسمون العفار، يأكلّون الجيف كما يأكلّ غيرهم التَّمر، فسمعت غير واحد، أن القوم الَّذين جمعهم قيس بن الإمام ستون ألفاً، وانضاف سعيد بن الإمام إليه بمن معه من العسكر.

فلمَّا سمع سلطان بجمعهما، بعث كتبه إلى أهل عُمان الشَّرقية، وبدية، وجعلان، وسائر البلدان، أن يأتوه بحامل السلاح، فلم يصل إليه منهم أحد، إلَّا الشَّيخ ماجد بن سعيد البرّواني، ومعه من الحرث مائة رجل، فعظم الأمر على [٢٣٢-ب] سلطان.

فلمَّا سار قيس وسعيد بقومهما أقاما بهم في القرم، وأمر سلطان أن

تنصب مشاعل النَّار، [إذا جنّ الليل في رؤوس الجبال][١] من أول جبال روي إلى آخر جبال دار سيت، ففعل كما أمر.

فظن قوم قيس وسعيد أن مع سلطان جيشاً كثيراً، وهو لم يكن معه من القوم إلَّا كما ذكرنا، الَّذين هم أصحاب ماجد بن سعيد البرواني، وبعض النَّاس، وما عند المشاعل الَّتي ذكرناها إلَّا من يضع عليها السَّليط والقطن والخرق.

ثُمَّ بعث سلطان إلى أخيه قيس كتاباً يقول فيه، إذا وصلك كتابي امضِ بمن معك من القوم إلى بلدة بدبد، وأقم بها حتَّى آتيك لأخلص لك حصن بدبد، وسمايل، وذر حرب مسقط.

فلمَّا وصله الكتاب وقرأه، استبرَّ من سلطان القول، فارتفع بالقوم إلى بدبد، ومضى سلطان على طريق وادي حطاط إلى سمايل، فلمَّا وصلها أمر على [٣٨٨-أ] أهل وادي سمايل أن يشبوا نار الحرب على قيس وسعيد، ومن معهما من القوم، فأجابوه إلى ذلك.

وجعل حصن بدبد يضرب قوم قيس، وسعيد برصاص المدافع، وقد نفد الزَّاد على قوم قيس، وسعيد، وأيقن قيس وسعيد أنَّه لا حاصل لهما من سلطان شيء، فانحدرا بقومهما على بدبد، ومضى قيس إلى صحار، ومضى سعيد إلى الرُّستاق، فسكتت الحرب، وبقيت الإحن في الصدور.

فواجهت أهل عُمان والشَّرقية، وبدية، وجعلان، وسائر البلدان سلطان، وصفا له الزَّمان.

ومضى ذات مرة إلى نزوى، فأمر على سويلم بن سالمين ومحمَّد بن عيسى النَّيِّري الهنائي بقبض خصيف بن مطر الهنائي، وأن يكمنوا له

---

(١) سقطت من النسخة (ب).

بالمطرح، إذا نزل من الفلج إليها لبعض أوطاره. وأن يقبضوه ويقيِّدوه ويحبسوه في الحصن الغربي من مسقط، ويقطعوا عنه الماء والطَّعام حتَّى يموت، وأن يضعوه إذا مات في قارب، ثُمَّ يقذفوه في البحر المبتعدَّة مسافة عن الصِّيرتين.

وكان بين محمَّد بن عيسى النَّيِّري وخصيف بن مطر، مقت ومنافرة، فهبط خصيف من الفلج إلى المطرح، لمَّا سمع بمسير سلطان إلى عُمان، ليقضي بعض وطره، وليس معه إلَّا اثنا عشر رجلاً من جماعته بني هناءة، وخرج سويلم، ومحمَّد بن عيسى النَّيِّري، ومن معهما من الرِّجال الكامنين، فقبضوا خصيفاً، وانهزم أصحابه عنه، فقيَّدوه وأتوا به إلى مسقط، فأودعوه في طامورة الحصن الغربي، وقطعوا عنه الماء والطَّعام، فلمَّا مات، فعلوا به كما أمرهم به سلطان.

فلمَّا رجع سلطان إلى مسقط، أخبروه الخبر كلّه على التفصيل، فسرّه ذلك، ومضى سلطان إلى السّويق[1]، ففتحهما، وكانت يومئذٍ بيد أخيه سعيد بن أحمد، وفتح المصنعة منه أيضاً، ثُمَّ اصطلح هو ومحمَّد بن خلفان.

[٣٨٩-أ] وغزا سلطان شهباز مكران، ففتحها، ثُمَّ فتح القشم[2] بعدهما، فاستخلصها، فقويت شوكته، ثُمَّ غزا القشم وهرموز، فاستحلهما

---

(١) السّويق: السويق هي البلد الطيب الذي يخرج نباته بإذن ربه، مجمع آل سعد ومحط رجالهم، قلب الباطنة وكاهلها بالنسبة إلى داخلية عُمان، يشير إلى الزعامات العُمانية شرقاً وغرباً، ويتلقى وعيها داخلياً وساحلياً. انظر: السيابي، سالم بن حمود بن شامس: العنوان عن تاريخ عُمان، ص١٣٣.

(٢) القشم: اسم جزيرة في الخليج العربي.

من بعد ما اصطلح هو وبنو معين أهل القشم، وكانت البندر[١]، وهرموز[٢] للملا حسن المعيني، فقويت شوكة سلطان وزادت هيبته.

ثُمَّ غزا جزيرة البحرين، ففتحها، وولى عليها سيف بن علي بن محمَّد البوسعيدي[٣]، ثُمَّ عزله وولى عليها ولده سالم بن سلطان[٤]، وكان سالم يومئذٍ صغير السّن، فجعل معه الشَّيخ محمَّد بن خلف الشيعي بالبحرين، وأمره ونهيه عليهم، على مابين العتوب والشّيعة من العداوة والمنافرة، فنبذ العتوب العهد، ونقضوا الميثاق الَّذي سبق بينهم وبين سلطان، فاحتشدوا على سالم لمَّا علموا أنَّه لم يكن معه إلا بعض القوم، ومقامه يومئذٍ بقلعة عراد، فضيقوا عليه وعلى أصحابه الحصر.

---

(١) البندر: أي مدينة بندر عباس.

(٢) هرموز: أي جزيرة هرمز التي تقع في مدخل الخليج العربي.

(٣) سيف بن علي بن محمد البوسعيدي: والٍ، عاش في أواخر القرن الثاني عشر ومطلع القرن الثالث عشر الهجريين، عندما زحف سلطان بن الإمام أحمد على البحرين، واحتلها دون قتال، عينه ولياً عليها، ثم عزله، وولى عليها ابنه الأمير سالم بن سلطان. انظر: دليل أعلام عُمان، ص٨٦. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان ابن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٢٣٠.

(٤) سالم بن سلطان بن أحمد البوسعيدي: والٍ، ولّاه أبوه على البحرين، فاجتمع عليه أهلها، وأُعيد إلى مسقط، ولمّا مات أبوه تولى بدر بن سيف الوصاية عليه هو وأخوه سعيد، فولّاه بدر على بلدة المصنعة ليباعد بينه وبين أخيه، ولمّا طمع بدر في الانفراد بالحكم، دبّر له سالم وسعيد مؤامرة وقتلاه، واستوليا معاً على الحكم، وبعد ذلك أصبح السيد سعيد هو الحاكم الفعلي لعُمان، كان سالم آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، محافظاً على صلاته، محباً لأهل الورع والزهد محتفلاً بأهل النثر والنظم. توفي مصاباً بالشلل في مسقط، ودفن بالحضيرة التي بناها والده، ورثاه الشعراء بعدَّة قصائد. انظر: دليل أعلام عُمان، ص٧٦. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص١٦٧.

ثُمَّ وقع بينهم الصّلح على خروج [٢٣٣-ب] الشّيعي ومن معه من البحرين على ما بأيديهم من سلاح وغيره، فرجع سالم، ومحمَّد بن خلف الشيعي، وسويلم، وسائر رجالهم إلى مسقط، وصارت البحرين في يد العتوب كما كانت، فهجمت العتوب على البحارنة لمَّا رجع سالم وأصحابه إلى مسقط، وقتلوا من البحارنة خلقاً كثيراً، وحازوا أموالهم، فتفرق جمعهم في البلدان النَّائية، وعذَّبوا من بقي منهم بالبحرين عذاباً شديداً، ووضعوا عليهم النّكال والضَّرب، وفعلوا بهم غير الجائز من هتك الحرم.

ودلف بنو نعيم إلى صحار، فعسكروا بالعوهي، وقتلوا منها خلقاً كثيراً، فكتب قيس إلى أخيه سلطان بالنَّجدة وسرعة الوثبة، فحشد سلطان من عُمان، والشَّرقية، وبديَّة، وجعلان، وسائر البلدان المعزوة إلى عُمان، فاجتمع معه خلق كثير، وانضاف إليه أخوه سعيد بن الإمام، وسيف ابن علي بن محمَّد، وغيرهما.

فلمَّا وصل بجمعه إلى صحار، جعل قيس يكاتب بني نعيم بالرجوع إلى [٣٩٠-أ] منازلهم بشيء من المال، فأبوا، وكان قيس قد جمع خلقاً كثيراً، وفيهم رجال من الظَّواهر وحلفاؤهم خمسمائة رجل، ورجال من أهل ينقل، والسَّليف.

فتعاهد قيس، وسلطان على الرَّكضة بمن معهما من القوم على بني نعيم، فجعلا على الخيل سيف بن علي بن محمَّد أميراً، ومضيا بجيشهما على بني نعيم، وقد انضاف إلى بني نعيم، بنو قتب، ومن بني ياس أهل دبي أميرهم هزَّاع، فوقعت بينهم ملحمة شديدة بالدباغ، فكانت الدائرة على بني نعيم، فقتل منهم على أصحّ الأخبار ثلاثمائة رجل، وقتل من قوم السّادة مائة رجل، فلمَّا بلغ هزيمهم بني نعيم إلى وادي الجزي، مكثوا فيه

يرتقبون الظَّواهر الَّذين قاتلوهم مع عساكر السَّادة أولاد الإمام، وظنَّ الظَّواهر ألَّا أحد سلم من بني نعيم في تلك المعركة.

فلمَّا ارتفعوا من صحار يريدون الجو، وبلغوا وادي الجزي، ركض عليهم بنو نعيم الكامنون بالجزي، فاقتتلوا، فكانت الدائرة على الظواهر، وكان عدد من قتل منهم ومن أحلافهم ثلاثمائة رجل.

فلمَّا رجع بنو نعيم إلى منازلهم وقعت الحرب بينهم وبين الظَّواهر زماناً، ثُمَّ اصطلحوا.

وأغارت آل وهيبة على بني نعيم، فبلغت غارتهم إلى قابل بني نعيم، فقتلوا منهم عدَّة رجال، وأغار سلطان على دبا على طريق البحر، فقتل منها جملة من النقبيّن والشَّرقيّن.

وأفسدت الدُّروع[١] السُّبل، سنة الأربع عشر والمائتين والألف، فغزاهم سلطان في صلح، فقتل منهم عدَّة رجال، ثُمَّ دخلوا بعد ذلك في طاعته.

وشرع سلطان في بنيان حصن الفلج، فلمَّا أتمَّه، أسكن فيه بعض حرمه، وكان أكثر إقامته فيه، وولَّى على مسقط بعد موت خلفان بن ناصر البوسعيدي سيف بن مسعود البوسعيدي[٢]، ثُمَّ عزله، فأشخصه إلى بهلا،

---

(١) الدروع: قبيلة عدنانية، يتصل نسبها إلى ذياب بن مالك بن بهتة بن سليم بن منصور ابن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. والمفرد: الدرعي. انظر: الخروصي، سليمان بن خلف بن محمد: ملامح من التاريخ العُماني، ص٢٧٧-٢٧٨.

(٢) سيف بن حمود البوسعيدي: والٍ، عاش في أواخر القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر الهجريين، كان والياً على مسقط من قبل السيد سلطان بن الإمام أحمد ابن سعيد البوسعيدي، ثم عزله عنها، وولّاه بهلا. انظر: دليل أعلام عُمان، ص٨٧.

وولّاه إياها، وولى على مسقط سليمان بن سيف بن سعيد الزاملي المعولي، ثُمَّ عزله، وولَّى بعده ماجد بن خلفان بن محمَّد الوكيل البوسعيدي، ثُمَّ عزله، وبعثه إلى صور والياً عليها وعلى جعلان والشَّرقية، وولَّى على مسقط [٣٩١-أ] سيف بن محمَّد، ثُمَّ عزله، وجعل مكانه خصيف بن خميس بن حمودة الوهيبي، ثُمَّ عزله، وجعل مكانه خلوف، مولى بني هناءة، ثُمَّ عزله، وأقام مقامه سيف بن حنظل البوسعيدي[١]، ثُمَّ عزله، وأقام مكانه سيف بن محمَّد البوسعيدي.

ووصل كتاب من عبد العزيز الوهّابي[٢] يدعو فيه حكام عُمان ورعيتهم إلى طاعته، وفي أول هذا الكتاب مكتوب:

---

(١) سيف بن حنظل البوسعيدي: والٍ عاش في أواخر القرن الثاني عشر ومطلع الثالث عشر الهجريين، ولّاه السيد سلطان بن الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي على مسقط بعد موت واليها خلفان بن ناصر البوسعيدي، ثم عزله، ثم ولاه بهلا، ثم ولاه مسقط مرّة أخرى، وقد جعله السيد سلطان وصياً على أولاده بعد وفاته، كان والياً على بركة زمن السيد سعيد بن سلطان، كان له صلح بين قبيلتين سنة ١٢٣٦هـ، وهو الذي نسخ له محمد بن ناصر كتاب الأزرق في الطب الشعبي سنة ١٢١٨هـ. انظر: دليل أعلام عُمان، ص٨٥. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٢٢٤.

(٢) عبد العزيز الوهابي (١١٣٢-١٢١٨هـ/ ١٧٢٠-١٨٠٣م): عبد العزيز بن محمد بن سعود، من أمراء آل مسعود ودولتهم الأولى. كانت عاصمته «الدرعية» بنجد، ولي بعد وفاة أبيه سنة ١١٧٩هـ، واتسع نطاق الدولة في أيامه، فسحق خصمه ابن دواس سنة ١١٨٧هـ، وسيطر على القصيم، وبعث السرايا إلى الجوف، واستولى على وادي السرحان، ووصلت غزواته إلى عسير غرباً، وعُمان جنوباً، وامتدّ ملكه من شواطئ الفرات ووادي السرحان، إلى رأس الخيمة وعُمان، ومن الخليج العربي إلى أطراف الحجاز وعسير، واغتاله رجل من شيعة العمادية في جامع الدرعية انتقاماً لما فعله رجاله بكربلاء لدى سيطرتهم عليها. انظر: الزركلي، خيرالدين: الأعلام، ج٤، ص٢٧.

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب كشف الشّبهات تأليف محمَّد بن عبد الوهاب، أجزل الله له الثواب، وأدخله الجنة بلا حساب»، انتهى.

وفي هذا الكتاب كلام ملفّق غير مطابق للحقّ، فلم يعبأ أحد به.

وبعث عبد العزيز إلى عُمان عبداً نوبياً من عبيده [٢٣٤-ب]، يسمَّى الحريق، ومعه فيما زعم كثير من النَّاس، سبعمائة فارس، فظل يحارب بني ياس زماناً، ثُمَّ أطاعوه، وطفق يحارب بني نعيم، وقتب، ومعه بنو ياس زماناً طويلاً، ثُمَّ أطاعوه، وأطاعته الظَّواهر والشَّوامس، وسائر أهل الظَّاهرة، الأعراب، والحضر، فأقام بتوام الجو، وأخذ من زكواتهم، وما شاء من أموالهم، وجعل يغازي الباطنة.

وحالفت العتوب[1] عبد العزيز النَّجدي، ودخلوا في مذهب الوهّابيّة، وخوَّفوا البحر، وجعلوا يأخذون كلّ سفينة قدروا عليها غصباً.

ووقعت منافرة بين سلطان بن الإمام وحميد بن ناصر الغافري الشكيلي من قبل إرث بنت ناصر، أخت حميد بن ناصر، وزوجة سلطان ابن الإمام، فإنها لمَّا توفِّيت، أبى حميد بن ناصر أخوها أن يدفع لسلطان شيئاً مما تركت، لزعمه أن كلّ ما في يدهم من المال هو بيت مال، لا إرث فيه، وامتنع حميد عن مواجهته لسلطان، فأضمر سلطان الحرب لحميد، وجعل يبحث عن يبرين، فقيل له: إن حصنها شديد لا يأكلّ جداره [٣٩٢-

---

(١) العتوب: قبيلة عدنانية، يتصل نسبها إلى عتبة بن رباح بن هلال بن عامر بن صعصعة ابن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن منصور بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، والمفرد: العتبي. انظر: الخروصي، سليمان بن خلف محمد بن خلف: ملامح من التاريخ العُماني، ص٢٨٣.

أ] رصاص المدافع، وأخبروه أن أمام الحصن مدفعاً من صفر[١]، ومن صفته، وصفته.

فأمر سلطان على أحمد بن يوسف بن موسى الشّيعي الصفار أن يعمل الحيلة في كسر ذلك المدفع، فمضى أحمد المذكور إلى نزوى وأقام بها يعمل القدور والمراجل الصفر، لطبخ لعاب السّكر.

ففشا خبره إلى حميد بن ناصر، فكتب حميد إلى علي بن طالب البوسعيدي والي نزوى أن يبعث أحمد الصّفار إليه، ليصنع له مرجلاً من الصّفر لطبخ لعاب السّكر، وأخرج حميد له من حصن يبرين قطعاً من الصّفر الخالص، فقال له أحمد: إن هذا الصّفر ضعيف جداً غير نافع لمرادك، فقال له حميد: أقم أنت بجبرين حتّى أرجع إليك من العينين بقطع صفر خالص.

فمكث أحمد بجبرين ومضى حميد إلى بلدة العينين، فجعل أحمد يعمل الحيلة في كسر ذلك المدفع، وينتظر الفرصة فيه، فكان من التوفيق أن صرخ صارخ بجبرين يقول: امضوا إلى جماعتكم بني شكيلٍ فقد وقع حرب بينهم وبين هناءة، فمضى من كان في جبرين كافّة، إلّا من كان بالحصن من أصحاب حميد.

فوجد أحمد الصّفار حينئذٍ الفرصة لكسر المدفع المذكور، فأكبّه على ذقنه، وأوقد عليه النّار، فكسر رقبته، وترك أحمد آلته كلّها، وهرب هو وتلامذته إلى نزوى، ثُمّ رجع إلى مسقط فأكرمه سلطان، وأعطاه فوق مراده.

فلمّا رجع حميد إلى جبرين، أخبره أهل الحصن بما صنع أحمد

(١) الصفر: هو النحاس.

الصَّفار بالمدفع، وتركه آلته وهروبه إلى نزوى، وقفوله إلى مسقط، فقال حميد: ما فعل الصَّفار إلَّا عن أمر من سلطان.

فوقعت الحرب بين حميد بن ناصر، وأهل نزوى، وكان ببهلا يومئذٍ الوالي من قبل سلطان سيف بن مسعود البوسعيدي، كما ذكرنا أولاً، فكثرت الغزوات والغارات بينهم، وتفاقم القتل، ومالت النِّزارية وحلفاؤهم من أهل الحمراء، والجبل، وسيفم، والظَّاهرة إلى حميد [٣٩٣-أ] بن ناصر، فكان هو القطب إليهم.

ومضى سيف بن مسعود يوماً بأهل بهلا على غرَّة ليكسر فلج جبرين ويدفنه، فوقع بينه وبين أهل جبرين ضرب بالتّفق، فجرح الوالي سيف بن مسعود برصاصة تفق، فرجع بمن معه إلى بهلا، وعاش ثلاثة أيَّام، ثُمَّ توفي.

وعزم سلطان على الحجّ سنة الثَّمان عشرة والمائتين والألف، ومعه جملة من أكابر عُمان، منهم: الشَّيخ محمَّد بن مطر الشَّرقي، صاحب الفجيرة، ومهنَّا ابن محمد بن سليمان اليعربي، والشَّيخ ربيعة بن أحمد الرواحي، ونظائرهم، فلمَّا مضى سيرهم أيَّام قلائل، سرى بدر بن سيف ابن الإمام أحمد من بلدة حبرا إلى مسقط فدخلها ليلاً ومعه بعض الرِّجال، فتعاهد هو وماجد بن خلفان بن محمَّد [٢٣٥-ب] الوكيل على أخذ الحصن الشَّرقي من مسقط، وكان سلطان قد ترك فيه أميراً على العسكر عبداً يسمَّى كومبو، عتيقاً لسيف بن الإمام، والد بدر المذكور، فاختفى بدر في اللَّيلة الَّتي وصل فيها إلى مسقط هو وأصحابه في بيت ماجد بن خلفان، فلمَّا كانت اللَّيلة الثَّانية، مضى بدر إلى الحصن الشَّرقي ومعه براكا الصَّرملة عتيق سيف بن الإمام أحمد، وخمسة رجال أحرار، وحمل معه كيساً فيه ألف قرش فضة، وقيل: سبعمائة قرش، والأول أصح، فلمَّا وصلوا إلى باب الحصن نادوا كومبو، فأشرف عليهم من كوة للحصن،

فقال: من أنتم، فقال له بدر بن سيف: أنا مولاك بدر بن سيف بن الإمام أحمد بن سعيد، افتح الباب لأدخل أنا ومن معي، ولك مني إذا أدخلتني أن أتركك مكانك، وخذ الآن منّي القليل، فقال: وما هو؟ قال: كيس فيه بعض القروش.

فأدلى كومبو له قفيراً قد ربطت عروتاه بحبل، فجعل كومبو يجذبه إلى أن وصل إليه، فلمّا أحرزه، قال [٣٩٤-أ] لبدر: ارجع إلى حيث أتيت، فإن لم ترجع ضربتك وضربت من معك بتفق، وجعل يرجمهم بالأحجار، فرجعوا عنه.

فلمّا وصلوا إلى ماجد بن خلفان، وأخبروه بما كان من كومبو، قال ماجد لبدر: إياك والمبيت في مسقط، فرجع بدر وأصحابه من ليلتهم إلى حبرا، فلمّا وصلها لم يلبث بدر في حبرا إلَّا أيّاماً يسيرة إلى أن مضى يريد أرض نجد.

فلمّا وصل إلى عجمان، دار راشد بن حميد النعيمي، أقام بها معه، فأحسن راشد له غاية الإحسان، ولم يكن مع بدر يومئذٍ إلَّا ثلاثة رجال، فلمّا مضت عليه بعض الأيّام ارتفع من عجمان إلى الدَّرعية، فلمّا وصلها، حالف عبد العزيز، إمام الوهابيَّة، وأقام معه.

وأما العبد كومبو فإنَّه لمَّا كان صبح تلك اللَّيلة الَّتي وفد فيها عليه مولاه بدر بن سيف ومن معه، مضى إلى الوالي سيف بن حنظل البوسعيدي، وكان سلطان لمَّا مضى إلى الحج تركه هو الوالي على مسقط، فقصَّ عليه الخبر كلّه، وأعطاه الكيس الَّذي دفعه بدر إليه.

فقال له سيف: أما الكيس فاتركه عندك حتَّى يرجع مولاك سلطان من سفره، واكتم الخبر عن الخاصَّة والعامَّة، وارجع إلى الحصن، وأقم به، واحترز غاية الاحتراز عن الدَّسائس والدَّغائل.

فلمَّا انصرف كومبو عن سيف، بعث سيف إلى براكا الصَّرملة، فلمَّا أتاه قيّده، وأمر به أن يحمل إلى الحصن الغربي، فحمل، وحبس فيه، وقطع عنه الماء والطَّعام.

فلمَّا مات، أمر سيف أن يلقى في البحر، ففعل به كما أمر، وبقي ماجد بن خلفان في خوف شديد من سلطان.

فلمَّا رجع سلطان من الحجّ، وأُخْبِرَ الخبر، قيّد ماجد بن خلفان، ثُمَّ أطلقه بعد ثلاثة أيَّام، وسأل سلطان عن بن أخيه بدر بن سيف، فقيل له: مضى إلى الدَّرعية، فقال: سلطان: لو مكث في حبرا، أو في غيرها من عُمان، لعفوت عنه، فإنَّ مسيره إلى الدَّرعية علينا من الرزيّة [٣٩٥-أ] من قبل أهل الغرب.

وأغارت بعض أهل الظَّاهرة المتوهِّبين على أطراف السّويق، ومعهم بعض فرسان نجد، فلمَّا بلغ الصَّريخ إلى سلطان، وهو يومئذٍ ببركة، أمر على محمَّد بن حمد الوهيبي ومن معه من رجال آل وهيبة أن يدركوا الغازين.

فمضى محمَّد بن حمد إليهم، ومعه عدَّة رجال من بني عمه وغيرهم من الأعراب، وأهل الرِّكاب، فأخبروا عن الغازين أنهم دخلوا وادي الحيمليّ[1]، فأدركوهم، حتَّى إذا كانوا بكبد الوادي قبض عليهم حلقه وجباله، فتراسل عليهم ضرب التّفق من القابضين عليهم رؤوس الجبال، وثار عليهم الكمين، فظفرت الوهابيَّة بهم، وقتل محمَّد بن حمد ومعه عدَّة رجال، ولم يسلم من أصحابه إلَّا القليل.

فلمَّا وصل الخبر إلى سلطان، اشتمل عليه الضّيق والحزن، فارتفع

(١) وادي الحيملي: أحد أودية الرستاق.

من بركة إلى الفليج، وبعث [٢٣٦-ب] إلى مهنَّا بن محمَّد بن سليمان اليعربي والي نخل أن يأتيه، فلمَّا أتاه أخبره بالواقعة، فأشار عليه مهنَّا أن يكتب إلى كافَّة أهل عُمان من حد جعلان إلى صحار لأجل المشورة، فرجع هو ومهنَّا إلى بركة، وكتب سلطان إلى أكابر عُمان عامة، وإلى أكابر بني سعيد خاصَّة، فأتاه من أكابر آل أبي سعيد أحمد بن الإمام سعيد ابن الإمام، وعزَّان بن قيس ابن الإمام، وسيف بن علي بن محمَّد، ومحمَّد ابن خلفان بن محمَّد، وأخوه ماجد بن خلفان، ومن إخوته طالب، ومحمَّد ابنا الإمام أحمد بن سعيد، ومن أكابر عُمان الشَّيخ ماجد بن سعيد البرّواني، ومهنَّا بن محمد بن سليمان اليعربي، والشَّيخ حجي بن سعيد الحسني[1]، وسالم بن علي التمامي[2]، والشَّيخ عيسى بن صالح الحارثي، وخادم بن محمَّد الهاشمي[3] وغيرهم.

---

(١) حجي بن سعيد الحسني: شيخ، عاش في أواخر القرن الثاني عشر ومطلع القرن الثالث عشر الهجريين، كان من رؤساء القبائل العُمانية، حضر مؤتمر بركة الذي عقده سلطان بن الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي للتشاور في أمر البلاد بعد مقتل أصحابه في وادي الحيملي في حربهم ضدّ الوهابية. انظر: دليل أعلام عُمان، ص٥٠.

(٢) سالم بن علي التَّمامي: شيخ، من أعيان عُمان، عاش في القرن الثالث عشر الهجري، وحضر المؤتمر الذي عُقد في بركة بدعوة من السيد سلطان بن أحمد البوسعيدي للنظر في تهديد أمن عُمان وسيادتها من الوهابيين النجديين. انظر: دليل أعلام عُمان، ص٧٧.

(٣) خادم بن محمد الهاشمي: شيخ، عاش في أواخر القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر الهجريين، كان ممن شاورهم السيد سلطان بن الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي في مؤتمر بركة، بعد مقتل أصحابه في الحرب. انظر: دليل أعلام عُمان، ص٥٧. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص١١٩.

فلمَّا وصلوا إليه، أحضرهم في الغرفة العالية من حصن بركة، فلمَّا استقر بهم الجلوس، قال سلطان: أيتها الجماعة، والمشايخ، والقبائل، لقد علمتم [٣٩٦-أ] بقتل أصحابي بوادي الحيمليّ، فبقيت بعدهم كَكَفْ بلا أصابع، وهذه الحرب متفاقمة علينا من كلّ مكان، ومن كان لنا محبًّا صار لنا عدوًّا، ومن زعم أنَّه لنا صديق فهو لنا غير نافع في هذه الشَّدائد، وبلغت القلوب الحناجر من الضيق، فما رأيكم في هذا الشَّأن؟

فسكتوا، ثُمَّ أعاد عليهم الكلام ثانية.

فتكلّم سيف بن علي بن محمَّد البوسعيدي، وقال: إن كنت تزعم أنَّه ما بقي أحد من عُمان له شدَّة وسطوة على قتال الأعداء النّجدية، بعد قتل محمَّد بن حمد الوهيبي وصحبه، فليس زعمنا كزعمك، إذ لا نشكّ أن بعُمان من هم أشدّ منهم قوة، وأكثر جمعاً، وأصبر جلاداً على الحرب، فما نحن بجازعين من الوهابيّة وغيرهم من الأعداء، فإن قلوبنا الَّتي نعصي بها الأعداء في صدرونا، والسّيوف الَّتي نضربهم بهنَّ على أكتافنا، وما خضاب الرِّجال إلَّا الدَّم، فطعم الحرب لنا كالمنّ والسَّلوى، ولا خير في مقال لا تركبه أفعال، وليعلم الوهابيّون والأضدَّاد المجاهرون أي منقلب ينقلبون.

ثُمَّ سكت، فتكلّم بعده البوسعيديون على حدَّة، وقالوا: كلامنا في هذا الشَّأن كلام سيف، وقال أكابر عُمان، والشَّرقية، وبديَّة، وجعلان: ما أحلى لنا حرب الطَّاغين والباغين، ففي أعيننا كثيرهم قليل، وفي قلوبنا عزيزهم ذليل، يأبى الكريم أن يكون لئيماً جفولاً، ويأبى العزيز أن يعيش ذليلاً.

فبينما هم في هذا المجال بالمقال، إذ أتى رسول قيس بن الإمام إلى

أخيه سلطان بن الإمام، فأنفذ إليه كتاباً مختوماً، فلمَّا فضّه وقرأه، قال لهم: إن أخي قيساً ذكر في كتابه هذا بوفدة الحريق على صحار، وأنه معسكر لقومه في العوهيّ منها، فقيس يسألني النَّجدة، ويستحثّني إليه بالوثبة، فليرجع كلّ واحد منكم إلى وطنه، ويأتيني بما عنده من الرِّجال، والموعد بيني وبينكم الخابورة، فقالوا له على حدة: إن شاء الله تعالى، ومضى كلّ واحد منهم [٣٩٧-أ] إلى وطنه.

ومضى هو ومحمَّد بن خلفان، وماجد بن خلفان إلى مسقط، فلمَّا وصلوا، أمر بتجهيز مركبه المسمَّى «الفلك»، ووضع فيه من آلة الحرب والأرزّ والتَّمر ما يتعذر حصره، ومضى هو على طريق البرّ فعسكر بالخابورة، ووصله المركب، فطرح أناجره غربي الحصن في البحر، وأتته قبائل عُمان من كلّ مكان، فاجتمع معه من يمن، ونزار إثنا عشر ألفاً.

والحريق الوهابي معسكر يومئذٍ العوهي من صحار، ولم يشعر بأن قيس بن الإمام، وأخاه سلطان، قد جمعا لحربه جنوداً لا قبل له بها.

وكانت كتب [٢٣٧-ب] قيس لا تغيب عن أخيه سلطان بأخبار الحريق.

فلمَّا عزم سلطان على النَّقلة من الخابورة إلى صحار، أتاه رسول أخيه قيس بكتاب يذكر فيه أن الحريق لمَّا أخبره بجموعنا، انهزم ليلاً من العوهي، وأحرق خيامه من الذّعر، ورجع بأقوامه إلى البريمي[١]، ففسح

---

(١) البريمي: وتدعى توام، وسميت البريمي على صفة أحد تجارها المتأخرين البريم. وتقع في فضاء مرتفع، مع هواء طلق لا يعرقله عن مباشرتها شيء، في أرض سهلة هادئة مكشوفة، مفتاح قفل عُمان من الجانب الغربي، ولها السلطان المسلط في أنحاء أرض الجو ناهيك بها في القرن الثاني من الهجرة، أيام بني الجلندى، أو عهد الإمام المهنا بن جيفر، أجل أئمة عُمان عظمة وشأناً، فقد جعلها الجلندانيون كرسي =

سلطان على جمعه[(١)] ورجع إلى مسقط، أما الحريق فلمَّا وصل إلى البريمي لم يمكث بها إلَّا أيَّاماً يسيرة حتَّى رجع إلى نجد.

ولمَّا علم العتوب برجوع الحريق إلى نجد، صالحوا سلطان، واستنكفوا عن طاعة عبد العزيز، وترك من كان يسكن منهم الزبارة مسكن الزبارة، فاستأهلوا البحرين، واصطلح حميد بن ناصر الغافري، وسلطان ابن الإمام، وخمدت الفتن، وذهبت الإحن.

وبالجملة فإن أخبار السيِّد الحميد سلطان بن الإمام أحمد بن سعيد جميلة، وقدمه على الرَّعيَّة قدم خير، وكفى بذلك أنَّه لمَّا تولى الأمر إلى أن مات لم يحدث مَحْل بعُمان، بل كثر خضبها فوق خصبها أيَّام دولته، لا سيما في سنة الثَّلاث عشرة والمائتين والألف، أما مسقط فقد أغرق الماء حللها الَّتي هي سهيلي الباب الصَّغير من سورها، وبلغ الغرق على التكيَّة، وانحدر ماء وادي الكبير منها، وماء وادي الأوسط، والأصغر إلى البحر، ولبث السَّيل ستّين يوماً، تارةً رذاذاً، وتارةً مطراً ثره، ولم ترَ عين شمساً [٣٩٨-أ]، ولا قمراً، ولا كواكب، ثُمَّ انقشع السَّحاب بعد الستين يوماً، فلاحت الشَّمس، وخرج النَّاس إلى الأسواق.

وفي سنة التسع عشرة والمائتين والألف، عزم سلطان على المسير إلى البصرة بنفسه لأخذ القانون الجاري من أهل البصرة إلى حاكم عُمان من عهد الإمام أحمد بن سعيد، فجعل الوالي على مسقط سيف بن محمَّد البوسعيدي، ومضى هو إلى البصرة على مركبه المسمَّى «جنجارو»، فلمَّا

= مملكتهم، وعرش زعامتهم، وراموا بها الاستيلاء على عُمان، وللبريمي في هذا العصر حميد الذكر، ويود كثيرون أن يكونوا من منابت تربتها. انظر: السيابي، سالم بن حمود بن شامس: العنوان عن تاريخ عُمان، ص٧٧-٨١.

(١) فسح على جمعه: أذن لهم بالعودة.

وصلها واجهه تجارها وأكابرها، وألقوا له زمام الطَّاعة والإذعان، وسلَّموا له القانون الجاري من أهل البصرة إلى حاكم عُمان، كما ذكرنا من عهد الإمام أحمد بن سعيد.

فمكث بعد ذلك في البصرة أيَّاماً، ثُمَّ رجع على مركبه، فلمَّا بلغ به دون لنجه[1]، هبط من المركب المذكور إلى سفينة صغيرة له، تسمَّى «البدري»، وما معه إلَّا بعض عبيده، وبعض الأحرار، يريد أن تمضي به إلى البندر وهرموز، وأمر على أهل مركبه الَّذي هبط منه أن يمكثوا فيه حذاء القشم، حتَّى يرجع إليهم، فصادف ما فارق المركب حذاء لنجه ثلاث سفائن للشويهيين، وهم طائفة من الهولة أهل جلفار، وكانت مصادفته لهم ليلاً قد مضى نصفه، وقد ضاقت الثلاث السفائن الَّتي للشويهيين المذكورين بكثرة عددهم، ولم يكن مع سلطان في سفينته البدري إلَّا كما ذكرنا بعض عبيده، وبعض الأحرار.

فصاح الشويهيّون على أهل البدري، لمن السَّفينة؟ فأجابهم سلطان بنفسه: لسلطان بن الإمام الَّذي يكلّمكم، وكان معنى كلامه يكلّمكم تورية معنوية، أي الَّذي يجرحكم بالسَّيف الَّذي لا يسلم جريحه، فقالوا: نحن طلبة سلطان، فقال: ارخوا شرع سفنكم، والحرب بيني وبينكم بعد صلاة الفجر، إن شاء الله، ففعلوا كما قال.

وأمر على بحارة البدري أن يضعوا شراعها [٣٩٩-أ]، ففعلوا كما قال.

فبات الكلّ يرتقب الفجر.

وأشار على سلطان بعض أصحابه أن يهبط من البدري إلى قاربها

---

(١) لنجة: أو بلنجة: جزيرة في الخليج العربي.

ليقذفوا به إلى المركب، وقالوا له: إن المركب غير بعيد منا،و نخال إذا لاح لنا الفجر وصولنا إليه، فقال: يأبى الله أن أفرّ من الرِّجال عن القتال.

فلمَّا لاح الفجر، وصلَّى سلطان وفرغ من دعائه، وصلَّى أصحابه، وفرغوا من دعائهم قال لصحبه: قربوا السَّفينة إلى سفنهم.

فلمَّا كانوا بالقرب منهم، وقعت بينهم الحرب، فجعل الشويهيون يرسلون عليه الرماح القصار، ويمدّون عليه الرماح الطوال، وهو يقدّها بالسيف، ويزأر عليهم زئير الأسد، وهم على وتيرة بإرسال الرِّماح ومدَّها عليه وعلى قومه، وهو يقدّها [٢٣٨-ب]، ويتركها جذاذاً، وقد قتل منهم رجال عدَّة.

فلمَّا عزموا على الفرار منه، رماه بعضهم، وهو أقذر من قذار، بتفق، فوقعت رصاصته في فيه، فمات من ساعته.

فلمَّا سمعوا بكاء بعض أصحابه عليه، أحاطوا بالبدري، وهجمو على أصحابه، فلمَّا رأوا سلطان ميتاً، نهبوا ما أرادوا من البدري، ورفعوا السَّيف عن أصحابه، فما قتل غيره.

وأصاب بعض أصحابه بعض الجراح، فرجع الشويهيون إلى بلدانهم، ومضى من بالبدري من أصحاب سلطان إلى لنجة، فأهبطوه إلى البرّ.

ولمَّا أخبر أصحابه أهل لنجة بالواقعة ساءهم الأمر، واستولى عليهم الكدر، فكفَّنوه وصلّوا عليه، وقبروه وأخبروا أهل القشم أهل المركب بقتل سلطان، فكادوا أن يتميزوا من الغيظ والحزن، ثُمَّ قالوا: كما يقول المصابون الصابرون: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾[١].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٦.

ثُمَّ رجعوا على المركب إلى مسقط، فسبقهم البدري إليها، وعند مرور البدري على بركة اقتحم منها ليلاً عبد من عبيد سلطان، وهو قد سلم من الجراح لمَّا قتل مولاه سلطان، فسبح إلى البرّ [٤٠٠-أ]، ومضى من ساعته إلى الفليج، فأخبر السَّادة الخبر، وكان بها السيّدة بنت الإمام أحمد بن سعيد، والسيّدان سالم، وسعيد ابنا سلطان، وهم قد انفصلوا من مسقط ببعض الحرم إليها بعدما مات سيف بن محمَّد البوسعيدي، فجعلوا مكانه الشَّيخ محمَّد بن ناصر الجبري.

وكانت وفاة سيف بن محمَّد المذكور قبل أن يأتي الخبر بقتل سلطان أيَّاماً قلائل، فرجع السَّادة من ليلتهم من الفليج إلى مسقط، فأصبحوا فيها.

ولمَّا فشا الخبر بمسقط، وقال الخاصّ للعامّ: إن سلطان قد قُتل، زلزلت البلاد الرزيّة زلزالاً شديداً، وكادت بأهلها أن تميد.

ولمَّا عمّ الخبر عُمان، كثر فيها الانتحاب، ونما فيها الاكتئاب، وكانت وفاة السيّد الهمام سلطان ابن الإمام قتيلاً وقت الضحى من يوم الخميس بالقرب من لنجة يوم الثَّالث عشر من شعبان سنة السّبع عشرة والمائتين والألف من الهجرة النبويَّة.

وقد رثاه جملة أدباء من أهل عُمان بقصائد أكثرها مطولات، فممن رثاه الشَّيخ القاضي أبو الأحوال سالم بن محمَّد بن سالم الدَّرمكي، ومطلع قصيدته الَّتي رثاه بها:

عجبٌ جرى في ذا الزَّمان عجابُ أسدُ الأسودِ سطت عليهِ كلابُ[١]

وهي قصيدة عددها أربعون بيتاً ونيفاً.

---

(١) انظر البيت في: بن رزيق، حميد بن محمد: الصحيفة القحطانية، ج٥، ص٦٧.

ورثاه منهم أيضاً الشَّيخ الفصيح الأصم، سيف بن ناصر بن سليمان ابن مرشد المعولي المسلماتي[١] بقصيدة طويلة، ومطلعها:

لا تبتئسْ مِنْ شامتٍ ومفنّدِ[٢] أبداً ولا تسمعْ مقالةَ حُسَّدِ[٣]

ورثيته أنا بقصيدة نونية، وكنت في ذلك الزَّمان مبتدئاً بنظم الشّعر، فقلت من قصيدة طويلة، مطلعها شعراً:

حتفُ بعضِ الأنامِ يشجو الجنانا ويهلُّ الدموعَ منا جُمانا[٤][٥]

[٤٠١-أ] وهذه القصيدة تبلغ الستة والستين بيتاً.

---

(١) سيف بن ناصر بن سليمان بن مرشد المعولي المسلماتي: ناظم للشعر، عاش في النصف الثاني من القرن الثاني عشر والنصف الأول من القرن الثالث عشر الهجريين، من بلدة مسلمات من أعمال وادي المعاول. كان ملازماً للتواضع، أصمّ السمع، كان جيد الألفاظ في النظم والنثر، وعلى كثرة ما نظمه من الشعر لم يدونه هو ولا أحد من بعده، وبقيت مسوداته بعد موته في يد بعض الناس الساكنين بلدة مسلمات، ثم تمزقت، ولم يبقَ لها أثر. ورأى له بن رزيق كتاباً بخط يده، فيه حكايات وأشعار ونبذة من شعره، وقد صار هذا الكتاب من بعد في يد عتوب البحرين، ولعلَّ أحداً قد سرقه، فباعه لهم. توفي في مسلمات بداء وبائي عمَّ عُمان سنة (١٢٣٦هـ/ ١٨٢١م). انظر: السعدي، فهد بن علي بن هاشل: معجم شعراء الإباضية، ج١، ٢١٤.

(٢) المفنّد: المكذّب.

(٣) انظر البيت في: البطاشي، سيف بن حمود بن حامد: الطالع السعيد من تاريخ الإمام أحمد بن سعيد، الطبعة لأولى ١٩٩٧م، ص٣٥٣. وانظر أيضاً: بن رزيق، حميد بن محمد: الصحيفة القحطانية، ج٥، ص٣٥٦.

(٤) الجمان: من اللؤلؤ.

(٥) جاءت في الصحيفة القحطانية للمؤلف نفسه، ومطلع القصيدة:

ذكر بعض الأنام يشجي الجنانا ويهلُّ الدموعَ منّا جُمانا
كلما نصّت الرواةُ حديثاً عنهم أورثَ الحشى هيمانا =

في ذكر ما ترك السادة البوسعيديون أهل بيت الإمامة من الأولاد الذكور على الآحاد

ترك الإمام الحميد أحمد بن سعيد، هلالاً، وسعيداً، وقيساً، وسيفاً، وسلطاناً، وطالباً، ومحمداً.

وترك هلال بن الإمام من الذكور علي بن هلال لا غير.

وترك الإمام سعيد بن الإمام أحمد بن سعيد، أحمداً، ونصيراً، وسيفاً، وأما حمد فهو قد مات قبله. وترك من الأولاد الذكور هلال بن حمد لا غير.

وترك السيد قيس بن الإمام أحمد بن سعيد من الذكور عزان بن قيس ابن الإمام لا غير.

وترك السيد سيف بن الإمام أحمد بن سعيد من الذكور بدر بن سيف ابن الإمام.

وترك السيد سلطان بن الإمام، سالماً، وسعيداً، وحمداً أولاد سلطان بن الإمام.

وأما طالب بن الإمام فهو قد مات عقيماً.

وترك السيد محمد بن الإمام من الذكور هلال بن محمد بن الإمام.

= لم تكذّب إذا سمعت حديثاً عنهم يبهر النهي إنسانا
ما انكبابي بالجمر بالنشر يحكي ذكرهم إن سمعتهُ إعلانا
دونهم في العلوّ كيوان إن فشت علوًّا بمجدهم كيوانا

انظر القصيدة في: بن رزيق، حميد بن محمد: الصحيفة القحطانية، ج٥، ص٣٥٦-٣٥٩.

◈ السيّد سالم بن سلطان

ولمّا توفي السيّد سلطان بن الإمام، وصارت المملكة بعده لولده سعيد بن سلطان ائتلف سعيد وأخوه سالم بن سلطان ائتلافاً محضياً إلى أن توفي أخوه السيّد سالم بن سلطان.

وكان السيّد سالم بن سلطان بن الإمام أحمد بن سعيد ذا إيناس، كثير الإحسان للنّاس، ناهياً عن المنكر آمراً بالمعروف، محافظاً على فروض الصَّلاة، مخرجاً من ماله للفقراء والمساكين، ما لزمه من إخراج الزكاة، غير تاركٍ للنوافل، محبًّا لأهل الورع والزُّهد، محتفلاً بأهل النَّثر والنَّظم، مكرّماً للفقراء والمساكين، ولمن استحقّ الإكرام من المسلمين، يصغي للضريك [٤٠٢-أ] والمؤسر. كثير الابتسام لجلّاسه، مزيلاً إيحاشهم بإيناسه، فهو في أيّام صحَّته وإقامته في بلدة مسقط، يمضي إذا بقي الثّلث من اللّيل إلى المسجد المسمَّى مسجد الوكيل، والوكيل هو السيّد خلفان بن محمَّد بن عبدالله البوسعيدي، وقد أتمَّ السيّد خلفان بناء المسجد المذكور سنة الثنتين والثّمانين والمائة والألف، فيصلّي السيّد سالم [فيه](١) ما شاء الله أن يصلّي فيه، ويكرّر بعد ذلك [ما شاء](٢) من الأدعية الصَّالحة، إلى أن يؤذن المؤذن لصلاة الفجر، فنصلّي مسترة خلف السيّد العالم الزَّاهد الورع الأعمى أبي زهير مهنَّا بن خلفان بن محمَّد البوسعيدي(٣)، ويصلّي معهما جماعة من المسلمين، ثمَّ يدارس خاصّته

(١) سقطت من النسخة (أ).

(٢) سقطت من النسخة (ب).

(٣) مهنا بن خلفان بن محمد البوسعيدي: هو العالم أبو زهير مهنا بن خلفان بن محمد بن عبدالله البوسعيدي. ولد في القرن الثاني عشر الهجري، عاش بمسقط مع والده الذي كان وكيلاً للإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي، نشأ مجتهداً في طلب العلم حتى صار =

بالقرآن الكريم، إلى أن يصلّي به وبالجماعة السيّد العالم مهنّا صلاة الضُّحى، ثمَّ يرجع إلى بيته الشَّريف فيمكث فيه ما شاء الله، ثمَّ يخرج منه إلى برزة[1] أخيه سعيد بن سلطان، إذا كان أخوه سعيد مقيماً بمسقط، وإذا كان غير مقيم [بها][2]، برز في البنيان الَّذي كان يبرز فيه أبوه سلطان [المقترب][3] من الجزيرة. هكذا كانت طريقته أيَّام حياته.

وكان مجلسه الشَّريف لا يخلو من عالم فقيه، وناثر وناظم [نبيه][4]، وكان يحفظ من أشعار العرب الجاهليّة والإسلاميّة كثيراً، مطَّلعاً على أخبار ملوك العرب والعجم، خبيراً بسياساتهم، ويطول السَّمر مع سمّاره العارفين، ليذاكرهم في الأحكام الشَّرعيَّة والفصاحة والعلوم النَّظريَّة، وسائر العلوم الَّتي حفظها، وإذا جرى في ناديه ذكر من كانوا في القصور، فصاروا بعد ذلك في القبور تكلَّم عن لسان حالهم، فيقول مع ذلك شعراً:

كنا أناساً كما كنتمْ فغيَّرنا دهرٌ فأنتمْ كما كُنَّا تَكُونُونا

= ممن يشار إليه بالبنان فقهاً وورعاً. كان معاصراً للعلّامة الشيخ جاعد بن خميس الخروصي، وبينهما تبادل آراء في المسائل العلمية. رتب كتاب «جامع بن جعفر» ترتيباً حسناً، وهو مطبوع. يُنسب إليه تأليف كتاب «لباب الآثار». توفي يوم الثامن من شوال سنة ١٢٥٠هـ، ورثاه عدد من الأدباء والشعراء. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٤٥٨. وانظر «دليل أعلام عُمان»، ص١٥٤.

(١) البرزة: البرزة هي المجلس الذي يجلس فيه السلطان والوالي أو من يقوم مقامهم لاستقبال الناس وقضاء مصالحهم.

(٢) سقطت من النسخة (ب).

(٣) «المقرَّب» في النسخة (أ).

(٤) «بينه» في النسخة (ب) والصحيح ما أثبتناه في النص من النسخة (أ).

[٤٠٣-أ] وكان كثيراً ما ينشد هذين البيتين مع المذاكرة بالمواعظ شعراً:

قلت للفرقدين واللَّيل مُلْقى سود أثوابه على الآفاقِ

أبقيا ما بقيتما فسيُرْمى بين جنبيكما بسهم الفراقِ

وكان شديد الغيرة على السَّلطنة، آخذاً بالحزم والعزم، منصفاً من الظَّالم للمظلوم، سواء عنده القويّ والضَّعيف مع الأحكام، حتَّى قال غير واحد من النَّاس الَّذين ليس بهاؤهم بهيماً، ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾[١]. لقد قطع أسباب الجور بعدله، وأزال فساد أهل الفساد بصلحه، فهو إذا أظلم اللَّيل، خرج يعسّ في البلد إلى الثّلث الثَّاني، هذا على الأغلب، ومعه جملة من عبيده وخاصّته، فإذا رأى مفسداً على فساد أدَّبهُ على ما يستحقه من الأدب الشَّرعي، فأحبّه على ذلك أهل الصَّلاح، ومقته على ذلك أهل الفساد، وثقلت وطئته على الحسَّاد، وكان له انشراح كليّ، إذا جرى في ناديه ذكر الوقائع والحروب [٢٤٠-ب] القديمة والحديثة، يفرح بنصر المؤمنين على الكافرين، ويترح بظفر الكافرين على المؤمنين، مشقّقاً شقشقة أهل البغي والنّفاق بمدى العدل الَّذي يحلّ به في دين المهيمن الخلّاق، وقد اتخذ للمشورة ونظم الآراء رجالاً من المسلمين عدّة، [فميَّز][٢] تخصيصهم عن العامَّة، منهم السيّد العالم مهنًّا بن خلفان بن محمَّد، والشَّيخ خميس بن سالم الهاشمي، والشَّيخ الزَّاهد سيف بن سعيد المعولي [الوداميّ][٣]، والشَّيخ [القاضي][٤] أبو الأحول سالم بن

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٣١.

(٢) «مميز» في النسخة (ب).

(٣) سقطت من النسخة (ب).

(٤) سقطت من النسخة (ب).

محمَّد الدرمكي، وولده الشَّيخ الفقيه حميد بن سالم، والشَّيخ العالم الأعمى ثنيان بن ناصر[١] بن خلف [الزَّاملي][٢]، والشَّيخ العالم [الفصيح][٣] حماد بن محمَّد [٤٠٤-أ] بن سالم البسط، وغير هؤلاء من العلماء كثير.

فحضرت ذات يوم في ناديه الشَّريف، فرأيت معه جملة من المشايخ، فلمَّا سلَّمت عليهم وردّوا عليَّ السَّلام، جلست معهم، فأجروا حديثهم في مضمار ذكر الوهابيّة النجديَّة، الَّذين أجمعوا على تشريك من خالف عقيدتهم من المسلمين[٤]، واستحلّوا بها سفك دماء من خالفهم من الموحِّدين، وجوَّزوا استحلال أموال أهل القبلة وقتلهم، ونكاح أزواجهم بغير طلاق، وسبي ذراريهم، وهو مع ذلك لم يتكلّم، ثمَّ قال، بعد ما طووا نشر الكلام عن الوهابيّة، أهل الظَّلم والإظلام:

أيها المشايخ، إن قلبي تاق إلى زيارة الشَّيخ العالم محمَّد الزواوي الحسائي الشَّافعي، فهو شيخ لفظته الغربة إلى بلادنا، ورحل عن داره فأهِلَ دارنا، وصار باقترابه جارنا، فينبغي لنا أن نزوره لما جاورنا، كي لا يقول، لما جاورنا، متقول، إنَّا جفوناه، وما احتفلنا به فحقَّرناه، ثمَّ نهض، فنهض معه من المشايخ الحضور، الشَّيخ خميس بن سالم

---

(١) ثنيان بن ناصر: ثنيان بن ناصر بن خلف الزاملي، عالم عاش في القرن الثاني عشر الهجري، من كبار العلماء أصحاب الرأي السديد، كان مكفوف البصر، اتخذه سالم ابن سلطان أهلاً للرأي والمشورة، يقول الشعر، وله قصيدة في رثاء الشيخ جاعد بن خميس الخروصي. انظر: دليل أعلام عُمان، ص٤١. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٧٧-٧٨.

(٢) «المعولي» في النسخة (ب). والصحيح ما أثبتناه في النص من النسخة (أ).

(٣) سقطت من النسخة (ب).

(٤) «تشريك أهل القبلة ومن خالف عقديدتهم من المسلمين» في النسخة (ب).

الهاشمي، والشَّيخ سيف بن سعيد المعولي [الودامي][١]، والشَّيخ ثنيان بن ناصر بن خلف الزاملي، والشَّيخ حمَّاد بن محمَّد البسط وغيرهم.

فكان عدد من مضينا معه اثني عشر رجلاً، وكان الشَّيخ محمَّد الزَّواوي يومئذٍ مسكنه بولجات[٢]، من حلل بلدة مسقط، في بيت صغير، لطيف.

فلمَّا قرعنا عليه الباب، خرج علينا تلميذ من [تلامذته][٣]، فقال له السيّد سالم: استأذن لنا الشَّيخ في دخولنا عليه.

فمضى ذلك التَّلميذ إليه، ورجع إلينا فقال، يقول لكم الشَّيخ، تفضلوا بالدّخول عليه.

فلمَّا دخلنا، ووطئنا فراش مجلسه، وسلَّمنا عليه، ورد علينا السَّلام، ابتدأه السيّد سالم بالكلام، فقال:

- أيها الشَّيخ، لقد أنست بك البلاد، وصار [٤٠٥-أ] في فمها ذكرك كالأوراد، فمثلك لا يضام، ولا يذاد عنه الاحترام، أخبرنا، جزاك الله [خيراً][٤]، عما جرى عليكم من أصحاب عبد العزيز التميمي النجدي الوهَّابي، فعنه وعن [صحبه][٥] تأتينا أخبار شتَّى في تشريكهم لمخالفي عقيدتهم من المسلمين، واستحلال أموالهم، وسبي ذراريهم، ونكاح زوجاتهم بغير طلاق من بعولتهن، وبغير عدّة، وأن من خالف عقيدتهم يزعمون أنه كافر مشرك، ولا يجديه قوله، لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له

---

(١) سقطت من النسخة (ب).

(٢) ولجات: حيّ من أحياء مدينة مسقط.

(٣) «تلاميذه» في النسخة (ب).

(٤) سقطت من النسخة (أ).

(٥) «أصحابه» في النسخة (ب).

بشيء، فإن كانت هذه طريقتهم فطريقة نافع بن الأزرق[١]، وسلكهم عليها شيخهم محمَّد بن عبد الوهَّاب[٢]، المصنِّف لهذا الكتاب الَّذي سمّوه: «كشف الشُّبهات»، وفي أوَّل هذا الكتاب رأينا مكتوباً بسم الله الرَّحمن الرَّحيم، هذا كتاب «كشف الشُّبهات»، تأليف الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب، أجزل الله له الثواب، وأدخله الجنَّة بغير حساب، فإنني أظنّ ما نتقالكم من بلدتكم الحساء إلى مسقط إلَّا الجور بهضمكم منهم، فأنتم الآن عندنا في عزازة وأمان، فاسكنوها باطمئنان، واشتاروا أري[٣] السُّرور، بعد شري[٤] الشُّرور.

---

(١) نافع بن الأزرق: نافع بن الأزرق بن قيس الحنفي البكري الوائلي، الحروري، أبو راشد، رأس الأزارقة، وإليه نسبتهم، كان أمير قومه وفقيههم، من أهل البصرة، صحب في أول أمره عبدالله بن عباس، وله أسئلة رواها عنه. وكان هو وأصحاب له من أنصار الثورة على عثمان، ووالوا علياً إلى كانت كانت قضية التحكيم بين علي ومعاوية، فاجتمعوا في حروراء، ونادوا بالخروج على علي وعرفوا لذلك الخوارج. قاتل نافع في جيش عبدالله بن الزبير ضدّ جيش الشام، ثم عاد نافع ورجاله إلى البصرة. وكان نافع جباراً فتاكاً، قاتله المهلب بن أبي صفرة، ولقي الأهوال في حربه، وقتل يوم دولاب على مقربة من الأهواز سنة (٦٥هـ/ ٦٨٥م). انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٧، ص٣٥٢.

(٢) محمد بن عبد الوهاب (١١١٥-١٢٠٦هـ/ ١٧٠٣-١٧٩٢م): محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي. زعيم الدعوة الوهابية في جزيرة العرب، ولد ونشأ في العيينة بنجد، ورحل مرتين إلى الحجاز، وزار الشام، ودخل البصرة، وعاد إلى نجد فسكن «حريملاء» وكان أبوه قاضيها بعد العيينة. قصد الدرعية سنة ١١٥٧هـ، فتلقاه أميرها محمد بن سعود وقبل دعوته، وآزره من بعده ابنه عبد العزيز، ثم سعود بن عبد العزيز، وقاتلوا من أجل نشر دعوته، واستولوا على جزيرة العرب. له مصنفات أكثرها مطبوع، منها: «كتاب التوحيد» ورسالة «كشف الشبهات» و«تفسير الفاتحة» و«أصول الإيمان». وفي كتاب «تاريخ بن غنام» رسائل بعث بها الشيخ إلى أهل البلاد النجدية. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٦، ص٢٥٧.

(٣) الأري: العسل.

(٤) الشري: الحنظل.

[٢٤١-ب] فقال الشَّيخ محمَّد الزواوي:

إن شأن عبد العزيز وشأن شيعته لغريب غريب فهو لما كثرت جنوده، ورقت لهم بنوده، أكثر من تقريب المدَّعين العلم بغير علم، فسمَّاهم، مطاوعة، لما أغروه وغرّوه بالظُّلم، وجوّزوا له تشريك أهل القبلة المخالفي ما صنَّفه شيخهم عبد الوهَّاب، في الكتاب الَّذي سمَّاه، «كشف الشُّبهات»، وهو كتاب صغير، يفضي أكثره إلى سفسطة وأوهام، فجوّزوا قتل من خالفهم من المسلمين، واستحلُّوا مالهم وسبي ذراريهم ونكاح زوجاتهم بلا طلاق من أزواجهن ولا عدّة.

وما حداهم [٤٠٦-أ] على تلك الحال إلَّا اكتساب مال باحتيال، فذكروا ما قال لهم الطَّاغون، ونسوا قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَـٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾[١] فهم قد أصاروا أكثر أهل الحساء بعد الثَّروة خلفاء الثرى، كسوتهم رثَّة، وأقواتهم غثَّة، قد قتلوا [جملة][٢] من الفقهاء الَّذين خالفوهم في التشريك والتمليك، لزعمهم أن من خالفهم من المسلمين الموحدين [فهو][٣] مشرك [لا يجزيه][٤] بشيءٍ قوله، لا إله إلَّا الله، وحده لا شريك له، إلَّا أن يكفِّر ويشرِّك كل من خالف عقيدتهم.

قال: ومن عجائب أمرهم جوابهم لمن خالف عقيدتهم، إذا قال: أشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمَّداً عبده ورسوله، ما دليلك على ذلك؟ فيعكسون قول المستقيم بطلب الدليل منه، أن الله هو الَّذي خلقه ورزقه لا سواه، وأنه هو الفرد الصَّمد والموجود، الواجب

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٤٢.
(٢) «جماعة» في النسخة (ب).
(٣) سقطت من النسخة (أ).
(٤) «لا يجديه» في النسخة (ب).

الوجود، فأي دليل، لو عرفوا الدَّليل، على من أقرَّ أن الله هو الأحد الصمد، الَّذي لا شريك له في الوحدانيَّة، ولا ندَّ له في الفردانيَّة، فهم بهذا الشَّأن، الَّذي شأن، قد أنزلوا أنفسهم، لو عقلوا، منزلة من يبغي على الله الدَّليل، أنه هو الله الَّذي لا شريك له، فناظروا بشكهم في الله بعقيدتهم السوفسطائية[١] من هم كالأنعام لا يعقلون، ولا يعقلون أنهم لا يعقلون، ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾[٢].

قال: ولمَّا مالوا إلى تلك الطَّريقة وملنا عنهم، سعت بنا أوباشهم[٣] وجورتهم إلى عبد العزيز، وتواترت كتبهم إليه، وهي على حدة، أن بالحساء رجالاً خالفوا عقيدتك وطريقتك المثلى، فهم يزعمون أنك ومن تبعك جورة طغاة مبتدعون [٤٠٧-أ] مخالفون لشريعة ربّ العالمين، منهمكون في الحرام، منغمسون في الآثام.

فلمَّا تكاثرت بذلك كتبهم إليه، وتراسلت وفودهم عليه، كتب إلى عامله الَّذي سلَّطه على أهل الحساء، أن أشخص لي فلاناً وفلاناً، فعدد باثني عشر رجلاً، فكلَّفنا عامله بالمسير إليه، فامتثلنا أمره خوفاً أن يفرط علينا، أو أن يطغى.

وكان من جملتنا ولد حدث السن، إلَّا أنه عارف بالفقه، وبتفسير الكتاب والحديث النبوي، وله يدٌ في علم المنطق، والمناظرات البحثيات، وسائر الكتب المفيدة، فما زلنا ندرِّسه في الطَّريق، بألا يكون جوابه وجوابنا لمن يباحثنا منهم إلَّا جزاك الله خيراً، [أوضح لنا الهدى][٤]، فإنَّا إليه راغبون.

---

(١) السوفسطائية: كلمة يونانية مشتقة من اللفظة «سفسطة» التي تعني الحكمة والحذق.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٤٣.

(٣) الأوباش: جمع وبش، وهم السفلة، والجورة الظالمون المعتدون.

(٤) سقطت من النسخة (ب).

قال: فلمَّا وصلنا إلى رياض النجدية[1] رأينا عبد العزيز فيها ومعه عدّة من مطاوعته، وجملة من جلاوزته[2]، فصاحت علينا الصبيان قبل أن نسلِّم عليه وعلى أهل عقيدته، وهم يقولون: الله أكبر، ﴿وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[3]. أعزَّ الله المسلمين وأذلَّ المشركين.

قال: فما اكترثنا، بهم ونزلنا بمسجد يقال له، مسجد المطاوعة، فلمَّا أودعنا فيه رحالنا وما حملناه من الأمتعة والزَّاد، أتانا عبد العزيز، ومعه جملة من المطاوعة، فسلَّموا علينا، فرددنا عليهم السَّلام [٢٤٢-ب]، وجلسوا هنيهةً، ثمَّ مضوا عنَّا.

فأتانا من عبد العزيز الطَّعام لنا ولدوابنا، ما تشتهيه النّفس، ولم تزل خوانيه تأتينا بالطَّعام صباحاً وعشيًّا، ولم يزل عبد العزيز [يأتينا][4] في كل صباح ومعه مطوع من كبار مطاوعته، ويقرأ علينا ذلك المطوع الكتاب الَّذي سموه، «كشف الشُّبهات»، ونحن له صاغون، وإذا فرغ من قراءته قلنا له على حدَّة: جزاكم الله [٤٠٨-أ] خيراً، وضِّحوا لنا الهدى، فإنا إليه راغبون، ولقول الحقّ مستمعون متّبعون، وهم لم يفهموا هذه التورية الَّتي ورَّيناها وأوريناها.

ثمَّ أتانا ذات يوم عبد العزيز إلى المسجد، ومعه من المطاوعة عدّة، فجعل المطوِّع الَّذي يُقرأ لنا كتاب «كشف الشُّبهات» يقرأه ويقول بعدما يتمم من قراءته: يا أهل الحسا، لقد بلغنا أنكم تزعمون فيكم رجالاً

(١) رياض النجدية: هي مدينة الرياض، عاصمة المملكة العربية السعودية حالياً.

(٢) الجلاوزة: رجال الشرطة، والمفرد جلواز.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٨١.

(٤) «يأتي إلينا» في النسخة (ب).

جهابذة فقهاء، لا يقدر أحد على مباحثتهم في العلوم، وأنتم دوننا في العلم، فباحثونا إن كنتم صادقين، أو فسلموا لنا الأمر إن كنتم في الدين الخالص ناصحين.

[قال: فالتفت إليه الولد الحدث السّن، الَّذي هو واحد من جملتنا، وقال له:

- طالما أكثرت لنا الخطاب][(١)] وتلوت علينا ما في أوراق هذا الكتاب، الَّذي هو في سلب من عباب الإيجاب عند أولي الألباب، فأنا أسألك، قبل أن يفحمك هؤلاء المشايخ الجهابذة، عن دين الله ودين رسوله (ﷺ)، [أهو بعد رسول الله (ﷺ)][(٢)]، وبعد الخلفاء الراشدين، انفصل، فوصلته أنت ومن اتبعك؟ أم هو دين متّصل لا منفصل؟

قال: فسكت ذلك المطوع، فلم يجد جواباً.

فقال له عبد العزيز: فوالله الَّذي لا إله إلَّا هو، لقد غلبك الشاب، وفلجك عن الجواب، فإنك إن قلت منفصل فأنت كذاب، إذ لا يصل الدين المنفصل إلَّا نبي مرسل، ولا نبيّ مرسل بعد محمَّد رسول الله (صلَّى الله عليه وسلَّم)، وإن قلت له متصل، فأنت مبتدع، فإنَّ من أراد زيادةً دين على الدين المتصل فهو مبتدع متفيِّء بظلال الضَّلال، فدين الله واحد، ليس جملة أديان، فمثلك لا يباحث العلماء الأعلام بالكلم الظنّيَّة والأوهام، لقد دقّقت بزجاجتك صخرةً صمَّاء، ومشيت [٤٠٩-أ] بحيل مشية الأعمى، فلله درّكم يا علماء الحسا، فإنكم ناؤون من الشَّك، ناؤون عن الشرك، أقيموا معنا بعزازةٍ واحتشام، وإن أردتم الرّجوع، فارجعوا إلى وطنكم بسلام.

---

(١) سقطت من النسخة (ب).

(٢) سقطت من النسخة (ب).

قال: فقلنا له على حدَّة: إن الرّجوع إلى وطننا أثلج لصدورنا، وأقرّ لعيوننا. ثمَّ انصرفنا عنهم، من يومنا.

فلمَّا وصلنا إلى الحسا، رأينا مطاوعة الوهابيّة قد اشتدّ ظلمهم وجورهم على من أطاعهم من أهل الحسا، فضلاً عن من عصاهم في دعوتهم الشَّيطانية السوفسطائية، فرحلنا عنهم بحرّ جنان، وما ثلجت قلوبنا، إلَّا بعدما نهلنا أمان مسقط عُمان. ثمَّ سكت. . . .

فجرى الحديث بيننا في ذكر سيرة الخلفاء الأربعة، وهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعليّ، فقال الشَّيخ محمَّد الزواوي:

- إن لأعجب من قوم زعموا أن عثمان بن عفان حذف ما في القرآن لعلي من الشَّأن حسداً منه، لما تميز بالمناقب الَّتي لم ينلها بعد رسول الله (صلَّى الله عليه وسلَّم) سواه من العالم العلوي والسُّفلي، وأن الَّذي حذفه عثمان من القرآن لعلي من الشَّأن هو موجود معهم، لا يظهرونه إلَّا لأهل مذهبهم الخاصَّة، ويزعمون، أنه لا يسعهم إظهاره لمن خالف مذهبهم، فلينظر [المنصف][1] إلى قولهم، فإنَّ مع الإنصاف يذهب الاعتساف، فهل يقدر عثمان أو غيره على حذف ما في الصدور مسطور، فإن الله تعالى يقول: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾[2]. ومن العلوم، أن القرآن العزيز لم ينزل به جبريل الأمين، (عليه السَّلام)، عن ربِّ العالمين لمحمَّد النَّبي (ﷺ)، في قراطيس [٢٤٣-ب] [ولم يتله النَّبي (ﷺ) على النَّاس من قراطيس][3]، فأيُّ استطاعة على حذف ما في الصّدور، أو استطاعة على حذف [٤١٠-أ] ما في السّطور، فضلاً عما في

---

(١) «المصنّف» في النسخة (ب) والصحيح ما أثبتناه في النص من النسخة (أ).

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٤٩.

(٣) سقطت من النسخة (ب).

الصّدور، ولو كان الأمر كما زعموا، لمَ لمْ يردّ عليّ ما حذف عنه عثمان من المناقب بعد عثمان، إن كانوا يزعمون أنه كان في حياته يتقيّد، وهل يسع عليًّا ذلك، لو كان الأمر كذلك، لا والله، ما هذه منهم إلّا فريّة ومريّة، وكلمات سفسطائيات لا تليق إلّا بالزّنديق. ثمَّ سكت.

فقال له السيّد سالم: لله درّك، فأنت جهبذة فقيه نحرير، نبيه، فهل لك من وطر نقضيه، أو شأن غير شائع فنمضيه؟

قال: [لا][1].

فودّعناه، وخرجنا عنه، وهو كما نحن نثني عليه، علينا يثني.

ومن الحزم الَّذي التزمه السيّد الهمام سالم بن سلطان ابن الإمام إلى أن وقع في الألم الَّذي يتوفّى فيه، كان إذا مضى من بلد إلى بلد، وقدم له فيه الطّعام لا يأكل منه شيئاً قبل أن يتقدمه فيه أحد حذراً من الدّسائس، وكان ذا حذرٍ زائد من الصّديق، فضلاً عن العدوّ، وإذا ناجاه مناجٍ في خلوة قبض على مقبض خنجره، ومدَّ نظره إليه، فلا يقصره عنه، إلّا إذا تمَّت المناجاة بينهما.

وسمرت معه ذات ليلةٍ من شهر رمضان، وهي ليلة الرّابع عشر من رمضان سنة الألف والمائتين والثّلاثين، فلمّا مضى على سمارنا ثلث من اللّيل قال، مالي لا أسمع صوت حارسٍ بالحصن الشّرقي، وقد حبس فيه أخي سعيد عتاة بني عتبة، وعدد من أكابرهم رجالاً، وهم من أهل الكويت والبحرين، منهم بن سلامة الكويتي، ومن أهل البحرين عبد الرّحمن، ومحمّد بن صقر، فقلع من سفنهم كل سكان[2]، وقيدهم السيّد سعيد في

---

(١) سقطت من النسخة (ب).

(٢) السكان: دفّة السفينة التي توجّه سيرها.

الحصن لما أراد المسير إلى حرب أهل البحرين، وهي الحرب الأولى منه لها، فقال لي: امض هذه الساعة [٤١١-أ] إلى أمير عسكر باب الصَّغير، والأمير به يومئذٍ سليمان الحوسني، وامضِ إلى أمير باب الكبير، والأمير به يومئذٍ محمَّد بن سالم الرَّواحي، فليأتني كل واحد منهم بعشرة رجال من أصحابه.

فلمَّا أتيت بهما إليه، ومع كل واحد منهما عشرة رجال، مضى ومضوا أمامه وخلفه، حتَّى إذا كنَّا حذاء بيت الشَّيخ محمَّد بن غلوم، قال للعبيد والعسكر: قفوا مكانكم، وأخذ بيدي وبيد رجل من آل أبي سعيد يسمَّى علي بن محمَّد، حتَّى إذا كنَّا قريباً من الحصن رمانا حارسه بحجارة، فتقهقرنا لما علمنا أنه قد أخذ حزمه في الحرس، ولذنا بجدر متهدمة من البيت الَّذي هدمه البحر، وهو بيت محمَّد بن عقيل، أمير ظفار، فشهدنا في تل الهدم اثني عشر شخصاً طوال الجسوم، كل واحد منهم تبلغ قامته اثني عشر ذراعاً، قمصانهم وعمائمهم بيض، يصلون جماعة، وإمامهم أطول جسماً منهم، فلمَّا قعد بهم إمامهم للتحيَّات، وسلَّم بهم، التفت إلينا، وقال: قفوا مكانكم، فوقفنا، وكأن أرجلنا قد قيدت بقيود من حديد، فلمَّا انجلى عنَّا ذلك [الرّجل][1] رجعنا إلى العسكر والعبيد، فجعل يسألهم عن الَّذين رأيناهم، فقالوا: ما شهدناهم، ولا سمعنا بهم قبل أن تخبرنا عنهم.

فلمَّا سمع منهم ذلك، رجع ورجعنا معه كافَّة، فما شهدنا أحداً في المكان الَّذي شهدناهم فيه، فعجبنا من شأنهم عجباً شديداً، ثمَّ زالت عنَّا الظنّون، وأيقنا أنهم صوفيون [صفيون][2]، فرجع ورجعنا معه.

---

(١) سقطت من النسخة (ب).

(٢) سقطت من النسخة (ب).

فلمَّا دخل بيته، رجع كل واحد منَّا إلى بيته، ورجع العسكر إلى مقبضيهما.

ومن محبَّته في المتجرّدين الصّوفيين، لقد صحبته ذات يوم إلى برزة [٤١٢-أ] أخيه سعيد، فلمَّا كنَّا حذاء دكَّان أحمد بن يوسف الصفار الشَّيعي، رأينا رجلاً رثَّ الثياب في عنفوان الشَّباب، جميل الصورة عليه ذؤابة(١) طويلة، فأطال السيّد سالم بن سلطان نظره إليه، وذلك الرجل الشَّاب قد أقصر نظره [٢٤٤-ب] عن النَّاس يحرك شفتيه بكلامٍ لطيف، لا تفقهه المسامع، فأشار لي، فدنوت منه، فقال: أسرع إلى وكيلي فلان، وخذ بأمري من عنده عشرة قروش فضَّة، وأعطها الرّجل القاعد حذاء دكَّان أحمد بن يوسف الصفار.

فمضيت سريعاً، وأخذت كما أمرني من وكيله، فلمَّا جئت إلى دكّان أحمد الصفار، ما وجدت الرّجل، ولا رأيت له أثراً، فجعلت أسأل عنه، فلم يفدني أحد عنه بخبر.

فلمَّا رجع السيّد سالم إلى بيته، مضيت إليه وأخبرته الخبر، فقال: أرجع ما أخذته من الوكيل إليه، ما دام قد فات المطلوب، ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(٢).

ففعلت كما أمر، وأرجعت المال الَّذي أخذته من الوكيل إليه.

ومن شدة عزمه في الحروب، لقد صحبته، [لما](٣) قربت سفن أهل جلفار على [صخرة](٤) الصيرة الشَّرقية لنهب السُّفن الَّتي لرعيَّة السيّد

---

(١) الذؤابة: ذيل النعامة من الخلف.

(٢) سورة التكوير، الآية: ٢٩.

(٣) سقطت من النسخة (ب).

(٤) «بحر» في النسخة (ب).

سعيد خاصَّة، وسفن أهل الهند عامَّة، وكان يومئذٍ أمير أهل جلفار حسن ابن رحمة الهولي، وكان وهَّابيًّا أشد من الوهابيّة، وعدد قومه الَّذين في سفنه الَّتي جهزها للنهب أربعة آلاف وثلاثمَّائة، وقيل خمسة آلاف، وهو الأصحّ، وفي القوم المذكورين طنيج[١] وزعاب[٢] ونجدية، وعدد سفنه أربع وعشرون سفينة، وفيهن مركب كبير نهبوه من رجل من أهل اليمن، والمعروف بأبي عبيد، فخرج إليهم السيّد سعيد وأخوه سالم وسائر آل أبي سعيد [٤١٣-أ] القاطنين بمسقط على مركب واحد، فوقع في البحر بينهم حرب شديدة، ثمَّ رجع السيّدان إلى مسقط، فجهّز لحربهم فوق المركب الأوَّل أربعة مراكب، فكان جملة من فيها من العسكر ألفاً ومائتي رجل، وفي الخروج الثَّاني اصطحب السيّد سالم بن سلطان، وكان ركوبه يومئذٍ في المركب المسمَّى «فيض عالم»، وركب السيّد سعيد في مركبه «الغول»، وركب أحمد بن سيف بن محمَّد في مركبه، ومركب لمحمَّد بن غلوم فيه رجال من أهل فارس، فواقعناهم في البحر مرتين، والوقعة الثَّانية أشدّ من الأولى، فلا تسمع الأذن من مراكبنا وسفائنهم إلَّا كأصوات الرعود وارتفاع الزعقات، فوالله لكأنّي أنظر الآن إلى سالم، وهو واقف حذاء دولاب المركب يتبسَّم، والقوم مقطبة حواجبها، فجعل السيّد سالم مع تلك الشدة الَّتي كادت بها تبلغ القلوب الحناجر يتمثل مبتسماً ببيت أبي الطَّيب:

فَــلــلّــهِ وقــتٌ ذوَّبَ الــغــشّ نــارهُ ... فلم يبقَ إلَّا صارمٌ أو ضبارمُ[٣][٤]

---

(١) طنيج: اسم قبيلة مقرها في الذيد.

(٢) زعاب: اسم قبيلة تسكن الجزيرة الحمراء، وتسمى أيضاً «جزيرة زعاب» نسبة إليهم.

(٣) الضبارم: الشجاع الجريء، وأصله الأسد الشديد الغليظ.

(٤) هذا البيت من قصيدة للمتنبي يمدح فيها سيف الدولة الحمداني، ويذكر بناءه ثغر الحدث سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة، ومطلعها: =

ثمَّ انكشف القوم عنَّا، فهزمناهم حتَّى بلغناهم سلامة، فولّوا، ورجعنا إلى مسقط.

وبالجملة، إن أخبار السيّد سالم بن سلطان ومناقبه حميدة لا تحصى. وكان سبب موته بداء الفالج، وتوفي في بلدة مسقط ليلة الخميس من شهر رجب سنة ألف ومائتين وست وثلاثين، ودفن في الحضيرة الَّتي بناها والده سلطان في ظهر الجانب الغربي من وادي الأوسط من بلدة مسقط، وترك من الأولاد الذكور السيّد محمَّد، والسيّد حمد، وسرحان.

ورثيته لما توفي بقصائد مطولات عدّة، ومنهنّ القصيدة الهمزية، ومطلعها:

عزاءٌ، وللحرِّ الحليمِ عزاءُ   إذا ما أتتهُ ترحةٌ وبلاءُ[1]

ورثيته بقصيدة بائيَّة، ومطلعها شعراً:

[٤١٤-أ] ألا اسقوا الدمعَ ريقكمْ الجديبا   وشُقُّوا شَقَّ جَيْبِكُمُ القلوبا[2]

= على قدرِ أهلِ العزمِ تأتي العزائمُ   وتأتي على قدرِ الكرامِ المكارمُ
وتعظمُ في عينِ الصغيرِ صغارها   وتصغرُ في عينِ العظيمِ العظائمُ
يكلِّفُ سيفُ الدولةِ الجيشَ هَمَّهُ   وقدْ عجزتْ عنهُ الجيوشُ الخضارمُ
إلى أن يقول
فللهِ وقتٌ ذَوَّب الغشَّ نارهُ   فلم يبقَ إلّا صارمٌ أو ضبارم
انظر القصيدة كاملة في: شرح ديوان المتنبي، وضعه عبد الرحمن البرقوق، ج٤، ص٩٤-١٠٨.

(١) بعد المراجعة والتدقيق تبيّن أن القصيدة غير مودجودة في أعمال بن رزيق الأدبية والتاريخية.

(٢) بعد المراجعة والتدقيق تبيّن أن القصيدة غير موجودة في أعمال بن رزيق الأدبية والتاريخية.

ورثيته بقصيدةٍ رائيَّة، ومطلعها شعراً:

[٢٤٥-ب] مصابٌ يكادُ اليمُّ منه يَغُورُ أسى، وتكادُ الأرضُ منهُ تَمُورُ[١]

ورثيته بقصيدة لاميَّة، ومطلعها شعراً:

خدعُ المنى ووساوسُ الآمالِ لا زلنَ ضاحكةً على الآجالِ[٢]

ورثيته بقصيدتين ميميَّتين، ومطلع الأولى شعراً:

غاضَ بحر النوال فاسقوا الرسوما أَدْمُعَاً تَفْضَح الهمول الغيوما[٣]

---

(١) مصابٌ يكادُ اليمُّ منه يغورُ أساً وتكادُ الأرضُ منهُ تمورُ
فجدْ بدموعٍ تطفي بعضَ لظا الجوى فإنَّ الحشايا بالهموم تفورُ
وخفِّض جناح الذّلِّ للحزنِ فالنهى تطيّر بالبرحا فكادُ يطيرُ
وإياكَ شَقُّ الجيبِ إنْ كنتَ نادباً فتىً لرزاياهُ تُشَقُّ صدروُ
أيرجو امرؤٌ منّا سروراً وسالمٌ رهينَ ترابٍ جاورتَهُ قبورُ
انظر القصيدة كاملة في: بن رزيق، حميد بن محمد: سبائك اللجين، ص٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨.

(٢) بعد المراجعة والتدقيق تبيّن أن القصيدة غيرموجودة في أعمال ابن رزيق الأدبية والتاريخية.

(٣) غاضَ بحرُ النوالِ فاسقوا الرسوما أدمعاً تفضحُ الهمولَ الغيوما
وانثروا في الخدودِ ممّا جنوتم من هو لُجَّةُ الجمانِ النظيما
وحطموا في صفا الأسا سفن من السلوا نِ حطمُ امرئٍ أسرّ الهموما
قد دُهيتم كما دهيت أولي الحز مِ بخطبٍ يقضقضُ الحيزوما
كلّما رام أن يصغّره الوهم مع الدهرِ شام رزءً عظيما
انظر القصيدة كاملة في: بن رزيق، حميد بن محمد: سبائك اللجين، ص٦١٠-٦١٢.

ومطلع الثَّانية منهما شعراً:

ولمثلِ ذَا الرّزْءِ فلْتَبْكِ العيونُ دماً   اليوم زُعْزِع ركنُ المجدِ فانهدما[١]

ورثيته بقصيدتين نونيَّتين، مطلع الأولى منهما:

عَضُّوا اللِّسان فطَعْنُ الحظِّ قد بانا   وقَرِّحوا لِفَنَا اللَّذّاتِ أجفانا[٢]

ومطلع الثَّانية:

اليومَ غاضَ قِلَمَّسُ[٣] الإحسانِ   واندكَّ طَوْدُ الأمنِ والإيمان[٤]

وأما مدحي له أيَّام حياته نظاماً ونثراً فلا أحصيه، كما لا أحصي إحسانه.

---

(١) بعد المراجعة والتدقيق تبيّن أن القصيدة غير موجودة في أعمال ابن رزيق الأدبية والتاريخية.

(٢) ورد في سبائك اللجين (النبان) بدل اللسان وذلك في قوله:

عضّوا البنان فطعنُ الحيُ قد بانا   وقرِّحوا لجنا اللذّات أجفانا
وحطِّموا الصَّدر بالراحات وادّكروا   في الربع من زمن الراحات ما كانا
ولا تميلوا إلى السلوان إنّ لنا   قلباً يرى الهجر للسلوان سُلوانا
لقد دعا الناس داعي الحزن فامتثلوا   لأمر دعوته شيباً وشبّانا

انظر القصيدة كاملة: في بن رزيق، حميد بن محمد: سبائك اللجين، ص٦٦٤-٦٦٦.

(٣) قلمّس: الكثير الماء، والرجل الخيّر المعطاء، والسيد العظيم.

(٤) اليوم غاض قلمّس الإحسان   واندكَّ طودُ الأمن والإيمانِ
فتوّق بعد الصعق مهلكة فقد   قامت عليك قيامةُ الأحزانِ
وأذِبْ نضار شؤون طرفك حسرة   بشواظ نار الهمّ والأشجانِ
وألبس ثياب الشجوِ دهرك والأسى   واخلع ثياب شبارق السلوانِ
واعضض على الراحات منك ندامةً   عضًّا على الراحات بالأسنانِ

انظر القصيدة كاملة في: بن رزيق، حميد بن محمد: سبائك اللجين، ص٦٦٦-٦٦٨.

وكفاني لولا مودّته وإحسانه لما تصديت لنظم القريض، فهو قد صقل جناني بجود بنانه، وشحذ لساني بشعشعائيّة إحسانه، فلأجل ذلك قلت في خطبتي عند تأليفي للكتاب الَّذي سمَّيته «سبائك اللجين»[١] أمات بمحياه الطغيان، وأحيا بمماته الأشجان.

وإنّي لأذكر نبذة من سجاياه الشَّريفة، التَّليدة الطَّريفة، فهو لما رجع من حرب جلفار إلى المصنعة، ومكث بها، مضيت من مسقط إليه، أنا والشَّيخان حمَّاد بن محمَّد بن سالم البسط، وعلي بن محمَّد الدَّرمكي لمطارحة السَّلام عليه، والتهنئة بالظَّفر إليه، فلمَّا وصلنا إليه، أفاض علينا وبلَّ نواله، وروضنا [٤١٥-أ] برياض رضاه واحتفاله، فمكثنا معه أيَّاماً طوالاً، أصارهن السرور قصاراً، فلمَّا أردنا الرجوع إلى مسقط خيرنا بالمسير إليها على طريق البرّ أو البحر، فاخترنا طريق البحر، فهيَّأ لنا سفينةً جميلةً، ومع الانصراف لما ودعنا تمثَّل بهذا البيت، فقال شعراً:

لا مـرحَـبَـاً بـغَـدٍ ولا أهـلاً بـهِ إن كـانَ تـفـريـقُ الأحـبَّـةِ فـي غـدِ

ومن احتفاله الزَّائد بأهل محبَّته وأصحابه، أنه لما بلغ المرض فيه الغاية، اشتغلت أنا ذات يومٍ وبعض الخاصَّة عن المسير إليه للعيادة، ولمَّا مضينا إليه في اليوم الثَّاني عاتبنا عن تأخيرنا عنه في اليوم السَّابق، هذا مع ما هو فيه [وعليه][٢] من الألم الشَّديد والداء العنيد، فآهاً، آهاً على ذلك

---

(١) سبائك اللجين: ديوان شعر كبير للأديب والشاعر والمؤرخ العُماني الشهير حميد بن محمد بن رزيق، يتألف من ٧٩٧ صفحة من القطع الكبير، موجود في مكتبة وزارة التراث والثقافة العُمانية، ولدينا نحن المحققون نسخة منه. ومايزال مخطوطاً.
ومما قاله:
«مات بمحياه الطغيان، وأحيا بمماته الأشجان، فلله دره عاش تثياً صفياً، وفارقنا ذكياً رضياً». انظر مقدمة «سبائك اللجين» ص٣ المخطوط.

(٢) سقطت من النسخة (أ).

الزمان، وعلى مفارقة ذلك السيّد الَّذي تعُّد مودته للأودَّاء الرّوح والأبدان، وعني لم يزل ذلك الحزن المرادف بالأنين، إلَّا قول الله لنبيِّه (ﷺ): ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ ...[1].

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٥.



هذا الكتاب المسمَّى

بدر التّمام في سيرة السيّد الهمام سعيد بن سلطان بن الإمام الحميد أحمد بن سعيد البوسعيدي اليمني العُماني الأزدي

تأليف

الشَّيخ الفقيه الفصيح، السائل ربه عنه وعن المسلمين دفع كل ضيق سليل بن رزيق.

ألَّف هذه السّيرة سنة الألف والمائتين والثَّلاث والسَّبعين من الهجرة النبويَّة الإسلاميّة، على مهاجرها أفضل الصَّلاة والسَّلام

بسم الله الرحمن الرحيم

[٢٤٦-ب] الحمد لله الَّذي نال به سعيد الملوك حظًّا رضيًّا، ومجداً عدملّياً، وسلطاناً قويًّا، وقضي بالسعد له، فكان مركزه في أفق المجدّ والجدّ مكاناً عليًّا، فانقادت بإعانة الله ونصره له ملوك عصره، فشرّف بضربه وطعنه في الأعداء سمهريًّا[1] ومشرفّياً[2]، ففتح مغاليق البلاد بالسّيوف الحداد، وسلك في قطع وصل أجياد أهل العناد صراطاً سوياً، والصَّلاة والسَّلام على رسوله المؤيد، سيّدنا محمَّد المذلل بعزّته الأعداء تذليلاً. وعلى آله وصحبه المعطين بحدِّ القرضاب[3] حقّ الضِّراب، وما بدلوا عن العزّ عزائمهم تبديلاً.

أمَّا بعد..

لما سُقت وسايق إلمام الكلام لسيرة الإمام أحمد بن سعيد، الإمام الهمام، وأتبعت بعده ذكر مناقب أولاده، أهل التفضيل على الجملة والتفصيل، تماسكت عن نظم سيرة الهمام، رفيع الشَّأن سعيد بن سلطان،

---

(١) السمهري: هو الرمح السلب.

(٢) المشرفي: هو السيف.

(٣) القرضاب: السيف القاطع.

اقتداءً بمذهب المؤرخيّن، الأوّلين والآخرين، إذ هم لا يؤرخّون لأهل المناقب العليّة، إلّا بعد ارتحالهم للمنيّة، إذ غاية آية أفعالهم إلى يوم ارتحالهم غيب لها القلوب والأفواه، ولا يعلم الغيب إلّا الله، وفي الأيّام الّتي ذكرت فيها سيرة الإمام أحمد بن سعيد وأولاده السّلاطين، [كان](١) سعيد بن سلطان في الوجود، غير مفقود، ولمّا قضى بحكم القضاء، تاقت نفسي لذكر ما كان له من الكوائن في زمانه، لعلوّ شأنه وسلطانه، فأنا الآن، إن شاء الله، لأذكر بعض ما حفظته من سيرته الجزئية السَّنيَّة، إذ الكلية متعذّرة للسرِّ والعلانية، ولأفند على امرئ إذا جاد بما يجد، فإن من رفع السماء بغير عمدٍ وأكرّه، هو لا غيره لا يعزب عنه مثقال ذرَّة، وبالله الإعانة والتوفيق [٤١٧-أ]، وبه يصاب التحقيق، وقد سميت هذا الكتاب، «بدر التَّمام، في سيرة الهمام، سعيد بن سلطان بن الإمام»، فأقول لكل أوّاهٍ(٢) حليم، بعد

■بسم الله الرَّحمن الرَّحيم:

ولد السيّد الحميد الهمام سعيد بن سلطان بن الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي الأزدي سنة الست والمائتين والألف بلا خلف في بلدة سمايل، وتوفي في يوم التاسع عشر من شهر صفر سنة الثلاث والسبعين والمائتين والألف من الهجرة السنيَّة النبويَّة، فكان عدد سنِّه من البداية إلى النهاية سنتين وستين سنة وشهرين إلّا أحد عشر يوماً(٣)، وكانت وفاته لما انفصل عن بلدة مسقط إلى بلدة زنجبار، في مركبه المسمَّى «فكتوريا»

---

(١) إضافة يقتضيها السياق.

(٢) الأواه: الفقيه.

(٣) يظهر من تاريخ مولده وتاريخ وفاته أن عمره (٦٧) سنة وليس (٦٢) سنة.

على بحر سيشل[١]، فغسل، وكفِّن، وصلّي عليه في المركب المذكور، ووضع في صندوق من خشب، وأخذ المركب المذكور في سيره ستَّة أيَّام من سيشل إلى زنجبار، ودفن في حديقة بيته الَّذي يسكنه بزنجبار ليلاً، وقعد ولداه، ماجد[٢] وبرغش[٣] في التعزية للنَّاس ثلاثة أيَّام.

ولمَّا كملت التعزية تقدم ماجد على إخوته الَّذين بزنجبار، فجلس على كرسي الملك والسّلطان، وجعل كل واحد من أصحاب أبيه سعيد أيَّام دولته في المرتبة الَّتي كان فيها من أبيه، فأثنت عليه الرعيَّة وشكروا صنيعه.

ثمَّ بعث إلى مسقط مركباً من المراكب الَّتي خلَّفها أبوه، وأنفذ كتبه

---

(١) بحر سيشل: أي في مياه المحيط الهندي القريبة من جزيرة سيشل.

(٢) ماجد: ماجد بن سعيد بن سلطان البوسعيدي، أول سلاطين الدولة البوسعيدية في زنجبار بعد تقسيم الإمبراطورية العُمانية بعد وفاة السلطان سعيد بن سلطان عام ١٨٥٦م، تولى الحكم بعد وفاة أبيه، ووقع خلاف بينه وبين أخيه السيّد ثويني على حكم البلاد، وانتهى الأمر بالتوقيع على اتفاق بينهما على أن يكون السيد ثويني سلطاناً على عُمان، وماجد سلطاناً على زنجبار على أن يقدم السلطان ماجد مبلغاً من المال ضريبة سنوية لسلطان عُمان، كان السيد ماجد أول من درب الجيش تدريباً حديثاً. توفي السلطان ماجد سنة (١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م) وله من العمر (٣٧) سنة. انظر: دليل أعلام عُمان، ص١٤١. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٣٥٩.

(٣) برغش: برغش بن سعيد بن سلطان (١٢٥٢-١٣٠٥هـ/ ١٨٣٧-١٨٨٨م) ثاني سلاطين البوسعيديين في زنجبار، تولى الحكم سنة (١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م) بعد وفاة أخيه السيد ماجد، كان برغش ذا هيبة ووقار، قرّب العلماء، وآوى الأخيار، أول من اتخذ مركباً يحمل الحجاج من زنجبار إلى بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج الخاصة، وأول من اتخذ مطبعة لطبع الكتب الدينية والتاريخية، توفي في طريقه إلى زنجبار عائداً من عُمان. انظر: دليل أعلام عُمان، ص٣٣.

بيد رسوله الَّذي بعثه في المركب بالخبر إلى إخوته، ثويني[١] ومحمَّد[٢]، وتركي[٣]، أبناء سعيد بن سلطان، ولسائر النَّاس من آل أبي سعيد وغيرهم الَّذين التزم لهم الكتابة منه.

فطرح المركب أناجره على ناحية رأس الحدّ [٤١٨-أ]، وأنفذ الرَّسول الكتب الَّتي حملها من ماجد إلى شيخ أهل الحد، فمضى بهنّ ذلك الشَّيخ إلى والي صور، وهو السيّد سعيد بن خلفان [٢٤٧-ب] بن

---

(١) ثويني بن سعيد بن سلطان بن الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي (١٢٣٥-١٢٨٢هـ/ ١٨٢٠-١٨٦٦م): سلطان عُمان، تولى الحكم بعد وفاة أبيه السلطان سعيد بن سلطان سنة (١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م) وجعل إقامته في الثانية. وسار سيرة حسنة، رماه ابنه سالم ابن ثويني برصاصة قتلته في صحار طمعاً في الملك من بعده. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ١٠٢. وانظر أيضاً: دليل أعلام عُمان، ص٤١. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٧٨.

(٢) محمد بن سعيد بن سلطان البوسعيدي (١٢٤١-١٣٢٠هـ/ ١٨٢٦-١٩٠٢م): أمير، رابع أبناء السلطان سعيد بن سلطان، ولد بعُمان، وكان تقياً، يشغل نفسه بأمور الدين، ويرفض كل الأمور المتعلقة بالدنيا، في صغره عيّنه أبوه حاكماً على السويق والمدن المجاورة، وعلى إثر وفاة والده السلطان سعيد بن سلطان وكّله إخوته المقيمون بعُمان بنقل ميراثهم إلى زنجبار، انظر: دليل أعلام عُمان، ص١٤٦.

(٣) تركي بن سعيد بن سلطان البوسعيدي (١٢٤٧-١٣٠٥هـ/ ١٨٣٢-١٨٨٨م): أحد سلاطين عُمان، ولد في زنجبار، وعاش فيها فترة طويلة، ثم أرسله أبوه إلى عُمان، وعيّنه حاكماً على صحار، ثم رحل عنها في أيام حكم بن بأخيه سالم بن ثويني، وأقام في الهند إلى أن صار الأمر إلى عزان بن قيس، فعاد إلى مسقط بعد مقتل الإمام عزان، وتولى الحكم في عُمان سنة ١٢٨٧هـ. انظر: دليل أعلام عُمان، ص٣٧. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٧٥.

سعيد البوسعيدي، ومضى بهن الوالي سعيد المذكور إلى مسقط فسلَّمهنّ للسيد ثويني بن سعيد، ورجع المركب بعد تبليغ الكتب لشيخ الحدّ إلى زنجبار.

فلمَّا فضَّ السيّد ثويني ختام كتابه، وقرأه، وأخبره والي صور ما أخبره عن شيخ الحدّ ورسول أخيه ماجد، أمسك بقية الكتب، ولم يبعثها إلى أهلها، وطوى الخبر عن العامَّة والخاصَّة.

وأمر كتَّابه أن يكتبوا إلى ولاة حصون أبيه كافَّة بالحزم والحرس، لا زيادة، ولمَّا رتب السيد ثويني بلدة مسقط والمطرح أحسن ترتيب، أظهر الخبر بموت أبيه، ودفع كلَّ كتابٍ لصاحبه، فوقعت في البلدة صيحةٌ عظيمة من أهلها، حتَّى خُيِّل أنَّ الجبال تزعزعت منها، وجلس هو وأخوه محمَّد بن سعيد وابنا عمِّهما محمَّد[1] وحمد، ابنا سالم بن سلطان، وسائر آل أبي سعيد الَّذين هم بمسقط في التعزية ثلاثة أيَّام.

وأما السيّد تركي، فعند ورود الخبر [كان][2] هو يومئذٍ بمدينة صحار، وكان أبوه سعيد قد ولَّاه عليها أيَّام حياته، فلما وصله رسول أخيه

---

(١) محمد بن سالم بن سلطان بن أحمد البوسعيدي (١٢٣٠-١٢٨٦هـ/ ١٨١٥-١٨٦٩م): أمير، ولد في عُمان، وعاش في زنجبار، وكان ممثلاً لعمه السلطان سعيد بن سلطان ولابنه ماجد من بعده في زنجبار، تولى إدارة حكومة شرق إفريقيا، وعمل مستشاراً للسلطان سعيد بن سلطان وأولاده من بعده، ويعدّ واحداً من الخمسة الذين تولوا تنفيذ وصيته بعد وفاته، عاش محمد بن سالم في كيبوندا بشرق إفريقيا إلى أن توفي فيها، قيل إنه عينه السيد ماجد بن سعيد نائباً عنه على زنجبار وما حولها لما سافر إلى الهند، وكان ذلك سنة ١٢٨٢هـ. انظر: دليل أعلام عُمان، ص١٤٦. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٣٩٧.

(٢) إضافة يقتضيها السياق.

ثويني بالكتاب الَّذي فيه الخبر، قعد للنَّاس في التَّعزية ثلاثة أيَّام، واحتسب الله في الصبر، لقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾[1].

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٥، ١٥٦.

ذكر لمع من بعض سيرة السيّد [الحميد](*)

سعيد بن سلطان ابن الإمام أحمد بن سعيد، ونبذة من أفعاله الحميدة الشائعة للناس بالإيناس

تولى السيّد سعيد بن سلطان أمر عُمان، وقعد على سرير الملك بعد وفاة أبيه سلطان، وكان سبب موت أبيه [٤١٩-أ] سلطان كما ذكرناه في ترجمته، وكان تقديم السيّد سعيد في الملك على أخيه سالم بن سلطان بعد وفاة أبيهما برأيٍ من السيّدة بنت الإمام، وبرضى من أخيه سالم.

فولّى سعيد على مسقط درَّة بن جمعة البلوشي، وكان درَّة شيخاً فاضلاً، قد أحسن إلى سيف وسلطان ابني الإمام أحمد بن سعيد، لما وفد سيف وسلطان عليه في مكران أيّام دولة أبيهما الإمام أحمد بن سعيد، ومنافرة الإمام وولديه سيف وسلطان، وقرب السيّد سعيد الشّيخ محمَّد بن ناصر بن محمَّد بن محمَّد الجبري، فأشركه في الحل والعقد، وأمر كتَّابه أن يكتبوا بأمره لكافَّة أكابر أهل عُمان بالوصول إليه، فلمَّا أتوه، أخذ منهم البيعة على كل من ينازعه في الملك، فأجابوه إلى ذلك، فأحسن إليهم غاية الإحسان، وأكرمهم بالمال على قدر مراتبهم.

فرجعت كل قبيلة إلى وطنها، وقد استوحش السيّد محمَّد بن خلفان الوكيل من السيّد سعيد بن سلطان، وخاف منه الفتك من قبل المقدِّمات

(*) سقطت من النسخة (ب).

القديمات اللواتي بينه وبين سلطان، فانفصل بأهله من مسقط إلى حيل الغاف[١]، وجعل يكاتب قيس بن الإمام[٢] بسرعة وثبته إلى مسقط، وضمن له في كتبه على كل ما يحتاج إليه جيشه من الطَّعام والدَّراهم، وسائر آلة الحرب، فأجابه قيس إلى ذلك.

وفرَّق قيس كتبه على رعاياه، وشايعه على الأمر كافَّة رجال آل أبي سعيد وكثير من القبائل، وما شذَّ عن طاعته من البوسعيديين إلَّا محمَّد بن خلفان المحل، وعلي بن طالب بن مهنَّا، وهلال بن حمد ابن الإمام سعيد، وسيف بن علي، خال السيّد سالم بن سلطان.

فلمَّا فشى خبره بذلك، أمر السيّد سعيد كتَّابه أن يكتبوا إلى الشَّيخ ماجد بن سعيد البرواني، وإلى والي نخل مهنَّا بن محمَّد [٤٢٠-أ] بن

---

(١) حيل الغاف: قرية من قرى المنطقة الشرقية، تقع بالقرب من القريات.

(٢) قيس بن الإمام: قيس بن أحمد بن سعيد البوسعيدي، تولى على نزوى لأخيه محمد، قيل: إنه الولد الرابع من أولاد الإمام. عُرف بالورع والتدين، وسار سيرة الصالحين، وتسلسل ذلك في أكثر أحفاده، فعرفوا بالفضل والتمسك بالدين. بعض أن ظهرت بعض الأحداث من أخيه سعيد بن أحمد، وكره الناس سيرته، تشاور مع أكابر أهل عُمان في عقد الإمامة لقيس، لكن ذلك لم يتم. خاض عدَّة حروب مع أخيه سلطان، ثم مع أخيه سعيد بن سلطان انتهت بعقد صلح وتسليم بعض الحصون للسيد قيس، ثم خاض حرباً أخرى مع سعيد بن سلطان انتهت بتسليم حصن مطرح إلى أولاد أخيه. في عام ١٢٢٣هـ طلب السيد سعيد من السيد قيس محاربة سلطان بن صقر القاسمي الذي سيطر على طرق البحر وكثر فيه النهب والسلب من رجاله، فخرج إليهم قيس في جيش قوامه ستة آلاف مقاتل، فواجهه سلطان بن صقر بجيش قوامه إثنا عشر ألف، واشتدَّ القتال، وقتل السيد قيس في المعركة. انظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص٣٥٣-٣٥٤.

سليمان اليعربي، وإلى سرحان بن سليمان الجابري [وسالم بن ثاني بن مسعود الجيلي الجابري][1]، ونجيم بن عبدالله السيابي.

فأوَّل من وصل إليه الشَّيخ سرحان بن سليمان، وسائر نزاريّة وادي سمايل، فأمرهم أن يقيموا بسدٍّ روى.

[٢٤٨-ب] ولمَّا بلغ كتابه إلى مهنًّا بن محمَّد بن سليمان اليعربي والي نخل، بعث في الحال أخاه حمير بن محمَّد بن سليمان وخلفان بن مالك اليعربي إلى بني ريام، والعبريّين، وقلْ لأخيه حمير: امض بعد وصولك إلى بني ريام والعبريين إلى الظَّاهرة، واستصرخ الشَّيخ حميد بن ناصر بن محمَّد الغافري، وكافَّة نزاريّة الظَّاهرة، وصل بعد ذلك إلى بني نعيم، ومن حاله حالهم، وقل لهم، ليسرعوا الوثبة إلى نصرة السَّادة أولاد سلطان بن الإمام.

فلمَّا اجتمع جيش قيس بن الإمام إليه بصحار، أتاه أخوه سعيد بن الإمام برجال من أهل الرُّستاق وأتاه أخوه محمَّد ابن الإمام بجمع كثير من أعراب الخضراء[2] والسَّويق. وأتاه علي بن هلال ابن الإمام برجال كثيرة من الحدَّان[3] وغيرهم، وأتته الظواهر برجال عدّة، فاجتمع معه خلقٌ كثير، قيل: إن عدد من اجتمع معه من القوم الحضر والأعراب، اثنا عشر ألفاً، وقيل: أكثر من ذلك.

---

(١) سقطت من النسخة (ب).

(٢) الخضراء: مدينة من مدن سهل الباطنة في سلطنة عُمان.

(٣) الحدّان: قبيلة أزدية قحطانية، يتصل نسبها إلى الحدّان بن شمس بن عمر بن غالب بن عثمان بن نصر بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر بن الأزد. المفرد: الحدّاني. انظر: الخروصي، سليمان بن خلف بن محمد: ملامح من التاريخ العُماني، ص٢٤٨.

فلمَّا بلغ إلى بهم إلى الخابورة سلَّم حصنها إليه الوالي الشَّيخ نبهان ابن سيف بن سعيد الزَّاملي بغير حرب، وكان الشَّيخ نبهان قد تركه فيه سلطان بن الإمام أيَّام حياته، فلمَّا مرَّ على المصنعة جاوزها وجاوز بركة مثلها.

فلمَّا بلغ السيب، سلَّم له حصنها الوالي سيف بن حنظل البوسعيدي بغير حرب، وكان سيف المذكور، قد تركه فيه سلطان ابن الإمام، وولَّاه على البلاد أيَّام حياته.

فلمَّا بلغ إلى القرم[1]، أمر قومه بالرَّكضة على السدّ، وكان فيه بنو جابر، أهل الطّو وسمايل، [٤٢١-أ] والسيابيون، وأمير عليهم سرحان بن سليمان، فمنعوا من ركض إليهم من قوم قيس بضرب المدفع والتَّفق، فتقهقروا عنهم.

ولمَّا رجعوا إلى القرم، قالوا لقيس: إنَّ بالسدّ أقواماً كثيرة منعونا عن الدخول بضرب المدفع والتَّفق، فقال: اركضوا على القابض منهم عقبة المراخ[2]، وكان القابضون لها أهل علايَّة سمايل[3]، فلمَّا ركضوا عليهم هزموهم منها، وهزموا البلوش[4] من بيت الفلج[5]، وكانوا هم

(١) القرم: قرية قرب مسقط، وهي اليوم حيّ من أحيائها الحديثة.

(٢) عقبة المراخ: منطقة في مسقط حالياً بين الوطية والمطرح.

(٣) علّاية سمائل: حي من أحياء مدينة سمائل في المنطقة الدخلية من سلطنة عُمان.

(٤) البلوش: قبيلة قحطانية، يتصل نسبها إلى بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاعة بن مالك بن عمرو بن مرّة بن زيد بن مالك بن حمير الأكبر بن سبأ بن يشجب بن يعرب ابن قحطان بن هود النبي عليه الصلاة والسلام، والمفرد: البلوشي. انظر: الخروصي، سليمان بن خلف بن محمد: ملامح من التاريخ العُماني، ص٢٧٢.

(٥) بيت الفلج: يعدّ بيت الفلج أحد نماذج القصور المحصنة ذات الشكل الرباعي المحوري، أي أنه يحتوي على برجين كبيرين متقابلين على مسار محوري، يعتقد =

القابضين له بأمر السيّد سعيد بن سلطان، وعزم قوم السيّد قيس ابن الإمام على أن يركضوا على من بالسدّ من القوم، وهم لم يشعروا بدخول قيس وقومه من عقبة المراخ، حتّى أتاهم آتٍ من أهل دار سيت، فأخبرهم الخبر.

وكان بالسدِّ محمَّد بن خلفان [المحل][١]، ومعه من الحجريّين[٢] ثلاثمائة رجل، ومن بني جابر والسيابيِّين مثلهم في العدد، فسلك محمَّد ابن خلفان ومن معه طريق سيح الحرمل، فلم يعارضه أحد، واقتحم من عقبة الخيل على مسقط، وفسح سرحان على مائة وخمسين رجلاً من جماعته، فسلكوا طريق وادي حطاط[٣]، وهبطوا من قزحة، فسلكوا طريق بلدانهم، ومضى بالباقين.

فسلك بهم طريق عقبة وادي الكبير[٤]، فأتوا مسقط في صباح تلك

= أنه شُيِّد على أنقاض حصن عربي قديم قبل قيام دولة اليعاربة. استُخدم الحصن لأغراض دفاعية، ويعدُّ قاعدة متقدمة لمطرح ودارسيت، وبالنسبة لمسقط والطرق المؤدية إليها، واستُخدم الحصن لأغراض السكن، واتخذه السلطان سعيد بن سلطان منزلاً صيفياً. واتُخذ مقراً لقيادة قوات السلطان المسلحة حتى عام ١٩٧٨م. وقد بدأت بعد ذلك عملية تحويله إلى متحف عسكري، وافتُتح رسمياً عام ١٩٨٨م. انظر: عُمان في التاريخ، ص٢٦٥-٢٦٦.

(١) سقطت من النسخة (ب).

(٢) الحجريون: قبيلة قحطانية، يتصل نسبها إلى الحجر بن عمران بن عامر (ماء السماء) ابن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد، وبعض النسابة العُمانيين ينسب الحجريين إلى كندة، والكل قحطانيون. والمفرد: الحجري. انظر: الخروصي، سليمان بن خلف بن محمد: ملامح من التاريخ العُماني، ص٢٤٦-٢٤٧.

(٣) وادي حطاط: أحد الأودية التي تقع قرب مسقط.

(٤) عقبة الوادي الكبير: حي من أحياء مسقط.

اللَّيلة الَّتي انكشفوا فيها من السد، فأقاموا بأمر السَّادة أولاد سلطان بباب الكبير[١] وباب الصَّغير[٢]، وباب المثاعيب[٣].

ومضى السيّد سالم بن سلطان على طريق البحر في السَّفينة المسماة «التوكلي» إلى بركة، فلمَّا وصلها، بعث رسولاً بكتابه إلى مهنَّا بن محمَّد ابن سليمان اليعربي، والي نخل، يستحثه بالوثبة إليهم، فلمَّا وصله الرَّسول والكتاب أتاه برجالٍ من أهل نخل دون المائة، وكان منها قد بعث قبل أن يصل إليه [٤٢٢-أ] ذلك الرَّسول والكتاب خمسين رجلاً من أصحابه أهل نخل إلى بركة، فأقاموا ببرج الصَّاروج[٤].

وركب السيّد سالم بن سلطان والوالي مهنَّا بن محمَّد ومن معهما من الرّجال في الحال على «التوكليّ» وقت المغرب، فوصلوا إلى مسقط في اليوم الثَّاني وقت العصر، فأقام مهنَّا بالجزيرة، وفرَّق بعض أصحابه في الجبال المشرفة على عقبة الصّحون، وأمرهم بضرب التَّفق إلى وقت الصَّباح ضرباً [٢٤٩-ب] غير منقطع، ففعلوا كما أمر.

وامتزج بمهنَّا بنو جابر وبنو المسيب، وصارت مقابض مسقط كلها بيد مهنَّا بن محمَّد، وما شذَّ عن قبضته من مقابض مسقط إلَّا الحصنان[٥] والصيرتان.

(١) الباب الكبير: أحد أبواب مدينة مسقط القديمة.

(٢) الباب الصغير: أحد أبواب مدينة مسقط القديمة.

(٣) باب المثاعيب: أحد أبواب مدينة مسقط القديمة.

(٤) برج الصاروج: أحد أبراج حصن بركة.

(٥) الحصنان: هما: أ- قلعة الجلالي: ويطلق عليها أحياناً كوت الجلالي أو الكوت الشرقي، وكان البرتغاليون يسمونها «فورت كابيتان» ولعلها جاءت من اللفظة العربية (كوث) على سبيل الاستعارة، وهي النبات ذات الأربع أوراق، فنطقت كوت. أقيمت =

ومضى محمَّد بن خلفان [بن محمَّد][1] المحل هو والحجريّون إلى صور، ثمَّ ارتفع بهم إلى الشَّرقية، فما رجع بعد ذلك إلى مسقط حتَّى انطفأت نار الحرب وأتى رجال من طيوي وحلم[2]، وسائر أودية بني جابر إلى مهنًا، إذ هو أرسل إليهم سالم بن ثاني الجابري، فكان عددهم خمسمائة رجل، أميرهم، عدي بن بركات، وعبدالله بن محمَّد الصلتيان، فأمرهم مهنًا أن يقبضوا الجبال المشرفة على المكلا إلى رأس البازّ، ففعلوا كما أمرهم، ثمَّ أتاه رجال من بني الأسود، المعروفون بالمساكرة[3]، وعددهم مائة رجل، فأمرهم أن يقيموا بالمثاعيب، فامتثلوا الأمر، فاجتمع عند مهنًا من النزاريّة خلق كثير، وتشاور هو والشَّيخ ماجد بن سعيد البرواني في الصّلح والحرب بين السيّد قيس وأولاد السيّد سلطان، فاتفق رأيهما، على أن يكتبا كتاباً إلى قيس،

= القلعة عام ١٥٨٧م من قبل البرتغاليين لإحكام السيطرة على مسقط، وسميت الجلالي نسبة إلى القائد الفارسي جلال خان سنة ١٧٣٧م. وقد حظيت القلعة باهتمام كبير من حكام عُمان، رممت في عهد اليعاربة وعهد البو سيعيد، وجددت في عهد السلطان قابوس بن سعيد عام ١٩٨١م. ب- قلعة الميراني: بناها البرتغاليون، وأخذت تسميتها (الميراني) نسبة إلى أحد القادة الفرس الذين احتلوا مسقط عام ١٧٣٧م. رممت في عهد اليعاربة وفي عهد البوسعيد، وجددت في عهد السلطان قابوس بن سعيد عام ١٩٧٥م. انظر: عُمان في التاريخ، ص٢٦٦-٢٦٨.

(١) سقطت من النسخة (ب).

(٢) حلم: أحد أودية المنطقة الشرقية في سلطنة عُمان (وادي الحلم).

(٣) المساكرة: قبيلة أزدية قحطانية، يتصل نسبها إلى الأسود بن عمران بن عمرو بن عامر (ماء السماء) بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد. ومن بطونهم من ينتسب إلى سليمة بن مالك بن فهم، والكل أزد. ومن بطونهم أيضاً بنو إسماعيل. والمفرد: المسكري. انظر: الخروصي، سليمان بن خلف بن محمد: ملامح من التاريخ العُماني، ص٢٤٨.

وحصول معنى الكتاب، أن يدفعوا له في كل شهر ألفي قرش، ويترك حرب أولاد أخيه، وكل ما أخذه عليهم من الحصون فهو له.

وكان السيّد قيس قد أخذ عليهم حصن السيب [٤٢٣-أ] والخابورة، فكتبا له بذلك، وبعثا إليه الكتاب، فلمَّا بلغَهُ وقرأه كان جوابه لهما، لقد قلتما في كتابكما مقالاً لا فائدة فيه، فما عندي من الجواب إلَّا الحرب.

فلمَّا رجع رسولهما بجوابه إليهما، وقعت الحرب بينهم برمي التَّفق، تارةً، ينحدر بعض قوم قيس إلى ريام من عقبة الخيل، فينهبون بيوت أهلها، فإذا بلغ الصريخ[١] إلى مسقط، خرج إليهم بعض قوم مهنَّا، فيترامون بالتَّفق، ثمَّ يرجع كل واحد إلى مكانه، وتارةً يغير أصحاب مهنَّا على أهل روي، فينهبون ما قدروا على نهبه، وظلوا على هذه الحالة أيَّاماً.

ثمَّ إن السيّدة بنت الإمام أرسلت الشَّيخ علي بن فاضل الشيعي إلى بدر بن سيف بن الإمام[٢] بوصوله إليهم، فوافاه علي في برّ قطر.

فلمَّا بَلَغَهُ عليٌّ والكتابُ ركب على سفينةٍ صغيرة، وليس معه إلَّا ثلاثة رجال من أصحابه، فلمَّا وصل إلى مسقط، فوض له السَّادة أولاد

(١) يقصد بالصريخ هنا الاستغاثة وطلب العون والمساعدة.

(٢) بدر بن سيف بن الإمام: بدر بن سيف بن أحمد بن سعيد البوسيعيدي، والٍ، شارك مع عمّه سلطان بن الإمام في إخماد التمرد الذي قام به محمد بن خلفان للاستقلال بمسقط، كما تولى الوصاية خلفاً لمحمد بن ناصر الجبري على سعيد وسالم وحمد ابن سلطان بعد موت أبيهم، ولما استولى قيس بن أحمد البوسعيدي على البلاد التي كان يحكمها أخوه سلطان بن أحمد، وقف بدر ضدّه، واستطاع القضاء عليه بمساعدة النجديين، وطمع بالانفراد بالحكم، فولى سالم بن سلطان على بلدة المصنعة، وأخاه سعيد على ميناء بركة، حتى يتباعدا، لكن السيدة موزة ابنة الإمام أحمد بن سعيد وأخت سلطان أدركت مقصده، فدبرت قتله سنة (١٢٢١هـ/١٨٠٦م). انظر: دليل أعلام عُمان، ص٣٣.

سلطان وابنة الإمام الأمر، فأقام بمسقط أيَّاماً قلائل، ثمَّ مضى إلى بركة على طريق البحر، فلمَّا وصل كان مقامه في حصن بركة.

فلمَّا كان بعد إقامته في حصن بركة بعض الأيَّام، وصل بنو ريام والعبريّون إلى نخل، فكان عدد بني ريام سبعمائة رجل، أميرهم الشَّيخ ناصر بن محمَّد الريامي وعدد العبريين ثلاثمَّائة رجل، أميرهم الشَّيخ مالك بن راشد العبري، فلمَّا بلغ بدراً وصولهم إلى نخل بعث إليهم رسولاً يحثهم بالوصول إليه، فلمَّا وصلوا إليه، حشد لهم أخشاب بركة، فأركبهم عليها إلى مسقط، فلمَّا وصلوا إليها عسكروا بأمر مهنَّا بالوادي الصَّغير، فكان حد معسكرهم من بئر اللؤلؤة إلى بير الصَّبارة، ووصل رجل من قبل الملَّة الحاج أمير عسكر حصن المطرح بكتاب منه للسادة [٤٢٤-أ] أولاد سلطان وبنت الإمام، ويخبرهم في كتابه، أن ماء بركة الحصن لم يبق منه إلَّا القليل، وكذلك البارود والرَّصاص، [وسائر][1] آلة الحرب، ويقول لهم في كتابه: إن لم تمدوني بما ذكرت لكم في كتابي إلى ثلاثة أيَّام سلمت الحصن إلى قيس.

وكان عسكر قيس قد أحاطوا به شرقاً وغرباً، وحصروه حصراً شديداً، قد كمنوا له من المطرح إلى سوق الحلوى، [ففي النهار يضربون بالمدافع الَّتي نصبوها عليه في سوق الحلوى][2] وسوق الحدادين، وباللَّيل يركض عليه الكامنون له في سوق البزّ، وضرب التَّفق والمدفع لا يفتر بينهم نهاراً ولا ليلاً، وكان أمير المضيِّقين على الحصن عليّ بن هلال ابن الإمام.

وأمَّا السيّد قيس ومن معه من السَّادة وسائر الجيش معسكرهم من

(١) سقطت من النسخة (ب).

(٢) سقطت من النسخة (ب).

بئر السويهي البلوشي [٢٥٠-ب] إلى السد، وعدد خيله أربعون فرساً، وكل من يسكن المطرح وأعمالها دخلوا في طاعته. فلمَّا وصل كتاب الملَّة الحاج أمير حصن المطرح على رسوله الَّذي بعثه إلى السَّادة هالهم الأمر، فبعثوا إلى مهنَّا رجلاً، فلمَّا أتاهم، وهم يومئذٍ قد تحصنوا في الحصن الشَّرقي، أخرجوا له كتاب أمير حصن المطرح، وكلم ذلك الرَّسول مهنَّا من قبل الحصر، وعدم الماء والزاد [وسائر][1] آلة الحرب كلاماً أشد مما في الكتاب، فقال مهنَّا: اكتبوا له، إن قومنا ليأتونك غداً، إن شاء الله، بكل ما ذكرته في كتابك. فكتبوا له كما قال.

فلمَّا انفصل مهنَّا عنهم، طوى الخبر إلى وقت المغرب، وأرسل بعد صلاة المغرب إلى السَّادة، أن تصاحبه في ريام، [ومن أخشابهم أخشاب صغار، فيها كل ما طلبه منهم أمير حصن المطرح، وفوق ما طلبه منهم، وبعث إلى بني ريام][2] والعبريين، وأمرهم لما أتوه، بالمسير إلى المطرح من ليلتهم، وأن يهربوا القابضين على رؤوس الجبال المشرفة [٤٢٥-أ] على سيح الحرمل، وقال لهم: إذا لاح الصباح، اجعلوا ضرب التَّفق متصلاً غير منفصل، فإذا سمعوا [صوت][3] التَّفق، والمدفع قد سكت من المطرح، فليرجعوا إلى مسقط، فامتثلوا كلهم لأمره.

فلمَّا لاح الصباح، مضى هو ببقية قومه إلى ريام، [وقال][4] لأهل الخشب: اطرحوا أناجرها بعيداً من الحصن، فإذا رأيتم قومنا قد دخلوا المطرح، واشتغل القوم بالقوم، صوتوا على أهل الحصن، ليأتوكم لحمل

(١) سقطت من النسخة (ب).

(٢) سقطت من النسخة (ب).

(٣) «ضرب» في النسخة (ب).

(٤) سقطت من النسخة (ب).

ما حملتم لهم على سفنكم كافة، فامتثلوا أمره، وصعد هو ومن معه عقبة الخيل.

فلمَّا بلغ الفجَّ المشرف على المطرح، ترك بعض أهل التَّفق في رؤوس الجبال المشرفة على المطرح، وانحدر بالباقين [كافَّة][1]، وكنت أنا يومئذٍ مع الراكضين عليها، وكانت الرَّكضة عليها وقت الضحى، يوم الثامن والعشرين من شهر رمضان سنة تسع عشرة والمائتين والألف.

فوقع القتال بين الفريقين من سوق البزّ إلى أول سور اللواتيا، واقتربت الأخشاب من الحصن في اشتغال القوم بعضهم ببعض.

فانكشف القابضون بسوق البزّ، وسوق الحلوى، وحمل أهل الحصن كل ما حملته الأخشاب لهم من ماء وزاد وآلة حرب، وذهب قومٌ كثير من أصحاب قيس إلى سيح الحرمل، لما تواتر التفت من قوم مهنا في رؤوس جبال سيح الحرمل.

فلمَّا شهدوا القوم في رؤوس الجبل، ولم يهبط أحد منهم إلى الأرض، أيقنوا أنها سياسة ومكيدة من مهنَّا، [فرجعوا إلى المطرح، فلم يروا فيها أحداً من قوم مهنَّا][2]، إذ قومه لما فعلوا ما فعلوا، انفصلوا من المطرح إلى مسقط. فاتبع بعض قومِ قيس قوم مهنَّا، فرأوهم [٤٢٦-أ] في رأس عقبة الخيل، فما أدركوا إلَّا رجلين من قومه حذاء العين الَّتي بالعقبة، فقتلوهما، ورجع كل منهم إلى معسكره، فقتل يومئذ من قوم مهنَّا خمسة رجال، لا زيادة، وقتل من قوم قيس خمسة وعشرون رجلاً، وأسماء [من][3] قتلوا من قوم مهنَّا الشَّيخ سعيد بن راشد الهيلي الجابري، وسعيد

---

(١) سقطت من النسخة (ب).

(٢) سقطت من النسخة (ب).

(٣) «الذين» في النسخة (ب).

الربخي، ومسعود بن راشد السعيدي النَّخلي، ومسعود التوبي، ورجل من أهل بهلا، وعدد الجرحى ستة رجال، لم يمت منهم أحد من جراحه.

ثمَّ ركض أهل مهنَّا على المطرح في اليوم الثامن من شوال، فلم يكن بينهم وبين قوم قيس إلَّا ضرب التَّفق من رؤوس الجبال، ورجع كل منهم إلى معسكره، ووصل حميد بن ناصر بن محمَّد الغافري، وحمير بن محمَّد بن سليمان اليعربي إلى بركة، فأقاما بمن معهما من القوم بنُعمان[(١)].

فكان عدد القوم الَّذين أتى بهم حمير بن ناصر من النزاريّة سبعة آلاف.

وفي حال وصولهم إلى بركة مضى السيّد سعيد بن سلطان من مسقط على طريق البحر إليهم، فجدد العهد بينه وبينهم، وخلع عليهم، وأنفذ إليهم كل ما يحتاجون إليه من الدَّراهم والطَّعام.

ولمَّا رأى السيّد محمَّد بن خلفان الوكيل قوة السَّادة أولاد سلطان وبدر بن سيف، وضعف قوة أصحاب [٢٥١-ب] قيس كتب إلى مهنَّا بن محمَّد اليعربي بالمواجهة بينه وبينه في كلبوه.

فلمَّا تواجها، اتفق بينهما الصّلح، فقطع محمَّد الكلام عن قيس، وقطع مهنَّا الكلام عن أولاد السيّد سلطان، وبدر، وبنت الإمام، على أن حصن السيب وحصن الخابورة لقيس، وليخرج قيس من المطرح إلى

---

(١) نُعمان: بيت نعُمان، شيد على أنقاض بناء قديم كان مقراً للولاة السابقين، ويعود الفضل في بنائه إلى الإمام سيف بن سلطان (قيد الأرض) بين عامي (١٦٩١-١٦٩٢م)، وغرس حوله (٣٠٠) فسيلة من النخيل، و(٦٠٠) شجرة من جوز الهند (النارجيل). وقد قام الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي بتجديده، وزاد فيه بروجاً أخرى، وزاد في السور، وعمّر حدائقه. انظر: عُمان في التاريخ، ص٢٧١-٢٧٢.

صحار، وكان مهنّا بن محمَّد المذكور رجلاً صادقاً، صاحب وفاء وذمة، فما أحب دخول بني غافر على مسقط خوفاً من [أنهم][١] إذا دخلوها لم يخرجوا منها مع كثرة عددهم، [وقد][٢] بلغ صارخهم إلى سلطان بن صقر القاسمي الهولي، فأخذ سلطان في جمع قومه [٤٢٧-أ] فتم بينهم الصّلح على ذلك.

فمضى رسول من قبل السَّادة إلى حميد بن ناصر ومن معه من القوم بأربعين ألف قرش وتحف، ورخصوا له الرجوع إلى بلده، وأخبروه في كتابهم بما وقع الصّلح فيه بينهم وبين السيّد قيس، فمضى قيس إلى صحار على طريق البحر، هو ومن معه من القوم.

فلمَّا وصلوا إلى بركة ارتفع في الحال بمن معه من القوم إلى نخل، خوفاً [من][٣] أن يقبضه حميد بن ناصر، فلمَّا علم حميد بارتفاع مهنَّا إلى نخل، رجع بقومه إلى الظَّاهرة، ورجع حمير بن محمَّد إلى نخل.

فلمَّا كان بعد الصّلح شهران، قتل مالك بن سيف بن سلطان مهنَّا بن محمَّد بن سليمان اليعربي في حصنه، وشايعه على قتله ابن أخيه محمَّد بن سليمان بن محمَّد، فزعم أكثر النَّاس، أن بدر بن سيف ابن الإمام هو الَّذي أغرى مالك بن سيف على قتل مهنَّا، ومما يصدق زعمهم بذلك، أن بدر ابن سيف ارتفع إلى حبرا ومعه بعض النَّاس، فوصلها ليلاً، فلمَّا لاح الصباح، سمعوا صوت المدفع من حصن نخل، فقال بدر لأصحابه: إني لأظنّ مهنَّا قد قتل.

فبعث الشَّيخ سالم بن ثاني الجابري إلى نخل ليأتيه بالخبر، فلمَّا

---

(١) سقطت من النسخة (ب).

(٢) سقطت من النسخة (ب).

(٣) إضافة يقتضيها السياق.

وصل سالم بن ثاني إلى نخل، وجد الخبر صحيحاً، فرجع إلى بدر، فأخبره بقتل مهنَّا، وأنه قد قتله مالك بن سيف، وأنه قد أهبط هو مهنَّا قتيلاً إلى أخيه حمير، وحمير حينئذٍ في حجرة الجميمي، وقد استولى مالك بن سيف، على حصن نخل، وصار في قبضة يده.

أخبرني المعلم مسعود بن خميس بن صالح بن سنان الأعمى المنذري، قال: مازلت في كل أول فجر من اليوم أمضي من بيتي إلى الحصن، فأدارس الوالي مهنَّا بن محمَّد ما شاء الله من القرآن، فلمَّا كان يوم الجمعة وتاسع من شهر ذي القعدّة سنة تسع عشرة والمائتين والألف مضيت إلى الحصن، فوجدت مهنَّا قد ذكَّا [٤٢٨-أ] ذبالة(١) السراج، فتدارسنا القرآن العزيز.

فلمَّا لاح الفجر الثَّاني، صلَّى بي، فلمَّا فرغنا من الصَّلاة والدعاء، جعلنا نتدارس القرآن إلى أن وصل مهنَّا في القراءة إلى سورة النحل صاح عبد من عبيد مهنَّا، اسمه الربارة، أتاك العدا يامهنَّا، قال: هذا عبد مجنون، فلمَّا قال: بسم الله الرَّحمن الرَّحيم ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾(٢) هجم عليه مالك بن سيف وصحبه، فتصارع هو ومالك، فغلب مهنَّا مالكاً، وهمّ أن يطعنه بخنجره، فصاح مالك، قتلني الرّجل، فوثب سالم ابن نصيب المعروف بالشكيلي، لقباً، لا نسباً، فطعن مهنَّا بخنجره في بطنه، فقتله.

ولمَّا بلغ قيس بن الإمام قتل مهنَّا، أمر ناصر بن سعيد الحبسي، المعروف بالسمَّار، أن يشن الغارات على نواحي بوشر، ويقطع طريق

---

(١) ذبالة السراج: أي فتيلة السراج.

(٢) سورة النحل، الآية: ١.

البحر بسفنه، ولا يذر أحداً يمضي على طريق البحر من خشب أهل بركة والمصنعة إلى مسقط.

وكان ناصر السمَّار هو يومئذٍ الوالي من قبل قيس على أهل السَّيب، وبيده قبضة حصنها، ففعل ناصر كما أمره، وزاد على أمره به من الفساد، وجمع ناصر من الأوباش خلقاً كثيراً، فمضى بهم إلى فنجا، فاشتملت عليه رجالها، فهجموا على حصن بدبد، وهو يومئذٍ بيد علي بن سيف [٢٥٢-ب] بن الإمام، فأخذوه منه على غرّة، ولم يقتلوا أحداً من أصحابه.

وظل ناصر تارةً يغير على أهل سرور[١]، وآونةً يهبط إلى السيب، ويغير على قرى بوشر، فقطع طريق البر والبحر، فاستوحش السَّادة أولاد سلطان من عمِّهم قيس، واستوحشوا أعظم إيحاشاً منه من ابن عمهم بدر ابن سيف، واتهموه بقتل مالك بن سيف لمهنَّا بن محمَّد، لما رآه مائلاً إليهم كل الميل، وأنه أنصح النَّاس إليهم، فكتموا ذلك الإيحاش عن الخاصَّة والعامَّة.

فلمَّا تفاقمت الغارات من السمَّار، وتواترت الدلفات منه برًّا وبحراً، أخذ قيس في جمع الجنود، فلمَّا كمل جمعه، كتب إلى أخيه محمَّد بن الإمام، وكان محمَّد يومئذٍ بعُمان، وبيده حصن [٤٢٩-أ] بهلا، وقلعة نزوى وأزكى أن يهبط إلى سمايل ليشغل الشَّيخ محمَّد بن ناصر الجبري، وكافَّة نزاريّة سمايل، عن وثبتهم إلى مسقط، ففعل محمَّد ما أمره به، وهبط من عُمان إلى سمايل بقومٍ كثيرين، واشتملت عليه رجال بني رواحة، وأهل علاية سمايل، ومضى قيس بمن معه من القوم إلى مسقط.

---

(١) سرور: قرية من قرى وادي سمائل من المنطقة الداخلية في سلطنة عُمان، على طريق المنطقة الشرقية.

وكان يومئذٍ القابض للسد سالم بن سلطان، ومعه من رجال جعلان، بنو راسب[١] والقواسم[٢]، وبعض رجال بني جابر، أهل طيوي، وبعض رجال من نخل أصحاب مالك بن سيف اليعربي.

وأما سعيد بن سلطان، فهو يومئذٍ بحصن بركة، فلمَّا اقترب قيس وقومه من السَّد، بادره بنو راسب والقواسم بالحرب، فوقعت الملحمة بينهم بالوادي المسمَّى، العدى، فقتل محمَّد بن ماجد، أمير بني راسب، وقتل أمير القواسم، وما بقي من قومهما إلَّا القليل. وذلك بعد أن أصدقوا الحرب، وأعطوا السّيوف حقوقها.

فلمَّا قتلت القواسم وبنو راسب، رجع سالم بن سلطان إلى مسقط بمن معه من القوم، ودخل قيس السد ومن معه من القوم، فمكث فيه إلى ثلث اللَّيل، وخرج بدر بن سيف بمن معه من القوم، فكمن بهم أعلى قلعة الراوية في الوادي الكبير.

فلمَّا كان وقت السَّحر، مضى قيس ابن الإمام بمن معه من القوم، فسلك بهم طريق عقبة وادي الكبير، ثمَّ انحدر بهم إلى مسقط، فلمَّا أحس بهم أصحاب بدر بن سيف، ولّوا على أدبارهم منهزمين، فلاذ بدر بالقلعة، وقتل من أصحابه، أهل الخيل رجلان، أحدهما يسمى، حُدَيّد، والثَّاني يسمى، عبد الشَّيخ.

---

(١) بنو راسب: قبيلة أزدية قحطانية، يتصل نسبها إلى راسب بن مالك بن ميدعان بن نصر بن الأزد. المفرد: الراسبي. انظر: الخروصي، سليمان بن خلف بن محمد: ملامح من التاريخ العُماني، ص٢٤٩.

(٢) القواسم: قبيلة عدنانية يتصل نسبها إلى القاسم بن شعوة، ثم إلى أدّ بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. والمفرد: القاسمي. انظر: الخروصي، سليمان بن خلف بن محمد: ملامح من التاريخ العُماني، ص٢٧٨.

وكان محمَّد بن خلفان الوكيل قد أكمن في بيته الَّذي بمسقط جملة من الرّجال بغير علم من سالم بن سلطان وبدر بن سيف، فركضوا على الباب الكبير، وبوابه عبد من عتقاء مهنًّا بن محمَّد بن سليمان، يسمّى، سرور الأوغاني، وفتحوا الباب لقوم قيس في [٤٣٠-أ] بيت الشَّيخ محمَّد ابن خلف الشيعي، ونهب كل ما في بيته، وقتل من بني جابر القابضين على برج باب الكبير، أحمد بن ربيعة الجابري، صهر الشَّيخ سرحان بن سليمان الجابري، قتله بردان النوبي، خادم محمَّد بن خلفان، بعد أن أعطاه الأمان، ونهب عسكر قيس سوق مسقط، وقتلوا الصيرفي المسمَّى، منشاه، وأخذوا من دكانه ألوفاً من الدَّراهم.

وأما محمَّد بن الإمام، فإنَّه لما وصل بقومه إلى سمايل اشتغل قومه بقطع نخل ستال، وهي نخل لمحمَّد بن ناصر الجبري، فما أبقوا نخلةً فيها.

فلمَّا فرغوا من ذلك، ركض عليهم سرحان بن سليمان الجابري بمن معه من بني جابر وسائر نزاريّة سمايل، فانكشف قوم محمَّد ابن الإمام، وقتل من قومه رجال عدّة، فرجع هو ومن سلم من القتل من قومه إلى عُمان .

ولمَّا استولى قيس على مسقط، ولم يبقَ لأولاد أخيه إلَّا الجزيرة والحصنان والصَّيرتان، واجهته أخته بنت الإمام ليلا في بيت الشَّيخ محمَّد ابن خلف الشيعي، وناشدته الله، أن يكف الحرب بينه وبين أولاد أخيه، فاتفق بينهما الصّلح على تسليم حصن المطرح، وعلى تسليم ألف قرش في كل شهر، وكل ما بيده من الحصون الَّتي أخذها على أولاد أخيه فهي له، فأجابها على ذلك.

[٢٥٣-ب] وسألها عن بدر بن سيف، إذ قيل له: إنّه قُتل، فقالت:

هو في الحصن الشَّرقي، وإنّه لمّا لاذ بقلعة الراوية، مضى قبل الفجر على طريق عقبة كلبوه، فركب قارباً إلى مسقط، ومكث في الحصن الشَّرقي، فلمَّا قبض قيس حصن المطرح، فوَّض الأمر إلى محمَّد بن خلفان، فجعل محمَّد يبني على جبالها بروجاً محكمة، منها، لزم، وحكم، وعزاف، وبرج الدوحة.

ثمَّ إنَّ سيف بن محمد البوسعيدي وفد على مسقط، فجعل يحرض سعيد بن سلطان وإخوته، [وبدر بن سيف][(١)] على حرب قيس [٤٣١-أ]، فأجابوه إلى ذلك، فجعل سيف بن علي يكاتب أهل الشَّمال والظواهر بوصولهم إلى مسقط نصرةً لأولاد سلطان على قيس، فأتاه هزّاع الياسي بمائتي رجل من المناصير، ورجال من الظواهر.

وكتب بدر بن سيف إلى ابن عبدان الوهَّابي النجدي، فأتاه بمائتي رجل، وكتب إلى الحرث والحجريّن، فأتاه الشَّيخ ماجد بن سعيد البرواني برجال عدّة من الحرث والحجريّن، وكتب إلى بني حسن[(٢)] فأتاه أكابرهم بمائتي رجل، وكتب إلى سالم بن علي التمامي، فأتاه بخمسمائة رجل، وكتب إلى خادم بن محمَّد الهاشمي[(٣)] فأتاه بمائتي رجل من قومه،

---

(١) سقطت من النسخة (ب).

(٢) بنو حسن: قبيلة قحطانية، يتصل نسبها إلى حسن بن شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عمرو بن الهميسع بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود النبي عليه الصلاة والسلام، وهذه القبيلة معروفة باللهجة المحلية العُمانية بني بوحسن، وديارهم جعلان بني بوحسن. وهم غير قبيلة بني حسن الساكنة وادي بوشر، فالقبيلة الثانية من قبائل طيء، فكلاهما من القبائل القحطانية. والمفرد: الحسني انظر: الخروصي، سليمان بن خلف بن محمد: ملامح من التاريخ العُماني، ص٢٥٩.

(٣) خادم بن محمد الهاشمي: شيخ، عاش في أواخر القرن الثاني عشر وأوائل القرن =

وجعل يكاتب رعيته وأهل طاعته، فأتاه من الظواهر أصحاب برَّاك بن عرابة برجال عدّة.

وأتاه من بني علي(١) والمقابيل(٢) وبني الريّس(٣) وبني عمر(٤) والحدّان وبني سعيد(٥) وكنده(٦) ومن سائر البلدان الّتي في طاعته رجال

= الثالث عشر الهجريين، كان ممن تشاور معهم السيد سلطان بن أحمد البوسعيدي في مؤتمر بركة بعد مقتل أصحابه في الحرب. انظر: دليل أعلام عُمان، ص٥٧. وانظر: ناصر، محمد صالح، والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق،

(١) بنو علي: قبيلة أزدية، قحطانية، يتصل نسبها إلى علي بن سودة بن علي بن عمرو بن عامر (ماء السماء) بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد. والمفرد: العلوي. انظر: الخروصي، سليمان بن خلف بن محمد: ملامح من التاريخ العُماني، ص٢٤٧.

(٢) المقابيل: قبيلة قحطانية، يتصل نسبها إلى مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن عدثان ابن عبدالله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر بن الأزد. المفرد: المقبالي. انظر: الخروصي، سليمان بن خلف بن محمد: ملامح من التاريخ العُماني، ص٢٥٩.

(٣) بنو الريّس: قبيلة قحطانية، يتصل نسبها إلى طيئ بن أدد بن زيد بن يشجب بن يعرب ابن قحطان بن هود النبي عليه الصلاة والسلام. والمفرد: الريس. انظر: الخروصي، سليمان بن خلف بن محمد: ملامح من التاريخ العُماني، ص٢٦٢.

(٤) بنو عمر: قبيلة قحطانية، يتصل نسبها إلى عمرو بن الغوث بن طيء. والمفرد: العمري. انظر: الخروصي، سليمان بن خلف بن محمد: ملامح من التاريخ العُماني، ص٢٥٣.

(٥) بنو سعيد: قبيلة أزدية قحطانية، يتصل نسبها إلى سعيد بن عباد بن عبدالله بن الجلندى بن المستكبر، فهي قبيلة متفرعة عن معولة بن شمس. المفرد: السعيدي. انظر: الخروصي، سليمان بن خلف بن محمد: ملامح من التاريخ العُماني، ص٢٤٦.

(٦) كندة: قبيلة قحطانية، يتصلب نسبها إلى كندة بن عفير بن عدي بن الحارث بن مرّة =

كثيرون، وأثابه أخوه الإمام سعيد بن أحمد برجال عدّة، واشتملت عليه من آل سعد[١] رجال كثيرون، وأثابه الشَّيخ عيسى بن صالح برجال كثيرين، فاجتمعت معه ألوف.

وكتب السَّادة أولاد سلطان وبنت الإمام إلى الشَّيخ محمَّد بن ناصر الجبري أن يمضي إلى الظَّاهرة، ويستنصر لهم الشَّيخ حميد بن ناصر على حرب قيس، وأن يقيم إذا وصل إلى بركة في نُعمان بقومه، وبعثوا للشيخ محمَّد بن ناصر [جملةً من الدَّراهم، وللشيخ حميد بن ناصر][٢].

فلمَّا وصل الشَّيخ محمَّد إلى حميد، استصرخ حميد أهل الظَّاهرة والجو، حضراً وأعراباً، فبعث قبل وصوله إلى نُعمان بني ساعدة وبني يزيد، فلمَّا وصلوا إلى بركة أرسلهم بدر بن سيف إلى مسقط، فعسكروا في البنيان الَّذي كان يبرز فيه سلطان ابن الإمام، المقابل للجزيرة.

فلمَّا كانت العدّة والعديد لسعيد بن سلطان وإخوته، ولبدر بن سيف قطعوا، الأداة المقررة منهم لعمهم [٤٣٢-أ] قيس بجمعه إلى المطرح، وأعان محمَّد بن خلفان الوكيل قيساً بمال كثير.

فلمَّا قطعت الأداة عن قيس، أمر على أصحابه أهل التُّفق بالرَّكضة

= ابن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب ابن قحطان بن هود النبي عليه الصلاة والسلام. والمفرد: الكندي انظر: الخروصي: سليمان بن خلف بن محمد: ملامح من التاريخ العُماني، ص٢٥٥.

(١) آل سعد: قبيلة عدنانية، يتصل نسبها إلى سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. وهذه القبيلة هي التي تسكن الباطنة، وهم أحضان رسول الله (صلى الله عليه وسلم). والمفرد: السعدي.

(٢) سقطت من النسخة (ب).

على مسقط، فأخذوا في ركضتهم عقبة ريام، وكمن بعضهم في الجفينة[١] إلى رؤوس الجبال المشرفة على السور، وقلعة الراوية، وركض قوم آخرون من أصحاب قيس على عقبة كلبوه ليلاً، وكان القابض لها من قبل السَّادة أولاد سلطان سليمان بن أحمد الحراصي، صاحب جمَّا، ومعه رجال عدّة من بني عمه، وعبيده.

فلمَّا أحسوا بالرَّكضة عليهم، صعدوا في الجبل المشرف على المكلا، فكمنوا فيه.

ولمَّا استقرّ الراكضون عليهم في العقبة، جعل أصحاب سليمان بن أحمد يضربونهم بالتَّفق، فهزموهم منها، فكان سليمان بن أحمد وأصحابه يقعدون في العقبة، إذا لاح الصبح، ويصعدون إلى الجبل، إذا أظلم اللَّيل، فما قدر عليهم أصحاب قيس بحيلة.

وأتى إلى سعيد بن سلطان وإخوته رجال عدّة من بني جابر أهل الطيوي وحلم، وسائر بلدانهم، وبعض الرّجال من بني عرابة[٢]، فقبضوا من جبل المكلا إلى دون رأس الباز، ونصب محمَّد بن خلفان مدفعاً في الفجِّ المقابل صيرة المكلا، فلم يفتر ضرب المدفع [منه][٣] على الصيرة، [٢٥٤-ب] وعليه منها، فمنع مدفع الفجَّ الأخشاب الَّتي تأتي من بركة والمصنعة الدخول إلى المكلا، فكان دخولها على مسقط من البحر الَّذي خلف الشَّرقي، وأرسل محمَّد بن خلفان رجالاً إلى الدوحة[٤]، فقبضوا

---

(١) الجفينة: حيّ من أحياء مدينة مسقط.

(٢) بنو عرابة: قبيلة قحطانية، يتصل نسبها إلى طيئ، فبنو عرابة من قبائل طيئ. انظر: الخروصي، سليمان بن خلف بن محمد: ملامح من التاريخ العُماني، ص٢٥٧.

(٣) سقطت من النسخة (ب).

(٤) الدوحة: قرية تقع بالقرب من مسقط في سلطنة عُمان.

البرج الَّذي بناه على رأس جبلها المقابل لرأس الباز، وأرسل قوماً آخرين، فقبضوا رأس الباز، وركض بدر بن سيف ببني عرابة على أهل المدفع المنصوب في الفجِّ، فانكشف قومه، وقتل شيخ بني عرابة، فتأسّف بدر عليه أسفاً شديداً.

وركض قيس بأكثر قومه على مسقط، فهبط عليها من عقبة الصحون، [٤٣٣-أ] وارتفع بهم إلى محلة البلوش، ثمَّ هبط بهم إلى الوادي الصَّغير، فكمن أكثرهم في الربوة الَّتي بها بئر محمَّد بن سيف المهللي، وكمن بعضهم بالمسجد المقترب من مصلَّى العيد، فجعل أهل قرية الراوية يضربونهم بالمدفع، فلم يصبهم شيء من رصاصها، وجعل البرج المسمَّى برج محمَّد بن رزيق[١] يضرب أهل المسجد بالتَّفق، فقتل من قوم قيس ثلاثة رجال، ووقعت شرارة ذبالة في حانوت بارود لبني مهلهل، فمات من قوم قيس ثلاثة. وكان السيّد سعيد يومئذٍ في بركة، وأخوه سالم في المصنعة، وبنت الإمام وحمد ابن سلطان في الحصن الشَّرقي، وثبت سيف بن محمَّد في الحصن الغربي، وبدر بن سيف بن علي في الجزيرة، والوالي يومئذٍ بمسقط من قبل بدر بن سيف سعيد بن حماد بن سالم.

فلمَّا بلغ الصريخ إلى بدر بن سيف، مضى بمن معه من القوم إلى الباب الكبير، فأراد أن يركض على عمّه قيس بأصحاب سالم بن علي التمامي، والهشم[٢] أصحاب خادم بن محمَّد الهاشمي فقال له سيف بن علي:

---

(١) محمد بن رزيق: هو والد مؤلف المخطوطة حميد بن محمد بن رزيق.

(٢) الهشم: قبيلة أزدية قحطانية، يتصل نسبها إلى الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود النبي عليه الصلاة والسلام. والمفرد: الهاشمي. انظر: الخروصي، سليمان بن خلف بن محمد: ملامح من التاريخ العُماني، ص٢٦٠.

ما هذا الرأي رأي حميد، فإن كان ولا بد من الرَّكضة على عمك، فاخرج لقتاله الوهابيّة والظواهر والحجريّين، فإن بين سالم بن علي التمامي وقومه، وبني حسن وقومهم إحن شديدة، والدماء الَّتي بينهم لم تجف، فإن خرجوا لقتال عمك، يوشك أن يمضي على أثرهم بنو حسن، فيتركونهم عرضاً لسيوفهم وسيوف قوم أصحاب عمك قيس، أو يشتغل بعضهم ببعض دون قوم عمك، فيكون قتالهم لبعضهم بعضاً قوةً لقيس، وضعفاً لنا، والثَّانية، أن سالم بن علي وقومه إذا ظفروا بعمك لا يحتشمونه، فنحن في القطيعة لا نريد القطيعة في عمك، وأخاله هو كذلك لا يريد القطيعة فينا، وإنما هي مغالبةٌ في عمار لا في أعمار.

فاستبرره بدر، واستصوب رأيه.

فأخرج إلى قتال عمّه محمَّد بن عبدان الوهَّابي [٤٣٤-أ] وصحبه، وكان عددهم كما ذكرنا أولاً مائتي رجل، وأخرج مائتي رجل إلى الظواهر وأحلافهم أصحاب علي بن سعيد الظَّاهري.

فلمَّا خرج هؤلاء القوم، صلوا صلاة الحرب حذاء مسجد محمَّد بن حبيب المنحي، فلمَّا فرغوا من الصَّلاة والدعاء، ركضوا على القوم، فوقع القتال بينهم وبين قوم قيس في مسجد أولاد مهلهل، فهزموا من بالمسجد من قوم قيس، واتبعوهم إلى المقبرة الَّتي على سفح الجبل من الوادي الصَّغير، فقتلوا منهم بعض الرّجال.

ثمَّ خرج عليهم من الوادي جند كثير من قوم قيس، فانكشفت الوهابيّة والظواهر، وبلغ هزيمهم إلى دون بيت سالم بن عبدالله الوهيبي، فقتل يومئذٍ من الوهابيّة والظواهر ستة رجال، وقتل من قوم قيس سبعة رجال.

ثمَّ إنَّ قيساً مضى بقومه على سداب، فهبط إليها من رأس الجبل

المشرف على المدبغة، فلمّا انتهوا إلى الأرض، ركضوا على عقبة سداب[١]، فأخذوها، وصعد بعضهم جبل السعالي، حتّى انتهوا إلى دون البومة المشرفة على ولجات، وفي البومة يومئذٍ رجال من البلوش من أصحاب الملا الحاج، فانهزموا منها، وحال بين قوم قيس والبومة المذكورة الأخدود الّذي دونها، وكان هذا الأخدود اخترعته البرتكيس[٢] أيّام دولتهم بمسقط خوفاً من العرب، أن يهبطوا عليهم من جبل السعالي إلى رقعة البلد، فقبض مكان البلوش المنهزمين بأمر سيف بن علي، وبدر ابن سيف سليمان بن أحمد الحراصي، صاحب جما، ومعه من بني عمّه وعبيده بعض الرّجال، فمنعوا أصحاب قيس عن استئصال البومة بضرب التّفق، فما سكت بينهم ضرب التّفق نهاراً ولا ليلاً.

ثمَّ أتت من بني عتبة[٣] ثيبة[٤] للسادة أولاد سعيد، فكان عدد الآتين لهم سبعمائة رجل، أكثرهم أهل تفق، فقبض البومة المذكورة [٤٣٥-أ][٥] منهم رجال كثيرون، ورجع سليمان بن أحمد الحراصي إلى عقبة كلبوه، واشتدت الحرب بين بني عتبة وبين أصحاب قيس بضرب التّفق، ووقع مطر شديد أيّاماً، وهم على شاكلة واحدة في الحرب، فعسكر قيس بخاصّته في سداب، بيت ناصر بن سليمان بن مفتاح الدلال، ووصل الشّيخ محمَّد بن ناصر الجبري من الظّاهرة إلى بركة بجندٍ كثير، أميرهم

---

(١) سداب: قرية على ساحل البحر جنوب مسقط في سلطنة عُمان.

(٢) البرتكيس: التسمية المحلية العُمانية للبرتغاليين.

(٣) بنو عتبة: قبيلة قحطانية، يتصل نسبها إلى عتب بن عمرو بن الغوث بن طيئ. والمفرد: العتبي. انظر: الخروصي، سليمان بن خلف بن محمد: ملامح من التاريخ العُماني، ص٢٦٣.

(٤) الثيبة: النجدة من الجنود، أو المقاتلين.

(٥) أسقط ناسخ النسخة (ب) الصفحات ٤٣٣، ٤٣٤ والصفحات من النسخة (أ) كاملة.

الشَّيخ حميد بن ناصر الغافري، فكان عددهم على أصح الخبر اثني عشر ألفاً، حضراً وأعراباً، فعسكروا بنُعمان.

فمضى إليهم السيّد سعيد، وعاهدوه على حرب عمه، فمضى بهم إلى السيب، وعسكروا بها، وأحاطوا بحصنها، فجعلوا يضربونه بمدفع حمل على سفينة من بركة إليها، فلمّا هدم المدفع جانباً من الحصن، طلب من فيه الأمان، فأمنهم السيّد سعيد، وهبطوا منه، فقبضهم السيّد سعيد، وترك فيه واحداً من خاصّته.

وكان بالسيب سور لبني حيا[1]، فجعلوا يضربون قوم حميد بن ناصر بالتُّفق، فأرسل إليهم السيّد سعيد أن يكفوا، فأبوا، فأذن لقوم الظَّاهرة أن يركضوا عليهم، فركضوا عليهم، ووضعوا عليهم السلالم، فدخلوا السور عنوةً، وقتلوا من فيه جميعاً. وكان عدد من فيه كبيراً وصغيراً سبعين رجلاً.

ثمَّ إنَّ السيّد سعيد مضى بالقوم إلى فنجا، فأحاطوا بها، وقطعوا منها نخلاً كثيراً، فصالحه أهلها، ثمَّ مضى بالقوم إلى بدبد، وقد اشتملت عليه من نزاريّة وادي سمايل جنود كثيرة، أميرهم سرحان بن سليمان الجابري، فلمَّا أحاطوا بالحصن، وكان القابض له يومئذٍ لقيس ناصر بن سعيد السمَّار، ومعه رجال عدّة من بني عمّه الحبوس وغيرهم، طلب الأمان بتسليم الحصن، فهبط هو ومن معه على يد سرحان بن سليمان بغير سلاح، فلمَّا خلص الحصن للسيد [٤٣٦-أ] سعيد بن سلطان، ولى عليه الشَّيخ محمَّد بن ناصر الجبري، ورجع بالقوم إلى السيب، فلمَّا نظر حميد

---

(١) بنو حيا: بنو حيا أو اليحيائيون، قبيلة أزدية قحطانية، يتصل نسبها إلى حيا بن زيد بن منصور بن ورد، ثم إلى الإمام الخليل بن شاذان بن الصلت بن مالك الخروصي، سليمان بن خلف بن محمد: ملامح من التاريخ العُماني، ص٢٤٣.

ابن ناصر إلى كثرة نزاريّة وادي سمايل، هكذا كثرتهم، قال: فإن من هؤلاء القوم قومه لا يحتاج إلى قومٍ آخرين.

ثمَّ إنَّ السيّد سعيد كتب إلى بدر بن سيف، وبدر يومئذٍ بمسقط، لقد بلغك ما صنعنا، وما بلغنا ما صنعت في تماسكك عن الحرب مع كثرة القوم الَّذين معك.

وكان قبل أن يكتب السيّد هذا الكتاب إلى بدر أتت ثيبة لبدر بن سيف من بني عتبة، غير [القوم][1] الأولين، خمسمائة رجل، وأتاهم من أهل عسيلوه أصحاب الشَّيخ سيف ثلاثمَّائة رجل، فلمَّا قرأ بدر كتاب السيّد سعيد، أمر على سيف بن علي بن محمَّد بالرَّكضة على أهل السدِّ، وأمر على بني يزيد وبني ساعدّة أن يكمنوا لأهل برج الدَّوحة في بيت محمَّد الكثيري، وأمر على علي بن هلال بن أحمد أن يركض على عقبة ريام، وكان القابض لها يومئذٍ من قبل قيس بنو الريِّس، فأخذ هلال العقبة، وأخذ سيف بن علي السدّ، ومضى هو ببقية القوم إلى ريام، فاجتمع معه خلق كثير من الوهابيّة وبني ياس، أصحاب هزَّاع، وقوم من المناصير، ومن أهل جعلان كافَّة النزاريّة، وأمر على بني عتبة أن يهجموا [٢٥٥-ب]على سور اللواتيا بعد أن يضربوه بمدافع أخشابهم، ثمَّ يهبطوا إليها، ويصنعوا ما أرادوا في أهلها من القتل، وأمر على الرّجال أن يقبضوا الجبل المشرف على المطرح.

فلمَّا أراد أن يصعد إلى عقبة الخيل ليهبط إلى المطرح بمن معه من القوم، أتاه علي بن هلال بن الإمام من المطرح على طريق الضيت، ومعه الشَّيخ خميس بن سالم الهاشمي، فقالا له: لا تعجل على القتال، فإن

(١) سقطت من النسخة (ب).

الرّجل الَّذي تريد أن تقاتله هو عمّك، والعمُّ أب، وقد أتيناك [٤٣٧-أ] لإصلاح الشَّأن بينك وبين عمك. فسكّتا غضبه.

وجلس معه علي بن هلال، ومضى الشَّيخ خميس بن سالم إلى المطرح، فلمَّا وصل إليها، قال لقيس: لقد رأيت عند بدر أقواماً كثيرة لا يدافعهم الجمع الَّذي معك، والجمع الَّذين معك ظاهرهم لك وباطنهم عليك، وقد بلغك ما صنع ابن أخيك بالسيب وفنجا وبدبد، فهو الآن معسكر بجمعه في السيب، وأنت الآن كمن صار بعد الطيران في شرك.

وقال له محمَّد بن خلفان مثلٍ قوله، وأتاه المخاشلي راشد بن سعيد، فقال له: ما بقي معك من القوم إلَّا أنا وعبيدك، فاصنع بنا ما شئت، وإن أردت الصّلح تممه على يد الشَّيخ خميس بن سالم، فإنَّه أنصح النَّاس إليك.

فبينما هم في ذلك الكلام، إذ سمعوا في السدِّ صوت التَّفق كالرعد، فأتى آتٍ من الفلج، وأخبر قيساً، أن السد قد ركض عليه سيف بن علي [الظاهري][1] بالظواهر والمناصير، فأخذوه، وأخذوا كل ما فيه للرعيَّة من الدواب والمال.

فلمَّا سمع كلامه، قال لخميس: تمم الصّلح بيني وبينهم، فرجع خميس إلى بدر، فوجده في رأس عقبة الخيل، وقد رجع قبل أن يأتي إليه علي بن هلال إلى المطرح على قارب صغير، وقد أتت بدراً رجالٌ من بني راسب، فامتزجوا بأصحاب سالم بن علي التّمامي، وأصحاب خادم بن محمَّد الهاشمي، وهم يقولون إلى بدر: ذرنا نركض على المطرح.

فلمَّا وصل الشَّيخ خميس، قال لهم: إن أبى عمي أن يسلم الحصن

(١) سقطت من النسخة (أ).

لنا من غير حربٍ، فإنا للركضة أمامكم، وقال للشيخ خميس: ما خبرك؟ قال: خير، امض معي بعشرة رجال إلى نخل الشَّيخ خلفان لتمام الصّلح، فإنني قد قلت لعمك، أن يلاقيك فيه بخمسة رجال لتمام الصّلح.

فمضى معه بدر بمائة رجل من [٤٣٨-أ] أهل جعلان، فلمَّا شهد عمه، وما معه إلَّا خمسة رجال، قال لأصحابه: قفوا مكانكم، ولا يمضي معي منكم إلَّا خمسة رجال، فامتثلوا أمره.

فصالح بينهما الشَّيخ خميس على تسليم حصن المطرح، فقبضه بدر ابن سيف بالحال، وبعث إلى رجل من السكاسك، يسمى، صام، فقبض الحصن، فمكث قيس في المطرح، بعدما قبض الحصن منه بدر ثلاثة أيَّام، ثمَّ رجع إلى صحار على طريق البحر هو ومن معه من القوم على مركب من مراكب الإنجليز[١].

وكتب بدر إلى السيّد سعيد بما جرى بينه وبين عمهما قيس من الصّلح على يد الشَّيخ خميس بن سالم الهاشمي، فرضي السيّد سعيد بذلك، وفسح لأهل سمايل، ومضى هو والشَّيخ محمَّد بن ناصر بأهل الظَّاهرة إلى بركة، وكتب إلى بدر بن سيف أن يرسل إليه أربعين ألف قرش للقوم، فاقترضهنَّ بدر من التجار، وبعث إليه المال المذكور على يد مبارك بن سعيد، مولى الجبور.

فلمَّا وصل إليه مبارك بن سعيد بالمال، حمله بعض قومه، ومضى هو أمامهم، فأنفذها لحميد بن ناصر، وقيل: إن مبارك وصل بالمال المذكور إلى السيّد سعيد، والسيّد سعيد [٢٥٦-ب] يومئذٍ ببلدة السيب،

---

(١) «الأنجريز» في النسخة (أ) والصحيح ما أثبتناه في النص من النسخة (ب). وقد ورد اسم الإنجليز في كل صفحات النسخة (أ) «النجريز». ونكتفي بالإشارة إلى ذلك في هذه الحاشية فقط، حيث أول ذكر لهم في هذه الصفحة.

وقوم الظَّاهرة معه في السيب، أنفذ السيّد سعيد هذه الأربعين ألفاً لحميد ابن ناصر في السيب، ومضى حميد بن ناصر بعد ما قبض المال من السيّد سعيد من السيب بمن معه من القوم إلى الظَّاهرة، وهذا الأصحّ، لأنني سمعت غير واحد أخبره مبارك بن سعيد مولى الجبور بذلك.

وسألت الشَّيخ سلمان بن سيف عن الخبرين، أيهما الأصحّ، فقال لي: إنَّ السيّد سعيد قد كتب لبدر بن سيف بإرسال أربعين ألف قرش، بعد ما رجع من بدبد إلى السيب، فاقترضها بدر من التجار، وقبضها مبارك بن سعيد مولى الجبور، ومضى مبارك بها [٤٣٩-أ] إلى السيّد سعيد، فوجده في السيب، فأنفذها السيّد سعيد إلى حميد بن ناصر، فمضى حميد بعد ما قبضها إلى الظَّاهرة، ومضى السيّد سعيد إلى بركة، وانقطعت الحرب بين السَّادة أولاد سلطان وبدر بن سيف وعمَّهم قيس.

واصطلح السَّادة أولاد سلطان وبدر ومحمَّد بن خلفان بن محمَّد الوكيل.

ثمَّ كانت بعد ذلك وحشة بين السيّد سعيد وبدر بن سيف. وسببها، أن بدر بن سيف أراد أن يخرج البلوش القابضين [على][1] الحصن الغربيّ أصحاب الملاّ الحاج، ويترك مكانهم بلوش جمّا، فلم يطاوعه بنو عمّه، وبنت الإمام على ذلك.

فمضى إلى بركة، وترك في حصنها الوهابيّة، وولّى على حصن بركة، سليمان بن سيف بن سعيد الزاملي، فمرّ ذات يوم سالم بن سلطان من المصنعة يريد المسير إلى مسقط، فأقام بالمسجد الّذي بناه خصيف ابن خميس بن حمودة الوهيبي[2]، فلم يواجهه بدر، ولا احتفل به.

(١) سقطت من النسخة (ب).

(٢) خصيف بن خميس بن حمودة الوهيبي: والٍ، عاش في أواخر القرن الثاني عشر =

فأرسل سالم إلى سليمان بن سيف، فلمَّا أتاه قال له: اكتب كذا وكذا من الحلوى والخبز إلى أصحابي، وكذا وكذا من الطَّعام لدوابنا، فقال له سليمان: لا أقدر أن أكتب حرفاً واحداً إلَّا بأمر بدر، فإنّي عامل من عماله، وهو الآن في الحصن، فأرسل إليه أحداً من أصحابك بما تريده منه، فإن أمرني بشيء أصنعه، وقبل أن يأتيني أمره لا أقدر أن أصنع شيئاً، والبيت يدخل من بابه. فغضب سالم عليه، فضربه بعصاه حتَّى كسرها في ظهره.

فلمَّا مضى عنه سليمان إلى الحصن قال لأصحابه: الرحيل، الرحيل، فرجع يريد المصنعة، وأبطل مسيره إلى مسقط.

فلمَّا أخبر سليمانُ بدراً بما جرى عليه من سالم، أمر بدر أصحاب الخيل أن يسرجوا عليها، وأظهر أنه يريد أن يلحق بسالم ليعتذر إليه، وكان معه راشد بن حميد النعيمي، فنهاه عن ذلك وثبّطه، فامتثل قوله.

وازدادت الوحشة بين بدر وبني عمّه أولاد سلطان.

[٤٤٠-أ] ثمَّ إنَّ بدراً أشار على السيّد لحرب عمّه قيس، وقال: إن عمّنا قيساً قد اعتدى علينا بأخذ حصن الخابورة، فلم يرجعه إلينا، فهو لم يزل يصنع المكائد فينا، وينتظر الفرصة لأخذ ما بأيدينا من المعاقل، فالرأي الصائب أن تأمر مالك بن سيف اليعربي بحرب بهلا، ونمدّ مالك ابن سيف بآلة الحرب، فإنَّ حصن بهلا وقلعة نزوى وعُمان كلها في حكم عمّنا محمَّد بن الإمام، وهو منقطع عنَّا، متصل إلى عمنا قيس، حالهما واحد، فإذا خلصت بهلا خلصت لنا قلعة نزوى وعُمان كلها، وانفلّت

= وأوائل القرن الثالث عشر الهجريين، كان أحد الولاة الذين ولّاهم السيد سلطان بن الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي في مسقط. انظر: دليل أعلام عُمان، ص٥٧.

شوكة عمنا قيس، لا سيما إذا خلص لنا حصن الخابورة، فإنَّه إذا خلص لنا، ملكنا أعراب السَّاحل كلهم، وانقادت لنا رعيَّة عُمان.

فأجابه سعيد إلى ذلك.

فكتب بدر إلى مالك بن سيف [أن يمضي إلى حرب بهلا، وأمدّه بآلة الحرب كلّها، فمضى مالك بن سيف][1] ومعه محمَّد بن سليمان اليعربي، ومعهما من أهل نخل مائتا رجل، واشتملت عليهم العبريون، وبنو شكيل، فأحاطوا بحصن بهلا.

وجعل بدر يكاتب قبائل [٢٥٧-ب] نزار الظَّاهرة، ويمنيّة الشَّرقية بالوصول إليه، فأوّل من أتاه الشَّيخ عيسى بن صالح الحارثي، والشَّيخ سعيد بن ماجد البرواني [الحارثي][2]، ومعهما خمسمائة رجل من الحرث وأحلافهم، فأقاموا معه في بركة، وكتب لمالك بن سيف أن يترك المحاصر لحصن بهلا محمَّد بن سليمان، ويصل هو إليه، فامتثل أمره مالك، فكان المحاصر من قبله لبهلا، كما أمر محمَّد بن سليمان، ومعه مالك بن راشد العبري، وسمح الشكيلي، فمالت إليهم رعيَّة بهلا، فحصروا حصنها حصراً شديداً، والقابضون له يومئذٍ من قبل محمَّد بن الإمام بنو هناءة.

فلمَّا وصل مالك بن سيف إلى بدر بن سيف بن الإمام، كتب بدر إلى حميد بن ناصر الغافري، أن يلاقيه بقومه في الخابورة.

[٤٤١-أ] ومضى هو ومن معه من آل أبي سعيد هلال بن حمد، وتماسك السيّد سعيد وأخوه سالم عن المسير معه، فلمَّا وصل إلى

---

(١) سقطت من النسخة (ب).

(٢) سقطت من النسخة (ب).

الخابورة، اجتمعت معه أعراب السَّاحل أقوام كثيرة، فعسكر بهم أعلى الحصن. وعسكر مالك بن سيف بالقرب من معسكره، وعسكر الشَّيخ عيسى بن صالح ومن معه من الحرث غربي الحصن، فعسكرت معه أعراب السَّاحل كلها، وأتى الشَّيخ حميد بن ظلام الوهيبي برجال عديدين من آل وهيبة، فعسكر بقومه قريباً من معسكر الشَّيخ عيسى بن صالح، وجعل بدر يرتقب وصول الشَّيخ حميد بن ناصر الغافري، فتقدَّمه بنو كلبان، وعسكروا بالقصف.

فلمَّا أتى حميد بن ناصر ومعه ابن معيقل الوهّابي، وسائر نزاريّة الظَّاهرة، قال حميد لبدر: لا تعجِّل بالحرب على عمك، فإننا لنمضي إليه ونناصحه عن الحرب، لعله يسلِّم لك الحصن بغير حرب، فإن رضي فنعما هي، وإن أبى، حاربناه.

فأجابه بدر إلى ذلك.

وكان حميد في الباطن غير راضٍ على حرب بدر لقيس حذراً أن يقوى على أهل عُمان، وتشتدّ شوكته بالوهابيّة لما رآهم مائلين إليه كل الميل.

فمضى حميد بمن معه من القوم إلى صحار ولم يبقَ من أصحابه بالخابورة إلّا بنو كلبان، ومضى مالك بن سيف معه ببعض الرّجال، وبقيتهم انضافوا إلى معسكر بني كلبان، وانضافت بنو حراص أهل جمّا والمساكرة إليهم، واقترب معسكرهم من معسكر بن معيقل الوهابي.

ومضى الشَّيخ سعيد بن ماجد البرواني ببعض الرّجال إلى صحار، فالتأم بمالك بن سيف، وانتظموا في سلك حميد بن ناصر، فتواجه حميد وقيس بصحم، وقال حميد لقيس مع مناجاتهما: ما أتيناك لحرب، فكن من قبلي قرير العين، فإن بدراً يحاول ملك عُمان كله، وانقياد أهل الظَّاهرة

والشَّمال له بالوهابيّة، لما رآهم مائلين إليه كل الميل، [٤٤٢-أ] ومما يدل على ذلك أنه عاهدك عند الصّلح بكل ما في يدك من المعاقل، ليس له تعرض فيها، والعهد جديد بينكما غير بعيد، وأنت قد كففت الكفّ عن حربه، فعلام لا يكفّ عن حربك كفًّا فهو تارة يمكر بأولاد عمه، وتارة يصنع التعدي عليك، فثلّج صدرك من قبلي، ومن حاله حالي، فإننا إن لم تكن عليه لم تكن إليه. فسرَّ قيساً كلامه.

وكان الشَّيخ عيسى بن صالح قد سمع بوفدة سيف بن [ثابت][1] الجنيبي من الظَّاهرة على الخابورة، وأنه قد حشده حميد بن ناصر، وبين الشَّيخ عيسى بن صالح وسيف بن ثابت إحن قديمة ومنافرة عظيمة، فجعل عيسى عيوناً عليه، وسيف بن ثابت لم يعلم بعيسى أنه قد حشده بدر بن سيف، وأنه مقيم بالخابورة، فلمَّا شهدت العيون سيف بن ثابت، وما معه إلَّا سبعون رجلاً من الجنبة، أتوا إلى عيسى مسرعين، وقالوا له: إن الرّجل الَّذي تطلبه غير بعيد من معسكرك، وليس معه إلَّا سبعون، فانتهز الفرصة.

فصاح عيسى في قومه، فاجتمعت معه من الحرث وأعراب [٢٥٨-ب] السَّاحل خلق كثيرون. فلمَّا عزم على قتال سيف بن ثابت قال له حميد ابن ظلام الوهيبي: اترك الرأي والعزم الَّذي عزمت عليه، فإن سيفاً أتى لحرب من أتيت أنت لحربه، وهو صاحب حميد بن ناصر، لا يرضى إليه [الهضيمة][2].

ثمَّ إنَّ الشَّيخ سعيد بن ماجد بن سعيد [البرواني][3]، ومعه جملة من

---

(١) «ناصر» في النسخة (ب).

(٢) «الهضمة» في النسخة (ب) والصحيح ما أثبتناه في النص من النسخة (أ).

(٣) سقطت من النسخة (أ).

الحرث اصطحبوا حميد بن ناصر لإصلاح الشَّأن بين قيس وأولاد أخيه، فإذا قتلت رجلاً [واحداً][١] من الجنبة، لم يسلِّم سعيد بن ماجد ومن معه من الرّجال من قوم بني غافر، هذا مع وجود النَّصر لك، فضلاً عن عدمه [٤٤٣-أ] فرأيك هذا غير سديد.

وجعل يكثر له عن كفّه للحرب، فلم يلتفت إليه.

فمضى عيسى بمن معه من القوم، فلمَّا [القت][٢] الفئتان، جعل سيف بن ثابت يقول لعيسى: عُد عن هذا الرأي، وناشده الله أن يكفّ عن الحرب، فأبى، وقال: لا بدَّ من القتال.

فنزل الفريقان من ظهور ركابهم إلى الأرض، فتضاربوا بالسّيوف، وتطاعنوا بالرماح، فكانت الدائرة على عيسى وقومه، فطعن هو عند ذلك برمحين، وقتل من أصحابه ثلاثون رجلاً، وقتل من أصحاب سيف ثلاثة رجال فقط.

واتصل الصريخ[٣] إلى عسكر بني كلبان، وابن معيقل الوهّابي، وبني حراص، أهل جمّا، والمساكرة.

فأتوا مسرعين لنصرة سيف بن ثابت، [فوجدوا الأمر قد انقضى، فجعلوا يلومون سيف بن ثابت][٤]، ويقولون له: لِمَ لم تبعث لنا واحداً من أصحابك لنقاتل معك.

فقال: ما شعرت إلَّا والقوم قد أحاطوا بنا، فقضى الله ما قضاه بيننا.

---

(١) سقطت من النسخة (أ).

(٢) «التقى» في النسخة (ب).

(٣) الصريخ: الاستغاثة وطلب النجدة.

(٤) سقطت من النسخة (ب).

وبعث بنو كلبان رسولاً على حميد بن ناصر ليخبره بما جرى بين عيسى وسيف، فلمَّا مضى الرَّسول بالكتاب، رأى حميداً وقومه راجعين عن قيس في القصبيّة.

فلمَّا سلَّم الرَّسول كتاب بني كلبان لحميد، فضّ ختامه، وقرأه، وجعل الرَّسول يخبره عن الواقعة جملة وتفصيلاً، فوقف حميد، واستوقف الجيش.

فأشار مالك بن سيف اليعربي إلى الشَّيخ سعيد بن ماجد بن سعيد البرواني بالهرب، وانفصل سعيد وأصحابه عن القوم، وأحثّوا نياقهم، فما نزلوا من ظهورها إلَّا في أرض الخضراء من السويق.

وبعث حميد بن ناصر إلى بني كلبان، وابن معيقل، وسيف بن ثابت، وبني حرَّاص، والمساكرة، وأهل نخل، وكان معسكرهم يوم ذلك أعلا حصن الخابورة.

فلمَّا أتوه، قال لهم: لترجع كل طائفة إلى دارها، لا حاجة لنا في بدر [٤٤٤-أ] وحربه. فامتثلوا أمره، ورجع كل فريق إلى داره، ورجع هو إلى الظَّاهرة، فلمَّا وصل إلى العينين فسح لقومه.

ولمَّا رجع مالك بن سيف إلى نخل، أقام بها بعض الأيَّام، ثمَّ مضى إلى بهلا على طريق الجبل الأخضر، فلمَّا وصل إليها، خلص له حصنها على يد علي بن طالب، وعلي بن طالب خلَّصه له بأمر محمَّد بن الإمام، ومراد محمَّد بن الإمام بذلك الألفة بينه وبين أخيه سلطان بن الإمام.

وولى مالك بن سيف اليعربي على بهلا محمَّد بن سليمان بن محمَّد اليعربي، ورجع هو إلى نخل، فأقام بها أيَّاماً قلائل، ثمَّ مضى إلى بهلا، فلمَّا أراد أن يدخل الحصن منعه محمَّد بن سليمان عن دخوله، وقال له: لك نخل، ولي بهلا.

فلمَّا يئس مالك من الحصن [رحل][١] إلى [نخل][٢]، واستولى محمَّد بن سليمان على بهلا، وحصنها، وقطع زيارته عن مالك، ومضى قيس بن الإمام إلى نزوى ببعض القوم، وعلى طريق الظَّاهرة، فأخذ من حميد بن ناصر الرخصة في الوفدة على نزوى.

وكان بنزوى حرب بين أهل سمد، وأهل العقر، وجوابر الوادي، والعقر، فزعم قيس أنه يريد أن يصلح بينهم الحال، ونزوى يومئذٍ في حكم محمَّد بن الإمام، [٢٥٩-ب] ومحمَّد أعطاها قيساً.

فلمَّا مضى قيس إليها، أقام عند حميد بن ناصر في العينين يومين لأجل الضيافة، ولمَّا انفصل عنه، مضى على طريق نجد الظهيرة، فلمَّا كان حذاء يبرين، أغار بعض قومه، وهم آل أبي قرين على يبرين، فقتلوا ثلاثة رجال من أصحاب حميد بن ناصر، وهم من الدروع[٣].

فلمَّا وصل قيس بمن معه إلى نزوى أمر بالرَّكضة على العلّاية، فوقعت بينهم حرب شديدة، وبلغ صريخ أهل يبرين إلى حميد بن ناصر، فأخذ حميد في جمع القوم، وكتب إلى العبريين، وبني شكيل، وبني ريام، يتقدموه إلى نزوى، فتقدموه، [٤٤٥-أ] فوقع بينهم وبين أهل العقر، والحواير وسعال حرب شديدة، وجرح في هذه الحرب السيّد قيس ابن الإمام، ومضى إلى الشَّرقية، واستنجد أهلها أيَّاماً، فلمَّا رأى منهم

---

(١) «رجع» في النسخة (ب).

(٢) سقطت من النسخة (ب).

(٣) الدروع: قبيلة عدنانية، يتصل نسبها إلى ذياب بن مالك بن بهتة بن سليم بن منصور ابن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. والمفرد: الدرعي. انظر: الخروصي، سليمان بن خلف بن محمد: ملامح من التاريخ العُماني، ص٢٧٧-٢٧٨.

عدم النجدة، مضى إلى صحار على طريق العقّ، ومضى حميد إلى بهلا، فحشد أهلها.

ولمّا وصل إلى نزوى، اشتدّت الحرب بينه وبين أهل العقر، والحواير، وسعال وركض سمح الشيكلي على الصاروجية فقُتل، وحرق أصحابه جدار الحجرة، فدخلوا على من فيها، فقتلوهم كافّة، وطالت الحرب بينهم.

فكتب محمَّد ابن الإمام لمن بحصن نزوى وقلعتها من أصحابه أن يخلصوها للسيد سعيد بن سلطان ابن الإمام، فقبضها منهم علي بن طالب بن مهنَّا للسيد سعيد، فانقطعت الحرب بين أهل نزوى وبني غافر.

ولمّا رأى السيّد سعيد تقريب بدر بن سيف للوهابية، وأعراب جعلان اليمنية، والنزاريّة، ولسائر قبائل الشَّرقية، استوحش منه إيحاشاً شديداً، وخاف الفتك منه، فأودع سرّه محمَّد بن ناصر الجبري، ولم يذعه لغيره، فقال لبدر بن سيف: لا بدَّ لنا من حرب حصن الخابورة، ولكن بغير الوهابيّة، وأهل الظَّاهرة، بل [لنجرِّبه][1] بيمنيَّة أعراب الشَّرقية ونزاريّة وادي سمائل.

فأجابه بدر إلى ذلك، فجعل بدر يكاتب أهل الشَّرقية بالوفدة عليه سريعاً، وكتب إلى علي بن هلال بن الإمام، أن يأتيه بمن عنده من الرّجال، وكان علي يومئذٍ مستنكفاً عن قيس، مائلاً إلى بدر بن سيف كل الميل، فأتته كل طائفة كتب لها بجماهير رجالها، [٤٤٦-أ] فلمّا وصولوا إليه، أمرهم أن يعسكروا في القرحة، وأتى محمَّد بن ناصر الجبري ومعه من شيوخ نزاريّة وادي سمايل، سرحان بن سليمان الجابري، ونجيم بن

---

(١) سقطت من النسخة (ب).

عبدالله السيابي، وعندهما من القوم سبعمائة رجل، وانضاف إليهم مالك بن سيف اليعربي بمائة رجل من أهل نخل، فعسكروا بنعُمان.

[وبعدما عسكروا بنُعمان][(١)] ثلاثة أيَّام، قال سعيد لبدر: إن الشَّيخ محمَّد بن ناصر قد وصل إلينا، وعسكر بنُعمان، ونحن ما وصلنا إليه، وهذا ما لا ينبغي منَّا له، إذ هو قد أجاب دعوتنا، وأتانا بقومه متمثلين أمرنا، فقل لخاصتنا أهل الخيل، محمَّد بن حسن، وأصحابه أن يسرجوا عليها، ولا تقل للوهّابيّة، أن يمضوا معنا.

فأجابه بدر إلى ذلك.

فمضى هو وسعيد وفرسانهما الخاصَّة، فكانوا بهما عددهم عشرة رجال، فلمَّا وصلوا إلى نُعمان هبط لهم محمَّد بن ناصر من الحصن ومن معه من القوم، فتصافحوا باليدين، ودخل سعيد وبدر الحصن، ومعهما من خدام الجبور خلفان بن محيسن وصحبه، وجلس محمَّد بن ناصر وقومه حذاء الحصن، وقال محمَّد لقومه: لا أحد منكم يرقى إلى الحصن حتَّى يخرج السيّدان وأصحابهما منه، فأجابوه إلى ذلك.

فلمَّا استقر لسعيد وبدر ومن معهما الجلوس في الحصن، جعلوا يتذاكرون السّيوف والخناجر، فسلَّ خلفان بن محيسن مولى الجبور خنجر بدر بن سيف من [٢٦٠-ب] قرابه على طريق المداعبة، وسل سعيد سيفه من غمده، وجعل يهزّه على طريق المزاح، ثمَّ نهض قائماً فضرب به بدراً، فشقّت الضربة كتفه وعظامها، فهرب بدر، وارتمى من كوّة الحصن إلى الأرض، وصاح بأعلى صوته، الجارة الشيمة [٤٤٧-أ] يا قوم.

---

(١) سقطت من النسخة (ب).

فلمَّا التفت القوم إليه، زجرهم محمَّد بن ناصر، وقال: على رسلكم، ذروا أولاد الإمام يصنعون ما أرادوا في بعضهم البعض.

فلمَّا سمع بدر كلامه لقومه ركب خيله، وجعل يركِّضه، فلمَّا كان حذاء النَّارجيل الصغار من نُعمان أثخنته الضربة، فوقع من ظهر حصانه إلى الأرض، فاتبعه السيّد سعيد ومن معه من الفرسان، فوجدوا به بعض الرمق، فطعن برمح، ففاضت نفسه.

فأحثَّ السيّد سعيد ومن معه الخيل، فلمَّا كانوا بالقرحة صاحوا على من فيها من أهل الشَّرقية، أدركوا بدراً، فإن محمَّد بن ناصر وقومه قد أحاطوا به.

فنهض بهم علي بن هلال، [وهلال][1] بن حمد، وقصدوا نُعمان، وصاح أصحاب السيّد سعيد لما دخل السيّد سعيد الحصن على الوهابيّة، أدركوا بدراً، فإنَّ محمَّد بن ناصر الجبري وقومه قد أحاطوا به، فركبت الوهابيّة خيلهم، ولحقوا بأهل الشَّرقية، وعلي بن هلال، وهلال بن حمد دون النَّارجيل الصغار، فوجدوا بدراً قتيلاً.

فلمَّا عزموا على محمَّد بن ناصر وقومه بالرَّكضة، أخبرهم بعض الفلاحين أن الَّذي قتله هو سعيد بن سلطان، ومن معه من الفرسان، لا محمَّد بن ناصر وقومه، فرجعوا إلى القرحة.

وأما الوهابيّة لما قربوا من السور راجعين، نكس عليهم القابضون له بأمر السيّد سعيد [رؤوس][2] التفاق، فرجعوا من ساعتهم إلى البريمي.

ولمَّا رجع السيّد سعيد إلى حصن بركة، أقرّ أصحابه الخاصَّة فيه، وأمرهم بالحزم، وقال لهم: كل من أتاكم يريد أن يدخل الحصن [هو ليس

---

(١) سقطت من النسخة (ب).

(٢) سقطت من النسخة (ب).

منكم ولا من إخوتي أولاد السّلطان][1]، فاضربوه بالتّفق والمدفع، وركب هو ومن معه من الخاصّة يريد مسقط، وكان [٤٤٨-أ] مسيرهم من بركة نصف النهار، فوصلوا إلى المطرح أول العصر.

وبعث السيّد سعيد رسولاً إلى السكسكي القابض الحصن إلى بدر، فلمّا أتاه قال له: صوّت على أصحابك بالخروج من الحصن، فإن الرّجل الّذي قبّضك حصننا مات، فصوّت عليهم، فخرجوا من الحصن، فقبّضه سيّد البلوش، درَّة بن جمعة البلوشي، ومضى هو ومن معه إلى مسقط، وما علمت العامّة بالكائنة، إلّا في صباح اليوم الثّاني.

وأما أصحاب علي بن هلال وأهل الشّرقية لما استيقنوا أن سعيد بن سلطان قد قتل بدراً، رجع في ذلك اليوم كل منهم إلى وطنه، ومضى هلال ابن حمد ابن الإمام إلى حبرا.

ومضت أكابر بركة إلى بدر، بعد ما مضى السيّد سعيد إلى مسقط، فاحتملوه، وصلّوا عليه، وقبروه في الطارود.

وبعد يومين من وصول السيّد سعيد بن سلطان إلى مسقط، وصل محمّد بن ناصر الجبري ومالك بن سيف اليعربي، وسرحان بن سليمان الجابري، ونجيم بن عبدالله السيابي، ومن معهم من القوم إلى مسقط، وكان وصولهم إليها وقت المغرب، فمكثوا حذاء قلعة الراوية، وبعثوا رسولاً بكتاب إلى السيّد سعيد يخبرونه بوصولهم ومكثهم حذاء قلعة الراوية، فكتب لهم، ارجعوا من ليلتكم، كل منكم إلى وطنه، فإني أخشى عليكم أن يهجم عليكم عبيدنا والعسكر الّذين معنا، فلهم محبة

---

(١) سقطت من النسخة (ب).

باطنة في بدر، وأخشى على سمايل أن يهجم عليها علي بن هلال ومن معه وتابعه من يمنيّة أعراب الشَّرقية.

فعرفوا المعنى، أنه لا يريد مقامهم في مسقط، ورجعوا من ليلتهم، وانفصل كل منهم إلى وطنه.

[٤٤٩-أ] وكتب السيّد [٢٦١-ب] سعيد لعمّه قيس بما جرى منه على بدر، وكان قيس شديد البغض لبدر من قبل ملاءمته للوهابيّة، واندراجه إلى مذهبهم عن مذهب الإباضية.

واصطلح السيّد قيس وأولاد أخيه سلطان صلحاً صريحاً، فلمَّا مضى على صلحهم سنة، كتب السيّد إلى عمّه قيس، لا بدَّ لنا من حرب سلطان ابن صقر القاسمي، فإنَّه قد صار عدواً لنا ولك، وقد أفسد طريق البحر علينا، فلم يزل يأخذ كل سفينة من سفن رعيّتنا ورعيّتك غصباً، وكل سفينة من سفنه، إذا نفذ على أصحابها الماء أو أصابها الطُّوفان لاذت بفكّان لمَّا صارت إليه، فتحمل منها الماء، وتسعى إذا أصابها الطُّوفان، بعد الطُّوفان، منها إلى فساد البحر بالنهب والقتل، وقد بنى سلطان بن صقر في فكّان برجاً شاهقاً بالجصّ والحجر، فاحشد قومك، وأنا أحشد قومي إليها، والموعد بيني وبينك فيها.

فأجابه عمّه قيس إلى ذلك.

وكتب السيّد سعيد إلى آل وهيبة والحجريّين والحرث وبني حسن، [فأجابوه][1]، وأتوه برجال كثيرين، وكتب إلى مالك بن سيف اليعربي، وبني حراص، أهل جمّا بسرعة الوصول إليه، فمضى هو بالقوم الَّذين معه من الأعراب على طريق البحر في سفن كبار وصغار، ومضى سائر القوم

---

(١) سقطت من النسخة (ب).

على طريق البرّ، ومضى قيس ومن معه على طريق [البحر][١]، فأحاطوا بحلة فكّان، فدخلوها عنوة، وقتلوا كل من فيها من الرّجال الكبار والصغار.

فلمَّا علم سلطان بن صقر بإحاطة السَّادة وقومهم بفكّان، وبما [جرى][٢] على أهلها منهم كان أخذ في جمع قومه، فاجتمع معه عالم كثير من الأعراب والحضر، فكان عدد قومه على ما بلغنا اثني عشر ألفاً، وعدد قوم السَّادة ستة آلاف على ما سمعت، والله أعلم.

فلمَّا وصل [٤٥٠-أ] سلطان بن صقر دون العقبة، ورأى قومُه قومَ السَّادة في العقبة خلقاً كثيراً، كلهم أهل تفق، قالوا لسلطان بن صقر: لا حيلة لنا في الوفدة على فكّان، فإنّ بالعقبة من قوم قيس وسعيد خلقاً كثيراً، كلهم أهل تفق.

فقال لهم: لا تركضوا عليهم، وانتظروهم إلى ثلاثة أيَّام، فإن لم ينزلوا منها، رجعنا إلى منازلنا.

وجاء بعض القابضين للعقبة إلى قيس، فأخبره أن قوم سلطان خلف العقبة، خلق كثير، وإننا لنظنّهم يرجعون إلى منازلهم، إذ ليس لهم حيلة على صعودها.

فقال لهم: اهبطوا منها، فإنَّنا نريد أن نقاتلهم لنشفي غيظ قلوبنا منهم، فإن رجعوا عنَّا بغير قتال لم يحصل لنا منهم المطلوب.

فانحدر القوم من العقبة ليلاً، فلمَّا لاح الصباح ونظر أصحاب

(١) «البرّ» في النسختين (أ) و(ب). والصحيح ما أثبتناه في النص.

(٢) سقطت من النسخة (أ).

سلطان إلى العقبة خالية من النَّاس، أخبروه عما رأوه، فأمرهم بالوثبة عليها.

فلمَّا انتهوا إليها، كبّروا، وصاحوا صيحة شديدة، وهبطوا منها إلى فكّان، فنصبوا صفوفهم مقابلة لصفوف قوم السَّادة، وارتفع [صوت][1] التَّفق بينهم، وجرّدت السّيوف، ونكست الرماح، وبلغت القلوب الحناجر، فانكشف الزّعاب... أصحاب قيس، وانكشف محمَّد بن مطر، صاحب الفجيرة[2]، ولم يبقَ مع السيّد سعيد إلَّا آل وهيبة، والحجريّون، ولم يبقَ مع قيس إلّا عبيده.

فتكاثر عليهم أصحاب سلطان بن صقر، وصبر أصحاب السَّادة على القتال.

فلمَّا قتل محمَّد بن خلفان المحل، وكان هو الرئيس على قوم السيّد سعيد، وقتلت مصاليت الحجريّين وآل وهيبة، وقتل السيّد قيس وعبيده، ترك السيّد القتال [٤٥١-أ]، وركب على قارب من قواربه، وتحصّن في مركبه، ثمَّ رجع إلى مسقط.

ولمَّا بلغ عزَّان[3] قتل أبيه قيس، كتب إلى السيّد سعيد، يريد منه العهد والإعانة على من يبادره بالحرب من قوم سلطان بن صقر وغيره.

[٢٦٢-ب] فأجابه سعيد على ذلك، وأرسل إليه كل ما يحتاج إليه من آلة الحرب.

---

(١) سقطت من النسخة (أ).

(٢) صاحب الفجيرة: أي شيخ الفجيرة، وهي إحدى مدن ساحل عُمان، تقع حالياً في دولة الإمارات العربية المتحدة، وهي إحدى إماراتها السبع.

(٣) عزان: عزان بن قيس بن أحمد بن سعيد البوسعيدي، وهو جدّ الإمام عزان بن قيس ابن عزان بن قيس بن أحمد بن سعيد البوسعيدي المعروف.

وكثر الفساد من سلطان بن صقر وقومه في بالبرّ والبحر، واشتملت عليه الوهابيّة وطنج والزّعاب، فأعانوه على البغي، واشتمل عليهم محمَّد ابن جابر الجلهمي، فأفسد في البحر كل الفساد.

وكثرت غارات أصحاب سلطان بن صقر على أطراف صحار، وعزَّان يخرج إليهم ويدافعهم عن وصولهم إلى معاقله، والسيّد سعيد يمدّه بالمال والرّجال.

وكثرت الوشاة للسيد سعيد بمحمَّد بن ناصر الجبري، وأوحشوه به، فكتب له بوصوله إليه، وذكر في كتابه، لأجل مشورة بينه وبينه.

فلمَّا عزم محمَّد بالوصول إلى السيّد سعيد، نصحه بعض خاصّته بعدم المسير إليه، وكان في ذلك الوقت قد وقع تنافر بين سرحان بن سليمان الجابري ومحمَّد بن ناصر الجبري لما قطع محمد مشورته لسرحان، وأنعم بالإكرام لبني رواحة.

فلمَّا سمع سرحان أن محمَّد بن ناصر يريد أن يواجه السيّد سعيد في بركة، قال لبعض خاصّته: إنّ محمَّد بن ناصر إذا واجه السيّد سعيد ليقبضه، لأخذ حصن سمايل وبدبد منه، ولمَّا قطع عني مشورته، وصار احتفاله سرًّا وجهراً لنبي رواحة، وتركني سدى، فأنا لا أناصحه في سيره [إليه][1].

فمضى محمَّد ومعه بعض الرّجال إلى السيّد سعيد، فأقام بنُعمان، وأتى إلى السيّد بعد أن أناخ بنُعمان ثلاثة أيّام ببعض عبيده [٤٥٢-أ]، وكان السيّد قد أسرّ إلى بعض خواصه لقبض محمَّد إذا دخل الحصن، فلمَّا دخل، نهضوا إليه، فقبضوه، وأتوه به، فقال للحسنيّ: قيّده، فقيّده،

(١) سقطت من النسخة (ب).

ومضى به في الحال، ومعه رجال عدّة من بني حسن ومعه من أعراب بركة وأعمالها خمسمائة رجل.

فلمَّا بلغ به إلى بدبد، خلص حصنها له، فارتفع به إلى سرور، فقال بها[1] وفشا الخبر في سمايل بقبض محمَّد، وكان محمَّد يومئذٍ بها، فمضى إلى السيّد سعيد وواجهه في سرور، وعند سرحان من بني جابر وغيرهم أقوام كثيرون، فظنّ السيّد في أول وهلة، أن سرحان قد أتاه من قبل محمَّد بن ناصر لشرٍّ، فلمَّا رأى سرحان الابتسام، وكفاف الكلام عن محمَّد بن ناصر، أقبل على سرحان بكل الاحتشام، وجلس سرحان مع السيّد يسيراً، ثمَّ طلب منه الرخصة للرجوع إلى داره، فرخص له بعد أن أكرمه وأنعم عليه.

وارتفع السيّد ومن معه من القوم بمحمَّد بن ناصر إلى سمايل، فسلَّم محمَّد له حصنها.

فلمَّا علمت السيّدة بنت الإمام بقبض سعيد لمحمَّد، وكانت عندها بنت جبر بن محمَّد زوجة محمَّد بن ناصر، قالت بنت جبر لابنة الإمام: أهكذا حشمتي عندكم، قيَّدتم محمَّداً بعد أن كتبت لي بالوصول إليك، وفي حال وصولي إليك جرى على محمَّد ما جرى، فأنا الآن أخشى عليه القتل، فقالت لها ابنة الإمام: أما القتل فلا، وأما تسليم حصن سمايل وبدبد فلا بدّ من ذلك، فإنهما أمانة من سعيد لمحمَّد، والأمانة أحقّ بها أهلها.

ثمَّ إنَّ ابنة الإمام مضت ومعها ابنة جبر إلى سمايل، فخلصت محمَّد

---

(١) أقال: أي استراح وقت الظهيرة، والقيلولة هي الاستراحة.

ابن ناصر من القيد، فخيَّر السيّد سعيد محمَّد بن ناصر في السكن، إما في الحفري، وإما في مسقط، فاختار الحفري، فأنعم له بذلك.

فقال محمَّد لسعيد: إن لي بعض الأمانات عند النَّاس، وعليَّ بعض [٤٥٣-أ] الحقوق لبعض النَّاس، فأمهلني، أقيم في حاجر سمايل إلى عشرة أيَّام لأجل الأمانات والحقوق الَّتي ذكرتها لك، فأجابه السيّد إلى ذلك.

فلمَّا رجع السيّد إلى مسقط، وتخلص محمَّد من الأمانات الَّتي عليه، والحقوق الَّتي له، بعث بنت جبر وخدمها إلى الطوّ، وأمرها بالمقام فيها، وقال لخدامه: قرّبوا الرِّكاب.

فلمَّا ركب ناقته، شيعه أكابر نزاريّة سمايل وحلفاؤهم اليمنية، وجعل يحادثهم ويحادثونه، حتَّى إذا كانوا بسيح البستان[١]، قال: السَّلام عليكم، ارجعوا إلى منازلكم، الفرج من الله قريب.

ثمَّ ضرب رقبة ناقته، وسلكها طريق وادي العق[٢]، فتعجب من شيّعوهُ غاية العجب منه، [٢٦٣-ب] وأيقنوا أن له مراداً بسمايل، وأحثَّ ناقته هو ومن معه المسير ليلاً ونهاراً، حتَّى وصل إلى العينين من الظَّاهرة، فأناخ ناقته عند الشَّيخ حميد بن ناصر بن محمَّد الغافري، وأخبره بما جرى عليه جملة وتفصيلاً، فقال له حميد بن ناصر: ليس لي من الحصون إلَّا حصن الغبّي، وحصن يبرين، وحصن إزكي، فخذ ما شئت من هذه المعاقل هبة مني لك، فاختار حصن إزكي، فأنعم له به، فمضى إليه

(١) سيح البستان: يقع قرب بلدة هصاص، أسفل مدينة سمائل في المنطقة الداخلية في سلطنة عُمان.

(٢) وادي العق: أحد أودية المنطقة الداخلية في سلطنة عُمان.

وقبضه، وترك فيه بعض عبيده وخاصّته من النزاريّة، ورجع إلى حميد بن ناصر، فأقام معه أيّاماً قلائل، ثمَّ مضى إلى الدرعيَّة[١].

فلمَّا بلغ السيّد خبره قال: لا بدَّ أن تقع علينا منه محنة على ما به علينا من الإحنة ﴿لِيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾[٢].

فلمَّا وصل محمَّد إلى القصيم[٣]، أقام بها أيَّاماً قلائل، ثمَّ مضى مصطحباً بعض الرّجال منها إلى سعود بن عبد العزيز[٤]، فوجدوه في الدرعيَّة،، فلمَّا تصافحوا باليدين، سأل سعود أهل القصيم عنه، وكان يسمع به، ولم يره، فقالوا له: هذا الشَّيخ محمَّد بن ناصر بن محمَّد الجبري، الَّذي تسمع به، أتاك من عُمان لبعض الشَّأن، فأقبل سعود عليه بالوجه الجميل.

[٤٥٤-أ] فلمَّا شكا إليه ما أصابه من السيّد سعيد بن سلطان، قال

---

(١) الدرعية: عاصمة الدولة السعودية الأولى التي ظهرت بعد انتشار الدعوة الوهابية في الهضبة النجدية، تقع بوادي حنيفة، وتبعد ثمانية عشر كيلومتراً عن الرياض العاصمة الحالية للمملكة العربية السعودية.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٤٤.

(٣) القصيم: إحدى مدن المنطقة الشرقية في المملكة العربية السعودية.

(٤) سعود بن عبد العزيز (١١٦٣-١٢٢٩هـ/ ١٧٥٠-١٨١٤م): سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود، من أمراء نجد، يعرف بسعود الكبير، تولى إمارة الدولة السعودية الأولى بعد مقتل أبيه في الدرعية سنة (١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م)، وجنّد جيشاً كبيراً أخضع معظم جزيرة العرب، فامتدّ ملكه من أطراف عُمان ونجران وعسير إلى شواطئ الفرات وبادية الشام، ومن الخليج العربي إلى البحر الأحمر، فحاربته الدولة العثمانية، وكلّفت واليها محمد علي باشا بالقضاء على دولته، فدخلت جيوشه مكة والمدينة والطائف. مات سعود بعلّة السرطان المعوي. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص٩٠.

له: طب نفساً، وقرّ عليناً، فإني لأبعث إلى عُمان لأجلك، مطلق المطيري[١] معيناً لك وناصراً على كل من أردت أن تحاربه من أهل عُمان وغيرهم.

وقال سعود بن عبد العزيز لمطلق المطيري: امضِ إلى عُمان، قبل أن يرجع محمَّد بن ناصر إليها، وشنّ الغارات على أهلها المخالفين أمري، وكن لمحمَّد بن ناصر معيناً وناصراً.

وتأخّر محمَّد عند سعود، وتقدّم مطلق إلى عُمان.

فلمَّا وصل إلى البريمي، حشد أعراب الشَّمال، فهجم [بهم][٢] على شناص، وأخذ حصنها قهراً، فولى عليه محمَّد بن أحمد الطنيجي. ولمَّا رجع محمَّد إلى عُمان كتب إلى مطلق، أن يهبط إلى صحار، فكتب مطلق إلى بني نعيم [وبني][٣] قتب والظواهر، وإلى سائر أعمال البريمي، بالوصول إليه.

فاجتمع معه خلق كثير، فهبط بهم إلى صحار، وأحاط بها، وكان المالك لها يومئذٍ عزَّان بن قيس بن الإمام، وقد طلع به عند حصر مطلق

---

(١) مطلق المطيري: مطلق بن محمد المطيري، من عمّال الأمير سعود بن عبد العزيز في نجد، وأحد القادة العسكريين الكبار في دولته. زحف على عُمان بالجيوش سنة (١٢٢٢هـ/١٨٠٦م)، وشايعه بعض أهلها، فقاتله السلطان سعيد بن سلطان، فاستولى مطلق على أطرافها الشمالية، وضرب على أهلها الجزية، واستمر ثلاث سنوات يسير عنها ويرجع إليها، واتخذ توام (البريمي) معقلاً له، واستمر إلى أن فاجأه رجال الحجريين بجيش على حين غفلة، فدافع عن نفسه، لكنهم تمكنوا من قتله سنة (١٢٢٨هـ/١٨١٣م). انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٧، ص٢٥٣.

(٢) سقطت من النسخة (أ).

(٣) سقطت من النسخة (أ).

لصحار جدري كثير، وأقام مقامه السيّد سعيد نائباً عنه، فجعل السيّد سعيد يقاتل الوهابيّة بمن معه من القوم، واشتمل على مطلق حميد بن ناصر الغافري، ومحمَّد بن ناصر الجبري، وعندهما جمع كثير، فكان عدد القوم جميعاً ثلاثين ألفاً على أصح الخبر.

[وطالت][١] الحرب بينهم وبين السيّد سعيد بصحار، فلما عجزوا عن الدخول على محلَّة صحار، تركوا حرب [صحار][٢] ومضوا على شاطئ البحر، فلمَّا كانوا حذاء المصنعة، ارتفعوا إلى وادي المعاول، فلمَّا وصلوا إلى العريق ركضوا على حجرتها، فدخلوها، وقتلوا من فيها، وما سلم من أهلها إلَّا من فرَّ.

فلمَّا وصلوا إلى «أفي»[٣] عسكر [مطلق][٤] بالسراة، وعسكر محمَّد ابن ناصر في بيت مطمّع من الظَّاهر، واشتمل عليهم مالك بن سيف اليعربي وبعض نزاريّة سمايل، فهرب أهل حجرة المطلع، ولاذوا بحجرة الشَّيخ، ولم يحملوا من ذخائرهم إلَّا قليلاً، فعسكر في حجرتهم بنو الريِّس، وأهبط مالك بن سيف اليعربي مدفعاً من [٤٥٥-أ] حصن نخل، فجعل يضرب برصاصه حجرة الشَّيخ من الحجرة الخارجة، وقبض أصحابه، أهل نخل، واحداً من نزاريّة سمايل بسوق الظَّاهر، وقامت الحرب بين قوم مطلق والمعاول على قدم وساق.

ثمَّ إنَّ المعاول صالحوا مالك بن سيف، وحالفوه تقية، على أنهم

(١) «وطابت» في النسخة (أ).
(٢) سقطت من النسخة (ب).
(٣) «أفي» إحدى قرى المعاول المشهورة، في وادي المعاول في سلطنة عُمان.
(٤) سقطت من النسخة (ب).

ليكونوا في طاعته، فلمَّا ردّ مالك بن سيف المدفع إلى نخل، مضى محمَّد ابن ناصر ومطلق المطيري، ومن معهما من القوم إلى سمايل، فلمَّا وصلوا إليها، أحاطوا بأهل العلّاية، فأخرجوهم من معاقلهم المنيعة وحجرهم، وأخذوا ما فيها من الذخائر، وهدموا كثيراً من معاقلهم المنيعة، وقبض ما بقي منها بنو جابر، فمضى عنهم مطلق وحميد بن ناصر على طريق العق [٢٦٤-ب]، فلمَّا كانوا بالعينين مكث حميد فيها، ومضى مطلق إلى البريمي، فأحاط قوم محمَّد بن ناصر بحصن سمايل، وأقام هو في بيته الَّذي بناه بستال، وكان القابض يومئذٍ لحصن سمايل من قبل السيّد سعيد إسماعيل البلوشي، وهو من آل درّة بن جمعة البلوشي، ومعه ثمانون رجلاً من البلوش وعشرون عبداً من عتقاء السيّد سلطان بن الإمام.

واشتمل عليهم رجل من أهل علاية سمايل، يسمى ذهيل بن سالم الذويبي، فلم يزل يذهب إلى السيّد سعيد، ويخبره عن القابضين في الحصن، وعن أخبار قوم محمَّد بن ناصر، إذ هو يخالطهم إذا جنَّ اللّيل، ويستمع [إلى][1] حديثهم، وهم لا ينكرونه، لكثرة قومهم.

فأتاه ذات يوم، فقال له: ابعث إلى الحصن رجلاً ثابت العزم والحزم، فإنّ البلوش والخدَّام [قد][2] ضعفت قوتهم، ومات منهم رجال عدّة بالجدري والاستسقاء، وأخشى على الحصن أن يسلموه إلى محمَّد بن ناصر على ما بهم من ضعف القوة.

وكان عند حديثه هذا قد وفد على السيّد سعيد بن سلطان علي بن طالب بن مهنّا البوسعيدي [٤٥٦-أ] من نزوى، مضى منها إلى صور،

---

(١) سقطت من النسخة (ب).

(٢) سقطت من النسخة (أ).

وركب من صور سفينة إلى مسقط، وكان هو يومئذٍ من قبل السيّد سعيد، الوالي على نزوى، فأمر السيّد سعيد عليه، وعلى ذهيل بن سالم بن ذؤيب بالمسير إلى سمايل، وقال لهما: حرِّضا أهل الحصن على الحرب والحرس.

فسارا من يومهما إليها، فلمَّا بلغا فنجا سريا ليلاً منها، فدخلا حصن سمايل على حين غفلة من المحيطين بالحصن من قوم محمَّد بن ناصر، فجعل علي يحرض القابضين في الحصن على الحرب والحرس، وينهاهم عن الغفلة والكسل والفتور، فشكوا له قلَّة الطَّعام ونزر آلة الحرب.

فبعث [عليٌ ذهيلاً إلى السيّد سعيد يخبره الخبر كله، فلمَّا وصله، أخبره][1] على التَّفصيل والجملة، وكتب إلى الحجريّن، وبني حسن، ولبعض يمنية الشَّرقية بالوصول إليه.

فلمَّا أتوه، مضى بهم إلى سمايل، وقد حملوا على ركابهم وركاب أعراب بركة وأعمالها فوق ما أراد أهل الحصن من الطَّعام وآلة الحرب، وسلكوا طريق ضحنان.

فلمَّا وصلوا إلى علاية سمايل، شغل بعض القوم قوم محمَّد بن ناصر في بروج العلّاية بالحرب، وهبط الباقون إلى الحصن، فأدخلوا للقابضين في الحصن كل ما حملوه إليهم، وحرّضهم السيّد سعيد على القتال والحرب، وجعل عليهم المتقدّم في جميع الأمور عليّ بن طالب، ونهاهم عن المخالفة له، فقطع اعتذارهم بوصول كل ما طلبوه منه.

فلمَّا قالوا: حسبنا ما أَفَضْتَ لنا من فضلك، رجع بقومه، فسلك الطَّريق الأوَّل، فلمَّا كانوا بضحنان كثر عليهم الصَّائح من قوم محمَّد بن ناصر.

---

(١) سقطت من النسخة (ب).

وكان محمَّد قد أكمن قوماً بضحنان، فجعلوا يضربون قوم السيّد من رؤوس الجبال، فلمَّا وصل السيّد إلى فنجا، افتقد من قومه رجلين، فرجع إلى مسقط، وفسح لقومه، واشتدّ غيظ محمَّد بن ناصر على أهل فنجا والخطم، فأمر أصحابه، أهل الخيل بالغارة عليهم، فمضوا [٤٥٧-أ] ومعهم رجال من بني جابر والسيابيّين رجال كثيرون.

فلمَّا كانوا بالقرب من الخطم خرج إليهم أهل فنجا والخطم، فتضاربوا برصاص التَّفق، وقتل من الفريقين بعض الرّجال، فرجع أصحاب محمَّد عنهم.

ثمَّ إنَّ محمَّد بن ناصر بنى برجاً شاهقاً في ضحنان، وترك فيه من بني جلندى[1] وغيرهم جملة من الرّجال، أهل التَّفق، وأمرهم بسد الطَّريق بالحجارة، ففعلوا كما أمر، فانقطعت رسل القابضين حصن سمايل بعدم الطَّريق، وما قدر أحد أن يمضي إليهم من فنجا، فضلاً عن طريق الملتقى وسرور، وانقطعت أخبار حصن سمايل عن السيّد سعيد بعدم الطَّريق.

فكتب إلى عزَّان بن قيس بوصوله بمن عنده من القوم [٢٦٥-ب] إلى وادي المعاول، ويستنهض معه لحرب نخل، ليشغلوا مالك بن سيف عن عصبيته لمحمَّد بن ناصر، ويقطعوا من نخل أهل نخل مثل ما قطع مالك عليهم من النَّخل وزيادة أيَّام حربه للمعاول بقومه وقوم مطلق المطيري، وقوم محمَّد بن ناصر.

وكان مالك يومئذٍ في سمايل، وعنده رجال من أهل نخل، فلمَّا وصل عزَّان بمن معه من القوم إلى المعاول، عسكر بقومه في

---

(١) بنو الجلندى: قبيلة أزدية قحطانية، يتصل نسبها إلى الجلندى بن المستكبر، فهي قبيلة متفرعة من معولة بن شمس، ثم إلى الأزد. والمفرد: الجلنداني. انظر: الخروصي، سليمان بن خلف بن محمد: ملامح من التاريخ العُماني، ص٢٤٦.

مسلمات[1]، واستنهض المعاول معه، فنهضوا طرباً ورغباً وسروا ليلاً إلى نخل، فارتقوا جبل الباب، ثمَّ هبطوا إلى الغريض.

فلمَّا كثر ضرب التَّفق بينهم وبين أهل الغريض، ركض عزَّان بمن معه من القوم على نخل، فدخلوها من باب الشاغة، وعسكر بهم عزَّان في الشريجة، فقطعوا بعض النَّخل من نخل، وهدموا بعض السّور، وكان مقامهم يومين إلى أن رجعوا عنها. فكان من قتل من أهل نخل سالم بن عبدالله بن محمَّد الرويشدي فقط، ومن قوم عزَّان ستة رجال، فرجع عزَّان إلى صحار، واشتدَّت الحرب بين المعاول وأهل نخل.

ثمَّ إنَّ عليّ بن [٤٥٨-أ] طالب وذهيلا خرجا من الحصن ليلاً، وسلكا طريق العقّ. وهبطا من قحزة إلى حطاط، فلمَّا وصلا إلى السيّد سعيد، أخبراه عن ضعف قوة أهل الحصن بطول الحصار، وحرّضاه على حرب محمَّد بن ناصر، ثمَّ رجعا، فسلكا طريقَهما الأوَّل.

فلمَّا دخلا الحصن قالا للقابضين فيه: أبشروا بالفرج، فإنَّ السيّد سعيد لآتٍ إليكم بجمع كثير، ففرحوا بذلك فرحاً شديداً.

وكتب السيّد إلى الحجريّين، وبني حسن، والحرث، أن يأتوه بكثرة رجال إلى بركة، وكتب إلى عزَّان أن يأتيه بالرّجال والخيل، فلمَّا أتاه الحجريّون، وبنو حسن، والحرث، مضى بهم من مسقط إلى بركة، فأقاموا بأمره في القرحة، ثمَّ أتاه عزَّان ومعه عدّة من الرّجال والخيل، وحشد السيّد سعيد أعراب السَّاحل من المصنعة إلى الحيل العمريّة.

فلمَّا كثر القوم معه، مضى بهم إلى بدبد، فجعل يبحث عن قوم محمَّد بن ناصر المعسكرين بسرور، فقيل له: إن قوم محمَّد المعسكرين

---

(١) مسلمات: إحدى قرى وادي المعاول في منطقة الرستاق في سلطنة عُمان.

بسرور خمسون رجلاً من بني شكيل، وثلاثمائة من العوامر، ومائة رجل من بني جابر، وقد انضاف إليهم بعدما انفصل عنك سالم بن ثاني الجابري، وصار أميرهم.

فلمَّا كان صبح تلك اللَّيلة الَّتي أخبر فيها عن قوم محمَّد بن ناصر، أمر بالرَّكضة عليهم، فكان له الظفر عليهم، فقتل من قوم محمَّد بن ناصر ثمانون رجلاً، أكثرهم أهل سرور، وقتل سالم بن ثاني الجابري، وأمر بهدم البرج الَّذي بوادي سرور، فهُدِم.

وبعث السيّد سعيد الشَّيخ سعيد بن ماجد الحارثي إلى أهل سرور بالمواجهة أو الحرب، فلمَّا وصل إليهم، أتى بهم إليه مذعنين، فعفا عنهم، وأخذ منهم العهد على ترك عصبيتهم لمحمَّد بن ناصر، وأتاه نجيم ابن عبدالله السيابي، فسأله العفو عنه وعن أصحابه، فعفا عنهم وعنه، وأخذ منه العهد كما أخذ على أهل سرور [٤٥٩-أ] ترك العصبيَّة لمحمَّد بن ناصر.

ورجع السيّد سعيد إلى مسقط، ورجع عزَّان إلى صحار.

فلمَّا بلغ محمَّد بن ناصر قتل سالم بن ثاني، وقتل من قتل من سرور من قومه، ومواجهة أهل سرور ونجيم بن عبدالله وعهدهم للسيد سعيد على ترك عصبيتهم له، ضيق على أهل حصن سمايل الحصار، وكتب إلى جنبة عُمان ومن اشتمل عليهم من أعراب عُمان وحضرها [٢٦٦-ب] بسرعة وصولهم إليه.

وخرج علي بن طالب من الحصن ليلاً إلى محمَّد بن ناصر، فطلب منه الرخصة بالوصول إلى السيّد سعيد والأمان، وعلى إن لم يصل السيّد بقوم لأهل الحصن ليخلصوه له، ووقت ذلك إلى أيَّام قلائل، فأجابه إلى ذلك.

فلمَّا أتى السيّد، أخبره الخبر عن القوم الَّذين بالحصن، [وأنه][1] قد كثر فيهم الموت بداء الجدري والاستسقاء وقد نفذ عليهم الزاد، وأنهم يراسلون محمَّد بن ناصر سرًّا، يطلبون منه الأمان مع خروجهم من الحصن على ما بأيديهم من السلاح لا زيادة، وأنّي لما سمعت منهم ذلك صبرتهم على الحرب إلى أن أرجع إليهم عن قريب، واحتلت مع الخروج بالوصول إليك، فقلت لمحمَّد بن ناصر: كيت وكيت، حيلة مني حتَّى أصل إليك، وأخبرك الخبر على التَّفصيل، فعجِّل الوثبة إليهم.

فلمَّا سمع السيّد كلامه، كتب في الحال إلى بني حسن، والحجريّن ومن اشتمل عليهم، وكتب إلى البلوش، والزدجال الَّذين في حكمه من إقليم مكران، فاجتمع معه خلق كثير، وانضاف إليهم أعراب السَّاحل من السيب إلى المصنعة.

فلمَّا وصل إلى بدبد، أتاه نجيم بن عبدالله السيابي بثلاثمائة رجل من قومه، وأعذر أهل سرور عن المسير، فسار بالقوم، فلمَّا وصل إلى هصَّاص عسكر بهم فيها، وأمر على وليد الهنائي أن يركض على الحاجر بمن معه من أصحاب التَّفق، فارتقى وليد ومن معه جبل الحاجر المشرف على بني مزروع[2]، وبني خروص، وأكمن [٤٦٠-أ] السيّد البلوش، والزدجال في مقصورة من الخوبار، وأمر بقية القوم بالرَّكضة على بني مجلب، وبني حرَّاص، فبلغ الصريخ إلى محمَّد بن ناصر، وهو يومئذٍ

(١) سقطت من النسخة (أ).

(٢) بنو مزروع: قبيلة عدنانية، يتصل نسبها إلى تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان. والمفرد: المزروعي. انظر: الخروصي، سليمان بن خلف بن محمد: ملامح من التاريخ العُماني، ص٢٨٤.

بستال، فأمر قومه بالرَّكضة على قوم السيّد سعيد المعسكر بهم في الخوبار وهصَّاص، فركضوا، ومعهم مالك بن سيف اليعربي، وركض سرحان بن سليمان الجابري، وراشد بن سعيد بن محمَّد الجابري الجيلي وقومهما على أصحاب وليد الهنائي، فحدروهم من الجبل بعدما قتل وليد، ووصل سيف بن ثابت الجنيبي ومن معه من جماعته وشيعته، فوقعت بينهم وبين أصحاب السيّد سعيد ملحمة شديدة، فانكشف أصحاب السيّد، وركض مالك بن سيف اليعربي ومن معه على البلوش والزدجال، فقتلوا من البلوش والزدجال أكثرهم، ورجع السيّد إلى مسقط، وأرسل الشَّيخ سليمان بن سيف بن سعيد الزاملي، والشَّيخ سليمان بن هلال العلوي، والشَّيخ سعيد بن ماجد الحارثي، أن يصلحوا بينه وبين محمَّد بن ناصر بكل ما يريد من الدَّراهم دون حصن سمايل وبدبد، وأمرهم، أن يمروا على نجيم بن عبدالله السّيبابي ليساعدهم على الصّلح، فلمَّا بلغوا إلى بدبد أرسل نجيم إليهم الطَّعام، فلمَّا أكلوا مضى معهم.

فلمَّا كانوا بهصَّاص، تأخر نجيم بها، ومضوا هم إلى محمَّد بن ناصر، وكان محمَّد قد أكمن قوماً من الجنبة والدروع دون المضمار، وكان الدروع له سلفاً وتر على بني علي، والشَّيخ سليمان بن هلال لم يدرِ أنهم اشتملوا على الجنبة حال مسيرهم إلى سمايل.

فلمَّا كانوا دون هصَّاص، نهضت عليهم الجنبة والدروع، [فقتلوا الشَّيخ سليمان بن هلال][1]، وأسروا سليمان بن سيف والشَّيخ سعيد بن ماجد الحارثي، فمضوا بهما إلى الشَّيخ محمَّد بن ناصر، وكان هو يومئذٍ في بيت ستال ومعه من قومه خلق كثير [٤٦١-أ]، فلمَّا علم نجيم بن

(١) سقطت من النسخة (ب).

عبدالله بذلك أسرع سيره إلى الشَّيخ محمَّد بن ناصر، فسأله أن يفكّهما من الأسر، فأبى، وقال: لا أفكّهما إلّا بتخليص حصن سمايل وبدبد.

فقال رجل من أكابر قوم محمَّد بن ناصر، إن أردت لهما الفكاك من الشَّيخ محمَّد بن ناصر، فليكتب سليمان بن سيف كتاباً بأمر السيّد سعيد إلى أهل حصن سمايل، أن يهبطوا منه [٢٦٧-ب] بأمان عنه على ما بأيديهم من السِّلاح، فإن خلص الحصن، فأنا الضامن من قبل محمَّد بن ناصر بفكاكهما، وبغير هذا لا يمكن.

فكتب سليمان كما قال ذلك الرّجل إلى أهل الحصن، فلمَّا وصلهم الكتاب وقرؤوه قالوا: إنَّ الحصون لا تخلص بقرطاس ومداد، بل تخلص بالسّيف، ما عندنا لمحمَّد إلَّا الحرب.

فلمَّا رجع الرَّسول بعدم المراد، ألّح نجيم بن عبدالله على محمَّد بن ناصر بالرّخصة لسليمان بن سيف وسعيد بن ماجد، فرجعا إلى السيّد، وعندهما نجيم بن عبدالله، وكان السيّد يومئذٍ في مسقط، فلمَّا أخبروه عمّا كان فيهم من محمَّد تفصيلاً وجملة، فقال: أما أنت يا سليمان، وأنت يا سعيد بن ماجد، أخال لولا الشَّيخ نجيم بن عبدالله لقتلكما محمَّد بن ناصر، فقالا: أجل، ثمَّ قالاً له: إن كان لنا عندك احتشام، فاحتشم نجيم ابن عبدالله، وأكرمه غاية الإكرام، فإنَّنا لا نقدر على مكافأته إلَّا بك، فأكرمه السيَّد بالمال، وقلبه إليه بالمودَّة مال.

فرجع نجيم إلى داره، وتماسك السيّد عن حرب محمَّد بن ناصر، يرجو من محمَّد التماسك عن حرب سمايل، كما تماسك عن حربه لحسن ظنّه [به][١].

(١) سقطت من النخسة (ب).

فلمّا طال على أهل الحصن الحصار، وعدم لهم الانتصار، سلموا الحصن إلى محمَّد بن ناصر، ورجع من رجع منهم إلى مسقط، فأمر السيّد بقيد أمير عسكر الحصن، وهو إسماعيل البلوشي والعبد المسمَّى «المسكو» لأن إسماعيل المذكور، هو الأمير على أصحابه البلوش، والمسكو هو الأمير على العبيد، فماتا في القيد [٤٦٢-أ]، واستولى محمَّد على سمايل، وواجهه بنو رواحة وغيرهم، فاشتدّ غضب السيّد على محمَّد بن ناصر، ومالك بن سيف اليعربي، إذ هو قد أعان محمَّد بن ناصر عن حرب حصن سمايل بالرّجال وآلة الحرب، فبعث السيّد سعيد أخاه سالم بن سلطان إلى شيراز، بطلب الإعانة من شاه العجم[١] له على حرب من خالفه من أهل عُمان.

فلمّا بلغ السيّد سالم ومن معه من القوم إلى شيراز، رأى من شاه العجم العزازة والإكرام، فكانت الخواني من الشّاه تأتي إليه ولقومه بالفواكه والأطعمة اللذيذة صباحاً ومساءً، وهو مع ذلك الإكرام والاحتشام لم يصل إلى السيّد سالم، ولم يأذن للسيد أن يصل إليه.

وفي كل يوم يأتي وزير من وزرائه إلى السيّد سالم، فيجلس معه طويلاً، ثمَّ يرجع الشّاه، وكلام الوزير الّذي يأتي إليه على حدَّة، يسلِّم عليك الشّاه كثيراً، وهو يريد أن يصل إليك أو تصل إليه، [ولكنّه][٢] في هذه الأيّام مشغول برسل العجم[٣] والرّوم[٤] والنّصارى[٥]، يطلبون منه

---

(١) شاه العجم: ملك بلاد فارس. فتح علي شاه (١٧٩٧-١٨٣٤م) ثاني ملوك الدولة القاجارية.

(٢) «إلّا أنه» في النسخة (ب).

(٣) رسل العجم: يقصد بذلك رسل ولاته في المناطق والأمصار الفارسية.

(٤) رسل الروم: رسل الدولة العثمانية. إذ لم يعد هناك من وجود لدولة الروم البيزنطيين منذ سقوط القسطنطينية على يد محمد الفاتح عام ١٤٥٣.

(٥) رسل النصارى: رسل الدول الأوروبية.

أشياء لا تحصل لهم إلَّا به، فإذا فرغ من شأنهم ليأتيك منه ما تريد، فإنَّك عنده في عزازة واحتشام.

وكان قاضٍ من قضاة الشَّاه رجل فصيح، له يد في علم الآلة وغيرها. فإذا تكلَّم في حضرة السيّد سالم لم يتكلّم إلَّا بالعربيَّة الصريحة، واسم هذا القاضي المذكور الميرزا، وكان من القضاة العُمانية مع السيّد سالم بن سلطان، ناصر بن سليمان العدوي المعولي، وفي كل يوم قاضي العجم يأتي فيه إلى السيّد سالم بن سلطان يقول لناصر بن سليمان: طالما زرتك فلم تزرني، وأنا أتشرّف بزيارتك إليّ، وكان الميرزا المذكور بتشيّعه شديد البغض على الإباضيّة، يخفي ما أضمره من العداوة، ويبدي المحبّة والبشاشة للسيّد سالم بن سلطان، ولناصر بن سليمان.

وقد كتب إلى الشَّاه: إن الوافدين عليك من عُمان خوراج المذهب، فلا يجوز لك أن تنصر الخوارج، وماطلهم بالنَّجدة والإعانة [٤٦٣-أ] حتَّى يضجروا، فيرجعوا إلى [بلادهم](١) وديارهم بغير قوم من جنودك.

فلمَّا ألّح على ناصر بالزّيارة قال: إني آتيك غداً إن شاء الله، إلى برزتك الشَّريفة(٢)، ففي أيّ مكان تبرز أنت للحكم بين النَّاس؟

قال: تحت حصن الشَّاه.

[قال](٣): فلمَّا مضى الميرزا كتب إلى الشَّاه، إنَّ قاضي الخوارج وعدني بزيارته غداً، وهو أشدّ النَّاس لنا بغضاً، فما رأيك فيه؟

فجاء الجواب من الشاه، إذا وصل [٢٦٨-ب] إليك اسأله عن

---

(١) سقطت من النسخة (ب).

(٢) البرزة: مكان استقبال الضيوف.

(٣) سقطت من النسخة (أ).

أشكال المسائل الَّتي تهدم قواعد مذهبه، فإذا فلجته[١] علمت أن القوم كما زعمت خوراج، وإذا فلجك علمت أنك كاذب في كلامك، والقوم ما في قلوبهم بغض لنا، فسَنَجدهم ونعينهم على كل من خالفهم من أهل عُمان.

وكان مع السيّد سالم رجل من العجم الآهلين بمسقط[٢] يسمى موسى، وهو موسوي المذهب[٣]، إلَّا أنه رجل ذو [وقار][٤] وصدق وإنصاف، يخالف الشيعة في الأمور المخالفة للحق، فقال لناصر لما وعد الميرزا بالزّيارة، لا تصدق الميرزا، فإنَّه أشدّ النَّاس إليكم بغضاً، فإذا وصلت إليه وسألك عن مذهبك أجبه عمّا في كتبكم وعقائدكم ولا تموّه له بالكلام.

فقال له السيّد سالم: إذا سألته عن مذهبه استعمل التقيَّة، ولا تتكلَّم إلَّا بما يسرّهم في مذهبهم، فإنَّنا، وإن أظهروا لنا العزازة والاحتشام والأمان منهم في غير أمان، فالحذر الحذر منهم ومكرهم.

فقال له ناصر: كن أنت من قبلي قرير العين.

فلمَّا كان الغد، مضى ناصر إلى ميرزا، فاخترق صفوف العجم القائمة والقاعدّة حول حصن الشَّاه، وهم ألوف، خشع الأبصار، لا ينظرون إلى أعالي الحصن، كرامةً للشَّاه، وإذعاناً إليه، وجاز ناصر القوم

(١) فلجته: أي فَوَّتَّ عليه وأفحمته.

(٢) الآهلين بمسقط: المقيمون بمسقط بصورة دائمة.

(٣) موسوي المذهب: والصحيح جعفري المذهب، لأن الشيعة الإمامية الاثنى عشرية هم أتباع مذهب جعفر بن محمد الصادق، والإمام موسى الكاظم هو ابن الإمام جعفر الصادق، وهو على مذهب أبيه، ولا يوجد مذهب لدى الشيعة يعرف بالمذهب الموسوي.

(٤) «وفاء» في النسخة (ب).

القلّاعين العيون والأكتاف من أصولها، والمجلسين الجناة على الطوابيج[١] المحمّاة بالنّار، فما شعر الميرزا إلّا وناصر معه.

فتعجّب من شدّة عزمه وقساوة قلبه، فأجلسه على يمينه. وجعل يقضي بين [الخصماء][٢].

فأتى رجل من العجم، فشكا عند الميرزا من رجل عجمي مثله [٤٦٤-أ]، فادّعى الشّاكي، أن الرّجل الّذي شكا منه قد قتل أخاه، فلمّا سأل القاضي المدّعى عليه، وقال له: أقتلت أخاه؟ قال: [نعم][٣]، فأمر السّياف الواقف على رأسه بقتله، فضربه بالسّيف، فقطع رقبته بضربة واحدة.

وكان كلام المدّعي والمدّعى عليه والقاضي لهما بالعجميّة كلّه، وكان ناصر [لا يعرف رطانة][٤] العجم، فقال لميرزا بالعربيّة: على أيّ شيء أمرت بقتل الرّجل؟.

فقال له: لما شكا منه هذا الرّجل القاعد خلفك، أنّه قتل أخاه، قلت للمقتول قبل أن يُقتل: أقتلت أخاه؟. فقال: نعم، فأمرت بقتله اقتداءً بالكتاب والسّنة الشّريفة.

فقال له ناصر: إن كان الأمر كما زعمت، فقد حكمت بالحقّ، [فإنّ الأمر][٥] وإن كنت قد أمرت بقتله بغير إقرار منه بالفعل، ولا بشاهدين عدلين، فقد خالفت الكتاب والسّنة الشّريفة في الحكم.

---

(١) الطوابيج: جمع طوبج، يصنع من المعدن، ويستخدم في طهي الخبز وماشابه ذلك.
(٢) «الناس» في النسخة (ب).
(٣) «بلى» في النسخة (ب).
(٤) «لا يعلم كلام» في النسخة (ب).
(٥) سقطت من النسخة (ب).

فقال: والله ما حكمت إلَّا بالحق، فإن الأمر كما ذكرته لك.

وكان في حصن الشَّاه مرآة كبيرة مشرفة على القوم، وهو يراهم منها، وهم لا يرونه، وقد أوقف ترجماناً عنده يفسّر له الكلام العربي، وحوله وزراؤه الخاصَّة، فقال الميرزا لناصر:

إنكم والله لقوم كرام، أهل وفاء وذمام، فعلام سُميِّتم الخوراج، وعلى أي شيء لم تتركوا مذهب الخوارج؟ فإنَّ اللَّعنة على الخوارج جائزة لسوء أعمالهم القبيحة.

فجعل الترجمان يترجم للشاه كلام قاضيه بالعجمية.

فقال له ناصر:

لسنا نحن الخوارج، إنَّما الخوارج الغلاة منَّا في القديم، ففارقناهم في القديم والحديث، لما فارقوا الحقّ، واتبعوا بغلوهم الباطل، فغلاتنا خوارج، وغلاتكم روافض[١]، فعلى الخوارج والرّوافض لعنة الله.

فترجم التّرجمان الكلام للشَّاه، جواب ناصر للميرزا.

فلمَّا سكت الميرزا، وطال سكوته، قال له ناصر: أيها الميرزا، أريد أن أسألك عن شيء، ولكن أخاف أن أسألك عنه، لأنّني صرت في مكان الخوف، وأنت منه في أمان.

فقال له الميرزا: قل ما شئت [٤٦٥-أ] ولك الأمان مني.

فقال: لا أسألك حتَّى يأتيني الأمان من الشَّاه.

فلمَّا ترجم الترجمان الكلام إلى الشَّاه، بعث وزيراً من وزرائه

(١) الروافض: اسم يُطلق على الشيعة من قبل مخاليفهم، كما يطلق اسم الخوارج على المحكّمة من قبل مخالفيهم، وكما يسمى السنة نواصباً من قبل مخالفيهم.

[٢٦٩-ب] عربي اللسان إلى ناصر، فقال له: يسلّم عليك الشّاه، ويقول له: لقد سمع كلامك وفهمه، وهو يقول لك: تكلّم بما شئت أن تتكلَّم به، ولك منه [ومن رعيّته][1] الأمان.

فقال ناصر للميرزا: لأي شيء تحملون أمواتكم جيفاً من الأرضين النائية إلى أرض كربلاء؟ وتبذلون على حملها أموالاً جزيلة، أما رحمة الله في كل مكان لمن استحقها؟ أم رحمة الله خاصَّة في أرض كربلاء؟ لمن سكنها فمات فيها، ولمن لا يسكنها، فحمل لما مات إليها، ودفن فيها.

فقال الميرزا: يا ناصر، لقد صحَّ عندنا من دفن في الأرض الَّتي دفن فيها الحسين (عليه السَّلام)، فهو من أهل الجنَّة، ولو عمل ما عمل من السَّيئات الجزيلات، فكيف لا نحمل أمواتنا إليها؟ أم كيف لا نبذل أموالنا لدفن أمواتنا فيها؟ وكل من دفن فيها وهو شيعيّ المذهب فله الجنَّة.

فقال له ناصر: ما تقول فيمن مات منكم ولم يدفن فيها.؟

فقال: ما من شيعيّ مات ولم يدفن فيها إلَّا وتحمله الملائكة إليها فتدفنه فيها.

فقال له ناصر: من شهد منكم الملائكة الَّذين يحملونهم [بزعمكم][2] إليها؟ ثمَّ إنَّ كان الأمر كما تقول فما المزية بحملكم أمواتكم إلى كربلاء[3] وبذل أموالكم على دفنهم فيها والملائكة يحملونهم بزعمكم إليها بغير كراء، إذ هم غير محتاجين إلى البيضاء[4] والصفراء[5]؟

---

(١) سقطت من النسخة (ب). (٢) سقطت من النسخة (ب).

(٣) كربلاء: مدينة في العراق، وقعت فيها معركة كربلاء الشهيرة التي قتل فيها الإمام الحيسن بن علي بن أبي طالب سنة ٦١ هجرية، وفيها ضريحه.

(٤) البيضاء: العملة الفضيّة (الدراهم).

(٥) الصفراء: العملة الذهبية (الدنانير).

فسكت الميرزا، ولم يجرِ جواباً.

ثمَّ قال له ناصر: من الأفضل عندكم، الحسين، أم جدّه رسول الله (ﷺ)؟

فقال: جدّه أفضل، وهو أفضل خلق الله جميعاً.

فقال له: ما تقول فيمن دفن حذاء قبر رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وصار قبره جاراً لقبر رسول الله (صلَّى الله عليه وسلَّم)، أهو في الجنَّة أم في النَّار؟

فقال له: هو في الجنَّة.

ثمَّ قال لمَّا علم أن ناصر قد غلبه في البحث: إلَّا الاثنين، يعني أبا بكر وعمر.

فقال له ناصر: هل لك دليل من الكتاب [٤٦٦-أ] أو من السّنة الشَّريفة على هذا الاستثناء.

فسكت ولم يجرِ جواباً.

فمضى ناصر عنه من ساعته إلى السيّد سالم، لمَّا علم أنه قد غلبه في البحث.

فلمَّا ترجم المترجم للشاه كلامهما، بعث وزيراً من وزرائه إلى قاضيه الميرزا، وقال له: يقول لك الشاه: لقد غلبك قاضي عُمان، فألبستنا بجوابك الخجل، ومزقت بجهلك مذهب الشّيعة كلّ ممزّق، فأنت تصلح لضرب العصا، لا للحكم والقضاء، اعتزل الحكم، وكُنْ خديناً[١] لكل فلاح، أو كنَّاس للأدناس[٢]، وجعل الميرزا يسبّ الوزير سبًّا بليغاً.

---

(١) الخدين: هو الصاحب.

(٢) الأدناس: القاذورات.

فلمّا وصل ناصر إلى السيّد وأخبره الخبر كلّه، قال له: يا ناصر، لقد جلبت علينا بلسانك الخطر، فخالفت ما أمرتك به، فما في صحبتك خير.

فقال له موسى: اعلم أيُّها السيّد، لقد صنع اليوم الشّيخ ناصر بن سليمان صنيعاً حسناً لا سيّئاً، ونرجو بصنعه هذا سرعة إنجاز الوطر من الشّاه.

فبات السيّد سالم من قبل ما صنعه ناصر في جوابه للميرزا وسؤاله له في همّ وضيق، [وظنّ ظنًّا سيّئاً غير جميل في الشّاه على ما سمعه من ناصر في جوابه وسؤاله للميرزا][1]، وظنّ أن الشّاه قد فوّض لقاضيه الميرزا جميع أموره.

فلمّا كان الغد، بعث الشّاه إلى سالم وزيره الأعظم، ومعه عالم كثير، فلمّا استقر له معه الجلوس، قال لسالم: إن شاه يقرئك السّلام، ويقول لك: صل غداً إليه في حصنه، فإنّه قد أمر البوابين أن يفرجوا لك الطّريق والسلوك إليه حتّى تصله في حصنه المحروس.

فلمّا أراد سالم أن يمضي إلى الشّاه ببعض خاصّته، قال له موسى: امضِ بنفسك، ولا تكترث بما تراه دون حصن الشّاه من كثرة العسكر والأسود وسائر السباع المربوطة بالسلاسل أمام الحصن. فإذا دخلت الحصن، وشهدت الشّاه، اجذب بيدك كرسيًّا من كراسيه الخالية من النّاس وكن أقرب من وزرائه إليه، مع المخاطبة، وخاطب الشّاه بلسان فصيح، ولا تصطنع التقيّة، فإن الشّاه ما أرسل إليك [٤٦٧-أ] لتحضر عنده إلّا ليختبرك [٢٧٠-ب]، هل أنت فصيح اللّسان، ثابت الجنان، مهيب، أم لا؟

---

(١) سقطت من النسخة (ب).

فمضى السيّد سالم إلى شاه العجم بنفسه، ولم يكترث بكثرة عساكر الشَّاه وأسوده وسائر سباعه المسلسلة أمام حصنه.

فلمَّا أتى إلى باب الحصن، زجر البواب، وقال له: افتح الباب، فأنا سالم بن سلطان بن الإمام أحمد بن سعيد، ففتح البواب الباب، فصعد إلى الحصن، فلمَّا رآه الشَّاه مقبلاً عليه، نهض إليه وصافحه باليمين، فجذب سالم كرسيًّا من كراسي الشاه، فعظم شأنه عند الشَّاه ووزرائه، وأقبل الشَّاه عليه بالاحتشام، واعتذر إليه في طول البقاء والمقام بغير المواجهة، وذكر له الَّذي أشغله عن المواجهة في الأيَّام الماضية، ثمَّ قال له:

ما الَّذي تريده مني من الشَّأن؟

فقال له: إن بعض رعيتنا من أهل عُمان أساؤوا الأدب فينا، فخانونا، واستولوا على بعض معاقلنا، ومالوا عنَّا إلى الوهابيّة، وسلَّموا أمرهم إليهم، فأصارتهم الوهابيّة لهم رعيَّة دوننا، ونحن ولله الحمد، غير عاجزين عن حربهم وعن حرب الوهابيّة، إلَّا أنه في القديم، إذا عصت سلطان عُمان رعيَّة من رعاياه لم يجد النَّصر عليهم إلَّا بكم، فإنكم قوم مباركون، كأن في أيديكم مفاتيح النَّصر والبركة، فأتيناك لأجل التبرّك، لتبعث معنا بعض فرسانك، وكل ما يحتاجون إليه من البيضاء والصَّفراء والزاد وآلة الحرب، فهو علينا لهم.

فقال له الشَّاه: كما ألفاً تريد من الفرسان؟.

فقال: ثلاثة آلاف بمن يخدمهم من أصحابهم.

فقال: إن شاء الله غداً ليأتيك المطلوب.

وخلع الشَّاه على سالم خلعاً نضيرة، وتعاهدا على الإعانة في جميع الأمور الجائزة، ثمَّ استأذن سالم الشَّاه في الرجوع إلى أصحابه، بعدما جلس عنده طويلاً، وتحدّثا جميلاً.

فلمَّا انفصل عنه، شيَّعه الشَّاه بأكابر وزرائه وأبطاله.

[٤٦٨-أ] فلمَّا وصل إلى البيت الَّذي قعد فيه، ورجع وزراء الشَّاه وأبطاله إلى محلهم، بعث السيّد سالم الحاج موسى إلى الشَّاه ووزرائه وأبطاله بهدايا خطيرة، وقال لقومه، بعدما بعث موسى المذكور: من له غرض منكم فليقضه، فإنّا غداً إن شاء الله مسافرون إلى عُمان.

فلمَّا كان غداً، أتت فرسان الشَّاه وخاناته والمتشخّصون عنده إلى سالم، فكان عددهم ألوفاً، فمضى سالم بثلاثة آلاف منهم، وفسح للباقين.

فلمَّا وصل القوم إلى بندر العبَّاس، أركبهم على سفنه الكبار والصغار، فلمَّا وصل بهم إلى بركة، ضربوا خيامهم فيها شرقيّ الحصن وغربيّه.

فلمَّا علم محمَّد بن ناصر بوصول العجم إلى بركة، مضى من سمايل إلى إزكي، ثمَّ ارتفع منها إلى العبريين، وبني شكيل، يريد أن يحارب بهم العجم.

واتفق رأي السادة أولاد سلطان بن الإمام وبنت الإمام على حرب نخل قبل حرب سمايل، فمضوا بجيشهم العرب والعجم إلى نخل، واشتمل عليهم حمير بن محمَّد بن سليمان اليعربي لأجل بغضه لمالك بن سيف لما قتل أخاه مهنَّا بن محمَّد، فجعل حمير يكاتب أهل نخل سراً، ويذكر لهم في كتبه أن السيّد سعيد ما حشد العجم إلَّا لأجلي، فهو يريد أن يخرج مالكاً من حصن نخل، ويقبضني إيَّاه، فصدق أهل نخل كلامه، وفتروا عن الحرب، فأحاط قوم السيّد بنخل، وكان معسكرهم فيها من حضين إلى الصّرم الأسفل من السور، ومعسكر العجم من مسلمات إلى مصلى العيد من نخل، ولم يكن يومئذٍ مع مالك بن سيف أحد من الطوائف، إلَّا بعض أهل سمايل، وسحب مدفع من بركة إلى حرب

نخل، فجعل قوم السيّد سعيد يضربون الحصن من باب الظّفور، وبمدفع غيره يضربونه من باب الصّافية، واجتهدت المعاول في حرب نخل، فاشتدّت الحرب عليها من قوم السيّد كافة، عرب وعجم، وكان أمير القوم كافة [٤٦٩-أ] يومئذٍ سالم بن سلطان، وجعل حمير يكاتب أهل نخل بالكفّ عن الحرب، ويذكر لهم كما ذكره لهم أولاً، وكان أكثر أهل نخل يحبّون حمير حبًّا شديداً، ولا يحبّون مالكاً إلّا بعض النّاس منها [٢٧١-ب]، وفشا في نخل قطع النّخل والشجر من قوم السيّد سعيد، فما بقي من نخلها وشجرها إلّا قليل.

فلمّا يئس مالك من الانتصار وخانه أكثر أهل الدار، ومضاعفة ضرب المدافع والقنابل للحصن، أذعن بالصّلح، فأخرج ذخائره الّتي قدر على حملها من الحصن، وقبض الحصن محمّد بن سليمان العدوي، فتركه سالم فيه.

وكان السيّد سعيد يومئذٍ ببركة[1]، فواجهه مالك فيها، فعفا عنه، وأتى عزّان بن قيس ومعه جمع كثير إعانة للسيد سعيد بن سلطان.

فلمّا علم سالم بوصول عزّان إلى بركة، [رجع من نخل بمن معه من القوم، عرب وعجم إلى بركة][2]، ومكث السيّد سعيد في بركة، ومضى سالم، وعزّان ومن معهما من القوم إلى سمايل، ثمّ انضاف إليهما السيّد طالب بن الإمام، فلمّا وصلوا إلى سمايل، خلص الحصن لهم بغير حرب، وكان القابضون فيه يومئذٍ موالي الجبور، وكان محمّد بن ناصر يومئذٍ في جبل بني ريام، يحشد بني ريام لحرب العجم، ومعه بعض الرّجال من العبريّين وبني شكيل.

---

(١) بركة: مدينة تقع في سهل الباطنة في سلطنة عُمان.

(٢) سقطت من النسخة (ب).

فلمَّا بلغه الخبر بأخذ حصن نخل وسمايل، وأنهما صارا في حكم السيّد سعيد، مضى إلى مطلق المطيري، فلمَّا بلغ إلى البريمي قيل له: إنَّه مضى إلى نجد منذ ثلاثة أيَّام، فأحثّ السير إليه، فوجده دون الظفرة الياسية[١] فأوقفه، وقال [له][٢]: كيف تمضي عنَّا منهزماً، وقد أمرك الأمير سعود بالنَّصرة والإعانة لي؟ فوالله لئن رجعت إلى نجد لأرجع على أثرك، ولأشكو منك عند الأمير سعود أنك فررت من قوم العجم بغير [طعن، ولا ضرب، وتركت المسلمين حيارى.

ثمَّ أخذ محمَّد بيد][٣] قضاة مطلق، [وأنفذ إليهم مالاً جزيلاً [٤٧٠-أ] ليعصبوه[٤] على مطلق، فقالوا له: يا مطلق][٥]، والله إنك إن لم ترجع إلى عُمان عند محمَّد بن ناصر، فلنشهدنّ عليك بالجبن عند الأمير سعود، وأنك قد خذلت المسلمين عن الانتصار، وهربت من جيش العجم بغير طعن [ولا][٦] ضرب، لا عذر لك إلَّا أن ترجع إلى عُمان عند محمَّد بن ناصر، فتقاتل معه المشركين: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾[٧].

فلمَّا رأى مطلق منهم الجدّ خاف على نفسه من بطش سعود به، فقال: يا محمَّد، أنا لست جباناً عن الحرب، ولكن ما معي شيء من المال

---

(١) الظفرة الياسية: مدينة تقع على الطريق بين العين وأبو ظبي، وتسمى الظفرة الياسية نسبة إلى بني ياس، حيث تعدُّ موطناً لهم.

(٢) سقطت من النسخة (ب).

(٣) سقطت من النسخة (ب)

(٤) ليعصبوه: ليناصروه ويساعدوه.

(٥) سقطت من النسخة (ب).

(٦) سقطت من النسخة (ب).

(٧) سورة البقرة، الآية: ٢٤٩.

لأطعم به القوم، وسعيد بن سلطان قد أمال أهل الظَّاهرة إليه بالمال، فقال له محمَّد: أما من قبل ما تحتاج أنت وقومك إليه فهو عندي، وأخرج له كيسين من خرجه، وفي كل كيس ألف قرش.

فلمَّا قبضهما منه، رجع معه، فحشد بني نعيم وقتب، والظَّواهر، وحشد من ضنك والغبّي رجالاً عدّة، فلمَّا وصلوا إلى إزكي، اشتملت عليهم الجنبة والدروع، ولمَّا أراد سالم بن سلطان أن يمضي الجيش إلى إزكي، أشار إليه عمّه طالب بن الإمام، أن يرسل إلى محمَّد بن ناصر مالك ابن سيف اليعربي بتخليص حصن إزكي، قبل أن يهجم العجم على إزكي.

فلمَّا مضى مالك إلى محمَّد بالرّسالة [وجد][1] معه كثرة قوم من الوهابيّة والمتوهّبة، ومن الأعراب أصحاب سيف بن ثابت والدروع أقواماً كثيرين، فانضاف إلى محمَّد، ولم يرجع إلى سالم بجواب.

فلمَّا أبطأ على سالم وصوله، ارتفع بالقوم يريد إزكي، فلمَّا بلغ إلى وادي بني رواحة بمن معه من القوم اشتمل عليه عيسى بن صالح الحارثي، ومعه كثير من رجال الحرب والحبوس وغيرهم.

وكتب سالم إلى أكابر نزاريّة سمايل أن يأتوا إليه بحامل السلاح، فبعثوا إليه من قومهم رجالاً كثيرين، فمضى سالم بالجيش يريد إزكي، وأمكث عمّه طالباً بقرية إمطي[2]، ووقع مطر كثير، فمنعهم من الهجوم [٤٧١-أ] على إزكي ووادي حلفين[3] باضطراب أمواج مياهه.

فلمَّا ارتفع المطر، وجفّ حلفين][4]، مضى بالقوم، يريد إزكي

(١) سقطت من النسخة (أ).

(٢) إمطي: قرية تقع قرب مدينة إزكي، في المنطقة الداخلية في سلطنة عُمان.

(٣) وادي حلفين: أحد الأودية الكبيرة في المنطقة الداخلية في سلطنة عُمان.

(٤) سقطت من النسخة (ب).

[٢٧٢-ب]، فالتقى جمعه وجمع محمَّد بن ناصر دون سدّي، فكان الظفر لقوم محمَّد، فقتل يومئذٍ من العجم والعرب خلق كثير.

فلمَّا علم أهل حجرة اليمن بانهزام العجم والعرب من قوم السيّد سالم بن سلطان، هربوا من ليلتهم، وخرجوا من حجرتهم، وما حملوا من ذخائرهم إلّا القليل، فتبدّدوا في البلدان.

ومضى مطلق ومحمَّد بن ناصر بقومهما يريدان سمائل، فلمَّا دخلا بقومهما وادي بني ورواحة، هدموا بروجه، ونهب قومهما ما وجدوه بالوادي، وأحبّوا نهبه.

ولمَّا أراد مطلق أن يرجع إلى البريمي، أعطى محمَّد بن ناصر سمد الكندي من نزوى، فبنى محمَّد جامعها حصناً، وبنى بيت سليط، ومكث من بقي من العجم في بركة، ومكث محمَّد بن ناصر ومالك بن سيف في إزكي، وأتى تركي وفيصل ابنا سعود بن عبد العزيز إلى البريمي بغير إذن من أبيهما، ومعهما بعض القوم من الحساء والقصيم، وقد اشتمل عليهما راشد بن حميد النعيمي لما مرّا عليه بعجمان[١]، ففوّض مطلق الأمر إلى تركي وفيصل، فحشدا الشوامس[٢] وبني كعب، ولم يكن معهما من بني نعيم إلّا راشد بن حميد، ومعه من جماعته مائة رجل، فهبطا بمن معهما إلى الحصن، وأغار قومهما عليها، وعسكروا بعد غارتهم في بيدها[٣]،

---

(١) عجمان: إحدى مدن ساحل عُمان، وهي اليوم واحدة من الإمارات السبع التي شكلت دولة الإمارات العربية المتحدة عام ١٩٧١م.

(٢) الشوامس: قبيلة أزدية قحطانية، يتصل نسبها إلى شمس بن عمرو بن غنم بن غالب ابن عثمان بن نصر بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر بن الأزد. والمفرد: الشامسي. انظر: الخروصي، سليمان بن خلف بن محمد: ملامح من التاريخ العُماني. ص٢٦٥-٢٦٦.

(٣) في بيدها: في صحاريها.

فركض عليهم أصحاب الخضراء ليلاً، وقتلوا من أصحاب تركي وفيصل خلقاً كثيراً، فلاذ هزيمهم بالحزم، وما قتل أحد من قوم راشد بن حميد النعيمي، إذ هم لما ركض عليهم أهل الخضراء، أشعلوا النّيران، وارتفعت في تلك اللَّيلة عزوتهم، فلم يصل إليهم أحد من أهل الخضراء، وأكثر القوم الَّذين قتلوا في تلك اللَّيلة من قوم تركي، وفيصل، غلطوا بعضهم بالبعض، فقتل بعضهم بعضاً لشدة الظلام، فلمَّا علم [٤٧٢-أ] مطلق بما جرى، جمع أقواماً من بني نعيم وقتب والظَّواهر، وكتب إلى محمَّد بن ناصر بالوثبة إليه سريعاً، فحشد محمَّد الجنبة، والدّروع، والهشم، وسالم ابن علي التمامي، ومضى بقومه إلى مطلق.

فلمَّا بلغوا إلى الحزم، اشتمل عليهم فيصل وتركي ومن معهما من القوم، فمضوا إلى حبرا، وأقاموا بها بعض الأيَّام، ثمَّ هبطوا إلى بركة، فأغار مالك بن سيف والمرّ بن ناصر بن محمَّد أخو محمَّد بن ناصر على المحلة الدانية من قرحة العيد، فخرج إليهم سالم بن سلطان ومن معه من فرسان العرب والعجم، فقتلوا مالك بن سيف، والمرّ بن ناصر، وعدي بن شهيل العزَّاني النَّخلي، ومعهم بعض الرّجال، واشتدّت الحرب بينهم وبين قوم السيّدين سالم وسعيد أيَّاماً قلائل.

ثمَّ مضى مطلق ومحمَّد بن ناصر وولدا سعود إلى مسقط، فدخلوا على مطرح من عقبة المراخ، وفيها يومئذٍ من البلوش مائة رجل، فانكشفوا منها، وانكشف عزَّان ومن معه من السد، فعسكر مطلق وأصحابه في روي، وأتت ثبية إلى محمَّد بن ناصر من نزاريّة سمايل، أكثرهم سيابيون وندابيون[1]، ونهب أصحاب مطلق المطرح وأربق،

---

(١) الندابيّون: قبيلة أزدية قحطانية، يتصل نسبها إلى الندب بن شمس بن عمرو بن غنم ابن غالب بن عثمان بن نصر بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبدالله =

وأحرقوا سور اللواتيا، وقتلوا جملة من أهل المطرح، ومكثوا في السد ثمانية عشر يوماً، فلمَّا هدموه بأسره، مضوا إلى حيل الغاف، فخربوها، ثمَّ مضوا إلى صيا[١]، فهدموا حجرة الجردانة، وقتلوا رجالها، فلم يبقَ منهم إلَّا قليل، وأخذوا الدَّراهم الَّتي تركها سيف بن حنظل البوسعيدي عند أمينه، وكان عددها أربعين ألف قرش، وهدموا أيضاً حجرة بني أخزم، ثمَّ مضوا على طريق دغمر[٢]، فلمَّا وصلوا إلى الشَّاب رأوا الجبال المشرفة عليه قد قبضها بنو جابر أهل طيوي، وقد جعلوا على ربوة [٤٧٣-ب] الشَّاب أربعة مدافع، فما قدروا على الوثبة عليهم، فجعلوا يكاتبون الشَّيخ عبدالله بن محمَّد الصلتي [٧٤٣-أ]، وكان هو يومئذٍ الأمير على طيوي كافة، بالرخصة لمرورهم إلى صور، وأرسلوا إليه بعض الدَّراهم، فرخص لهم المرور، فلمَّا وصلوا إلى الرملة من طيوي أغاروا على البلاد، حتَّى بلغوا دون محلة الحصن، وقتلوا يومئذٍ من طيوي ثمانين رجلاً قطاناً[٣] وأغراباً[٤]، وأخذوا من الأموال شيئاً كثيراً، ثمَّ مضوا إلى صور، فصالحهم أهلها، وأخذوا منهم ما أخذوا من المال، وارتفعوا منها إلى جعلان.

وكان كبراء الجيش بعد مطلق ومحمَّد بن ناصر الجبري، راشد بن حميد النعيمي، وسالم بن علي التمامي، وخادم بن محمَّد الهاشمي، ومحمَّد بن ماجد الراسبي، فعسكروا بفلج المشايخ، وركض بعض بني

= ابن مالك بن نصر بن الأزد. والمفرد: الندّابي. انظر: الخروصي، سليمان بن خلف ابن محمد: ملامح من التاريخ العُماني، ص٢٤٨.

(١) صيا: قرية من قرى حطاط قرب مسقط في سلطنة عُمان.

(٢) دغمر: قرية من قرى المنطقة الشرقية في سلطنة عُمان تقع قرب قريّات.

(٣) قطّاناً: القطان: جمع قاطن، وهو المقيم في البلد من أهله.

(٤) أغراباً: الأغرب، جمع غريب، وهو الوافد إلى البلد غير المقيم من أهله وسكانه.

حسن على بعض عسكر مطلق، فأخذوا عليهم علمهم، وجعل بعض أصحاب محمَّد بن ناصر بأمر محمَّد بن ناصر يقطعون نخل القوم الَّذين قبضوا محمَّد بن ناصر في حصن بركة أيَّام أمر السيّد لهم بقبضه، ثمَّ صالح بنو حسن مطلقاً، وأخذ منهم ما أخذ من المال.

فلمَّا تم بينهم الصّلح سأل سالم بن علي التمامي مطلق المطيري أن يمضي معه بمن معه من القوم إلى الحدِّ، فمضى معه بالجيش جميعاً، فلمَّا وصلوها، هدموا قلعتها، وأحرقوا أخشاب أهلها وبيوتهم، فصالحهم أهل الحدِّ على كل ما أراده منهم سالم بن علي من المال.

فلمَّا تم بينهم الصّلح، رجع سالم بن علي إلى داره، ورجعت الهشم وبنو راسب إلى ديارهم، ومضى مطلق ومحمَّد بن ناصر ومن معهما من القوم.

فلمَّا وصلوا إزكي، لم يمكث مطلق بها إلَّا ثلاثة أيَّام لأجل الضيافة، ومضى هو ومن معه من القوم إلى البريمي.

ثمَّ انتقض الصّلح بين بني حسن وسالم بن علي التمامي، فوقع بينهم قتال شديد، فقتل سالم بن عليّ ومعه بعض، وقتل من بني حسن بعض الرّجال، ولم ينهزم أحد منهم عن صاحبه، فكانت الحرب بينهم يومئذٍ سجالاً.

ثمَّ إنَّ سلطان [٤٧٤-أ] بن صقر القاسمي الهولي، جعل يكاتب السيّد سعيد بالصّلح بينه وبينه سرًّا، فأجابه السيّد إلى ذلك، فلمَّا علم بذلك عمّه حسن بن رحمة، كتب إلى سعود بن عبد العزيز عن صلح سلطان لسعيد بن سلطان.

فكتب سعود إلى سلطان بن صقر بالوصول إليه، فلمَّا أراد المسير إلى سعود قبّص السيّد سعيد دبا وبرج فكّان، فلمَّا وصل إلى سعود، قيّده

أيّاماً قلائل، ثمَّ أطلقه، فجعله مساعداً لمن يبعثهم على غزوات الشام والعراق.

وتكاثر الفساد من حسن بن رحمة في البحر، فقتل جملة من رعايا السيّد سعيد، ورعايا الإنجليز، وأخذ جملة سفائن من عُمان وأرض الهند.

فلمَّا تواتر البغي منه، جهّز الإنجليز على حربه جملة من السفائن، وشحنها بالرّجال والزاد وآلة الحرب، واشتمل عليهم السيّد سعيد بمن معه من القوم على سفائن كبار وصغار.

فمضى إلى جلفار، فأحاطوا بها، وكان حسن بن رحمة قد بنى بسدورة قلعة عظيمة بالجص والحجر، فجعل الإنجليز يضربونها بالمدافع من البرّ والبحر، وركض عليهم ذات ليلة أصحاب حسن بن رحمة، فبلغوا إلى معسكر الإنجليز الَّذين هم دون القلعة المشدّد عليهم الحصار، فتواتر عليهم من الحاصرين ضرب المدافع والتَّفق، فانكشف عسكر بن رحمة.

فلمَّا لاح الصباح، ضاعف الإنجليز على قلعة سدورة ضرب المدافع من البرّ والبحر، فلمَّا هدموها، ركضوا على حلل البلاد، فأذادوا أهلها، فبلغ هزيمهم إلى الفحلين، واشتغل الإنجليز بنهب بيوت البلاد وتحريق سفائنهم، وحملوا إلى جلفار أموالاً كثيرة، وأسروا إبراهيم بن رحمة، وخاصّته من الرّجال، ودمّروا البلاد بالنيران تدميراً، ثمَّ رجعوا عنها بعد ما [٢٧٤-ب] تركوها قاعاً صفصفاً، ورجع السيّد معهم، ومات حسن بن رحمة في حبس الإنجليز، وكثرت الغارات من مطلق على أطراف صحار.

وعظم جور محمَّد بن أحمد الطَّنجيّ [٤٧٥-أ] في شناص لما استولى على حصنها، فجعل يذبح من رجالها الطائعين له، فضلاً عن العاصين في يومه العشرة والعشرين، وأدنى من ذلك وأكثر، ذبح الخروف، ويأخذ أموالهم ظلماً، فكتب السيّد بالإعانة له للإنكليز، فأتوا

برجال كثيرة [وصغيرة][١] على سفائن كبيرة، فمضى بهم السيّد إلى شناص، فأحاط قوم الإنجليز وقوم السيّد سعيد بن سلطان بها، ومع السيّد أخوه سالم، وعزَّان بن قيس، فجعل الإنجليز يضربون حصن شناص بالمدافع.

ومضى محمَّد بن أحمد إلى البريمي يستصرخ مطلق المطيري، ويطلب منه الإعانة على الإنجليز والسيّد سعيد، فقال له: ارجع أنت من يومك هذا، وأنا على الأثر.

فرجع محمَّد بن أحمد يريد شناص، ومعه رجال كثيرون من الوهابيّة، فلمَّا كان بينه وبين شناص فرسخان، جنّ عليه اللَّيل، وما قدر على الوصول إلى الحصن لكثرة الجنود المحدقين [به][٢]، فلسعته حيَّة فمات من ليلته.

ورجع [قومه][٣] إلى البريمي في تلك اللَّيلة الَّتي مات فيها باللَّسعة.

ولمَّا هدم الإنجليز جانباً من حصن شناص، ركض أصحاب السيّد على من فيه، فدخلوا عليهم، ووقع بينهم قتال شديد، فكان الظَّفر للسيَّد وقومه، وقتل من في الحصن كافة، ولم يسلم منهم أحد.

فحمل الإنجليز مدافعهم وآلة حربهم من البرّ على مراكبهم، وقالوا للسيَّد: تحصّن في مراكبك، وقل لأخويك سالم وعزَّان أن يرجعا على طريق البرّ سريعاً، حيث إنَّهما مضيا إلى شناص على طريق البرّ.

وذكر الإنجليز أنهم شهدوا من مراكبهم قتاماً[٤] ثائراً في الجوّ كقطع

---

(١) سقطت من النسخة (أ).

(٢) سقطت من النسخة (ب).

(٣) «جمعه» في النسخة (ب).

(٤) قتاماً: القتام الثائر، الدخان الأسود القاتم المنبعث من السفن.

السَّحاب، فأمر السيّد أخاه سالماً بالرجوع، وقال لعزَّان مثل ما قال لأخيه سالم.

وكان قول الإنجليز هذا إلى السيّد سعيد وقت العصر، فلمَّا كان وقت المغرب، وصل مطلق إلى شناص بقوم كثيرين، فوقع بينهم قتال شديد، فكان الظفر لمطلق وقومه، فقتل من قوم السيّدين [٤٧٦-أ] سالم وعزَّان خلق كثير.

ومن شدة الظُّلمة والقتام لم يعرف قوم مطلق السيّدين، فأنجاهما الله منهم، فوصلا إلى صحار من ليلتها، وكلاهما راكب على حصان قوي وسريع الركض.

فأقام السيّد سالم عند عزَّان بن قيس ثلاثة أيَّام، ثمَّ رجع إلى المصنعة، ومكث عزَّان بصحار، ولم يدلف إليها أحد من الوهابيّة.

فإن مطلق بعد تلك الوقعة رجع إلى البريمي.

وأما سلطان بن صقر لما غفل سعود بن عبد العزيز ذهب عنه، فلم يزل ينتقل من بلد إلى بلد، حتَّى وصل إلى الشّحر عند عبد الحبيب، فأكرم مثواه، ومكث معه أيَّاماً قلائل، فلمَّا طلب منه الرخصة بالرجوع إلى داره، جهَّز له سفينة من سفنه، وبعث معه مائة عبد نوبي، وكل واحد منهم مشتمل على تفق.

فلمَّا وصل إلى مسقط، أكرمه السيّد سعيد غاية الإكرام، ثمَّ رجع إلى داره جلفار.

وكتب السيّد إلى الإنجليز بوصول سلطان بن صقر إليه، وأنه صار صاحبه وصاحبهم، وعاهده على كفّ المظالم برًّا وبحراً، فأرسل الإنجليز إلى سلطان بن صقر مالاً كثيراً، وأمروه أن يعمِّر جلفار بعد خرابها، وأن يكفّ كفّه عن الأذى برًّا وبحراً.

فعمَّر سلطان جلفار، وصارت بعد خرابها كما كانت من العمارة.

فلمَّا علم مطلق بصلح سلطان بن صقر وسعيد بن سلطان وما أرسلت إليه الإنجليز من الدَّراهم، وخروجه عن طاعة الوهابيّة، حشد أقواماً كثيرة من بني ياس، وبني نعيم، والظواهر، وبني قتب، وبني كعب، وكليب، والشوامس [٢٧٥-ب]، ومن كان حليفاً لهؤلاء القوم.

وكتب إلى حميد بن ناصر الغافري، ومحمَّد بن ناصر الجبري أن يأتياه بمن معهما من القوم، إذ بلغهما عنه أنَّه معسكر بقومه في صحار.

فتقدم هو بجمعه وعسكر بهم في صلَّان[١]، وفي العوهي[٢]، وأتى حميد بن ناصر، ومحمَّد بن ناصر إليه ومعهما [٤٧٧-أ] جيش كثير، فكان عدد قومه وقومهما أربعين ألفاً على أصح الخبر.

فلمَّا علم عزَّان ألَّا طاقة له على حرب مطلق لكثرة قومه، وميل رعيته إليه، صالح مطلقاً تقية، وصالحه أيضاً عمّه محمَّد ابن الإمام، فسار مطلق بقومه إلى المصنعة، وعسكر بهم فيها، وواجهه من قبل الإمام سعيد ابن الإمام ولده أحمد، وواجهه الشَّيخ ناصر بن جاعد تقية.

فلمَّا بلغ السيّد سعيد هذا الشَّأن كله، مضى إلى المصنعة عن طريق البحر بغير أمان واستئذان له من مطلق، فما شعر به مطلق إلَّا وهو معه في خيمته، فقال له خاصّته:

هذا سعيد بن سلطان.

فقال: لمن كان في خيمته من خاصّته: انتزحوا عنا.

فانتزحوا، وما بقي معه أحد من أصحابه، فأخذ بيد السيّد وأدناه

---

(١) صلّان: قرية من قرى منطقة سهل الباطنة في سلطنة عُمان.

(٢) العوهي: قرية من قرى منطقة سهل الباطنة في سلطنة عُمان.

عنده، وقال له: أنت مني ومن قومي في أمان واطمئنان، ولك مني ما شئت من الشأن، فوالله إنك لملك كريم، شجاع حليم.

ثمَّ تحادثا طويلاً.

فلمَّا أراد الانصراف عنه قال له: إذا وصلتك هديَّة مني فاقبلها، وارفع الضّر عن رعيتي [ورعيَّة عمّي محمَّد ابن الإمام][1]، ورعيَّة ابن عمّي عزَّان بن قيس، ورعيَّة، عمّي سعيد ابن الإمام.

فقال له مطلق: لك مني ذلك.

فلمَّا وصل إلى مركبه، بعث له أربعين ألف قرش.

فلمَّا بلغه المذكور، رجع إلى البريمي، وفسح لقومه ولمن اشتمل عليه، ورجع كل منهم إلى داره، فأقام بالبريمي أيَّاماً قلائل، ثمَّ مضى إلى رياض النجديّة.

فأرسل سعود مكانه إلى عُمان ابن غردقة، فلمَّا كان بالظفرة الياسية هو من معه من القوم، هجم عليه بنو ياس، فقتلوه، وما بقي من قومه إلَّا القليل.

فلمَّا علم سعود بما جرى على بن غردقة وأصحابه من القتل، قال لمطلق: ليس لعُمان كفء غيرك، امضِ إليها، وأدّب المستنكفين عني بالسّيف.

[٤٧٨-أ] فلمَّا رجع إلى البريمي، رأى أكثر الأعراب والحضر مخالفين له لكثرة ما يصيبهم من الغرامة والأتاوات بالحرب والغارات، فصار من قبله، غنيّهم فقيراً، وشجاعهم جباناً ذليلاً، فلم يزل يتلطّف لهم

---

(١) سقطت من النسخة (ب).

ويظهر إليهم لين الجانب حتَّى أطاعوه، وما شذّ عن طاعته من قبائل الظَّاهرة إلَّا بنو كلبان، فحشد عليهم من أطاعه.

فلمَّا سمع بنو كلبان أنه يحشد عليهم أعراب الشَّمال وحضر الظَّاهرة، تركوا قراهم كلَّها، وتحصَّنوا ببلدة مقنيات.

فلمَّا وافاهم حاربوه، فما قدر [على][1] مواجهتهم وإذعانهم إليه، فرجع عنهم عجزاً إلى البريمي، وأقام بها أيَّاماً يسيرة.

ثمَّ جمع بني كعب، فمضى بهم إلى ضنك، وجمع آل عزيز، وكان أميرهم يومئذٍ علي بن راشد العزيزي، وحشد أهل [عبري][2]، ولم يخبر أحداً بمراده، وكان بينه وبين أعراب الشَّمال بعض المنافرة، فلم يحشدهم.

ومضى بالقوم المذكورين يريد شرقيَّة عُمان، فأحثَّ السير، فلمَّا وصل إلى منح، لم يمكث بها إلَّا بقدر ساعتين من النهار، فأطعم دوابّه في تلك السَّاعتين، ثمَّ ركبها، فأحثَّ السير إلى بلدان الحجريّين، فصبّح الحجريّين عند بزوغ الشَّمس، وأقام في الواصل، وفرّق قومه للغارات [٢٧٦-ب] على سائر بلاد الحجريّين، ولم يترك معه في الواصل من خاصّته إلَّا بتَّال المطيري، وعبدالله بن راشد العزيزي. ومعه من الفرسان اثنا عشر رجلاً، لا زيادة، فضُربت له خيمة، وضُربت إلى بتَّال خيمة، والخيمة الَّتي ضُربت لبتَّال أقرب إلى البلاد من خيمة مطلق، وكان معه في خيمته من خاصّته عبدالله بن راشد العزيزي، ومن سائر خاصّته سبعون رجلاً، منهم اثنا عشر فارساً، وعند بتَّال ثمانون رجلاً أهل نياق، ثمَّ أتى من المغيرين على بلاد الحجريّين عشرة فرسان، فأقاموا عند بتَّال، وبقية القوم متفرقة [٤٧٩-أ] في الغارات على قرى الحجريّين.

---

(١) سقطت من النسخة (أ).

(٢) سقطت من النسخة (ب).

فلمَّا نظر الحجريون، أهل الواصل على قلّة قوم مطلق، وعلموا أن سائر قومه مفرّقة على سائر قراهم، للغارات تعاهدوا عليه، وتقاسموا بالله أنهم لا ينثنون عنه، أو يُقتلون.

فركضوا على خيمة بتَّال، فنهض لهم بمن معه من الرّجال الرّجالة والفرسان، فتضاربوا ساعة، ثمَّ انكسروا عنه، ثمَّ ركضوا عليه ثانية، فناهضهم، فانكسروا عنه، ثمَّ ركضوا عليه ثالثة، فكسروه، بعد ما كسرت ساعد يده رصاصة تفق من تفاق رماتهم، فاستولوا على خيمته، وأخذوا ما وجدوه فيها جميعاً.

فلاذ بتَّال ومن معه بمطلق، واعتذر إليه بكسر ساعد يده اليمنى عن مجالدة الحجريّين.

ثمَّ إنَّ الحجريّين ركضوا على مطلق مرتين، فانكسروا عنه، وانضاف إليهم بعض جماعتهم من قراهم المتفرّقة، فتعاهدوا عليه، لا ينثنون عنه، أو يقتلون.

أخبرني علي بن راشد العزيزي، قال: لمَّا لاذ بتَّال، لمَّا انكسر ساعد يده، هو وأصحابه إلى مطلق، فاستولى الحجريون على خيمته، وركض الحجريون علينا مرتين، فانكسروا عنَّا، ولم يقتل منَّا أحد، أما هم فقد قتل منهم اثنا عشر رجلاً في الركضتين، قال: وفي الثَّالثة، أتونا يتدافعون بالأكفّ، ويعربدون عربدة السَّكارى، وكان مطلق قد خلع درعه، فقلنا له: إنَّ القوم مقبلون علينا صفوفاً، البس درعك، واركب حصانك.

فقال: ذروهم يقتربوا منَّا.

فلمَّا قلنا: إنهم الآن حذاء الخيمة الَّتي استولوا عليها، لبس درعه، واستوى على ظهر حصانه، واستوت فرسانه على ظهور خيولهم، فاستأذنَّاه بالهجوم عليهم بالخيل، فقال: لا تعجلوا، ذروهم يقتربوا منا.

فما تمَّ كلامه إلَّا ورام من رماتهم رماه بتفق من بعيد، فوقعت الرَّصاصة في صدره [٤٨٠-أ]، فخرّ على وجهه من ظهر حصانه إلى الأرض، فولَّنا مدبرين. واشتغل الحجريون بنهب ما في خيمته من الدَّراهم والأثاث. انتهى كلامه.

وأتبعهم أصحابه الَّذين أغاروا على سائر قرى الحجريّين بالهرب، فكان عدد من قتل من الوهابيّة يومئذٍ بمطلق اثني عشر رجلاً، ومن الحجريّين ثمانية عشر رجلاً.

وكان انهزام الوهابيّة من بداية أول الظهر، فما طلعت الشَّمس في اليوم الثَّاني إلَّا وهم في كبد الغبّي، فشهدوا حال وصولهم إلى الغبّي محمَّد بن خصيف القتبي، قد أغار عليها ببعض أصحابه، فقتلوه، وقتلوا معه ثلاثة رجال من أصحابه، فلبث بتَّال في البريمي بعض الأيَّام.

ثمَّ مضى إلى سعود بن عبد العزيز، فوجدوه في الرياض. فلمَّا أخبره عمّا جرى على مطلق، بعث مكانه ابن مزروع.

ومضى عزَّان بن قيس يريد الحجّ، فلمَّا حجّ وزار وأراد الرُّجوع إلى عُمان تألم في بلدة المخا، بورم الخصيتين، فبعث إلى طبيب، فلمَّا أتاه وسأله أن يعالجه بالأدوية، قال: الأدوية لا تجديك بشيء، إلَّا بعد شقهما واستخراج ما فيهما من المادّة، فأجابه إلى ذلك طلب العافية.

فلمَّا شقهما مات بعد يومين، فقبر بالمخا.

وكان عزَّان، لمَّا قصد الحج، ولّى على صحار، سالم بن سعيد البوسعيدي، وأمره بالطَّاعة للسيد سعيد بن سلطان وأن يسلِّم الحصن إلى سعيد إذا مات في سيرته.

ولمَّا وصل [٢٧٧-ب] بن مزروع إلى البريمي، جمع أقواماً من أعراب البريمي وأعمالها، يريد بهم بدية، فلمَّا أخبر السيّد سعيد عمّا عزم

عليه، مضى إلى الشَّرقية، فجمع آل وهيبة والحجريّين ورجال الحبوس وسائر القبائل اليمنية، فاجتمع معه خلق كثير، فمضى بالجيش إلى نزوى.

فلمَّا وصل إليها، سأل عن بن مزروع، فقيل له: إنه الآن ببهلا، فمضى بجيشه إليها، وكان الوالي المالك لها يومئذٍ محمَّد بن سليمان اليعربي، وعند بن مزروع ببهلا [٤٨١-أ] قوم من العبريين وبني شكيل، قد جمعهم محمَّد بن سليمان، لمَّا علم بالسيّد سعيد بالشَّرقية، يجمع قوماً.

فلمَّا وافاه بن مزروع، قال له محمَّد بن سليمان: لا تمضِ الآن على بدية ولا إلى سائر الشَّرقية، فإنَّ سعيد بن سلطان قد جمع قوماً كثيرين.

فبينما هم في الحديث إذ أتاهم آتٍ من الدّروع فأخبرهما أن السيّد سعيد معسكر بقومه في غبرة البلاد ومعه جيش كثير، فكانت بينهم مغايرة الفرسان على الخيل.

فبينما هم على تلك الحالة، إذ وصل رسول ماجد بن خلفان بن محمَّد الوكيل بكتاب منهم يخبر السيّد سعيد بوفاة عزَّان بن قيس.

فترك السيّد حرب بن مزروع، ومضى إلى صحار، ولم يصطحب من قومه إلَّا آل وهيبة وبعض الرّجال من أعراب الحجريّين، وفسح لسائر القوم، فأحثُّ السير إلى صحار.

وكان ببيت سيح الحرمل، وهو الحصن الَّذي بناه محمَّد بن خلفان الوكيل [ابنة السيّد قيس][1]، زوجة أحمد بن سعيد ابن الإمام، وكانت هي يومئذٍ بالرُّستاق يخبرها بموت عزَّان.

فمضى رسولها من بيت سيح الحرمل على ناقة سريعة عند طلوع

---

(١) «ابنة الإمام سعيد» في النسخة (ب) وهذا خطأ واضح، إذ لا يمكن أن تكون زوجة أخيها.

الشَّمس، فوصل الرُّستاق وقت المغرب، فلمَّا قرأت بنت [قيس][(١)] الكتاب أخبرت زوجها أحمد الخبر، فمضوا إلى صحار، بعدما وصلوا المغرب، ومع بنت قيس زوجها أحمد، ومحمَّد بن سليمان العدوي وبعض الخاصَّة.

فوصل السيّد سعيد إلى صحار وقت العشاء، ووصل أحمد وبنت قيس ومن معهما إلى صحار وقت السحر، ولم يشعر أحمد وزوجته بنت قيس أن السيّد سعيد بصحار، وأنه استولى على حصنها.

فلمَّا أخبروا، رجعوا من ليلتهم إلى الرُّستاق، فإنَّ السيّد لما وصل إلى صحار سلّمه له سالم بن سعيد بالحال، فولّى على صحار سعيد بن سليمان بن سعيد البوسعيدي، فمكث أيَّاماً قلائل بصحار، ثمَّ رجع إلى مسقط.

ولمَّا خلص حصن [٤٨٢-أ] نخل إلى السيّد سعيد بن سلطان، رخص لحمير بن محمَّد بن سليمان [اليعربي][(٢)] السكنى في نخل، وولّي محمَّد بن سليمان العدوي على نخل كما ذكرنا أوّلاً، ثمَّ عزل محمَّد بن سليمان، فولّي بعده عمّه طالب بن الإمام.

فأرسل طالب إلى حمير بن محمَّد الخروج من نخل، فخرج منها ليلاً ومعه بعض الرّجال إلى الطوّ، فأقام بها.

ثمَّ إنَّ السيّد طالب، اعتذر من ولاية نخل، فولى السيّد سعيد بعده خلفان بن سيف بن سعيد المعولي، فأساء السّيرة في الرعيَّة، فلم يبقَ لهم بيت إلَّا أمر بهدمه، فجعلوا يكاتبون حمير بن محمد بن سليمان اليعربي

---

(١) «بنت الإمام» في النسخة (أ). والصحيح ما أثبتناه في النص من النسخة (ب).

(٢) سقطت من النسخة (ب).

بالعصبيَّة، والإعانة لهم عليه، وهو يماطلهم بالوفدة عليهم، فكتبوا إليه: إن لم تصلنا سريعاً خرجنا من البلاد سريعاً.

فعند ذلك أخذته الحميّة فيهم، فوفد عليهم بمائتي رجل من أهل الطوّ، فاشتدّت الحرب بين أهل نخل والمعاول.

وكان خلفان بن سيف يومئذٍ ببلدة مسلمات، فحشد المعاول أهل السَّاحل والحجر، فدخل بهم نخل، فجرح برصاصة تفق في ساقه، فأقام هو بالحصن، وعسكر أصحابه بالخارجية.

وكان حمير قد أرصد بعض قومه في بومة دون حجرة القرين، وفي حجرة القرين يومئذٍ السديريّون من قبل خلفان بن سيف، فأتاه منهم آتٍ يخبره بعدم الطَّعام وآلة الحرب، فبعث معه خلفان بن محمَّد المعولي، ومعه من المعاول رجال عديدون حاملون لقابضي الحجرة فوق ما أرادوه من الطَّعام [٢٧٨-ب] وآلة الحرب.

فلمَّا مضى بهم خلفان، ركض بهم على أصحاب حمير القابضين البومة، فكشفوهم، فأدخلوا لأهل الحجرة كلّ ما حملوه إليهم.

فلمَّا رجع خلفان بن محمَّد ومن معه يريدون الحصن، هجم عليهم عبيد حمير بن محمَّد، فقتلوا خلفان بن محمَّد، وقتلوا معه رجلين، وأتى محمَّد بن ناصر الجبري إلى نخل ومعه من أهل عُمان ألف رجل عصبيَّة لحمير [٤٨٣-أ] وأصحاب نخل، وأتت حمير من الحزم، عدّة رجال من اليعاربة وغيرهم.

فلمَّا علم السيّد سعيد، أن شوكة [حمير][1] اشتدّت، ورجال المعاول عجزوا عن إخراج حمير ومحمَّد بن ناصر من نخل، أرسل سعيد

---

(١) سقطت من النسخة (ب).

ابن حماد بن خلفان إلى محمَّد بن ناصر ليناصحه عن حرب نخل ورجوعه عنها، وترك عصبته لحمير وأهل نخل، وأنه إن فعل ذلك فله منه مايريده من الدَّراهم والمعاقل.

فمال محمَّد إلى قوله، ومضى عن حمير هو ومن معه إلى عُمان، وما بقي مع حمير إلَّا بعض القوم، وهو مع ذلك متجلد عن الحرب.

فأرسل السيّد سعيد نجيم بن عبدالله السيابي برجوعه عن نخل، فلمَّا أتى حشد السيّد الحرث والحجريين وبني حسن، وأعراب السَّاحل، وبني خروص، وبعض نزاريّة سمايل، وقدم رجالاً من بني هناءة ليقبضوا قبل أن يصل مسجد السوق، فمضوا، فقبض بعضهم المسجد المذكور، وركض بعضهم على بيت العوينة، فقتل أميرهم بضربة [رصاصة](١) تفق، فانكسر أصحابه ولاذوا بأصحابهم القابضين في المسجد.

ولمَّا أتى السيّد بقومه إلى نخل، ركض بعض قومه على برج عاقوم، فأخذوه، فانتقل حمير إلى الحمام، فصالح أهل الجميمي السيّد سعيد، فعسكر هو وأخوه سالم بصبارة حبشيّ، وعسكر سائر قومه العامَّة من مسجد نياق إلى الخارجيّة، وكان عدد قومه سبعة آلاف، فأمر قومه بالرَّكضة على حمير، فركضوا عليه، فلمَّا كانوا حذاء الرحى العاليّة، بادرهم أصحاب حمير بالقتل، فانكشف أصحاب السيّد، وقتل من خدّامه أسد النوبي، وقتل أمير الحضارم ومعهما بعض الرّجال، فأرسل السيّد إلى حمير أكابر بني حسن ونجيم السّيابي بالمواجهة والأمان، وعلى سكنه في البلد.

فلمَّا أتوه به، أمر بتقييده في الحصن، فلم يرضَ بنو حسن بذلك،

---

(١) سقطت من النسخة (ب).

ولمَّا رأوا شدّة سخط السيّد عليه، مضوا معه إلى الحصن، ومكثوا معه في الحبس ثلاثة أيَّام، ثمَّ فسح [٤٨٤-أ] السيّد له وحمله معه إلى بركة.

فلمَّا رجع إلى مسقط، رجع معه، وجلس معه بمسقط أيَّاماً قلائل، ثمَّ فسح له بسكون الطوّ، لا في نخل، فمكث فيها ستة أشهر، ثمَّ رجع إلى نخل، واستقر في الحمام، فحشد السيّد الحرث والحجريّين وسائر أعراب الشَّرقية من اليمنية، وحشد أعراب السَّاحل، وبني خروص، وبعض نزاريّة سمايل، والحواسنة، والحدَّان.

ولمَّا بلغ إلى نخل، اشتملت عليه رجال المعاول، أهل الحجر والسَّاحل، فأمر المعاول أن يرتقوا جبل الشّيبة، ويمشوا على ظهره ليلاً، حتَّى يشرفوا على الحمام، فإذا أشرفوا عليه، فليضربوا بالتَّفق أصحاب حمير، القابضين في وادي الحمام، وأمر الحواسنة أن يرتقوا الجبل المشرف على فوارة الحمام، فإذا بلغوا إلى رأسه، فيكمنون فيه حتَّى تطلع الشَّمس، فإذا سمعوا صوت تفاق المعاول، فليضربوا مثلهم أصحاب حمير.

وكان عدد قوم المعاول سبعمائة رجل، وعدد قوم الحواسنة ثلاثمائة رجل، فلمَّا طلعت الشَّمس، ركض السيّد بمن معه من القوم على الحمام، فعسكر دون بستان شامس، وركض سويلم ومن معه على الحمام، فلمَّا بلغ إلى الجناة، ضُرب حامل رايته بتفق من الجبل المشرف على الجناة، فمات من ساعته.

فرجع سويلم ومن معه إلى السيّد سعيد، فتواتر ضرب التَّفق في الجبلين بين أصحاب السيّد وأصحاب حمير، فانكشف المعاول والحواسنة، وقتل من أكابر المعاول حمد بن سعيد الزَّاملي، [٢٧٩-ب] وناصر بن خلف الشرياني صاحب حجرة الورود، ومعهما اثنا عشر رجلاً،

وقتل من الحواسنة، والحدَّان ثلاثون رجلاً، ورجع السيّد ومن معه إلى الجميمي، فأقام بجامعها، وأرسل حال رجوعه إلى الجميمي بني كلبان إلى حمير بالمواجهة على يدهم، وأعطاهم الأمان له إذا أتوه به، فأتوا به وليس معه [٤٨٥-أ] أحد إلَّا عبده سعيد، الملقب بالسَّفَن، ففسح السيّد للقبائل كلها، وهبط بخاصّته ومعه حمير وعبده ورجال بني كلبان، وبقي سليمان بن حمير في الحمام.

وولّى السيّد حال هبوطه إلى بركة على نخل سويلم بن سالمين، وبعد ما وصل السيّد ومن معه إلى بركة، هرب حمير إلى الطوّ.

وسبب هربه، [أنَّه][1] أتاه علي بن طالب بن مهنَّا والي نزوى، بعد ما مضى من اللَّيل الثلث إلى البيت الَّذي أقام فيه، فأيقظه من نومه، وقال له يا حمير: إنّني علي دين لأخيك مهنَّا بن محمَّد، فأتيتك لوفاء ما عليّ.

فقال له: وما الدين الَّذي عليك [له][2]؟

قال له: لمَّا وفدت على السيّد سعيد، لمَّا توفى أبوه، فوجدته في الحصن الشَّرقي متحصناً، والحرب قائمة على ساقها بينه وبين عمّه قيس ابن الإمام، وأخوك مهنَّا يومئذٍ [قائم][3] بجزيرة مسقط، عصبة لسعيد على عمّه قيس، ومع مهنَّا يومئذٍ ناصر بن محمَّد الريامي، وعند ناصر من جماعته سبعمائة رجل، وأنا عليّ له دم، قتلت أخويه حمير وهدهود، فلمَّا علم مهنَّا بوفدتي على سعيد، قال لي: انج بنفسك، فإنَّ الملأ يأتمرون بك ليقتلوك، فقلت له: كيف الحيلة بالخروج والسَّلامة من بني ريام، وهم أخال، قد قبضوا الطرق عليَّ كلّها، فجهَّز لي سفينة من سفن بني جابر،

---

(١) إضافة يقتضيها السياق.

(٢) سقطت من النسخة (ب).

(٣) سقطت من النسخة (ب).

أهل طيوي، فعبرت عليها إلى صور، ثمَّ مضيت منها إلى نزوى، فكانت سلامتي من أعدائي على يد أخيك مهنًّا، فهذا هو الدَّين الَّذي عليَّ لأخيك، فإنَّ السيّد سعيد قد عزم على قبضك وقتلك.

فلمَّا سمع حمير مقاله، مضى من ليلته إلى الطوّ، فلمَّا لاح الصباح، بعث السيّد رسولاً إلى حمير ليصله إلى الحصن، فلمَّا وصل رسوله إلى البيت الَّذي يقيم به حمير أخبره أهل البيت [٤٨٦-أ] أنه خرج هو وعبده عنهم ليلاً، فلا يدرون إلى أين ذهبا.

فقال السيّد لبني كلبان: ما أظنّ حمير إلَّا هرب إلى الطوّ، لسوء ظنّه بي، ائتوني به وله مني الأمان، فمضوا إليه، وردوه إلى السيّد.

فقال له: من الَّذي أوحشك مني، لما هربت إلى الطوّ؟.

فقال له: عليّ بن طالب قال لي كذا وكذا على التفصيل.

فأمر السيّد على عليّ بن طالب بالقيد، فقيّد في حصن بركة ثلاثة أيَّام، ثمَّ أطلقه.

قال المصنف: أخبرني عليّ بن طالب بهذا الخبر عن لسانه كله جملة وتفصيلاً، بعد ما هلك حمير.

ثمَّ إنَّ السيّد سعيد مضى إلى مسقط ومعه بنو كلبان وحمير، فأقام حمير معه أيَّاماً، ثمَّ فسح له، فمضى إلى الطوّ. وبلغني عن أكابر المعاول أنَّهم عاتبوا السيّد سعيد في ترخيصه لحمير بعد ما رجع من مسقط إلى الطوّ، وقالوا له: لقد قتل منَّا يوم الجبل، وقبل: يوم الجبل، فلاناً وفلاناً، فإذا أبقيته، فالفتنة لا تفنى منه حتَّى يموت، وأوحشوه به إيحاشاً شديداً.

فقال لهم: إنّي سأكتب إلى نبهان بن سيف أن يأتيني، وكل ما يريده مني أن أصنعه فيه لأصنعه، وكان نبهان يومئذٍ والياً من قبله على بندر العبَّاس وميناو، وسويلم بن سالمين والٍ من قبله على نخل.

فلمَّا كتب السيّد إلى نبهان بوصوله إليه أتاه، فقال له نبهان مثل ما قال المعاول له من قبل حمير، فاشتدَّ غضب السيّد على حمير، وكان السيّد يومئذٍ في بركة ومعه نبهان وحمير في قرية الطوّ، فكتب السيّد إليه بالوصول، فلمَّا أراد المسير إليه، نصحه عن المسير جملة [٢٨٠-ب] من اليعاربة وغيرهم، فأبى، وأشار إلى ولده سليمان أن يهبط معه، فأبى، فصحبه خادمه سعيد، المعروف بالسّفَن، ومن اليعاربة سيف بن [٤٨٧-أ] مالك بن سيف، وكان سيف يومئذٍ صغير السنّ، لم يبلغ الحلم، فلمَّا دخلوا الحصن، قبضوا وقيّدوا، فأما سعيد السفن، فقد قتل من ساعته، وبقي حمير وسيف في الحبس والقيد، وكتب السيّد إلى سويلم أن يقيد كل من يظفر به من اليعاربة في نخل، ويرسلهم إليه إلى بركة، فقبض سويلم حمير بن محمَّد بن حمير اليعربي، وماجد بن سيف، فأرسلهما إلى بركة، فلمَّا وصلا، أرسلهم كافة مقيدين إلى مسقط، فحبس حمير وسيف بن مالك في الحصن الشَّرقي، وحبس ماجد بن سيف وحمير بن محمَّد بن سليمان في الصَّيرة الشَّرقية، فماتوا جميعاً في القيد، إلَّا سيف بن مالك فإنَّه قد أفسح له السيّد، فمضى إلى الطوّ، وأقام بها.

وأشار الشَّيخ محمَّد بن خلف الشَّيعي للسيّد [سعيد][1] بحرب البحرين، فجمع السيّد لحربها خلقاً كثيراً، من الأعراب والحضر، فكان الظفر لأهلها، فقتل فيها حمد بن سلطان، أخو السيّد سعيد، ومن الأكابر الشَّيخ سعيد بن ماجد الحارثي، ونبهان بن سيف بن سعيد الزاملي، ومحمَّد بن سالم العبودي السَّمايلي، وسليمان بن أحمد الحراصي، وعليّ بن حبيب الصَّلتي الحلمي.

---

(١) سقطت من النسخة (ب).

ولمّا رجع السيّد [سعيد][1] إلى مسقط، أمر بني مهلهل أن يبنوا قلعة الجناة، وكان كبيرهم يومئذٍ محمَّد بن سيف، فلمّا تمَّموا بنيانها، ركض عليهم سليمان بن حمير [بن محمَّد][2] اليعربي، ومعه بعض الرّجال من أهل الطوّ، فأخذها، وقتل من بني مهلهل يومئذٍ حميد الضلع، والعبد عنبر النعيمي، ومعهما ستة رجال، واحترق محمَّد بن سيف بالبارود مع الرَّكضة، فطلب الأمان من سليمان فأمَّنه، ومضى إلى مسلمات، فمات فيها.

واشتدّت الحرب بين المعاول وسليمان، فأعان سليمان بن حمير، محمَّد بن سليمان اليعربي والي بهلا، ببعض الرّجال من بهلا، وأعانه أهل الحزم أيضاً ببعض الرّجال [٤٨٨-أ]، فلمّا اشتدّت شوكة سليمان بن حمير، حشد السيّد عليه أهل الشَّرقية، وأتاه عيسى بن صالح برجال كثيرين من الحرث، وأتاه الحجريون برجال جمَّة من جماعتهم، وأعانه عمّه السيّد محمَّد بن الإمام برجال كثيرة من أهل السويق والخضراء، أميرهم سليمان ابن سعيد بن يحيى بن عبدالله بن محمَّد الدرمكي، وكتب السيّد إلى محمَّد ابن سليمان العدويّ بالوصول إليه، فأتاه برجال جمة من أهل الرُّستاق، فاجتمع مع السيّد خلق كثير.

فلمّا وصل بهم إلى حبرا، واجهته المعاول، ومضى إلى نخل، فأقام هو في المسجد الجامع، وبلغ معكسر سائر قومه إلى دون حضين من نخل، وقد أمر سليمان بن حمير بني الحضرمي أن يقبضوا رأس جبل الشيبة، ورأس الجبل المشرف على الفوارة، فخانوه، فركض السيّد بمن معه من القوم على الحمام، ولم يكن عند سليمان يومئذٍ من القوم إلّا ماثتا

(١) سقطت من النسخة (ب).

(٢) سقطت من النسخة (أ).

رجل، فانكشف، ومضى على طريق وادي الحمام، فانتهى على سيجا، وقتل من أصحابه عند كشفه ستة رجال.

ثمَّ مضى إلى بهلا، فلاذ بمحمَّد بن سليمان، وأمر السيّد بهدم الجناة، فهدمت، ثمَّ أمر ببنيانها، وترك من قبله فيها بني رواحة.

وبعث السيّدُ الشَّيخَ ناصر بن جاعد بن خميس الخروصي إلى سليمان ابن حمير أن يأتيه إلى مسقط، فأتى به الشَّيخ ناصر بن جاعد إليه فأكرمه، وأنعم، عليه.

ومضى حميد بن ناصر الغافري بجيش كثير إلى السديرة، وكان سبب مسيره إليها أنَّه قد أتاه سيف بن ثابت الجنيبي، وقال له: إن آل وهيبة يتهكَّمون بك، ويقولون، ويقولون، وشايعهم على ذلك يمنية الشَّرقية، فلمَّا [٢٨١-ب] وصل حميد بن ناصر إلى السديرة، صالحه آل وهيبة، ومضى إلى الشَّرقية، فأقام في خضراء الدَّفافعة، فواجهه أهل الخضراء، وصالحوه على تسليم دراهم كثيرة.

وكان السيّد قبل أن يصل حميد إلى خضراء [٤٨٩-أ] الدَّفافعة، بعث إليهم هلال بن حمد بن الإمام سعيد، إعانة لهم على حميد، وعند هلال من الفرسان ثمانون [فارساً][١] على ثمانين فرساً، فلمَّا علم هلال في الطَّريق أنهم صالحوه، رجع بفرسانه إلى بركة، فأخبر السيّد عمّا كان من آل وهيبة وأهل الشَّرقية.

ولمَّا رجع حميد بن ناصر من الشَّرقية إلى العينين، فسح لقومه، ومالبث بعد أن فسح لقومه في قيد الحياة، إلَّا بعض الأيَّام إلى أن مات.

(١) «رجلاً» في النسخة (ب).

وشكا أهل نخل من سويلم عند السيّد، ففسح له، وأقام مكانه سعيد ابن سيف بن سعيد.

وبلغ السيّد عن بتّال المطيري أنه أتى إلى البريمي برجال كثيرة على خيل وركاب، فأمر محمَّد بن ناصر بحربه، فلمَّا مضى إليه محمَّد بن ناصر حصره، فصالح بتّال السيّد على هدم حصن البريمي على يد محمَّد بن ناصر، وسويلم بن سالم، فلمَّا هدم الحصن، مضى إلى السيّد سعيد، فرفع منزلته، وأكرمه غاية الإكرام.

وبلغ السيّد عن محمَّد بن علي، أنه قد أدخل كثيراً من أهل جعلان في مذهبه، وكاتبه أهل الشَّرقية بالطاعة، ودخل في مذهبه أهل فلج المشايخ[1] من بني حسن كافة، ونهب أصحابه، أهل الأشخرة[2] مالاً كثيراً لأصحاب مركب الإنجليز المنكسر في الأشخرة، فكتب السيّد للإنجليز بالإعانة على حرب محمَّد بن علي وقومه، فأتوه مسرعين على سفن كبار وصغار، فعسكروا بصور.

فلمَّا مضى إليهم، ارتفع بهم إلى جعلان، وحشد الهشم وبني جابر أهل طيوي، وأتاه محمَّد بن ناصر الجبري، ونجيم السيابي برجال كثيرة، فعسكر السيّد بأكثر القوم في فلج المشايخ، ثمَّ ركضت [الإنجليز][3] بقومهم على بني تمام، وانضافت إليهم عساكر السيّد، فلمَّا كانوا دون محلة السندة، جماعة محمَّد بن علي ركض عليهم محمَّد بن علي، فانكشف الإنجليز، وعمل فيهم السّيف، وانكشف قوم السيّد، وجرح عند الملحمة السيّد سعيد بضربة رصاصة تفق في اليد [٤٩٠-أ]، وما ثبت مع

(١) فلج المشايخ: قرية من قرى المنطقة الشرقية في سلطنة عُمان.

(٢) الأشخرة: قرية من قرى المنطقة الشرقية في سلطنة عُمان.

(٣) سقطت من النسخة (أ).

السيّد إلّا محمَّد بن ناصر الجبري وأصحابه، وبتَّال المطيري وأصحابه، فقتل يومئذٍ من الإنجليز خلق كثير، ومن قوم السيّد كذلك.

فمن مشاهير أصحاب السيّد الَّذين قتلوا في ذلك اليوم علي بن طالب ابن مهنَّا البوسعيدي، وولد الشَّيخ عيسى بن صالح الحارثي وسعيد بن سيف الزاملي، وناصر بن سيف بن محمَّد المعولي، وناصر بن محمَّد الرواحي وغيرهم، وما ثبت على قتال بني أبي علي التماميين غير الحجريِّين، فقتلوا كافة.

وأما آل وهيبة، فإنَّهم اصطفّوا صفوفاً، فلم يصل إليهم أحد من قوم محمَّد بن علي، ولم يصل منهم أحد على قومه، ورجع السيّد بمن معه من القوم إلى فلج المشايخ، وكانت هذه الوقعة يوم الجمعة العاشر من شهر المحرّم سنة الألف والمائتين [والست والثَّلاثين](١).

فلمَّا جنّ اللَّيل، قال من بقي من أكابر الإنجليز للسيد: لا تذر أحداً من قومك يصل إلى معسكرنا إلى الصباح، فإنَّنا لا نفرق ما بين قومك وقوم محمَّد بن علي، وإنَّ كل من يصل إلى معسكرنا هذه اللَّيلة من العرب فهو عدٌو لنا، وليس منَّا أمان، ولا نريد أماناً منه.

فلمَّا مضى هزيع من اللَّيل، تواتر ضرب التَّفق من بلدان بني حسن، والصياح منهم، مرادهم بذلك نهب قوم الإنجليز، وكثر ضرب التَّفق من عسكر الإنجليز خوفاً من الرَّكضة عليهم من قوم محمَّد بن علي، وغدر العرب بهم، وكثر الهرب من قوم السيّد، وما بقي حول خيمته إلّا محمَّد ابن ناصر الجبري ومن معه من الرّجال، وهرب نصير بن سعيد بن الإمام بمن معه من الرّجال بغير علم من السيّد سعيد.

---

(١) سقطت من النسخة (ب).

فلمَّا لاح الصباح سأل السيّد عن نصير وأصحابه، فقيل له: إنه هرب بهم ليلاً، فلمَّا [٢٨٢-ب] رأى السيّد انفلال [٤٩١-أ] شوكة الإنجليز ورقة عزائمهم، وقلة من ثبت معه من القوم، أمر بالمسير إلى مسقط، فمضى بقوم الإنجليز وقومه على طريق العق، فلمَّا أتى إلى بديَّة، سأل عن نصير، فقالوا له: رأيناه مرّ علينا يحثّ ركابه، وما وقف حتَّى نسأله عمّا جرى بينك وبين قوم محمَّد بن علي.

فأخبرهم السيّد بالكائنة على التفصيل. ولمَّا وصل إلى مسقط، أرسل عسكر الإنجليز الآتي بهم من جعلان إلى أصحابهم الَّذين بقوا في مراكبهم، فلمَّا أخبرهم أصحابهم بما جرى عليهم، رجعوا بالحال إلى «بمباي» فلمَّا أخبروا من تركه ملكهم، آمراً وناهياً فيها، جهّز في الحال مراكب كثيرة، وحمل عليها عساكر جمة، وأمر على جملة من فرسانهم بالمسير معه، وأكثر من عدّة الحرب وآلتها إليهم، وأمر أمراء على أولئك القوم، وقال: هذا، وبعد هذا هذا، إلى عشرة أمراء من قوم ملكهم، وكتبوا إلى السيّد أن يلاقيهم في صور.

فلمَّا وصلوا إلى صور، مضى السيّد إليهم، وقلبه مشغول من جهة أخيه سالم بن سلطان، إذ هو بتلك الأيَّام في شدّة الألم من داء الفالج.

ولمَّا وصل إليهم عسكر بمن معه جانباً عنهم، وقد أهبط الإنجليز أكثر ما حملوه إلى البرّ من آلة الحرب خاصة، وربطوا خيولهم حول خيامهم، وأخذوا الغاية من الحزم والحذر.

فلمَّا كان بعدما وصل إليهم السيّد بيومين، ركض عليهم أصحاب محمَّد بن علي ليلاً، ووفد بهم عليهم على نياق سباق خادم بن علي، أخو محمَّد بن علي التمامي، وعدد من وفد بهم عليهم ألف رجل، فوصلوا إلى

أطناب خيام الإنجليز، وقتلوا بعض القوم منهم، ورجعوا من ليلتهم إلى بلدهم، فأصبحوا فيها.

فلمَّا أراد السيّد أن يمضي بقومه [٤٩٢-أ] وبقوم الإنجليز إلى جعلان، أتاه خبر وفاة أخيه سالم بن سلطان، فحزن عليه حزناً شديداً، ولبث في صور بعدما بلغه الخبر ثلاثة أيَّام، وفسح لعمّه طالب، وكان طالب يومئذٍ بيده حصن الرُّستاق، أخذه من أحمد بن سعيد ابن الإمام بعدما مات سعيد بن الإمام.

وسبب أخذه من أحمد، أن طالباً قد بنى بيتاً عالياً في قصرى الرُّستاق، واشترى جملة من العبيد، فأتاه أحمد بن سعيد المذكور ذات يوم يسلّم عليه، فلمَّا دخل البيت أمر طالب عبيده بقبضه وتقييده، ففعلوا به كما أمر، وأرسل إلى أخيه نصير: إن لم تهبط من الحصن والقلعة قطعت نخلك ونخل أخيك أحمد، فهبط من القلعة والحصن، وقبضهما طالب، وفكَّ أحمد من قيده، فأحسن طالب السّيرة في رعيته، فشكروه لحسن صنيعه.

فلمَّا مضى السيّد بقومه وقوم الإنجليز إلى جعلان عسكر بالجندين في فلج المشايخ، فقال الإنجليز للسيّد سعيد: امكث أنت وقومك في معسكرك، ونحن نمضي إلى بني أبي علي، ولا نريد أن يصحبنا أحد من العرب إلَّا دليلاً يدلنا على الطَّريق المفضي إلى بلدهم.

فأجابهم السيّد إلى ذلك، وأعطاهم رجلين دليلين على الطَّريق، فلمَّا كانوا قريباً من بلد بني أبي علي، أمر الإنجليز على أصحاب الخيل أن يهجموا على البلد من الجانب الغربيّ، ومضى هو على طريقها الشَّرقي بسائر قومه، فصفّف قومه صفوفاً، وقدَّم على صفوفه الهنود من قومه، وأمرهم بالرَّكضة على البلد.

فلمَّا شهدهم بنو أبي علي راكضين عليهم، ركضوا عليهم، فانكسر الهنود، فوضعوا فيهم بالسّيف، فلمَّا قربوا من الصف الثَّاني أحال عليهم ذلك الصف المدافع، فضرب برصاصها الهنود وبني أبي علي، فأهلكمهم الرَّصاص جميعهم، فما بقي من الهنود أحد، ولا بقي من بني أبي علي [٤٩٣-أ] الرَّاكضين إلَّا قليل.

وأغار فرسانهم على البلد من الجانب الغربي، فدخلوها، ودخلها إثرهم من الجانب الشَّرقي سائر قومهم، فهدموا قلعتها بالبارود، وأحرقوا [٢٨٣-ب] بيوتها بالنَّار، وأسروا من وجدوا فيها، فكان عدد من أسروهم من بني أبي علي ثلاثمائة رجل، فيهم محمَّد بن علي، وأخوه [خادم][1] بن علي، وفرّت أكثر نسائهم إلى نساء بني حسن، فترك الإنجليز بلد بني أبي عليّ قاعاً صفصفاً بالتدمير، ورجعوا بالسبايا إلى بلد بني حسن، فما أقاموا بها إلَّا يوماً واحداً، إلى أن رجعوا صور، ورجع معهم السيّد، فمضوا هم إلى بمباي، ورجع السيّد إلى مسقط، ومعه من قوم محمَّد بن علي ثمانون رجلاً أسارى، فسجنهم في الصيرة الشَّرقية، فماتوا فيها عطشاً وجوعاً، وأمَّا خادم بن علي، فقد هلك في الطَّريق دون صور لجراح أصابته، وأمَّا أخوه محمَّد بن علي ومن معه، فقد حملهم الإنجليز على مركب من مراكبهم، ولمَّا وصلوا بهم إلى الهند، فكّوا عنهم القيود، وأحسنوا إليهم، وداووا جراحاتهم، وصاروا في بمباي معهم في عزازة.

وفي هذه السّنة، وهي سنة الست والثلاثين والمائتين والألف، وقع الطاعون بعُمان، فعمّها جميعاً، وكان هذا الطاعون الحادث غير الطاعون

(١) سقطت من النسخة (ب).

الَّذي يأتي على إستانبول الروم(١)، والشام وبغداد والبصرة، بل هو طاعون يصهر بطن الإنسان، فيخرج القيء من فمه، والسلح من دبره، حتَّى يموت من إصابته ذلك الداء في الحال. ومنهم من يموت بعد يومين، أو ثلاثة أيَّام، ولم يسلم منه إلَّا القليل، أعاذنا الله من ذلك، فمات في عُمان خلق [كثير](٢) لا يحصي عددهم غير الله، ووقع هذا الطاعون المذكور في الهند، والسِّند، ومكران، وبلدان الإنجليز، والفرنسيين، وعمّ فارس، والكويت، والبحرين، والظاهرة، وأرض توام [٤٩٤-أ]، فمات منه خلق لا يحصي عدده غير [الخالق](٣) جلّ وعلا.

ثمَّ إنَّ الإنجليز رخصوا لمحمَّد بن علي ومن معه بالرجوع إلى وطنهم، وأعطاهم المتولّي على بمباي دراهم كثيرة ليعمّر محمَّد بن علي داره، وبعثهم إلى مسقط على مركب من مراكبهم، وكتب إلى السيّد سعيد، أن يعفو عنهم، ويذرهم يرجعون إلى دارهم جعلان ليعمّروها، فأجابه السيّد إلى ذلك.

ولمَّا صلوا إلى أرض جعلان، عمّروا بلدهم، فكانت بالعمارة كما هي أولاً.

وأتى أهل نخل إلى السيّد سعيد، بعدما تعذّر الشَّيخ سيف بن نبهان الزَّاملي من ولاية نخل، يشكون من سيرة سعيد بن سيف الزاملي، فولّى

---

(١) في النسختين (أ) و(ب) اصطمبول، والصحيح ما أثبتناه في النص إستانبول، وهي القسطنطينية عاصمة دولة الروم البيزنطيين، سميت بعد سيطرة العثمانيين عليها عام ١٤٥٣م على يد السلطان محمد الفاتح (إستانبول) أو الأستانة.

(٢) سقطت من النسخة (ب).

(٣) «الله» في النسخة (ب).

عليهم ناصر بن خلف الزاملي، وولّي الشَّيخ سيف بن نبهان، بعدما مات أبوه نبهان، وخلفان بن سيف على البندر(١) وميناو(٢).

وأتى سعيد بن مطلق المطيري إلى عُمان أميراً على البريمي من قبل أولاد سعود، فلمَّا وصل إلى البريمي واجهه أعرابها وحضرها، وأذعنت إليه أهل الظاهرة، فحشد من البريمي أقواماً كثيرة، وانضاف إليهم بنو نعيم وقتب، ومضى بالقوم إلى بهلا، فأعانه محمَّد بن سليمان اليعربي برجال وخيل، ولم يخبر أحداً بمراده، فأغار على الحجرييّن في يوم عيد الحجّ(٣)، فقتل منهم بعض الرّجال، ونهب مالاً كثيراً، ورجع من يومه إلى البريمي، فلم يُرِحْ دوابّه إلَّا في إزكي، ولبث بها يومين، ثمَّ رجع إلى البريمي، فبنى حصنها.

ولمَّا واجهه سنان بن سليمان العلوي، قتله، وجعل يكاتب السيّد سعيد، ويعتذر إليه من غارته على الحجرييّن بطلب ثأره منهم، إذ هم قتلوا أباه مطلقاً، فقبل السيّد منه الاعتذار.

ثمَّ إنَّ السيّد جمع قوماً كثيرين من جعلان وغيرها، ومضى بالقوم إلى البحرين، ومضى معه الشَّيخ محمَّد بن ناصر الجبري، فلمَّا انفصل عن فارس، أصاب القوم الطاعون الحادث، فأشار محمَّد بن ناصر عليه بالرجوع، وقال له: إذا انقطع هذا الطاعون لتعود [٤٩٥-أ] إلى حرب البحرين، فقال: لا بدّ لنا من حربها، وهيهات أن نرجع عن حرب البحرين.

---

(١) البندر: مدينة بندر عباس، وهي مدينة فارسية تقع على شاطئ البحر وميناء مهم.

(٢) ميناو: مدينة فارسية على شاطئ البحر.

(٣) عيد الحج: عيد الأضحى المبارك، أكبر الأعياد الإسلامية.

فلمَّا وصل السيّد بمن معه من القوم، أقام [معسكره][(١)]، فعسكر بمن معه من القوم بها، وقال لهم [٢٨٤-ب]: لا تركضوا على بني عتبة، حتَّى نعمل الحيلة فيهم، فخالفه عبدالله بن سليم الظَّاهري، فمضى بخاصّته راكضاً على بني عتبة، فلمَّا كثر الصَّايح بينه وبين بني عتبة، نهض السيّد بمن معه من القوم، فلمَّا التقى الفئتان انكسر بنو عتبة، وقتل منهم خلق كثير.

ولمَّا رجع عبدالله بن سليم ومن معه عنهم، ظنّ أصحاب السيّد أن بني عتبة هزموه، فانكسروا، فرجع بنو عتبة بعدما انكشف قوم السيّد، وظلّوا يقتلون كل من وجدوه من قوم السيّد، فلم يفلت منهم أحد، فقتل يومئذٍ من قوم السيّد جملة من الرّجال، فرجع السيّد إلى مسقط، ثمَّ جمع قوماً كثيراً، فمضى بهم إلى ممباسة.

فلمَّا وصلها ركض عليها في قوارب صغار، وسفائن كبار، فجعلت القوارب والمراكب تضرب صيرة كعب راس والصيرة تضربهن بالمدافع.

فلمَّا هبط إلى البرّ، ونصبت خيامه فيها، ركض من قومه عبدالله بن سليم الظَّاهري، وحماد بن أحمد البوسعيدي، فأتبعهما سائر القوم، فانكشف عبدالله بن سليم وحماد، وأتبعهما سائر القوم، فرجع السيّد إلى زنجبار[(٢)]، ثمَّ رجع إلى مسقط، فأقام بها مدة، ثمَّ رجع إلى ممباسة[(٣)]، ومعه قوم كثيرون، فصالحه بنو مزروع على تخليص الحصن والأمان لهم منه، وعلى سكنهم في البلد، فأجابهم إلى ذلك. فقبض الحصن البلوش، ومضى هو إلى زنجبار.

---

(١) «ستره» في النسخة (ب).

(٢) زنجبار: جزيرة في المحيط الهندي، تقع مقابل ساحل شرق إفريقية.

(٣) ممباسة: إحدى مدن ساحل شرق إفريقية.

وكان سليمان بن حمير بن محمَّد اليعربي قد اصطحبه في هذه المسيرة إلى حرب ممباسة، فلمَّا رجع السيّد إلى زنجبار، رخص له بالرجوع إلى عُمان.

فلمَّا رجع، أقام ببلدة الأبيض بعض الأيَّام، ثمَّ توفي.

ولمَّا رجع السيّد إلى مسقط، نقض بنو مزروع الصّلح، وحصروا حصن ممباسة حصراً شديداً، فسلَّمه لهم البلوش [٤٩٦-أ]، فلمَّا بلغ السيّد، حشد عليهم قوماً كثيراً، فلمَّا وصل إلى ممباسة، حصرهم حصراً شديداً، وبعث رجالاً من قومه على حرب قلعتهم الَّتي يفضي طريقها إلى برّ الونيكة، فركضوا عليها، فأخذوها عنوة.

فلمَّا بلغ أصحابهم القابضين للحصن، أخذها علموا أنهم مغلوبون، وليس لهم قدرة على حرب السيّد سعيد، وقد أخذ قبل ذلك عليهم الجزيرة الخضراء، وانقطع عنهم محصولها، وتعذّرت عليهم موادها، فسلَّموا الحصن إلى السيّد سعيد، وأخذ منهم رجالاً، ومضى بهم إلى زنجبار، فأقام بها ما شاء الله من الزمان.

ثمَّ رجع إلى عُمان، وبعث أسارى بني مزروع الآتي بهم من ممباسة لما أخذ منهم الحصن إلى هرموز، فحبسوا وقيّدوا في قلعتها، ومات أكثرهم فيها بعد حبس طويل.

وولّى السيّد على صحار ومسقط محمَّد بن أخيه سالم بن سلطان، وكثرت السعاة مع السيّد هلال بن محمَّد بن الإمام، وأوحشوه به، فأسر ذلك في قلبه، فأتى ذات يوم هلال إلى مسقط مسلِّماً على السيّد، ووافداً عليه ببعض الشَّأن، فأسرَّ السيّد إلى محمَّد بن سالم بقبضه، فقبضه محمَّد في بيته، فأمر السيّد بحمله، وقيدّه إلى محبس الحصن الغربي، ففعل به كما أمر.

ثمَّ مضى السيّد إلى زنجبار، وجعل محمَّد بن سالم نائباً على عُمان كلّها، وترك محمَّد بن سالم سليمان بن صالح البوسعيدي والياً من قبله على صحار.

وكان حمود بن عزَّان يظهر لين الجانب والإذعان للسيد سعيد، وللسيد محمَّد بن سالم، وهو مع ذلك يحاول أخذ حصن صحار، والسيّد محمَّد بن سالم قد أمر سليمان بن صالح بالحزم والحذر، وترك الإهمال عن صحار وأعمالها لمَّا ولّاه صحار، فترك [سليمان][1] الحزم والحذر، وجعل يمضي من دار إلى دار عن صحار وأعمالها، وأهمل الرعيَّة والمعاقل غاية الإهمال، ولم يخبر عنه أحد محمَّد بن سالم [٢٨٥-ب]، وكان أهل صحار لهم محبة [٤٩٧-أ] خالصة من حمود بن عزَّان، ورسلهم تترى إليه بإعجال وثبته على صحار، وقد صنعوا له سلالم ليتسوّر بها على حصن صحار، ويذكرون في كتبهم له، أن سليمان بن صالح لم يترك في الحصن إلَّا بعض الرّجال، قد أهملوا الحرس، وهو لا يزال يتردّد من بلاد إلى بلاد.

فلمَّا تواترت كتبهم وبواعثهم إليه، واستيقن الخبر، أنه كما يقولون، مضى ليلاً من القصيرة ببعض خاصّته، فتسوّر على الحصن بتلك السلالم الَّتي صنعها خاصّته من أهل صحار، فما رأى في الحصن إلَّا بعض أناس نائمين، فأخرجهم من الحصن.

ولمَّا لاح الصباح، أتاهُ أهل صحار مذعنين، فمضى إلى لوى[2]، فأخذ حصنها بغير حرب، ثمَّ مضى إلى شناص، فاستولى على حصنها بغير كفاح، ثمَّ مضى إلى الخابورة، فسلّم إليه حصنها.

---

(١) سقطت من النسخة (ب).

(٢) لوى: قرية من قرى منطقة سهل الباطنة في سلطنة عُمان.

وكان السيّد طالب بن الإمام يومئذٍ ببلدة الرستاق، والشّيخ محمَّد ابن ناصر الجبري بالحفري، فمضى طالب إليه، فأخبره الخبر، وكان محمَّد قد علم به كله قبل أن يخبره به، فاتفق الرأي بينهما أن يسيرا إلى مسقط وعلى ما تأمرهما به بنت الإمام أن يفعلاه.

فلمَّا وصلا إلى مسقط، قالت لهما بنت الإمام: أما نحن الآن لا نأمن أن يأتينا حمود بجنوده، فإنَّه الآن قد اشتدّت شوكته وأذعنت له القبائل، ونمت هيبته، فنحن نرتقب شرّه صباحاً ومساءً، وهذه مسقط هي كنز عُمان، فينبغي أن نحمي كنزها برجال لا يميلون إلى خيانة، ولا يعنِ لهم الجبن عند الإعانة، فطمع الرّجال لا يقطعه إلَّا سيوف رجال لا تنبو بأوجال[1].

فقال السيّد طالب: يا محمَّد، الجواب منك مطلوب.

فقال: اعلما أن عُمان صارت الحيَّن كالحيَّتين، وهما اليمنيّة [٤٩٨-أ] والنزاريّة، فإذا اجتمعوا في بلد وقع منهم الفساد فيها، فسلامة البلد في عدم اجتماعهم فيها، فاختاروا اليمينة أو النزاريّة.

فقالا على حدة: الرأي رأيك، فإننا مسلّمون لك الرأي، وقلوبنا لا تشك فيك، إنك لا تريد إلَّا ما يصلحنا، والتأنّي في هذا الأمر فساد.

فقال لهم: إنَّ اليمنية لي غير مطيعين، ولا لقولي سامعين، وأما النزاريّة، ولا فخر، فإنهم يميلون حيث أميل.

فقالا له: إئتنا بهم مسرعين، فإننا لا نودّ من رأيهم عنك مستنكفين.

فمضى عنهم يوم الجمعة إلى سمايل، وأتاهم بالجمعة الثانية، برجال من سمايل وغيرها، عددهم خمس عشرة مائة، وكان حمود بن

---

(١) الأوجال: الوجل هو الخوف.

عزَّان على حرب مسقط، لما اجتمع معه من صحار وأعمالها عالم كثير، وكثرت مكاتبات القبائل له، ومكاتباته لهم من الشَّرقيّة والغربيّة.

فلمَّا بلغه أن الشَّيخ محمَّد بن ناصر قد أقام بمسقط ومعه نزاريّة سمايل وغيرها، خاف ميلولة نزاريّة الظاهرة، وتوام عليه، أعراباً وحضراً، فتخلّف عن حرب مسقط، ومكث بصحار.

ولمَّا علمت بنو نعيم، أن محمَّد بن ناصر متعصّب للسيد محمَّد بن سالم، وبنت الإمام، أغاروا على الشقيري، فأخذوا برجها، وأشغلوا حموداً بغاراتهم على صحار.

فلمَّا بلغ الخبر إلى السيّد، أن حمود قد أخذ صحار، وما اعتلق عليها من الحصون والرعيَّة، أعجل الوثبة إلى مسقط، فلمَّا وصلها، فكَّ هلال بن محمَّد بن الإمام من القيد، وفسح له من الحبس، فمضى هلال إلى السويق، وأحسن إلى محمَّد بن ناصر، وشكر صنيعه، فأعطاه حصن سمايل.

ثمَّ إنَّ السيّد مضى إلى صحار على مراكب جمّة، وكان عدد سفنه الكبار والصِّغار فوق الثَّلاثين سفينة، فبعث إلى حمود بالمواجهة والأمان على يد حماد بن أحمد، فاعتذر حماد عن مواجهته، وأبى حمود أن يواجه [٤٩٩-أ] حماداً، فأرسل إليه السيّد بن أخيه محمَّد بن سالم، فتواجها دون صحار، وتم بينهما الصّلح على أن ليس لحمود يد على رعايا السيّد سعيد، وأنَّه لا يقدم على شيء آخر إلَّا بأمر السيّد سعيد.

[ولمَّا رجع السيّد إلى مسقط، جعل يكاتب رعايا السيّد سعيد](١)، ويعيّرهم على استنكافهم [٢٨٦-ب] عنه، فتركه السيّد على ما هو فيه، ولم يكترث به.

---

(١) سقطت من النسخة (ب).

ولمَّا عزم السيّد على المسير إلى زنجبار، ولّى على مسقط ولده هلال ابن سعيد، وأمره ألَّا يقدم على شيء إلَّا بأمر محمَّد بن سالم، وولّى على بركة سعود بن علي بن سيف بن الإمام.

ولمَّا استقر به الجلوس بزنجبار، مضى السيّد هلال والسيّد محمَّد بن سالم إلى بركة زائرين سعوداً لحسن ظنّهما فيه، فلمَّا دخلا الحصن قيّدهما، وقتل من أصحابهما خلفان بن محيسن، مولى الجبور، إذ إنّه اتّهمه بأنّه المشارك للسيد سعيد في قتل عمّه بدر بن سيف.

ولمَّا بلغ ذلك السيّدة بنت الإمام، خشيت وثبته على مسقط، فكتبت لمحمَّد بن ناصر الجبري بسرعة الوثبة إلى مسقط، فأتى الشَّيخ محمَّد إلى مسقط ومعه من نزاريّة [وادي][1] سمايل وغيرها خلق كثير، فقبض معاقل مسقط كلها، ما خلا الحصنين والصيرتين والجزيرة، وكان قبل قبض سعود لهلال ومحمَّد، وقعت حرب بين أهل نخل، وناصر بن خلف الزاملي، والي الحصن، فركضت المعاول على نخل، فلمَّا بلغوا [نخل إلى][2] السوق، تضاربوا بالتَّفق والسّيف، فانكشفت المعاول، وقتل من أصحابهم سالم بن عبدالله الرزيقي، ومعه خمسة رجال، وبقي ناصر بن خلف متحصِّناً في الحصن، ومضى سعود إلى المصّنعة، ومعه السيّد محمَّد بن سالم مقيّداً، فعسكر [٥٠٠-أ] بقومه بالكثيب الشَّرقي.

وكان بالحصن يومئذٍ السيّدان حمد وسرحان ابنا سالم بن سلطان، وأمير العبيد القابضين بالحصن مفتاح بن رشيد، فأرسل مفتاح مواليه إلى مسقط، وشدّد الحرب على سعود، فرجع إلى بركة بعدم المطلوب.

---

(١) سقطت من النسخة (ب).

(٢) سقطت من النسخة (ب).

ولمَّا بلغ الخبر إلى السيّد، تعجّب من سعود غاية العجب، وأرسلت ابنة الإمام إلى سعود أن يفكهما، فأبى، إلَّا بتسليم دراهم، عدَّدها لرسولها.

فلمَّا أرسلت إليه الدَّراهم فكّهما، فرجعا إلى مسقط.

ومضى الشَّيخ محمَّد إلى سمايل، ثمَّ مضى إلى نخل، فأصلح بينهم وبين ناصر بن خلف، فلمَّا أتى السيّد إلى مسقط، أرسل إلى سعود بالمواجهة، فأبى أن يواجهه، إلَّا على يد الشَّيخ محمَّد بن ناصر الجبري، فمضى محمَّد إليه، فأتى به إلى السيّد.

واتفق الصّلح بينه وبين السيّد على أن يرجع حصن بركة إلى السيّد، ويقبض عوضه حصن الرُّستاق، إذ قبل ذلك قد توفي السيّد طالب، وبقي الحصن في يد السيّد سعيد، فرضي سعود بذلك، فقبض السيّد حصن بركة على يد الشَّيخ محمَّد بن ناصر، وقبض سعود حصن الرُّستاق، وأعطى السيّد سعيد محمَّد بن ناصر حصن بدبد، وولّى على مسقط ولده السيّد ثويني بن سعيد، ورجع إلى زنجبار بعد ما ولّى على نخل حماد بن أحمد، فصحبه حماد، فبعثه إلى حرب سيوى، ومضى هو إلى زنجبار.

ولمَّا وصل حماد إلى سيوى، صالحه أهلها على أداء ما أراده السيّد منهم، وترك من طرفه بعض الرّجال معهم، ومضى هو إلى زنجبار، فأمره السيّد بالرجوع إلى عُمان.

ولمَّا وصل إلى مسقط، أقام بها بعض الأيَّام، ثمَّ مضى إلى نخل، فأحسن السّيرة في الرعيَّة، فشكروا صنيعه.

ثمَّ إنَّ أهل سيوي نقضوا الصّلح [٥٠١-أ]، فكتب السيّد إلى حماد بحربهم، وأرسل إليه دراهم جمّة، فلمَّا مضى إليهم قاتلوه، فكانت الدائرة عليه، فسلم هو، وقتل من قومه رجال كثيرون، فرجع إلى زنجبار.

فلمَّا علم سعود بانكشاف حماد، وقتل قومه، سرّه ذلك، فمضى ذات ليلة إلى القنص، وترك في الحصن نائباً عنه حمود بن بدر بن سيف ابن الإمام، فدخل بعدما رجع من القنص مسجد المنصور من الرُّستاق للقيلولة، فهجم عليه سلطان بن أحمد بن سعيد الإمام، فقتله، وانهزم أصحابه إلى الرُّستاق، وكان قتله سنة الألف والمائتين والثماني والأربعين.

فلمَّا أتى حمود بن عزَّان خبر قتل سلطان لسعود، وأنَّ الحصن صار بعده في يد حمود بن بدر بن سيف [٢٨٧-ب]، وأن السَّادة أولاد سعيد تأخروا عن المسير إلى الرُّستاق، مضى إلى الرُّستاق برجال كثيرة، فخافه حمود لمَّا سأله الخروج، فخلَّصه له بغير حرب.

فلمَّا بلغ السيّد الخبر كلّه، رجع إلى مسقط، فأمر على حماد بن أحمد، وسليمان بن سعيد بن يحيى بن عبدالله بن محمَّد بن عبدالله الدرمكي، وسويلم بن سالمين بحرب الرُّستاق، فقبض سليمان حصن المزاريع عن رضى منهم، وعسكر سويلم بن سالمين بأهل الخيل حوله، وعسكر حماد بن أحمد بمن معه من أهل نخل بعيداً منهما، وكان يومئذٍ بالرُّستاق، فلمَّا [بلغ][1] بذلك حشد جنوداً كثيرة من صحار وأعمالها، وانضافت إليه أعراب الخضراء.

فلمَّا علم سويلم وسليمان بجمعه انهزما، وبقي حماد معسكراً بمن معه من الرّجال حذاء المحاضر من الرُّستاق، فلمَّا علم أن حموداً وصل إلى الغشب، بادره بمن معه من القوم، فانكشف حماد، وقتل من قومه بعض الرّجال، فمن مشاهيرهم سليمان بن خلفان [٥٠٢-أ] بن مالك اليعربي.

---

(١) «علم» في النسخة (ب).

ودخل حمود الحصن، ومعه حماد بن أحمد في صورة الأسير، فعفا عنه، وأتاه غيث اليعربي يطلب منه الأمان، فقتله، ورخص إلى حماد، وهدم حصن بني مزروع، وأخذ مدافع حصنهم، فأضافها إلى مدافع الحصن الكبير.

وكان السيّد يومئذٍ بمسقط، فغضب على حمود غضباً شديداً، فكتب إلى آل وهيبة، وإلى الحجريّين، والحرث، وإلى الشَّيخ محمَّد بن ناصر، أن يأتوه بحاملي السلاح في بلدة المصنعة، ومضى هو على طريق البحر، على سفن عدّة.

فلمَّا أتوه، هبط إلى البرّ، فضرب خيامه قريباً من الحصن، وأنفذ [إلى][1] آل وهيبة، والحجريّين، والحرث آلافاً من الدَّراهم، فلمَّا علم حمود بذلك، جمع أقواماً كثيرين، فعسكر بهم في الملدّة، فلمَّا علم السيّد باقترابه منه، أمر آل وهيبة والحجريّين والحرث بالرَّكضة عليه، وكان أمير آل وهيبة ناصر بن علي بن مطر الوهيبي، والحجريون، والحرث لا ينازعوه في الأمر والنهي، فقال للسيد: نحن قد أتيناك لصلح الحال بينك وبين ابن عمّك حمود، فلا تجرّد سيوفنا على أولاد الإمام أحمد بن سعيد، ولا على أولاد أولاده، فسخط عليهم السيّد سعيد، وقال للشيخ، محمَّد بن ناصر: امضِ إلى الظَّاهرة، واحشد نزاريّتها، وامضِ إلى توام واحشد نزاريتها، الحضر والأعراب، واهبط بهم إلى صحار لتجدني، إن شاء الله، طارحاً أناجر مراكبي بالقرب من حصنها ﴿لِيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾[2] بيننا وبين حمود.

---

(١) سقطت من النسخة (أ).

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٤٤.

فمضى محمَّد إلى الظاهرة امتثالاً لأمره، ورجع السيّد على سفنه إلى مسقط، فشحن مراكبه بآلة الحرب والطَّعام والدَّراهم.

فلمَّا بلغ محمَّد بن ناصر إلى سمايل، لم يمكث بها إلَّا يومين، ثمَّ مضى [٥٠٣-أ] [إلى إزكي][1] على طريق العقّ، فلمَّا بلغ إلى إزكي، لم يمكث بها إلَّا يوماً واحداً، حتَّى مضى إلى الظاهرة، فلمَّا وصل إلى العينين، طلب من الشَّيخ راشد بن حميد الغافري النُّصرة للسيد سعيد، فأجابه إلى ذلك.

فحشد الشَّيخ راشد البلوش، وبني شكيل، والميايحة، وبني كلبان، والعبريين، وبني يعقوب[2] وغيرهم، فلمَّا بلغوا البريمي انضاف إليهم بنو كعب، والشوامس، وبنو نعيم، وقتب، ومن حاله حالهم من النزاريّة، فكان عدد شيوخ النزاريّة من الحضر الأعراب ثمانين شخياً، وعدد قومهم ألوفاً.

فلمَّا هبطوا إلى صحار، ونظر السيّد من مراكبه كثرة عددهم، خشي استيلاءهم على صحار، فأحبّ الصّلح بينه وبين حمود، فبعث إلى حمود أن يبعث واحداً من قبله للصّلح، فأجابه حمود إلى ذلك، فتمّ الصّلح بينه [٢٨٨-ب] وبين السيّد على أن لا أحد منهما يعتدي على صاحبه.

وبعث السيّد إلى محمَّد بن ناصر أن يأتيه بشيوخ النزاريّة، الَّذين أتى بهم إليه في المراكب، فلمَّا أتوه أكرمهم، وأنعم عليهم، فأعطاهم من

---

(١) سقطت من النسخة (أ).

(٢) بنو يعقوب: قبيلة قحطانية، يتصل نسبها إلى جذام بن عدي بن الحارث بن مرّة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود النبي عليه الصلاة والسلام. والمفرد: اليعقوبي. انظر: الخروصي، سليمان بن خلف بن محمد: ملامح من التاريخ العُماني، ص٢٥٤.

الدَّراهم ألوفاً، ومن الخلع الخطيرة شيئاً كاد أن لا يحصى، وأخبرهم عن تمام الصّلح بينه وبين حمود، فقالوا له: الصّلح خير، ثمَّ رخص لهم بالرجوع، فرجع كل منهم إلى داره.

ووقعت منافرة بين الشَّيخ محمَّد بن ناصر، والشَّيخ سرحان بن سليمان الجابري، لما حالف سرحان بني رواحة والحرث، فمال الشَّيخ راشد بن سعيد بن محمَّد الجيلاني الجابري ومن اشتمل عليه من بني جابر، وبني الحضرمي إلى الشَّيخ محمَّد بن ناصر، فكتب محمَّد إلى بني رواحة، أن يردّوا حلفهم عن سرحان، فأبوا، فحاربهم محمَّد، ودخل بلدتهم وبال[١]، فقطع منها نخيلاً كثيرة، وقتل منهم ثلاثة رجال، وقتل [٥٠٤-أ] من قومه رجل من أكابر بني الحضرمي، ورجع عنهنم، فكتب لهم سرحان أن يأتوه بحامل السلاح، فأتوه برجال كثيرين، فقبضهم بيتاً من بيوت أهل هيل[٢]، فمضى إليهم محمَّد بن ناصر بجمع كثير، فحصرهم حصراً شديداً، فطلبوا منه الأمان بخروجهم من البيت الَّذي قبضوه على ما بأيديهم من السِّلاح على يد الجنبة، فأجابهم محمَّد إلى ذلك، فخرجوا من البيت إلى بلدهم، وواجهه سرحان، فتمّ الصّلح بينهم.

ثمَّ نقض سرحان الصّلح، فكتب إلى بني رواحة وإلى الحرث أن يأتوه بحامل السلاح، فأتاه الشَّيخ عيسى بن صالح، ومعه جملة من الحرث، والحبوس، وبني رواحة، فهبطوا إلى سيجا، وتضاربوا بالتَّفق، هم وبنو رواحة وبنو الحضرمي، الَّذين ميلهم إلى الشَّيخ محمَّد بن ناصر، فقتل من بني رواحة سعيد بن ناصر بن محمَّد الرواحي، ومحمَّد البلوشي، وقتل من أصحاب محمَّد مولى من مواليه، فهبط الشَّيخ عيسى بن صالح

(١) وبال: قرية من قرى وادي بني رواحة في المنطقة الداخلية في سلطنة عُمان.

(٢) هيل: قرية من قرى المنطقة الداخلية، في سلطنة عُمان، تقع قرب سمائل.

إلى سمايل، فمنعه أهل العلّاية عن الطَّريق الَّذي يفضي من العلّاية إلى أسافل سمايل، خشية من محمَّد بن ناصر وإسخاطه عليهم.

فرجع عيسى بهم إلى العدّ، وكان محمَّد بن ناصر ما عنده من القوم إلَّا نزاريّة سمايل، وقلعة العدّ يومئذٍ في حكم محمَّد بن ناصر، وترك فيها من قبله هاشل ومعه بعض الرّجال [من موالي الجبور][1].

فلمَّا سمع أهل الصفا والحاجر ضرب المدافع من العدّ، مضوا إلى الشَّيخ محمَّد بن ناصر، فأمرهم بالمسير إلى العدّ، فلمَّا وصلوا إليه، تضاربوا هم وقوم عيسى بن صالح، فقتل منهم ثلاثة رجال، وقتل من قوم عيسى رجلان، ثمَّ رجع الشَّيخ عيسى إلى [٥٠٥-أ] وادي بني رواحة، فأقام فيه يومين، ثمَّ رجع بقومه إلى الشَّرقية، ففرّق محمَّد كتبه إلى النزاريّة بالوصول إليه، فأتاه الجنبة والمساكرة وبعض الرّجال من بني قتب، وحشدوا نزاريّة سمايل وأعمالها، وأتته بعض الرّجال من نخل، وأتته من بني جابر، أهل الطوّ، بثلاثمائة رجل، فاجتمع معه في سيجا عساكر كثيرون، فهدم بهم بيت سرحان بن سليمان، وقطعوا نخيله.

ثمَّ مضى بهم يريد حرب بني رواحة، فعسكر بقومه دون قرية وبال، فما أرد أن يركض بهم على بني رواحة، أتاه مطر بن محمَّد بن مطر المحل البوسعيدي، من قبل السيّد سعيد لصلح الشَّأن بينه وبين بني رواحة، [فما أحبّ الشَّيخ محمَّد المخالفة منه إلى السيّد.

فمضى مطر إلى بني رواحة][2]، وأتى بأكابرهم إلى محمَّد بن ناصر، فتمّم الصّلح بينهم، وانقطعت الحرب بينهم، ومضى كل واحد إلى منزله.

---

(١) سقطت من النسخة (ب).

(٢) سقطت من النسخة (ب).

فلمَّا أراد السيّد سعيد أن يمضي إلى زنجبار، أتى مركب من مراكب الإنجليز إلى مسقط، فأخبرهم السيّد عن صنع حمود كلّه، [فذهب][1] ذلك المركب إلى صحار، وأتى أميره بحمود بن عزَّان إلى سعيد بن سلطان، فتممّ الصّلح بينه وبين السيّد، وأخذ خط يد حمود على أنّه لا ليحرّك ساكناً على السيّد وأولاده، ولا ليدسّ على مخالفتهم وفتنتهم أحداً، وأن يرفع اليد عن حرب هلال بن محمَّد بن الإمام وحرب رعيّته.

فلمَّا انقطع الكلام بينهم على ذلك، مضى السيّد إلى زنجبار [٢٨٩-ب] ومعه جمع كثير أميره حماد بن أحمد البوسعيدي، وعبدالله بن سليم.

فلمَّا وصل السيّد إلى ممباسة، بعث حماداً وعبدالله بن [٥٠٦-أ] سليم ومن معهما إلى حرب سيوى، ومضى هو إلى زنجبار.

فلمَّا وصل حماد وعبدالله بمن معهما من القوم إلى سيوى، خرج إليهم أهلها، فوقعت بينهم الحرب، فكانت الدَّائرة على حماد وقومه، فقتل هو وعبدالله بن سليم الظَّاهري، وقتل من قومهما خلق كثير.

وعزم الشَّيخ محمَّد بن ناصر على حرب الرُّستاق ليستأصلها إلى السيّد سعيد، لمَّا علم بدسائس حمود بن عزَّان لسعيد بن سلطان ومكاتباته لبعض رعيته بالمخالفة منهم للسيّد سعيد، وبهجومه على السّويق، ودخوله سوقها، ونهب ما فيه من الأمتعة.

فمضى محمَّد إلى أكابر النزاريّة، وفرّق كتبه إلى المبتعد منهم، ووقّت لهم وقتاً معلوماً على حرب حمود، وحرب عيسى بن صالح، فمات قبل أن يأتي الوقت الَّذي وقّته في بلدة إزكي.

وعزم حمود على فسخ العهد بينه وبين السيّد سعيد، فمضى إلى

(١) «فمضى» في النسخة (ب).

بمباي، وسأل الإنجليز أن يرفعوا اليد عنه من قبل السيّد سعيد، فقالوا له: هذا شيء لا يمكن منّا إليك، فإن أردت أن تفسخ العهد بينك وبين السيّد سعيد، فامضِ إليه، وأئتنا بخط يده بفسخ العهد بينك وبينه.

فلمَّا يئس منهم، رجع إلى صحار، فأظهر الورع والزهد، فقبض حصن صحار الشَّيخ العالم سعيد بن خلفان بن أحمد بن صالح الخليلي، والشَّيخ حمد أمير آل سعد، ثمَّ رجع عن تلك العزيمة الَّتي أظهرها، فأخرج الشَّيخ سعيد والشَّيخ حمد من الحصن، وقبضه ولده سيف بن حمود، وقبض الشَّيخ سعيد بن خلفان حصن الرُّستاق، واتفق رأي الشَّيخ سعيد بن خلفان والشَّيخ حمد السعدي وأكابر آل سعد على نصب إمام يأمر المعروف وينهى عن المنكر.

[٥٠٧-أ] فاجتمع بالرّستاق على ذلك عالم كثير، وكان حمود يومئذٍ في الرُّستاق، فأرادوا أن ينصبّوه، فأبى بعد ما أجابهم على ذلك، فرجع بنو سعد وغيرهم، كل إلى منزله، ورجع حمود إلى صحار، فأقام بها يسيراً، ثمَّ رجع إلى الرُّستاق، فأخرج الشَّيخ سعيد بن خلفان من الحصن، وقبضهُ لبني هناءة، ورجع إلى صحار، فمكث بها يسيراً، ثمَّ مضى إلى القصير.

ولمَّا انقادت رعيَّة صحار إلى سيف بن حمود، واشتدّت شوكته، أخرج العساكر الَّذين تركهم أبوه في الحصن، وترك بدلهم من قبله عساكر جمّة، واستنكف عن طاعة أبيه، وأظهر المخالفة له، ومنع من حاله حال أبيه عن وفدته على صحار، وأبى أن يدفع من محصول صحار شيئاً إلى أبيه.

وأظهر لين الجانب إلى السيّد ثويني بن سعيد، فاستوحش أبوه منه إيحاشاً شديداً، فسلّط على قتله بعض خدامه، وخاصّته، فقتلوه في

فراشه، وأبى أن يعزيّه أحد فيه من الخاصَّة أو العامَّة، فقبض حصن صحار وسائر الحصون الَّتي كانت بيده.

فلمَّا علم السيّد بصنيعه في ولده، وتقلبه في الحالات المخلّة بالعهد الَّذي بينه وبينه على يد الإنجليز، كتب إلى أكابر الإنجليز عمّا كان منه من البداية إلى النهاية، تفصيلاً وجملة، فأجابوه، ما بقي له عهد منَّا، وقد صحّ معنا خلفه ونقضه للعهد، فاصنع ماشئت فيه.

فسلّط السيّد عليه ولده ثويني بن سعيد، فقبضه ثويني بن سعيد، بعد خبر يطول شرحه في ساحل بحر شناص، وأتى به إلى مسقط على طريق البحر في مركبه الَّذي مضى عليه إلى شناص، فقيده في الحصن الشَّرقي، ومات في القيد. فدفن في الحضيرة المقابلة للحضيرة [٥٠٨-أ] الغربيّة من قلعة الوادي الأوسط من بلدة مسقط، واستولى على كافة الحصون الَّتي كانت بيده بعده أخوه قيس بن عزَّان.

وكان قيس قد أضاف قحطان بن سيف بن علي إلى الَّذين اتهمهم، أنهم أغروا السيّد ثويني على قبض أخيه حمود لكثرة تردّد قحطان [٢٩٠-ب] بينهم في المخاطبات قبل أن يقع القبض على أخيه، فأسرَّ ذلك في نفسه، وبقي قحطان خائفاً منه عند أخواله بني الرّيس بقزح، ثمَّ ساقه القدر المحتوم إليه، فوفد في صحار عليه، فقيّده، وضيّق عليه القيد، ثمَّ ذبح بعد ذلك ذبح الخروف.

فلمَّا بلغ السيّد ثويني ذلك، سخط على قيس، فجمع أقواماً كثيرة لحربه، وجمع قيس أيضاً أقواماً كثيرة، فعسكر السيّد ثويني بمن معه في أطراف الخضراء. وعسكر قيس بمن معه بالقرب من معسكر السيّد ثويني.

ثمَّ دخل بينهما أهل الصلاح والخير، فأرجعوا قيساً إلى صحار، وثويني ردّوه إلى مسقط، فلم يكن بينهما شرّ.

ثمَّ إنَّ قيس بن عزَّان جعل يكاتب سلطان بن صقر، وسأله له العصبيَّة على ثويني، فأجابه سلطان إلى ذلك، فحشد سلطان أقواماً كثيرة، وهبط بهم إلى شناص، فحاصرها أيَّاماً طويلة، وكان حصنها يومئذٍ في حكم السيّد سعيد وولده ثويني.

[ومالت إلى قيس من بني نعيم، آل خريتان، ومالت إلى السيّد سعيد وولده ثويني][1] آل أبي شامس، وتماسكت الوهابيّة عن العصبيَّة، فكانوا يأخذون القانون الَّذي على صحار من قيس، ويأخذون القانون الَّذي على مسقط ونزوى من السيّد سعيد وولده ثويني، إذا كان السيّد في زنجبار.

فلمَّا علم السيّد بصنيع قيس بقحطان، وميل سلطان بن صقر إليه واستيلائه [٥٠٩-أ] لحصن شناص به قال لبعض خاصّته: أما ميلولة سلطان بن صقر إلى قيس، فهو من قبل قحطان لما أخذ عليه فكّان، ودبا بغير إذن منّي. فلمَّا كتب إليّ سلطان بن صقر ما فعل قحطان بن سيف [أجبته][2]: أنا الآن في نائية عنكم، فاصنعوا في بعضكم ما شئتم. فلمَّا وصله كتابي، مضى بقومه إلى دبا فاستخلصها، ومضى إلى فكّان، فأخذها، وما حمله على العصبيَّة لقيس إلَّا هذا الشَّأن.

فلمَّا رجع إلى مسقط، سخط على الشَّيخ سيف بن نبهان، لشأن يطول شرحه، فلمَّا علم الشَّيخ سيف بإسخاطه عليه، أتاه إلى مسقط، فما لبث فيها إلَّا أيَّاماً قلائل إلى أن مات.

وفي حال وصول السيّد إلى مسقط، فرَّقَ كتبه إلى قبائل عُمان بالوصول إليه، وفي حال وصول كل قبيلة منهم، أكرم أكابرها، وأصاغرها

---

(١) سقطت من النسخة (ب) .

(٢) سقطت من النسخة (ب).

على قدر مراتبهم غاية الإكرام، واختار من القبيلتين اليمنيّة، والنزاريّة، للمسير إلى حرب صحار النزاريّة، فاجتمعت معه منهم أقوام كثيرة من جعلان، وصور، والظّاهرة.

وكتب قبل مسيره إلى صحار إلى سلطان بن صقر الهولي القاسمي بترك عصبيته لقيس، وكان سلطان يومئذٍ مقيماً بشناص، فلمَّا وصله الكتاب، مضى إلى صحار، فرأى قيساً غير مشمِّر عن ساق الحرب، فرجع عنه إلى شناص، فعسكر فيها بمن معه من القوم.

ولمَّا نمت جنود السيّد بالإكثار، وحرضته خاصّته على حرب صحار، وما نسب إلى أعمالها من الحصون الدانية والمبتعدة منها وعنها، مضى بجيشه إلى الخابورة على طريق البحر، وفريق من قومه مضى على طريق البرّ، واجتهدت معه رجال الجنبة، أهل صور وعُمان والشّيخ راشد بن حميد بن ناصر [٥١٠-أ] الغافري، فاستولى على حصن الخابورة بعد حرب يسيرة، وأظهر للخاصة والعامَّة أنه ليبني حصناً سامكاً في صحم، ويقيم فيها سوقاً فسيح الجوانب، فانقاد، مع ذلك الإظهار، إليه من كان عزم على مخالفته رهباً، وأتاه من أظهر له المحبَّة راغباً، فرجع إلى مسقط، ومكث بها أيَّاماً قلائل، ثمَّ مضى على طريق البحر إلى صحار، فواجهه سلطان بن صقر، وعاهده على ترك عصبيّته لقيس، فطلب السيّد المواجهة من قيس، فأبى، فترك حربه، ورجع إلى مسقط.

ووفد عليه مكتوم الياسي، ومعه من بني ياس رجال عدّة، فأمره السيّد بحرب شناص، وكان مكتوم بينه وبين السيّد ثويني بن سعيد [٢٩١-ب] مكاتبات ومراسلات قبل وفدته إلى السيّد بمسقط، فمضى مكتوم إلى شناص، ففتح حصنها إلى السيّد بعد حرب يسيرة.

وقد مضيا إلى مكتوم قبل أن يستأصل حصن شناص السيّدان محمَّد

بن سالم، وثويني بن سعيد بن سلطان، فوجداه قد استاصل الحصن، فشكراه على صنيعه، وقبض الحصن ثويني بن سعيد، فرقّت عزيمة قيس، واستيقن أنَّه مغلوب بعدم النَّصر، وانحراف الرعيَّة عنه، فصالح السيّدين على تسليم حصن لوى للسيد سعيد، فقبض حصن لوى منه السيّد ثويي، وأتى به السيّد محمَّد بن سالم إلى مسقط، فاتفق الصّلح بينه وبين السيّد على تسليم حصن صحار، وأن يسمح له السيّد بحصن الرُّستاق، ولا يحرّك عليه ساكناً.

فسلّم حصن صحار إلى السيّد ثويني بن سعيد، وانقطع الحرب بينه وبين السيّد وولده ثويني.

فلمَّا رجع السيّد إلى زنجبار، قطع قيس وصوله إلى مسقط، فتركه السيّد ثويني على حاله، ولم يحرّك عليه ساكناً.

ولمَّا استقر للسيد المقام بزنجبار، هجمت العجم على ميناو، وبندر العبَّاس وأعمالها [٥١١-أ]، فأخذوها.

ووفد السديري من الحساء من قبل أولاد سعود على البريمي، فواجهه أعراب الشَّمال، وحضر الظاهرة، فأرسل السيّد ثويني إليه السيّد هلال بن محمَّد بن الإمام، وناصر بن عليّ بن طالب البوسعيدي، فلمَّا وصلا إليه، طلب السديري من السيّد ثويني أشياء كثيرة من المال، ثمَّ خفّف المطلب، فاتفقوا على القانون الأوَّل الَّذي يسمح به السيّد لأولاد سعود، فرجعا عنه، ومضى هو ببعض قومه إلى بهلا، وكان المالك يومئذٍ الشَّيخ راشد بن حميد الغافري، فأقام معه ببهلا، وبعث رسله إلى سيف بن سليمان الريامي للمواجهة، فأبى، فدخل بينهما للصلح رجال جنبة عُمان وتمّموا الصّلح بينهما على أداء بعض المال، فأنفذه إليهم سيف على يد

الجنبة، ومضى السديري إلى نزوى، فأقام عند الوالي سيف بن عامر بن خلفان أيَّاماً قلائل، ثمَّ رجع إلى البريمي.

فلمَّا علم السيّد سعيد بما كان من العجم من استيلائهم لمعاقله الَّتي بأرض فارس، واضطراب عُمان بوصول السديري إلى البريمي، وكان بينه وبين ولده ثويني، ووصوله إلى نزوى، وامتداد يده على رعيته، رجع إلى مسقط، ووفد عليه الشَّيخ سيف بن علي الظاهري، وتمّم [عليه][1] الصّلح بينه وبين السديري.

وسخط السيّد على الشَّيخ سيف بن نبهان بن سعيد المعولي، لمقدمات صدرت منه لم تعجب السيّد، وكثرت الوشاة والسعاة به من قبلها مع السيّد.

فلمَّا وصل إليه، طوى السيّد عنه البشاشة والاحتفال، فمكث معه في غصَّةٍ مفرطة أيَّاماً قلائل، ثمَّ توفي عنده بمسقط.

فجمع السيّد أقواماً لمَّا تمكّنت العجم في معاقله الَّتي بفارس، وعتوا بعد الشَّيخ سيف بن نبهان، وفعلوا غير الجائز في أصحاب سعيد ومحبّيه، وكان أكثر جمع السيّد من الشَّرقية، وجعلان يمنية، ونزاريّة، ومن [٥١٢-أ] حضر عُمان العوامر، وأهل نزوى، ومنح وغيرهم، فمضى بهم ولده السيّد ثويني بن سعيد إلى بندر العبَّاس، فأخذها من العجم قسراً، وخلصت له بعدها ميناو، وشميل، وغيرهما، فما كان بعد ذلك إلَّا مدة يسيرة، حتَّى هجمت العجم على بندر العبَّاس وميناو، فقاتلهم السيّد ثويني قتالاً شديداً. فكان لهم النَّصر بعد أن قتل منهم خلق كثير، وأسروا رجالاً كثيرين من قوم السيّد ثويني، فمضوا بهم إلى شيراز، وفعلوا بهم غير

---

(١) سقطت من النسخة (ب).

الجائز من القتل [٢٩٢-ب] والتمثيل، فارتقى السيّد ثويني ومن بقي من أصحابه سفنه، فحاصر العجم، فانقطعت مواردهم الَّتي تأتيهم من الهند، وضعفت تجارتهم بالحصار، فجنحوا إلى السلم، فبعث السيّد سعيد لهم محمَّد بن سالم لما تواترت كتبهم إلى السيّد بإرادتهم الصّلح، فأتاه بأكابرهم إلى مسقط، واتفق الصّلح بينهم وبين السيّد على ردّ ما أخذوه من معاقله، وعلى ما كانوا يأخذونه من المال من الشَّيخ سيف بن نبهان أيَّام حياته، فقبض منهم ما أخذوه من المعاقل كلّها الَّتي هي للسيّد ولده ثويني بن سعيد، وانقطعت الحرب بينهم.

ولمَّا ركدت الزعازع من عُمان، وصارت أرض فارس الَّتي هي في حكم السيّد من العجم وغيرهم في أمان، أسرع السيّد الرّجوع إلى زنجبار، فجرى عليه حكم القضاء، فقضى بناحية بحر سيشل كما ذكرنا أوَّلاً، ولا عجاب، لكل أجل كتاب.

وقد رثاه لما توفي جملةٌ من المدعين علم الأدب، ورثيتُه أنا بأربع قصائد كلّ واحدة تتجاوز الأربعين بيتاً بالعدد، فأحببت إثباتها كافَّة.

الأولى رائيَّة، ومطلعها شعراً:

لكسوفِ شمسٍ زاغتْ الأبصارُ	فنهارُنا لا بالضّياءِ نهارُ
فكأنَّ ألفىْ ليلةٍ في يومنا	ظلماتهُ لا ليلهُ أسحارُ
فنِعَمٌ ولا نعمَ ولا نغمٌ إلى	سمعِ ندارٍ ولا الدّيارُ ديارُ
[٥١٣-أ] والأرضُ شرقٌ غربها بزلازلٍ	كادتْ بها أعلامُها[1] تنهارُ
والنَّاسُ طائشةٌ قلوبهمْ وقدْ	عبثتْ بها الأوهامُ والأفكارُ

(١) الأعلام: يقصد بها هنا الجبال.

وجفونهم سحبٌ رواعدها الأسىَ ودموعهم أمطارها مدرارُ[1]
منعوا الكلام فلفظهم زفراتُهمْ وبهنَّ كادتْ أن تشبَّ النَّارُ
وكفى البريّة أنّها لمصيبة كبرُ المصائبِ عندها لصغارُ
ألقى النعيُّ [ظلال][2] ليلٍ أليلٍ[3] إذ قالَ شمسٌ، مالها أنوارُ
فأجبتُهُ والنَّاسُ مثلي قولُهمْ أسعيد أودى فالدّموعُ بحارُ
فأجابنا اقتسموا الأحَرَّ من الأسى وذروا الأقرّ فأنتُمُ أحرارُ
فتصوّر الصّورَ النّواحُ من الورى والبعثُ منه الهَمُّ والأكدارُ
ملكُ الملوكِ قضى فلا ردًّا على أحكامها وقضائها الأقدارُ
أحيَا لنا كل المصائب موتُهُ فلنا قلوبٌ ما لهنَّ قرارُ
شمس توارت بالحجابِ فأسقطت عبراتها كالأنجم الأقمارُ
فلتَبْكهِ الكُتَّابُ والكُتُبُ التي عنهُ روت أخبارَها الأخبارُ
وعليه فلتذرِ المحابرُ أدمعاً ألوانها فضيّةٌ ونضارُ[4]
وعليهِ فلتذرِ الدموعُ سلاهب[5] وكتائبٌ لهم الحمامُ[6] عقارُ
وعليه فليذرِ الدماءُ دموعهُ سيفٌ بومضته البروقُ[7] تعارُ[8]

---

(١) المطر المدرار: المطر الغزير.
(٢) «ظلام» في النسخة (ب).
(٣) الأليل: الشديد الظلمة.
(٤) النضار: هو الذهب.
(٥) السلاهب: جمع سلهب، وهو الطويل.
(٦) الحمام: الموت.
(٧) البروق: جمع برق، وهو الشحنة الكهربائية الكبيرة التي تتشكل من احتكاك الغيوم بعضها ببعض، وكثيراً ما تنتج عنها الصواعق.
(٨) تُعارُ: العور هو العيب.

[٢٩٣-ب] من مثلِهِ تثني عليهِ سيوفُهُ إذْ ضرْبه تفنى بهِ الأعمارُ
من مثلِهِ يعطى ألوفاً واحداً وبعينهِ كالدِّرهم القنطارُ
فنواله قبل السؤالِ لوفدهِ كالسيلِ فالصحرا بهِ أمصارُ
[٥١٤-أ] منْ لا لهُ دينارٌ فهو بجودِهِ في عينهِ مثل الحصا الدِّينارُ
ما قولهُ إلَّا خذُوا ومقال مَنْ أخذوا فما بقيت لنا أوطارُ
وكأنّما الدّنيا بما تهواه مِنْ يدِهِ بغير سآمة تمتارُ[١]
سلْ عامري الحرمين عن جدواهُ إذ من كثرةٍ لا يُعرفُ المقدارُ
مَلَك نما منهُ النوالُ إليهِ في كلّ المَواطِنِ تنشرُ الأخبارُ
من مثله جوداً ومن ذا مثلهِ بأساً، ومدنُ عداه منه قفارُ[٢]
وإليهِ سيفُ إن نضاهُ لجحفل جرّارِ فرَّ الجحفل[٣] الجرَّارُ
جمعَ الشَّجاعة والنَّدى فنواله للوفدِ قبل زيارة زوَّارُ
هو غايةُ الضّيفِ النزيلِ وآية السّيف الصقيلِ صفاته آثارُ
كلّ الملوكِ تحيَّروا في شأنهِ وبكفّهِ كُرَةٌ إليه صاروا
نورٌ أطال لنا السرورَ بقاؤه ففنى وأيّام السّرور قصارُ
أهل الإمامة إنّها لمصيبة صبراً فلا يحكيكم صبَّارُ
فإليكم عندَ الخطوبِ تجلّدٌ وإليكم عند الخطوبِ وقارُ
إنّ الأنامَ إلى الحمامِ مصيرُهم حُكماً قضاهُ عليهم القهَّارُ

(١) تمتارُ: الميرة جلب الطعام.
(٢) القفار: الخلاء من الأرض.
(٣) الجحفل: الجيش كثير العدد.

ومقرُّهم من بعدِ هذى الدَّارِ في دارٍ بها العمل المقدَّم جارُ
والله أولى بالعبادِ وعفوه تمحى بهِ الحوْبات(١) والأوزارُ
لا يقنط العبدُ المطيعُ لربِّهِ من رحمة فإلهُهُ غفَّارُ
وبكى الكريمُ على الكريمِ من الوفا ليسَ القلوب صفاتُها أحجارُ
إنّ النَّبي عن النياحة قد نهى لا دمعُ إذ في العبرةِ استعبارُ
نورٌ توارى بالحجابِ وفخرهُ تدري الأفاضلُ ما حكاهُ فخارُ
ما خصَّ بل عمّ الأنام مصابهُ فإذا بكاهُ عالم لا عارُ
فكأنّهُ هجَرَ الدنا لما قضى والنَّاس كلّهمُ لهُ أنصارُ
[٥١٥-أ] لو خيّروا اختاروا المنيّة دونَهُ والمرءُ ليسَ إليهِ ما يختارُ
لِمَ لا عليه يذري دمعاً شاعرٌ وعليهِ يبكي النثرُ والأشعارُ
أنا لم أزل إن شقَ رعدٌ جيبه قولي وما في جهرهِ أسرارُ
فسقت دموع ذوى المودّةِ قبرهُ وسقتهُ فيض دموعها الأمطارُ(٢)

[٢٩٤-ب] المرثاة الثانية

دموعٌ لكسف الشَّمس شهب كواكبٌ فمشرقُ أرض الله منهُ مغاربُ
فما طلعَ الصَّبرُ الجميلُ لنادبٍ ولا عبرات العينِ منهُ غواربُ
وكم قائل والأرضُ بالخطبِ زُلزلتْ ألا مالها؟ أم ليسَ عنها مخاطبُ
جوابُ لسانِ الحالِ صاباً تجرّعتْ ثغور الورى والصَّاب فيه المصائبُ

(١) الحوبات: الذنوب.
(٢) بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في أعمال ابن رزيق الأدبية والتاريخية الأخرى، واحتفظ بها في مخطوطته هذه.

أسيً بدَّل الأيّام للعينِ ظلمة غياهبها لمْ تحكهنَّ الغياهبُ[١]
كلام الورىَ دمعٌ يشبُّ لهيبهُ لتذويب أكباد وهن ذوائبُ
وربَّ نعيّ جاءنا وكلامُهُ إذاً للورى لا شمسٌ فالنَّدبُ واجبُ
فقلتُ لمنْ حولي إذا كانَ صادقاً [ليبكي][٢] سعيداً من لهُ الصّدق صاحبُ
فقال، أجل، شمس كساها كسوفُها فأدمع أحبابي نجوم ثواقِبُ
فضجَّ الورى بالنَّدب والتصقت بهم تراب الرَّوابي والربوع الترائبُ[٣]
وكدْن بإعظامِ المصاب عظامُهم تقرُّ وتفرى[٤] بالفرارِ العصائبُ[٥]
قضى حاكِمَ الحكّام والسيّد الَّذي يداهُ لوجهِ الدَّهر عينٌ وحاجبُ
هو الشَّمس والبدرُ التَّمام بهِ اهتدى إلى منهجِ الإرشادِ ماشٍ وراكبُ
[٥١٦-أ] حوى الفخرُ طرًّا فهو منتسبٌ إلى إمامةِ مجدٍ فخرُها متناسبُ
إمامٌ لهُ جَدٌّ إمامٌ ووالدٌ همام إليهِ السّيف في الهامِ خاطبُ
ومن كسعيد في العلا ونوالُهُ مراتبُ لا للغيرِ تلكَ المراتبُ
يرى لو بدنياهُ يجودُ مقللاًّ بجودٍ فما يُحصي عطاياهُ حاسبُ
لهُ قلمٌ جدواهُ للخلِّ ثابتٌ ويُمحى بمجراهُ العدوُّ المحاربُ
فلو قطرتْ منهُ على الخصمِ قطرةٌ لما عذبتْ منها إليهِ المشاربُ

---

(١) الغياهب: جمع غيهب، وهو الظلمة.
(٢) «ليبّك» في النسخة (أ).
(٣) الترائب: عظام الصدر.
(٤) قزى: قزى الأرض سارها وقطعها.
(٥) العصائب: جمع عصيبة، وهي الناقة التي تشدُّ قوائمها لتدرَّ اللبن.

إذا ذهبا منه حوى الوفد وانثنى فما ذهبٌ ثانٍ لهُ عنهُ ذاهبُ
إلى جُودِهِ الركبانُ تمشي بطرْبةٍ وكادتْ بلا ركبانَ تسعَى الركائبُ
لقد عرفتهُ مثلهم أنَّ جودهُ به الأرضُ تحيا فهو كالوبْل[١] ساكبُ
فمنْ قالَ: من في جودِهِ المثل صادقٌ ومَنْ قالَ، فيهِ مثلهِ، فهو كاذبُ
لقد قلّت الأقلامُ مع كثر حمدهِ فما حمدهُ يُحصيهِ قارٍ وكاتبُ
سل الضَّيفَ عنهُ واسألْ السّيف فهو لا به السّيف ظمآنٌ ولا الضّف ساغبُ[٢]
شجاعٌ فما أبقى كتائبَ للعِدَا ففي كفّهِ طيُّ الكتابِ الكتائبُ
بهِ تقضي في الحربِ القواضبُ في العدا وتقضي إذا ما شاءَ تقضي القواضبُ[٣]
[٢٩٥-ب] فما غيرُهُ في الحربِ بالرّمحِ طاعنٌ ولا غيرهُ في الحربِ بالسّيف ضارِبُ
وما عنهُ في مجدٍ تعزَّزَ مطلبٌ ففي يدهِ غاياتهنَّ المطالبُ
كفاها عُمان أنَّ من كانَ قبلهُ لها ملكاً منهُ إليهِ المناقبُ
تقدَّم بالإكرامِ منْ كانَ قبلهُ هو الرأس والشّم الملوك الرَّواجبُ[٤]
رَسَا حلمه والأرضُ من حلمهِ رَسَتْ ولم تَرْسها عنهُ الجبالُ الرَّواسبُ
بعيد لديهِ المطلُ دانٍ نوالُهُ أباعدُهُ فيهِ إليهِ أقاربُ
لقدْ يهبُ الآلاف وهو مقللٌ يظنّ ويوهي العدَّ ما هو واهبُ
إذا غابَ عنْ أرضٍ بها فهو حاضرٌ فمن ذا سواهُ حاضر وهو غائبُ
[٥١٧-أ] لقد كرمت أخلاقُهُ فهو بالسّخا لفي عجبٍ منهُ الورى والعجائبُ

---

(١) الوبل: المطر الشديد.
(٢) ساغب: السّغب، هو الجوع.
(٣) القواضب: جمع قاضب، وهو السيف القاطع
(٤) الرواجب: جمع راجبة، أي مفاصل أصول الأصابع.

فلا عجب إن سالَ دمعٌ لسائِلٍ وعنْ سؤلهِ من جهرهِ حالَ سالبُ
ولا غرو أن تبكي عليهِ قواضبُ ولا غرو أن تبكي عليهِ السَّلاهبُ
ولا غرو أن تبكي عليهِ إمامة لها سيفها قبلَ التنصُّبِ ناصبُ
مصيبتُهُ أمّ المصائبِ كلّها فما قبلها أُمًّا لها الدّهر ناسبُ
ولله آيات لها كلّ مسلم يسلم والحتف الَّذي لا يُعاتبُ
ليجري على هذا المصاب دموعهُ دماً كلّ شهم حنكته التجاربُ[(١)]
ويسلي الورى رزء الرَّسول عن الأسى إذا عضَّضتهم بالنيوبِ[(٢)] النَّوائبُ[(٣)]
فخيرُ الصنيعِ الصَّبر إذ ليس عايبٌ بحتفٍ إلى من يرسل الدمع آيبُ
فذا مذهب الدُّنيا إلى النَّاس واحدٌ وما مذهبُ الدُّنيا بحتفٍ مذاهبُ
فللحتف خلق الله طرًّا مصيرهم فهو شرعَ في الحتفِ كاسٍ وكاسبُ
فقُلْ أيّها الباكي على ملك الورى إذا نشرت للمعصراتِ الذوائبُ
سقى قبره ما شقَّق الرَّعد جيبه وليّ ووسّمي[(٤)] همته السَّحائبُ[(٥)]،

المرثاة الثالثة

لكسوف شمس الأرض أم شمس السما ما ضاءَ في الآفاقِ أضحى مُظلمَا

(١) حنّكته التجارب: أي أفهمته وعلّمته.
(٢) النيوب: جمع ناب، وهو القاطع من الأسنان.
(٣) النوائب: جمع نائبة، وهي المصيبة.
(٤) وسمي: المطر أول الربيع.
(٥) بعد المراجعة والتدقيق تبيّن أن القصيدة غير موجودة في الأعمال والأدبية والتاريخية لابن رزيق، تركها لنا في مخطوطته هذه.

وأكرَّةُ الفلك [البسيط][١] تكادُ من عِظَمَ الأسى والخطب تُنثرُ أنجمَا
والنَّاس أفصحهم لساناً أَبْكَمٌ وأحدُّهم بصراً أحاط به العَمَا
راعوا الرّعود بصوتهم فكلامهم أَضحى لقلبهم الحديد مُكلّما
متحملون عظيم خطب لوابه وَزَنُوا الجبال لكانَ منها أعظمَا
وجفونهم سحبِ رواعدها الأسى ودموعهم يذرونها ديماً دمَا
[٢٩٦-ب] فكأنَّ ساعتهم إليهم ساعةٌ نفخت عن الصّور المهول لها فمَا
ونوادبٌ شتى عويلهم ولو يدري ويعقله [ثبيرٌ][٢] تهدّما
بَكَرَ النعيّ معرّضاً وأظنّه ظنّ الّذي فهمٌ لهُ لنْ يفهمَا
قالَ الكسوفَ كَسا كِساهُ شمسهُ فالجوّ من بعدِ الإضاءةِ أظلمَا
[٥١٨-أ] فأجبتهُ أسعيدُ [أودى][٣] منهُ لي كانَ الجوابُ، أجلْ فذرْ عمَّا ومَا
فأذاعت النّوح النّواحي والبلا أبلى البلاد وما احتمى البالي حمَا
ومن المصاب النَّاس ظنّوا نُقِّلوا عنْ عالمٍ في عالمٍ لن يُعلمَا
وكأنَّ أعينهم ألفنَ رؤوسهم فتوهّموا ما كانَ أبهى أبهمَا
حكم القَضَا ملكُ الملوكِ بهِ قضى وعلى قضاهُ سوى القضا لنْ يحكمَا
قدْ كانَ سيفاً للزَّمانِ وساعداً وبسهمهِ يرمي الزَّمانُ إذا رمَى
وإليهِ جيشٌ لا يعدُّ وشخصهُ بشخوص غير الجيش صارَ عرمرَمَا[٤]
هو واحدٌ كلُّ البريَّةِ دونهُ عدًّا، فقُّلوا، وهو ما جهلوا نما

---

(١) «الوسيع» في النسخة (ب).
(٢) سقطت من النسخة (ب).
(٣) سقطت من النسخة (أ).
(٤) الجيش العرمرم: هو الجيش الكثير العدد.

وكأنَّما السُّحبُ الثقالُ تعلَّمت ... من جودهِ جوداً ولنْ يتعلَّما

كمْ وافدٍ وافاهُ وهوَ لوفدِهِ ... يذري النَّدى والوفدُ لنْ يتكلَّمَا

كانت أنايقُ وفده في برِّهم ... سفناً لهم ونوالهُ بحرٌ طمَا

وبكفِّهِ قلمٌ حياةُ محبّهِ ... فيهِ وتلحظهُ الأعادي أرقمَا(١)

فاقَ الملوكَ فكلّ ملك قبلهُ ... عنهُ تأخَّرَ وهوَ عنهُ تقدَّمَا

أعطى السُّيوفَ حقوقها فسيوفهُ ... وضيوفهُ ما عاشَ لنْ تتظلَّمَا

ورعى الرعيَّة بالمودَّةِ والنَّدى ... وبما عليه الله أنعمَ أنعمَا

فغدا أباً لهمْ ومنْ إكرامهِ ... لهم من الأبوينِ أضحى أكرمَا

من زارهُ قبلَ الرّدى من جودهِ ... كدياسة الدِّينار داسَ الدِّرهمَا

يفترُّ في بذلٍ وقتل فهو لا ... تلقاهُ إلَّا ضاحكاً متبسِّمَا

كم قائل مِلك بكسر اللَّامِ أمْ ... بالفتحِ كانَ، ففي مكارمهِ سمَا

في كلِّ ثغر حمدهُ يُتلى ومنْ ... يتلوهُ حازَ بهِ الكلامُ المُحكمَا

ما عُذْرُ عينٍ ما تصبُّ دموعَها ... ديماً وذُخرُ نِداهُ يزرى العيلمَا(٢)

من مثلهِ ديناً عليهِ يرى النَّدى ... وقتالهُ لعداهُ دَيْناً قيِّمَا(٣)

خلنا الجبالَ تزعزعت لمَّا قضى ... والأرضُ دُكَّت والهواءَ تحطَّما

حتَّى لقد قالَ الحليمُ أفي الدُّنا ... أو نحنُ في الأخرى بخطبٍ عظَّمَا [٢٩٧-ب]

[٥١٩-أ] صبراً بدورَ التَّمّ إنكمُ لنا ... نورٌ بكمْ من كانَ كالقمرِ انتمى

---

(١) الأرقم: الثعبان، أو خبث الحيّات.

(٢) العيلم: نبع الماء في الآبار.

(٣) القيّم: الدين القيم، هو الدين الحق.

ما ماتَ من هو أنتمُ أولادُهُ فخذوا من الشَّأن الشريفِ الأحزُمَا
دأبُ الدُّنا هذا ومذهبُها كذا من ذا فبعدَ وجودِهِ لنْ يُعدمَا
إنَّ الأنامَ لَوُرَّدٌ حوض الرَّدى وإليهِ سعيهم وما بهم ظمَا
حَكماً من الباري وعدلٌ حكمهُ من لا إليهِ مسلم لنْ يسلمَا
أين النبيّون الَّذين عليهمُ صلَّى إله العالمين وسلَّما
وردوا الرَّدى والكلّ منهمْ لم يكنْ لوُرودهِ مُتسنِّماً مُتشئِّما
والصَّبرُ فيهِ الأجرُ لا أجرٌ لمنْ لزمَ الأسى والصَّبرُ لنْ يستكرمَا
يا من إذا ذكرَ بن سلطانَ سقَتْ أجفانهُ الأوطانَ دمعاً مُسجَمَا
قلْ إن سرى برق ورعد بلِّغا قبر بن سلطان السَّلام وسلِّمَا[1]

المرثاة الرابعة

الوَقعِ خطبٌ للأنامِ عويلُ الله أكبر فالمصابُ جليلُ
كثرَ البُكا لكنَّهُ في شأنِ من يُبكي عليهِ فالكثيرُ قليلُ
أو ما ترى ميل الدُّنا بزلازل كادت بهِ قُلل الجبالِ تزولُ
رُزءٌ إذا ما قيلَ رزءٌ مثلهُ قالَ الدليلُ، فما إليهِ مثيلُ
أنسى الأناسَ الإنسَ حتَّى ناظروا من لا لهمُ بعدَ العقولِ عقولُ
وكأنَّما أجفانهم سُحباً غدتْ ودموعهم ديمٌ لهنَّ همولُ
يتخاطبونَ بأدمعٍ لا ألسنٍ وبها خطابهُمُ له تأويلُ

(١) بعد البحث والتدقيق تبيّن أن القصيدة غير موجودة في الأعمال الأدبية والتاريخية الأخرى لابن رزيق، وقد احتفظ لنا بها في مخطوطته هذه.

أقوى قواهم بالجوى ففصيحهم بفهاهةٍ[1] لم يدرِ كيفَ يقولُ
متفرِّقاتٌ في أسى متجمِّعٌ أفكارهم والجمعُ فيهِ فصولُ
شُغلوا بشعلة همّهم عن بعضهم بعض وفكرهم بهم مشغولُ
حملوا على عيٍّ بسالبة الذّكا لمَّا اختفى الموضوعُ والمحمولُ
ورسولُ قوم أمّنوهُ جهرهم سرًّا إلينا والأمينُ رسولُ
قالَ: اندبوا شمساً وحسبكم فمَا لكواكبي بعدَ الطُّلوعِ أُفولُ
[٥٢٠-أ] فأجبتهُ: أسعيد ويحكَ قد قضى فأسالَ دمعاً ما حكتهُ سيولُ
فَنَمَا النَّواحُ من النَّواحي والبلا في كلِّ منزلةٍ إليهِ نُزولُ
والأفقُ زادَ ضيا النَّهارِ بظلمةٍ في جنحها البصرُ الحديد كليلُ
لو جازَ تشقيقُ القلوبِ لما بقى قلب لمنْ بالفضلِ لا مفضولُ
قلَّ العَزا ونما البُكا فجزيلهُ لا عندَ إعظام المصاب جزيلُ
[٢٩٨-ب] نسخَ المصائبِ ذا المصاب بفاعلٍ خيراً ومن حتفٍ هو المفعولُ
ملكاً يُرى ملكاً بحسنِ صنيعهِ فقضى وبالدَّمعِ الهتون غسيلُ
فأماته الحيُّ القديرُ وفخرهُ أحياهُ إذ هوَ عنهُ ليسَ يحولُ
كان الحيا لذوي الودادِ وربعهمْ لم يمحهُ بيدَ المحاقِ محولُ
أعطى وظنّ مخفّفاً في جودهِ وعلى الَّذي حملوه منه ثقيلُ
لوْ جادَ بالدُّنيا لظنّ مقلّلا إذْ من يشحُّ بها لديهِ بخيلُ
فحلُ النَّدى فحلُ الوغى إنَّ الوغى مثلُ النَّدى وأبى إليه فحولُ
ولهُ ابتسامٌ في الملاحمِ والنَّدى إذ وجههُنَّ لناظريهِ جميلُ

---

(١) الفهاهة: الغيّ.

قصُرَتْ مناقبُ غيرهِ عن شأنهِ فلهُ مناقبُ شرحهنَّ طويلُ
تتبدَّلُ الحالات وهو بحالةٍ كرُمَت فمَا لثبوتها تبديلُ
إنَّ الملوك مقرَّة لا غيرهُ ملكٌ، لهُ الملك العزيزُ ذليلُ
وكأنَّما لما قضى فضت الدُّنا أو عاقها يوم الرَّحيل رحيلُ
وكأنَّهُ روحٌ لها وكأنُّها جسم فحيث يميلُ فهي تميلُ
لاغرو أن تبكي عليهِ كتائبٌ وسلاهبٌ لجماحهنَّ صهيلُ
لا غرو أن تبكي عليهِ جحافلٌ ولها مناصلهُ لهنَّ نصولُ
للجيشِ كانَ الجيشَ في عينِ العدا فبهِ يصول الجيشَ حيث يصولُ
دمعُ الغمامِ دمٌ عليهِ لعلمهم متعذّر من بعدهِ المبذولُ
من ذا إلى الأمم النَّصير فبعدهِ ما لا يهولُ على الأنامِ يهولُ
فلتبكهِ كَبكُا النجوم بدورهِ ومن الوفاء لهُ أخ وخليلُ
[٥٢١-أ] صحَّ الزَّمانُ بهِ فها هو بعدهُ لم يجهل العقل الصَّحيح عليلُ
صبراً على صبرِ الخطوبِ فكلّ من آلَ إليهِ إلى الحمامِ يؤول
إن الحِمامَ إلى البريّةِ موردٌ يردوه مرد منهمُ وكهولُ
صاح البكا لم يُجْدِ شيئاً من بكى فالصّبر أولى والحليم حمولُ
إنَّ الَّذي عنَّا نأى لا يُرتجى منهُ لنا حتَّى النشور قفولُ
فعليهِ من أهلِ الكتابين الثنا وكفاهما الفرقان والإنجيلُ
يا من لقاهُ فاتَهُ وفؤادهُ برفيف شوق روضةٌ وقبولُ
قل إن سرى النَّفس النسيم وعُطِّرت بشذاهُ وهناً رائعٌ وطلولُ

سلِّم على قبر ابنِ سلطانَ وقلْ هل للقّا بعدَ الرحيل سبيلُ(١)

[٢٩٩-ب] تمّت بعون الله وحسن توفيقه السّيرة السنيّة البوسعيدية المضافة إليها سير الملوك العُمانية الاستقامية.



تأليف أوحد الفصحاء، وقدوة البلغاء، الشَّيخ الورع، النَّاسك الثِّقة، الزَّاهد الأديب، حميد بن محمَّد بن رزيق بن بخيت، الَّذي هو من أولاد سعيد بن غسان، نسبا، الإباضيّ مذهباً، النَّخلي بلداً.

يوم الثلاثاء ٢٣ ربيع الآخر سنة ١٢٧٤هـ(٢) للسيّد الأجل الأمجد، الكريم الثّقة الزَّاهد الحليم، حمد بن سالم بن سلطان بن الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي العُماني، الإباضي.

[٥٢٢-أ] قال المؤلف: والمرجو من أهل الصفاء والوفاء إذا رأوا في هذه السّيرة وغيرها من خلل أو زلل، فليسدوا الثلة بيد الإنصاف، البريئة من جيد الأوصاف، ولا يكونوا للعقر بالإزورار كقدار وأصحاب قدَّار(٣)، ففي الحديث الَّذي لا يقدر عليه المتعنّت نقضاً، قوله (ﷺ): «.. المسلمون كالبنيان يشد بعضهم بعضاً». وما توفيقي إلَّا بالله العلام ربّ الأنام، وهو المسلم السَّلام، والسلام.

---

(١) بعد البحث والتدقيق تبيّن أن القصيدة غير موجودة في أعمال بن رزيق الأدبية والتاريخية، حفظها لنا في مخطوطته هذه.

(٢) وفي النسخة (ب): «في يوم الثالث والعشرين من ربيع الأول سنة ١٢٩٤هـ، بقلم الفقير إلى ربه القدير سالم بن راشد بن بدر بيده. وبقلم الفقير خميس بن أحمد ٢٦ شعبان ١٣٥٩هـ»..

(٣) قدّار: هو الذي عقر ناقة النبي صالح (عليه السلام).

[وكان تمامها على يدي الخادم الحقير، سليمان بن سعيد بن مبارك ابن عبدالله بن مبارك بن سالم، الَّذي هو من أولاد حاتم نسباً، المحبوبي مذهباً واعتقاداً، العُماني النزوي بلداً، حامداً لله وحده، مصلياً ومسلماً على خير خلق الله أجمعين، محمَّد النَّبي المصطفى، وعلى آله وصحبه، أجمعين][1].

ينقدُ النثر [قبل][2] والنظمَ بعدُ   مـن بـصـيـرٌ ونـقـدهُ هـو نـقـدُ
لا سـحـابٌ فـيـهِ وبـرقٌ ورعـدُ   فـاسـتـطـر إنّـهـا لـك الأرضُ جوًّا

[٥٢٣-أ] وقال المصنِّف أيضاً:

الحمد لله العلام، على فضله التمام، والصَّلاة والسَّلام على سيّدنا محمَّد، ما جرت في ألواحها الأقلام إلى جناب سيدنا ومولانا وذخرنا، ومن له الفضل علينا، سليل الكرام حمد بن مولانا سالم بن سلطان ابن الإمام، أعزّك الله. وبعد،

فواصلك كتاب التاريخ المشتمل على السّيرة الغرّاء، مفصَّلاً ومجملاً، في الأنساب والأحساب مسفراً بمناقب الأئمة العُمانية، تفضل بقبوله وأنت كريم.

والسَّلام من العبد المملوك المخلَّف الشاعر، الَّذي مودَّته عنكم لم تتبدد، حميد بن محمَّد، كتبه بيده، شعراً:

[٣٠٠-ب] يانيِّرَ الفعلِ والأحسابِ والنسبِ   ومن ندى كفِّهِ يزرى على السُّحبِ
تـمَّ الـكـتـاب ومـا زالـت تـعـظِّـمـهُ   بألسنِ الحالِ فخراً سائرُ الكتبِ

---

(١) هذه الفقرة كاملة من النسخة (أ) وغير موجودة في النسخة (ب).

(٢) سقطت من النسخة (ب).

قلمَ يذر نسباً إلّا حكاهُ لكم ... إذ جزتم أشرفَ الأنسابِ والحسبِ
مفصلاً مجملاً صرحتهُ لكم ... فلاحَ في رتب يعلو على الرُّتبِ
إليكَ يا حمد حمدي غدا سوراً ... يتلوه كل فصيح فاقَ بالأدبِ
رقمتهُ طرباً صنفته رغباً ... فرقٌ من طربٍ محضٍ ومن رغبِ
نضوتُ طِرفَ يُراعي في مسافتهِ ... وساقَهُ شوقُ قلبٍ غير منقلبِ
وقلتُ: طب أنت نفساً لم يخب أملٌ ... من المرجَّى بهذا الوخد والخببِ[1]
فجودهُ شرعٌ للنَّاسِ كلّهم ... وفي المكارمِ لا يصغي إلى العتبِ
إنَّ بن سالم تندى بالنَّدى يده ... فأعربت عن ثناهُ ألسن العربِ
وما تخلّى ثناهُ من لسانِ فمٍ ... لِلُكْنةٍ وفتور غيرَ مصطحبِ
للهِ من لوذعيّ[2] عمّمته عُلاً ... إمامةٌ وَحَبَتْهُ بالظبا[3] القضُبِ
من سيفهِ البرقُ سيفُ البرقِ مؤتلقٌ ... ومن شهابٍ قناهُ سائرُ الشُهبِ
[٥٢٤-أ] من للإمامةِ يُعزى بيتهُ فلهُ ... فضلٌ إذا شابت الأيّامُ لم يَشبِ
إنّي لأعلمُ في التّصنيف مأربهُ ... ولستُ أجهلُ فيهِ عالم أربي[4]
من لا إلى كتب التّاريخ مأربهُ ... فقلبهُ عن بلوغِ الرُّشدِ في حجبِ
لله من سيّد يُسدي النوال إلى ... من جدَّ في العلمِ لا من جدَّ في اللّعبِ
ما زارهُ المدحُ يوماً من أديب سوى ... زارَ الأديبَ نداهُ الجمُّ من طربِ

---

(١) الخبب: الإسراع.
(٢) اللواذعي: اللّسن الفصيح.
(٣) الظبا: حدّ السيف.
(٤) الأريب: العاقل.

فمدحهُ ليسَ يُحصيهِ فتىً بفمٍ إذ دونهُ كلّ منهلٍ ومنسكبِ
ذا معدنُ الجودِ جود النَّاس في عدمٍ لديهِ إذْ هو قطُب السَّادة النُّجُبِ
بالصّدق فهتُ ومن بالصِّدقِ فاه فلا يقالُ بالزّورِ فُوهَ فاه والكذبِ
نوالهُ طوَّق جيدي ليسَ إن سجعت لهُ المدائحُ منّي ذاكَ من عجبِ
وقبلُهُ قد كساني الجود والده يا حبَّذا ولدٌ يذري النَّدى كأبِ
أحيا لنا الجودَ لما أودى والدهُ فجودهُ حاضرُ دانٍ ولم يغبِ
فكيفَ أترك عنهُ المدحَ وهو لهُ مكارمُ دونهنَّ الغيثُ بالصَّبَبِ
لا عذرَ لي في سكوتي المدح عنهُ أرى ففي فمي مدحه أحلا من الضَّربِ[1]
يا بن الكرامِ، لنا طابَ الزَّمانُ بكم لنا الزَّمان ولولاكم فلم يطبِ
ولو تجسَّمَ مدحي جاءَ يا حمدٌ إليكَ يسعى على الأذقانِ والركبِ
لا تسأم المدحَ يا بحرَ النَّدى ففمي من بحرِ جودكَ يحوي أشرف الحَبَبِ
شواهدُ الودّ لا يُمحى لها أثرٌ من القلوبِ فما شهمٌ بهنَّ غبي
[٣٠١-ب] خذها بكفِّ قبولٍ يا بنَ سالمِ إذ جاءت لفيضِ نوالٍ منكَ مقتربِ
قلْ أنتَ أهلاً إذا جاءتْ مُسلّمة مُدّي يديكِ لأخذ الوشى والذهبِ[2]

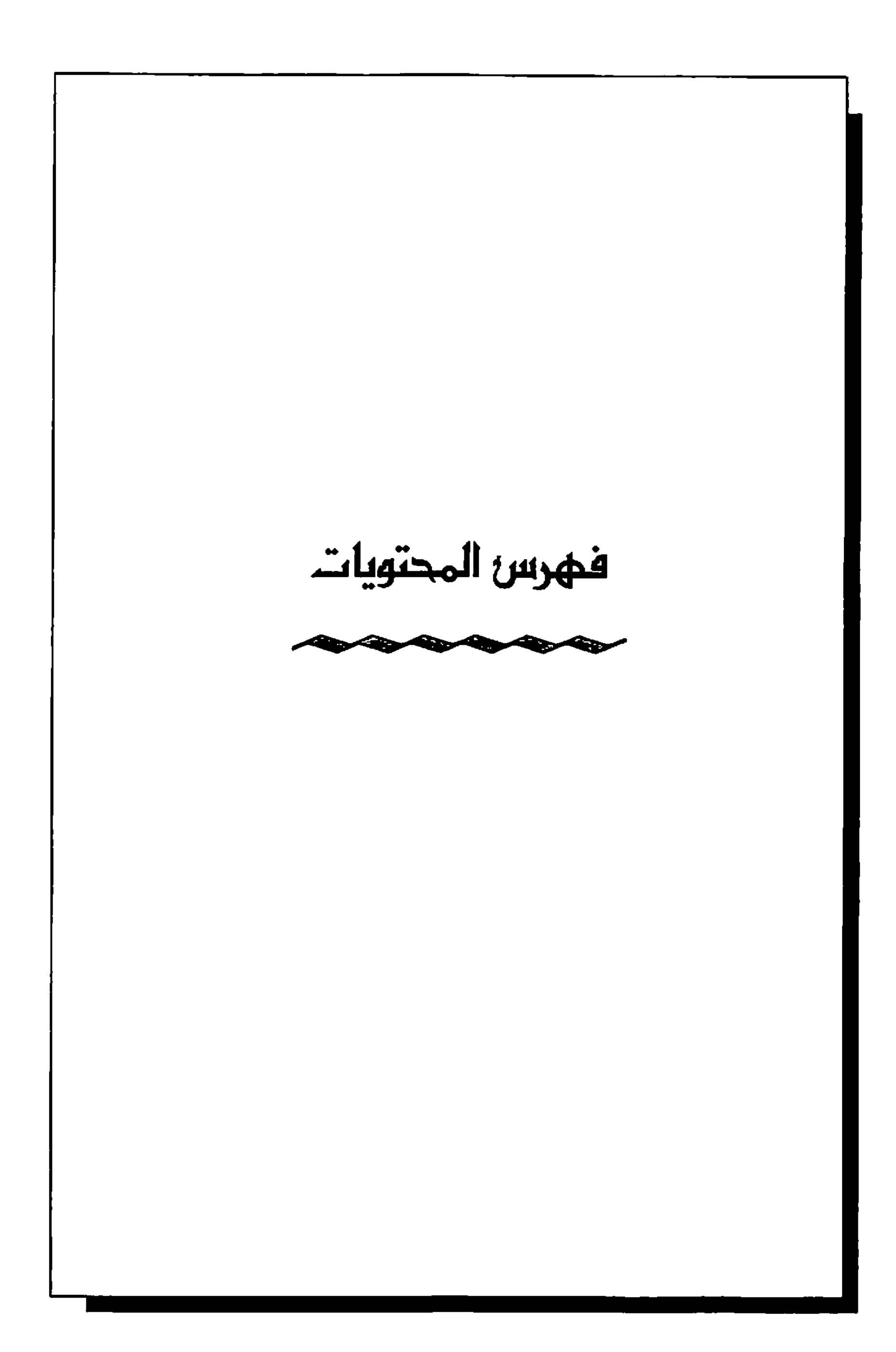
[تمّت على يد الفقير لله عبده، سليمان بن سعيد بن أبي عبدالله مبارك ابن عبدالله النزوي العُماني بتاريخ ما تقدَّم][3].

---

(١) الضّرب: العسل الأبيض.

(٢) بعد البحث والتدقيق، تبيّن أن القصيدة غير موجودة في أعمال ابن رزيق الأدبية والتاريخية الأخرى، وقد حفظها لنا في مخطوطته هذه.

(٣) وفي النسخة (ب): «ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العلي العظيم». «تمّ».


فهرس المحتويات

فهرس محتويات

الجزء الثاني